

جو نيسبو

JO NESBØ

الشُرطَة

رواية

«إن سلسلة جرائم نيسبو المظلمة والساحرة التي يلعب فيها دور البطولة محقق أوسلو هاري هول تشد القراء بصورها العميقة، وأسلوبها المتميز».

– شيكاغو تريبيون

NORLA

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

الشُرطَة

POLICE

رواية

جو نيسبو

JO NESBØ

مراجعة

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يتضمن هذا الكتاب ترجمة النص الإنكليزي لرواية
POLICE
عن الأصل النروجي: Politi الصادر عن دار: H . Aschehoug & Co . i
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
This Translation has been published with financial support of NORLA . i
Originally Published in Norway as Politi

الطبعة الأولى
1436 هـ - 2015 م

ISBN: 978-614-02-2392-9

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: (1-961+) 785107 - 785108 - 786233
ص.ب: 13-5574 شوران - بيروت 2050-1102 - لبنان
فاكس: (1-961+) 786230 - البريد الإلكتروني: jchebaro@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

تصميم الغلاف: سامح خلف
التنضيد وفرز الألوان: أبجد غرافيكس، بيروت - هاتف (+9611) 785107
الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف (+9611) 786233

كان نائماً في الداخل وراء الباب.

فاحت من الخزانة في الزاوية رائحة الخشب العتيق، وبقايا البارود، وزيت المسدس. وحين دخلت أشعة الشمس الغرفة عبر النافذة، اخترق شريط من الضوء على شكل ساعة رملية ثقب المفتاح إلى الخزانة، ولو كانت الشمس في الزاوية الصحيحة بالضبط لكان المسدس الموضوع في وسط الرف قد لمع.

مسدس أوديسا روسي... نسخة عن مسدس ستيشكين.

كان المسدس الأوتوماتيكي القبيح قد انتقل من ليتوانيا إلى سيبيريا، ومرّ بمراكز الأوركا المتعددة في جنوب سيبيريا حتى حازه قائد قوقازي قتلته الشرطة وهو يحمله، لينتهي به المطاف في منزل مدير سجن يهوى جمع الأسلحة في مدينة نيجني تاجيل. وفي النهاية، وصل المسدس إلى النروج مع رودولف أساييف المدعو دبي الذي هيمن قبل اختفائه على سوق المخدرات في أوسلو من خلال نشر مادة الفيولين المخدرة. أوسلو... المدينة التي يوجد فيها المسدس الآن في هولمنكولفن، أو بدقة أكبر في منزل راكيل فوك. للأوديسا مخزن يتسع لعشرين طلقة ماكاروف بعيار 9×18 ملم، ويمكنه إطلاق الطلقات منفردة أو على شكل وابل. لكن، لم يكن قد تبقى في المخزن سوى اثنتي عشرة رصاصة.

ثلاث منها أُطلقت على ألبان من كوسوفو من المنافسين في تجارة المخدرات؛ لكن واحدة منها فقط أصابت اللحم.

ورصاصتان قتلتا غاستو هانسن؛ اللص الشاب وتاجر المخدرات الذي سرق نقود أساييف ومخدّراته.

ولا تزال تفوح من المسدس رائحة الرصاصات الثلاث الأخيرة التي أصابت رأس التحري في الشرطة السابق هاري هول وصدره خلال تحقيقه في جريمة قتل غاستو هانسن في مسرح الجريمة نفسه: بوابة هوسمنز 92 .

لم تتمكن الشرطة حتى الآن من حل قضية هانسن، وتم إطلاق سراح الصبي ذي الثمانية عشر عاماً الذي تم اعتقاله في البداية، لأنهم لم يتمكنوا من إيجاد أي سلاح جريمة أو ربطه به. كان اسم الصبي أوليغ فوك، وكان يستيقظ كل ليلة، ويحدق إلى الظلام وهو يسمع صوت الطلقات... ليس الرصاصات التي قتلت غاستو، وإنما الرصاصات الأخرى... الرصاصات التي أطلقها على الشرطي الذي كان أباً له حين كان يافعاً،

والذي كان يحلم أن يتزوج أمه راكيل... هاري هول. أغمض أوليغ عينيه، وفكّر في المسدس المخفي في الزاوية البعيدة من الخزانة، وتمنى أن لا يراه مجدداً... أن لا يراه أي كان مجدداً... أن يبقى نائماً هناك إلى الأبد.

كان نائماً في الداخل وراء الباب.

فاحت من غرفة المشفى ذات الحراسة المشددة رائحة الدواء والطلاء، بينما سجل الجهاز المجاور له ضربات قلبه.

كان كل من إيزابيل سكوين مستشارة الشؤون الاجتماعية في مجلس مدينة أوسلو، ومايكل بيلمان رئيس الشرطة المعين حديثاً يتمنيان أن لا يرياه مجدداً.

أن لا يراه أي أحد مجدداً.

أن يبقى نائماً هناك إلى الأبد.

القسم الأول

1

كان يوماً دافئاً وطويلاً من شهر أيلول، وقد حوّل النور خليج أوسلو إلى فضة ذائبة، وجعل السلاسل الجبلية المنخفضة التي حملت أولى علامات الخريف تتلألأ. كان واحداً من تلك الأيام التي تجعل سكان أوسلو يقسمون على عدم الرحيل عنها مطلقاً، حيث كانت الشمس تغيب وراء حافة أولين، بينما تنعكس أشعتها الباقية على الريف، وعلى مباني الشقق المنخفضة التي تشهد على الأصول المتواضعة لمدينة أوسلو، وعلى الشقق المرتفعة المترفة ذات الشرفات التي تشير إلى مغامرات البترول التي جعلت البلد واحداً من أغلى بلاد العالم، وعلى مدمني المخدرات في أعلى منتزه ستينسباركين، وفي البلدة الصغيرة المنظمة حيث توجد جرعات مفرطة أكثر من المدن الأوروبية الأكبر بثماني مرات، وعلى الحدائق حيث الألعاب محاطة بشبكات حماية وهناك ثلاثة أطفال فقط يقفزون معاً، وعلى المرتفعات والغابة المحيطة بنصف ما يعرف باسم مرجل أوسلو. وكأن الشمس لم ترغب بهجر المدينة فمدت أصابعها كوداع طويل عبر نافذة قطار.

كان النهار قد بدأ بهواء بارد عليل وشعاع نور حاد كمصابيح في مسرح. لاحقاً، ارتفعت درجة الحرارة، وأصبح لون السماء أزرق داكناً، بينما شاع ذلك الجو البهيج الذي يجعل سبتمبر أروع شهور السنة. ومع حلول الغسق، فاحت في الجو اللطيف في الحي السكني على التلال المواجهة لبحيرة ماريدال رائحة أشجار التفاح والصنوبر.

كان إيرلند فينيسلا يقترب من قمة التل الأخير وهو يشعر بحمض اللبن يتجمع في عضلاته. ومع ذلك، فقد ركّز على الحركة العمودية لقدميه على الدواستين، وهو يثني ركبتيه إلى الداخل قليلاً لأنه من الضروري القيام بالأمر بالطريقة الصحيحة، وخاصة حين تكون متعباً، ويخبرك دماغك أنه يجب عليك تغيير الوضعية لكي تنقل العبء إلى عضلات أقل إرهاقاً، لكنها أيضاً أقل فاعلية. كان بإمكانه الإحساس بإطار الدراجة القاسي، وهو يمتص ويستخدم كل واط داسه، وكيف تسارع حين أوقف أحد المسننات ووقف محاولاً البقاء بالسرعة نفسها... حوالى تسعين دورة في الدقيقة. تحقق من جهاز مراقبة ضربات القلب... مائة وثمان وستون. وجه مصباحه الرأسي إلى جهاز الملاحة بالأقمار الصناعية الموصول بمقبض اليد، حيث كانت توجد فيه خريطة مفصلة لأوسلو ومحيطها. كانت الدراجة وملحقاتها قد كلفته أكثر مما ينبغي على محقق متقاعد حديثاً أن ينفقه. لكن، كان من الضروري

الحفاظ على لياقته البدنية؛ إذ إن الحياة تفرض تحديات مختلفة.

أو بصراحة... تحديات أقل.

كان حمض اللبن يحرق فخذيه وساقيه. لكن الألم الذي يشعر به الآن لا يمكن مقارنته بالنتيجة لاحقاً. وليمة من الإندورفين... عضلات طرية... ضمير صاحٍ... شراب مع زوجته على الشرفة إن لم تنخفض درجة الحرارة بشدة بعد غروب الشمس.

فجأة، وصل إلى حيث استوى الطريق، وأصبحت بحيرة ماريدال أمامه، فأبطأ من سرعته... لقد وصل إلى خارج البلدة. إنه لأمر عبثي أن تجد نفسك محاطاً بالمزارع والحقول والغابات الكثيفة المليئة بطرق تتلاشى في الغسق، بعد ركوب الدراجة بسرعة لخمس عشرة دقيقة من مركز عاصمة أوروبية. جعل العرق رأسه يحكه تحت الخوذة الرمادية التي كلفته مبلغاً مساوياً لثمن الدراجة التي اشتراها كهدية لحفيدته التي تبلغ السادسة من العمر... لاين ماري. لكنه ظل مرتدياً الخوذة؛ فمعظم الوفيات بين راكبي الدراجات تنجم عن إصابات في الرأس.

نظر إلى جهاز مراقبة دقات القلب... مائة وخمس وسبعون... مائة واثنان وسبعون. هبت نسمات خفيفة لطيفة حاملة صوت الحماسة البعيد من البلدة... لا بد أنه آت من ملعب أوليفال حيث تقام مباراة دولية هامة هذا المساء... سلوفاكيا أو سلوفينيا.

تخيل إيرلند فينيسلا لبضع ثوان أنهم يصفقون له؛ إذ لم يفعل ذلك أحد منذ زمن... ربما كانت آخر مرة في حفل الوداع الذي أقاموه له في كريبوس في برين، حيث كانت هناك كعكة بطبقات، وخطاب ألقاه رئيسه مايكل بيلمان الذي تقدم منذ ذلك الحين وترفع حتى تولى أعلى منصب في الشرطة. وقد تلقى إيرلند التصفيق، ونظر في أعينهم، وشكرهم، وهو يشعر بالاختناق وهو يلقي خطابه المقتضب البسيط... البسيط والمقتصر على الوقائع كما هي العادة الآن في كريبوس... لقد أمضى لحظات حلوة ومرة كمحقق. لكنه تجنب العثرات الكبيرة... على الأقل حسب معرفته. بالطبع، لن تتأكد مائة بالمائة أن لديك الإجابة الصحيحة. ومع التقدم المتسارع في تكنولوجيا اختبار الحمض النووي التي سيستخدمها في فحص القضايا القديمة المهملة كما تشير الدلائل، ظهرت مخاطر التوصل إلى إجابات... إجابات جديدة... نتائج. طالما أنهم سيركّزون على القضايا غير المحلولة سيكون الوضع بخير، لكن إيرلند لم يفهم سبب إهدارهم الموارد على تحقيقات تم إنهاؤها منذ زمن.

حل الظلام، فكاد يتجاوز بدراجته اللافتة الخشبية التي تشير إلى الغابة، لكنها كانت هناك كما تذكرها بالضبط. أطفأ النور، وقاد الدراجة على أرضية الغابة الطرية، حيث تبع الطرق ببطء من دون أن يفقد توازنه. سقط مخروط الضوء من مصباحه الرأسي على الجانبين حين أدار رأسه، لتتراقص الظلال أمامه متسارعة، وتغير شكلها قبل أن يتلاشى. هكذا كان يتخيلها حين يضع نفسه مكانها... تركض هاربة وهي تحمل مصباحاً بيدها، بعد أن حبست واعتدي عليها لثلاثة أيام.

وحين رأى إيرلند فينيسلا ضوءاً متجهاً إليه فجأة، ظن للحظة من الزمن أنه مصباحها، وأنها كانت تركض مجدداً، وأنه يركب الدراجة النارية التي لحقتها ويمسك بها. كان النور أمام إيرلند فينيسلا يسطع عليه مباشرة، فتوقف وترجل وأضاء مصباحه الرأسي على جهاز مراقبة دقات القلب... تحت المائة... ليس سيئاً.

حل حزام الذقن، وخلع الخوذة، ثم حك فروة رأسه... يا الله... هذا جيد. أطفأ مصباحه الرأسي، وعلّق الخوذة من مقبض اليد، ودفع الدراجة باتجاه الضوء، وهو يشعر بالخوذة ترتطم بإطار الدراجة.

توقف بجانب ضوء المصباح، فآلمته عيناه من الشعاع القوي، وفكر في أنه لا يزال يسمع صوت أنفاسه المتسارعة. من الغريب أن نبضه كان منخفضاً إلى هذه الدرجة. أحس بحركة كما لو أن شيئاً قد تم رفعه وراء دائرة الضوء الكبيرة المرتعشة، وسمع صفيراً منخفضاً لحظة خطرت بباله فكرة... ما كان ينبغي عليه فعل ذلك... ما كان ينبغي عليه خلع خوذته... معظم الوفيات بين راكبي الدراجات...

كما لو أن الفكرة تلعثمت، كصورة مشوشة للحظة.

حدّق إيرلند فينيسلا أمامه بذهول، وأحس بقطرة عرق ساخنة تسيل على جبهته. تكلم، لكن الكلمات لم تكن مترابطة، كما لو أن هناك خطأً في الاتصال بين الدماغ والفم، ثم سمع صافرة خفيفة مرة أخرى، ثم اختفى الصوت... كل الصوت. لم يستطع حتى سماع صوت أنفاسه، ثم اكتشف أنه يجثو على ركبتيه، وأن دراجته تقع ببطء في مستنقع، بينما تراقص أمامه ضوء أصفر تلاشى حين وصلت قطرة العرق إلى المسافة بين حاجبيه، وسالت إلى عينيه وأعمته.

بدت الضربة الثالثة كما لو أن هناك كتلة جليدية تدخل رأسه ورقبته وجسده... لقد تجمد كل شيء.

لا أريد أن أموت... حاول رفع ذراعه ليحمي رأسه، لكنه لم يكن

قادراً على أن يأتي بحركة، فعرف أنه قد أصيب بالشلل.

لم يشعر بالضربة الرابعة، لكنه عرف من رائحة التراب المبلل أنه مستلق على الأرض. رمش عدة مرات، لتعود الرؤية إلى إحدى عينيه، حيث رأى أمام وجهه زوجاً من الأحذية القذرة الكبيرة. ارتفع الكعبان، ثم ارتفع الحذاء عن الأرض وهبط، وبعدها تكرر الأمر نفسه، إذ ارتفع الكعبان، ثم ارتفع الحذاء كما لو أن مهاجمه يقفز... يقفز للحصول على قوة أكبر في ضرباته. وكانت آخر فكرة تخطر بباله أنه كان عليه أن يذكر اسمها وأن لا ينساه.

2

تناول الشرطي أنطون ميتيت الكوب البلاستيكي شبه الممتلئ من آلة صنع القهوة الحمراء الصغيرة، ثم انحنى ووضعه على الأرض، إذ لم يكن هناك أي أثاث يضعه عليه. ثم أخرج علبة قهوة أخرى، وتحقق تلقائياً من أن غطاء الألمنيوم غير مثقوب وأنها غير مستخدمة، وذلك قبل أن يدخلها في آلة القهوة، ويضع كوباً بلاستيكياً فارغاً تحت الصنبور، ويضغط على أحد الأزرار المضاءة.

نظر إلى ساعته بينما بدأت الآلة تصدر صوتاً وأخذ السائل في الكوب يبقبق... اقترب منتصف الليل حيث ستنتهي مناوبته. كانت تنتظره في البيت، لكنه فكّر أن عليه تعليم الفتاة الجديدة، فهي مجرد متدربة لدى الشرطة. سيلج... أكان هذا اسمها؟ حدق أنطون ميتيت في الصنبور... أكان سيحضر لها كوباً من القهوة لو كانت ذكراً؟ لم يكن متأكداً من الأمر، كما أنه ما من فرق، وهكذا لم يعد يجيب على مثل هذه الأسئلة. فجأة، عم الهدوء لدرجة أنه استطاع سماع صوت القطرات الأخيرة وهي تقطر في الكوب. لم يعد هناك أي طعم أو لون متبقٍ في العلبة، لكن من الضروري الحصول على كل قطرة، فمناوبة هذه الليلة طويلة على المرأة الشابة... من دون أي صحبة... من دون أي عمل... من دون أي شيء تقوم به سوى التحديق إلى الجدران الإسمنتية الجرداء غير المطلية في مشفى ريكشوبيتالت حتى قرر أن يتناول القهوة معها قبل أن يغادر. تناول الكوبين، وعاد أدراجه وقد تردد صوت خطواته بين الجدران، وهو يمر بأبواب مغلقة ومقفلة يعرف أنه ما من شيء أو أحد وراءها سوى المزيد من الجدران الجرداء. فلأول مرة في النروج، حين تم بناء مشفى ريكشوبيتالت، أدركوا أن أعداد النروجيين في ازدياد، وأنهم يتقدمون في العمر، ويصبحون مرضى ومحتاجين، فقاموا بوضع خطة طويلة المدى؛ كما فعل الألمان بطرقهم السريعة، والسويديون بمطاراتهم. لكن هل بدا الأمر على هذا النحو بالنسبة إلى راكبي الدراجات الذين يعبرون الريف الألماني بعزلة على الطرق الإسمنتية في الثلاثينيات، أو المسافرين السويديين المسرعين عبر الردهات الواسعة في أرلاندا في الستينيات؟ أشعروا أن هناك أشباحاً؟ وأنه على الرغم من أنها جديدة وغير متضررة، وأن أحداً لم يمت بحادث سيارة أو تحطم طائرة حتى الآن فإن هناك أشباحاً، وفي أي لحظة ستضيء مصابيح السيارات على عائلة تقف على الرصيف وتحدق مشدوهة إلى المصابيح،

وتنزف بشحوب؛ الأب مطعون، والأم مثقوبة الرأس، والابن لديه يد ورجل من جانب واحد فقط؟! أشعروا أن أجساداً محترقة ستخرج من الستائر المطاطية لسير نقل الأمتعة في صالة القادمين في أرلاندا وهي لا تزال تتوهج وتحرق المطاط بينما تتعالى صرخات صامتة من الأفواه المفتوحة ويتصاعد الدخان للأعلى؟ لم يتمكن أي من الأطباء من تحديد كيف سيتم استخدام هذا الجناح. لكن، ما كان محتماً هو أن الناس سيموتون وراء هذه الأبواب. كان ذلك مخيماً في الجو... أجساد خفية بأرواح مضطربة.

انعطف أنطون عند الزاوية، ليظهر أمامه ممر آخر مضاء بشكل خفيف، ذو جدران جرداء ومتناظرة حيث شكّلت لوحة فنية واقعية. كانت المرأة التي ترتدي البذلة تجلس في نهاية الممر، وتبدو كصورة صغيرة على جدار مسطح أمامه.

قال وهو يقف أمامها:

- أحضرت لك كوب قهوة.

كم عمرها؟ عشرون؟ ربما أكثر... ربما اثنان وعشرون.

- شكراً، لكنني أحضرت قهوتي معي.

ورفعت حافظة حرارية من حقيبة صغيرة موضوعة إلى جانب مقعدها.

كان هناك إيقاع غير واضح في نبرة صوتها... ربما بقايا لكنة شمالية.

قال وهو لا يزال يمد يده:

- هذه أفضل.

ترددت ثم أخذته.

كان أنطون يضع يده خفية وراء ظهره، ويفرك رؤوس أصابعه على سترته وهو يقول:

- وهي مجانية. في الواقع، لدينا آلة خاصة بنا في الممر بجانب...

- لقد رأيتها حين أتيت. لكن القانون ينص على أن لا نبتعد عن باب غرفة المريض في أي وقت؛ لذا أحضرت معي بعض القهوة من البيت.

رشف أنطون رشفة من الكوب وقال:

- تفكير سليم. لكن، ليس هناك سوى ممر واحد يؤدي إلى هذه الغرفة، ونحن في الطابق الثالث، وجميع الأبواب من هنا إلى حيث تربض آلة صنع القهوة مقفلة. من المستحيل أن يتجاوزنا أحد حتى ولو كنا نحضر بعض القهوة.

- معك حق، ولكنني أُفضّل الالتزام بالقانون.

ابتسمت له ابتسامة عابرة، ثم احتست رشفة من كوبها.

أحس أنطون بطعنة مزعجة، وكان على وشك قول شيء ما عن التفكير المستقل الذي قد يأتي من الخبرة. لكنه لم يتمكن من صياغة كلامه قبل أن يسترعي انتباهه شيء في آخر الممر؛ إذ ظهر شخص أبيض وكان يتجه نحوهما. سمع سيلج تنهض، بينما اتخذ الشخص ملامح أوضح، وتبين أنها ممرضة شقراء مكتنزة ترتدي ملابس المشفى الفضفاضة. عرف أنها تعمل بمناوبة ليلية، وأنها ستكون ليلة غد من دون عمل.

قالت الممرضة بابتسامة مزعجة وهي تحمل حقنتين بإحدى يديها، وتمشي نحو الباب وتضع اليد الأخرى على المقبض:

- مساء الخير.

قالت سيلج وهي تنهض:

- لحظة. أظن أن عليّ التحقق من بطاقة التعريف الشخصية الخاصة بك. وهل لديك كلمة السر لليوم؟

نظرت الممرضة إلى أنطون بدهشة.

- طبعاً ما لم يضمنك زميلي.

هز أنطون رأسه:

- ادخلي يا منى.

فتحت الممرضة الباب، بينما راقبها أنطون وهي تدخل. في الغرفة المظلمة، استطاع أن يتبين الآلات المحيطة بالسرير، وأصابع الأقدام الناتئة من تحت الغطاء. كان المريض طويلاً للغاية حيث اضطروا لطلب سرير أطول... ثم أغلق الباب.

قال أنطون مبتسماً لسيلج:

- جيد.

رأى أنها لم تحب تعليقه، ورأى أنها تنظر إليه كرجل متسلّط يقيم زميلة صغيرة بالسن، لكنها طالبة ويفترض بها أن تتعلم من رجال الشرطة الأكثر خبرة خلال سنة التدريب. وقف وهو يفكر في كيفية طرح الموضوع، لكنها تكلمت قبله:

- كما قلت... لقد قرأت الأنظمة والقوانين، وأفترض أن لديك عائلة بانتظارك.

رفع كوب القهوة إلى فمه... ماذا تعرف عن وضعه المدني؟ هل تلمّح إلى شيء بينه وبين منى على سبيل المثال؟ لقد أوصلها إلى بيتها بالسيارة عدة مرات بعد نهاية مناوبتها، ولم يقتصر الأمر على التوصيل فقط.

ابتسمت:

- صورة لعبة الدب الملصقة على حقيبتك.

احتسى حسوة كبيرة من كوبه وسعل:

- لدي متسع من الوقت. وبما أن هذه مناوبتك الأولى فأمامك الفرصة لطرح أي أسئلة تخطر ببالك، فليست كل الأمور مذكورة في الأنظمة والقوانين كما تعرفين.

قالت بثقة بالنفس مزعجة؛ إذ ينبغي أن تكون أصغر من سن الخامسة والعشرين لتكون وقحاً بهذا الشكل:

- من المريض القابع داخل الغرفة؟

- لا أدري. هذا مكتوب أيضاً في القوانين، وهو أنه مجهول الهوية وينبغي أن يبقى كذلك.

- لكنك تعرف شيئاً.

- حقاً؟

- منى... لا يمكنك أن تكون على علاقة جيدة مع العاملين هنا من دون أن تكون قد ثرثرت معهم. ماذا أخبرتك؟

تفحصها أنطون ميتيت... كانت جذابة لكن يعوزها الدفء، كما أنها نحيلة جداً، وشعرها مشعث، وشفتها العليا بدت كما لو أنها مرفوعة بوتر مشدود زيادة لتظهر اثنتان من أسنانها. لكن الشباب كان في صفها فبدت صلبة وبصحة جيدة تحت البذلة السوداء. إن أخبرها بما يعرفه فهل سيكون ذلك لأنه يحسب في اللاوعي أن سلوكه هذا سيزيد من فرصه معها بنسبة 0 . 01 بالمئة؟ أو لأن الفتيات كسيلج يصبحن تحريات أو محققات خلال خمس سنوات؟ ستصبح رئيسته بينما سيبقى هو في مكانه... في أسفل السلم؛ لأن قضية درامن ستبقى دائماً هناك كوصمة عار لا يمكن التخلص منها.

قال أنطون:

- محاولة قتل. فقد الكثير من الدم، ويقولون إنه بالكاد كان لديه نبض حين وصل إلى هنا. وهو في غيبوبة منذ فترة.

- ولم الحراسة؟

هز أنطون كتفيه:

- شاهد محتمل إن نجا.

- ماذا يعرف؟

- قضية مخدرات على مستوى عالٍ. إن استيقظ، فربما سيتمكن من الإيقاع ببعض أهم تجار الهيرويين في أوسلو، كما أن بإمكانه إخبارنا من

الذي حاول قتله.

- إذاً، يظنون أن القاتل سيعود ويكمل عمله.

- إذا عرف أنه حي وعرف مكانه... نعم. لذا نحن هنا.

هزت رأسها:

- وهل سينجو؟

هز أنطون رأسه بالنفي:

- يظنون أنهم سيتمكنون من إبقائه على قيد الحياة لبضعة أشهر. لكن احتمالات صحوته من الغيبوبة ضئيلة للغاية، ومع ذلك علينا إبقاء أعيننا عليه حتى ذلك الحين.

تركها أنطون ميتيت وهو يشعر بالخيبة، ونزل السلم حتى ردهة الاستقبال، ثم خرج إلى ليل الخريف. ولم يلحظ أن هاتفه المحمول كان يرن إلا حين جلس في سيارته المركونة.

كان الاتصال من غرفة العمليات.

- ماريدال. جريمة قتل. نعلم أنك أنهيت عملك اليوم، لكنهم بحاجة لتأمين مسرح الجريمة، وبما أنك لا تزال مرتدياً بذلتك...

- كم المدة؟

- ستنتهي بعد ثلاث ساعات كحد أقصى.

استغرب أنطون، فهذه الأيام يقومون بالمستحيل لمنع الناس من العمل لساعات إضافية، كما أن القوانين الصارمة والميزانية لا تسمح لهم بأي خرق من دون سبب ضروري. أحس أن هناك شيئاً خاصاً في هذه الجريمة، وتمنى أن لا يكون طفلاً.

- حسناً.

- سأرسل لك الإحداثيات.

كان ذلك جديداً. جهاز ملاحة بالأقمار الصناعية يحوي خريطة مفصلة لأوسلو ومحيطها، وجهاز بث فعّال لغرفة العمليات لملاحقتك. ربما لذلك قاموا بالاتصال به... لأنه الأقرب.

قال أنطون ميتيت:

- حسناً... ثلاث ساعات.

ستكون لورا في السرير، لكنها تحب أن تعرف موعد عودته من العمل. لذا أرسل لها رسالة نصية قبل أن يشغل محرك السيارة، ويتجه إلى بحيرة ماريدال.

لم يحتج أنطون للنظر إلى جهاز الملاحة بالأقمار الصناعية، إذ وجد عند مدخل أوليفالسيترفين أربع سيارات شرطة، وبعدها شريطاً أبيض وبرتقالياً يظهر الطريق.

أخرج أنطون المصباح من حجرة القفازات، ومشى نحو الشرطي خارج الشريط، حيث رأى عبر الشريط الأضواء تلمع بالإضافة إلى مصابيح فريق التحقيق الجنائي التي تذكره دائماً بمشاهد الأفلام التي لم تعد سخيفة؛ فهم لا يلتقطون صوراً ثابتة فحسب، وإنما يستخدمون أيضاً كاميرات فيديو عالية الدقة لا تصور الضحية فحسب وإنما تصور معه مسرح الجريمة بالكامل، لكي يشاهدوه لاحقاً ويتوقفوا عند نقاط معينة، ويكبروا الصورة على تفاصيل لم يظنوا في البداية أنها ذات علاقة بالموضوع.

سأل الشرطي الذي يقف شابكاً ذراعيه ويرتجف من البرد عند الشريط:

- ماذا حصل؟

- جريمة قتل.

كان صوت الرجل أجش، وعيناه حمراوين، ووجهه شاحباً للغاية.

- هذا ما سمعته. من الرئيس هنا؟

- المحققة الجنائية. لون.

سمع أنطون أصواتاً من وراء الأشجار حيث كان هناك الكثير منهم:

- ألم يصل أحد بعد من كريبوس أو فرقة مكافحة الجرائم؟

- سيصل المزيد من رجال الشرطة عما قريب؛ فقد عثرنا على الجثة للتو. هل ستحل محلي؟

المزيد! ومع ذلك فقد أحضروه للعمل لساعات إضافية. تفحص أنطون الشرطي عن كثب. كان يرتدي معطفاً سميكاً، لكن ارتعاشه يزداد على الرغم من أن البرد ليس قارساً.

- أكنت أول الواصلين إلى مسرح الجريمة؟

هز الشرطي رأسه من دون أن يتكلم، ثم نظر إلى الأسفل وضرب بقدمه الأرض بقوة.

تباً... فكر أنطون... طفل... بلع ريقه.

- أهلاً يا أنطون. هل أرسلوك من غرفة العمليات؟

نظر أنطون. لم يسمعهما وهما يقتربان على الرغم من أنهما خرجا من أجمة كثيفة. كان قد رأى من قبل كيف يتحرك فريق التحقيق الجنائي في مسرح الجريمة كراقصين حمقى ينحنون ويتمايلون وهم يضعون أقدامهم

كما لو كانوا رواد فضاء على القمر، أو إن الرداء الأبيض هو الذي يؤدي إلى هذا الربط.

قال أنطون للمرأة:

- نعم. قالوا إن عليّ أن أحل مكان أحد ما.

كان يعلم من هي، والجميع يعلم... بتي لون... رئيسة كريمتكنيسك الشهيرة بقدرتها على التعرف على الوجوه، حيث كانت تعمل في التعرف على سارقي المصارف من تصوير فيديو سيئ للغاية، كما يقال إنها قادرة على التعرف على السارقين المتنكرين ببراعة إن كانوا موقوفين سابقاً، ولديها قاعدة بيانات من عدة آلاف من الصور المخزنة في رأسها ذي الشعر الأشقر. لذا، لا بد أن جريمة القتل هذه مميزة، وإلا ما كانوا ليرسلوا وراء الرؤساء ليحضروا في منتصف الليل.

إلى جانب وجه المرأة الشاحب والشفاف تقريباً، بدا وجه زميلها أحمر، بينما تزينت وجنتاه المليئتان بالنمش بحرقين أحمرين مشرقين، ونتأت عيناه قليلاً كما لو أن هناك الكثير من الضغط في الداخل مما جعله يبدو كأنه يحدق. لكن ما استرعى انتباهه أكثر هو القبعة الكبيرة التي بدت حين رفع قبعة ردائه الأبيض... قبعة كبيرة بألوان علم جامايكا... أخضر وأسود وأصفر.

ربتت لون على كتف الشرطي المرتعش:

- إذاً، يمكنك الانصراف يا سيمون. لا تخبر أحداً أنني قلت هذا، لكنني أنصحك بتناول شراب قوي ثم الخلود للنوم.

هز الشرطي رأسه، وبعد ثلاث ثوانٍ ابتلعه الظلام.

سأل أنطون:

- أهي شنيعة؟

سأل صاحب القبعة الكبيرة وهو يفتح حافظة حرارية:

- أتريد قهوة؟

من هاتين الكلمتين عرف أنطون أنه ليس من أوسلو... ربما من الضواحي. كان ذلك واضحاً، لكنْ كمعظم النروجيين من أوستلاند لم تكن لدى أنطون أي فكرة أو اهتمام باللهجات.

- لا.

- إنها فكرة جيدة دائماً أن تحضر معك قهوتك إلى مسرح الجريمة، فأنت لا تدري كم من الوقت ستبقى.

قالت بتي لون:

- كفاك يا بيورن. لقد عمل على التحقيق بجرائم القتل من قبل. درامن... أليس كذلك؟

قال أنطون:

- نعم.

كان يعمل على التحقيق بجرائم القتل، ولسوء الحظ كان لديه شك في السبب الذي جعل بتي لون تتذكره.

- من وجد الجثة؟

قالت بتي لون:

- هو.

وأومأت باتجاه سيارة الشرطة حيث تمكن من سماع محرك السيارة يدور.

- أعني، من الذي أبلغنا؟

قال صاحب القبعة الكبيرة:

- اتصلت الزوجة حين لم يعد من رحلة لركوب الدراجة، وقالت إنه تأخر وإنها قلقة عليه من نوبة قلبية. كان يستخدم جهاز ملاحة بالأقمار الصناعية مع جهاز بث، لذا عثرنا عليه بسرعة.

هز أنطون رأسه ببطء وهو يتخيل الصورة بالكامل. شرطيان يرنان الجرس... رجل وامرأة. سعل الشرطيان، ونظرا إلى الزوجة بتعابير حزينة مقصود منها إخبارها بما سيقولانه بعد لحظات... كلمات صعبة... وجه الزوجة المقاوم... لا تريد أن تسمع... ثم تُظهِر كل شيء... تظهر عواطفها الخفية... تظهر كل شيء.

ظهرت صورة لورا زوجته.

اقتربت سيارة إسعاف من دون صفارة أو ضوء أزرق.

خطرت الفكرة ببطء في بال أنطون... ردة الفعل السريعة لرسالة الشخص المفقود... سرعة تعقب إشارة جهاز الملاحة بالأقمار الصناعية... الحشد الكبير... ساعات العمل الإضافية... الزميل المنهار لدرجة أنهم اضطروا لإرساله إلى البيت.

همس:

- شرطي.

قالت بتي لون وهي تتصل برقم على هاتفها المحمول:

- أظن أن درجة الحرارة أقل بدرجة ونصف من داخل المدينة.

قال صاحب القبعة الكبيرة وهو يحتسي القهوة من كوبه الحراري:

- أوافقك الرأي؛ إذ ليس هناك أي تغير في لون البشرة، أي وقعت الجريمة بين الثامنة والعاشرة.

ردد أنطون:

- شرطي. لهذا كلهم هنا أليس كذلك؟

قالت بتي:

- أيمكنك التحقق من شيء ما يا كاترين؟ حول قضية ساندرا تفيتن... نعم.

قال صاحب القبعة الكبيرة:

- تباً! لقد طلبت منهم الانتظار حتى تصل أكياس الجثث.

التفت أنطون، ورأى رجلين يترنحان عبر الغابة وهما يحملان حمالة بينهما يظهر من تحت الغطاء عليها زوج من أحذية ركوب الدراجات.

- إنه يعرفه. لهذا كان يرتعش بهذا الشكل... أليس كذلك؟

قال صاحب القبعة الكبيرة:

- قال إنهما عملا معاً في أوكرن قبل أن ينتقل فينيسلا إلى كريبوس.

قالت لون عبر الهاتف:

- ألديك التاريخ؟

ثم صدرت صرخة.

قال صاحب القبعة الكبيرة:

- ما الذي...؟

التفت أنطون، ورأى أحد حاملي الحمالة وقد انزلق إلى المستنقع عند جانب الطريق، بينما وقع شعاع مصباحه على الحمالة... على الغطاء الذي انزاح قليلاً... على... على ماذا؟ حدق أنطون... أكان ذلك رأساً؟ ذلك الشيء في أعلى ما يظهر أنه جسد بشري... أكان حقاً رأساً؟ خلال السنوات التي عمل فيها أنطون في فرقة مكافحة الجرائم قبل غلطته الفظيعة، كان قد رأى العديد من الجثث، لكنه لم ير أي شيء مشابه. ذكرته المادة التي كانت على شكل ساعة رملية بفطور العائلة يوم الأحد والبيض المسلوق قليلاً الذي تحضره لورا مع بقايا القشرة المشققة بينما يسيل الصفار من البياض الصلب والطري.

وقف أنطون يرمش في الظلام، وهو يشاهد الأنوار الخلفية لسيارة الإسعاف تتلاشى، وأدرك أن ذلك مجرد إعادة، فقد رأى هذا المشهد من قبل؛ الأشخاص باللباس الأبيض، وحافظة الحرارة، والقدمين الناتئتين من تحت الغطاء... لقد رأى ذلك للتو في ريكشوبيتالت كما لو كانوا مجرد أعجوبة...

الرأس.

قالت بتي:

- شكراً يا كاترين.

سأل صاحب القبعة الكبيرة:

- ما الأمر؟

- لقد عملت مع إيرلند في هذا المكان بالذات.

- هنا؟

- هنا بالضبط. لقد كان مسؤولاً عن التحقيق. كان ذلك منذ عشر سنوات تقريباً. ساندرا تفيتن... تم الاعتداء وقتلها... مجرد طفلة.

بلع أنطون ريقه... طفل... إعادة.

قال صاحب القبعة الكبيرة:

- أذكر تلك القضية. يا لسخرية القدر... أن تموت في مسرح الجريمة التي عملت عليها... تخيل. ألم تكن قضية ساندرا تفيتن في الخريف أيضاً؟

هزت بتي رأسها ببطء.

رمش أنطون عدة مرات... لقد رأى جثة مشابهة.

شتم صاحب القبعة الكبيرة:

- تباً! لا تقولي إنه...

تناولت بتي لون كوب القهوة من يده، واحتست حسوة، ثم أعادته له، وهزت رأسها.

قال صاحب القبعة الكبيرة من بين أسنانه:

- أوه تباً!

3

قال شتال أون وهو ينظر إلى كومة الثلج المكدسة مقابل سبورفيسغاتا حيث تتراجع كآبة صباح ديسمبر لتسمح للنهار أن يقصر:

- حدث ذلك من قبل.

ثم التفت إلى الرجل على الكرسي في الطرف المقابل من المكتب:

- هذا ما يحدث حين يراودنا الشعور بأننا رأينا شيئاً ما من قبل ولا نعرف ما هو.

كان يعني علماء النفس بشكل عام وليس الأطباء النفسيين فحسب.

- يعتقد بعض علماء النفس أننا حين نشعر بالتعب تتأجل المعلومات المرسلة إلى الجزء الواعي من الدماغ. لذا حين تصعد إلى السطح تكون قد قضت فترة لا بأس بها في اللاوعي، ولهذا نشعر بالأمر كإدراك. يفسر الإرهاق سبب شعورنا هكذا عادة في نهاية الأسبوع. لكن هذا ما تمكنت الأبحاث من افتراضه.

ربما كان شتال أون يأمل بالحصول على ابتسامة. ليس لأن الابتسام يعني أي شيء في جهوده المهنية لدفع الناس لإصلاح ذواتهم، وإنما لأن الغرفة تطلبت ذلك.

قال المريض... العميل... الزبون... الشخص الذي سيقوم خلال عشرين دقيقة تقريباً بالدفع في مكتب الاستقبال ويساعد في تغطية تكاليف علماء النفس الخمسة الذين يمارسون مهنتهم في المبنى القديم المكون من أربعة طوابق في سبورفيسغاتا في وسط المنطقة الغربية متوسطة الأناقة في أوسلو. اختلس شتال أون النظر إلى الساعة على الجدار وراء رأس الرجل... ثماني عشرة دقيقة.

- إنه كحلم يراودني مرة تلو الأخرى.

- كحلم؟

تفحصت عينا شتال أون الصحيفة التي يتركها مفتوحة في درج طاولة مكتبه لكي لا يتمكن المريض من رؤيتها. معظم الأطباء النفسيين يجلسون هذه الأيام على كراسٍ مقابل المرضى، وحين وصل المكتب الضخم إلى مكتب شتال واجهه زملاؤه الساخرون بنظرية العلاج الحديث، وهي أنه من الأفضل تقليص عدد العوائق بينهم وبين المرضى. وقد كان رد شتال سريعاً إذ قال:

- ربما من الأفضل للمريض.

- إنه حلم... أنا أحلم.
- هذا شائع.

ووضع أون يده على فمه لإخفاء تثاؤبه، بينما فكّر بشوق بالأريكة الطويلة العزيزة التي أخرجها من مكتبه إلى صالة الاستقبال التي بدت مع حمالة الأوزان والثقالة كدعابة عن طبيب نفسي. وقد ساعدت الأريكة المرضى الجالسين عليها على قراءة الصحف من دون حرج.

- لكنه حلم لا أريده.

ابتسامة رقيقة وواثقة بالنفس، وشعر خفيف ومصفف.

زر طارد الأرواح الشريرة... هذا ما فكر فيه أون وهو يحاول الرد بابتسامة رقيقة أيضاً. كان المريض يرتدي بذلة مخططة وربطة عنق رمادية وحمراء، وينتعل حذاء أسود لماعاً. بينما ارتدى أون سترة صوفية وربطة عنق بهيجة تحت ذقنه المترهل، وانتعل حذاء بنياً لم ير الفرشاة منذ زمن.

- ربما عليك أن تخبرني عمّا يدور الحلم.
- هذا ما فعلته للتو.
- بالضبط. لكن، ربما بإمكانك إعطائي المزيد من التفاصيل.
- إنه يبدأ كما قلت حيث ينتهي الجانب المظلم من القمر... الكسوف... حيث يتلاشى مع ديفيد غليمور وهو يغني حول كون كل شيء متناغماً...
- أهذا ما تحلم به؟
- لا! نعم. أعني أن التسجيل يتوقف عند هذه النقطة في الواقع أيضاً... التفاؤل... بعد ثلاثة أرباع الساعة عن الموت والجنون. إذاً، تظن أن كل شيء يسير على ما يرام، وأن كل شيء سيعود متناغماً، لكن حين يتلاشى الألبوم يمكنك فقط سماع صوت في الخلفية يدمدم بشيء عن الظلام السائد. أتفهم؟
- لا.

وفقاً للإرشادات، كان من المفترض بأون أن يسأل:

- هل من المهم بالنسبة إليك أن أفهم؟

أو أن يقول شيئاً مشابهاً، لكنه لم يستطع تحمل الأمر.

- الشر غير موجود لأن كل شيء شرير... الفضاء الكوني مظلم... نحن أشرار منذ ولادتنا... الشر هو نقطة الانطلاق الطبيعية، ثم أحياناً هناك ذرة نور، لكنها مؤقتة لأن علينا العودة إلى الظلام، وهذا ما يحصل في الحلم.
- أكمل.

واستدار أون بكرسيه، وحدق من النافذة، وبدا أنه يفكر؛ ليخفي حقيقة أنه لم يرد سوى أن يحدق إلى شيء غير تعابير وجه الرجل التي كانت مزيجاً من الشفقة على النفس والرضا عن الذات. من الواضح أنه يعتبر نفسه فريداً... حالة ستجعل علماء النفس في حيرة من أمرهم؛ إذ إن الرجل بلا شك قد زار أطباء نفسيين من قبل. شاهد أون موظف مرأب السيارات بساقين مائلتين يترنح في الشارع كشرطي، وتساءل عن المهن الأخرى التي قد تكون تناسبه، ثم توصل إلى نتيجة سريعة... لا شيء. كما أنه يحب علم النفس، ويحب الإبحار في المنطقة بين ما يعرفه وبين ما لا يعرفه ليجمع مخزونه الكبير من المعرفة بالحدس والفضول... على الأقل هذا ما كان يقوله لنفسه كل صباح. إذاً، لم يجلس هنا متمنياً أن يقفل هذا الشخص فمه ويخرج من مكتبه ومن حياته؟ أهو الشخص أم عمله كطبيب نفسي؟ ما أجبره على التغيير هو إنذار إنغريد الواضح أن عليه العمل لفترات أقل ليكون حاضراً أكثر معها ومع ابنتهما أورورا. وهكذا توقف عن إجراء الأبحاث المستنفدة للوقت، والعمل الاستشاري في فرقة مكافحة الجرائم، والمحاضرات في كلية الشرطة، وأصبح يعمل على العلاج النفسي بساعات محددة. وبدت الأولويات الجديدة كقرارات عظيمة؛ إذ ما الذي فاته من بين ما تخلى عنه؟ هل فوَّت دراسة النفوس المريضة التي قتلت الناس بأفعال وحشية شنيعة حرمت الناس من النوم في الليل؟ فقط ليوقظه هاري هول وهو يطلب إجابات سريعة لأسئلة مستحيلة في حال نام في النهاية؟ هل فوت هول وهو يحوله إلى محقق... صياد ممسوس أحادي مرهق وجائع؟ يتصيد كل شخص يزعجه في عمله... فقام ببطء ولكن بحتمية باستبعاد الزملاء والأقارب والأصدقاء؟

تباً! لقد فوت أهميته.

فوت الشعور بأنه ينقذ الأرواح... وليس الأرواح الانتحارية العقلانية التي تجعله أحياناً يطرح السؤال: إن كانت الحياة تجربة مؤلمة ولا يمكننا تغييرها فلم لا نسمح لذلك الشخص بأن يموت بسلام؟ لقد فوت على نفسه أن يكون فعالاً، ويتدخل، وينقذ الأبرياء من المذنبين، ويفعل ما لا يمكن لأحد غيره أن يفعله لأنه - أي شتال أون - كان الأفضل. نعم... لقد فوت هاري هول... فوت أن يتصل به مدمن الكحول الطويل المشاكس ذو القلب الكبير ويطلب منه - أو بدقة أكبر يأمره - بأداء واجبه الاجتماعي، ويطالبه بالتضحية بحياته العائلية والنوم للقبض على أحد الأشرار في المجتمع. لكن، الآن لم يعد هناك محقق باسم هاري هول في فرقة

مكافحة الجرائم، ولم يتصل به أحد. نظر إلى الصحيفة مجدداً... هناك مؤتمر صحفي، إذ مرت ثلاثة أشهر على جريمة قتل الشرطي في ماريدال. لكن الشرطة لم تتوصل إلى أي خيط أو أي مشتبه بهم. كان هذا النوع من المشاكل يدفعهم في ما مضى للاتصال به. فقد تمت الجريمة في المسرح نفسه، وفي تاريخ جريمة قديمة نفسه، جريمة غير محلولة والضحية شرطي عمل على القضية الأصلية.

لكن ذلك كان يحصل سابقاً، أما الآن فهو يحاول حل مشكلة الأرق لدى رجل أعمال مرهق. ينبغي على شتال أون طرح أسئلة لاستبعاد مشاكل التوتر بعد الصدمة حالاً. فالرجل الجالس أمامه لم يضعف بكوابيسه، وإنما كان قلقاً فحسب، ويريد استرجاع نشاطه، ورفع مستوى إنتاجه مجدداً. كان ينبغي على أون إعطاؤه نسخة عن «علاج التدريب بالتصوير» لكاركو و... لم يستطع تذكر الأسماء الأخرى. سيطلب منه كتابة كوابيسه وإحضارها معه في المرة القادمة، لإيجاد نهاية سعيدة بديلة للكابوس، وليتدربا عليها ذهنياً، ليصبح من الأسهل التأقلم مع الكابوس أو التخلص منه.

سمع أون الأزيز المخدر المنتظم لصوت المريض، وفكّر أن جريمة ماريدال كانت واضحة منذ اليوم الأول. وحتى حين ظهرت التشابهات المذهلة مع قضية ساندرا تفيتن - التاريخ والمكان - والصلة بين الضحيتين. لكن، لا فرقة مكافحة الجرائم ولا كريبوس تمكنتا من إحراز أي تقدم. والآن يحثون الناس على تصفية أذهانهم، والمساعدة مهما بدت معلوماتهم تافهة ولا أهمية لها. هذا ما كان عليه المؤتمر الصحفي الذي عقد في الأمس، وقد شك أون في أن الشرطة كانت تراوغ لتظهر أنهم يقومون بشيء، وأنهم لا يجلسون مكتوفي الأيدي. حتى لو كانوا هكذا: إدارة عالية المستوى وفاشلة تتعرض لهجوم، وتلتفت إلى العامة بيأس وتقول: دعونا نرى إن كنتم ستتصرفون على نحو أفضل.

نظر إلى صورة المؤتمر الصحفي، وتعرف على بتي لون وغونار هاغن رئيس فرقة مكافحة الجرائم الذي يشبه متنسكاً بشعره الغزير كإكليل غار حول رأسه الأصلع اللامع. وحتى إنّ مايكل بيلمان رئيس الشرطة الجديد كان متواجداً، فقد كانت تلك جريمة قتل أحد رجالهم. بدا التوتر على وجهه، وبدا أكثر نحولاً مما يذكره أون، كما أن خصل الشعر الطويلة التي تظهر رائعة في وسائل الإعلام سابقاً تساقطت على وجهه حالياً بعد أن صار على الخط بين كونه رئيس كريبوس وأورغكريم ومكتب الشرطة. فكّر أون في مظهر بيلمان الأنثوي الجيد الذي تظهر فيه الأهداب الطويلة

والبشرة المسمرة مع الخطوط البيضاء المميزة التي لم يكن أي منها واضحاً في الصورة. قضية غير محلولة تتعلّق بمقتل شرطي هي أسوأ بداية ممكنة لرئيس الشرطة الذي اعتمد في ارتقائه الصاروخي على النجاح. فعلى الرغم من أنه قضى على حروب المخدرات في أوسلو، إلا أن ذلك سيُنسى سريعاً. ومع أن إيرلند فينيسلا لم يُقتل خلال تأديته عمله رسمياً، لكن معظم الناس عرفوا بطريقة أو بأخرى أن الأمر مرتبط بقضية ساندرا تفيتن. لذا، فقد استخدم كل رجال الشرطة المتوفرين، وجميع القوى البشرية الخارجية باستثنائه... شتال أون؛ إذ إنهم شطبوه من قوائمهم، وهذا أمر طبيعي فهو قد طلب منهم ذلك.

الآن حل الشتاء باكراً مع الشعور بالثلج على الطريق... طرق باردة... لا أدلة. هذا ما قالته بتي لون في المؤتمر... انعدام جلي في الأدلة الجنائية. وما من داعٍ للقول إنهم تحققوا من الدليل في قضية ساندرا تفيتن والمشتبه بهم والأقارب والأصدقاء وحتى زملاء فينيسلا الذين عملوا على القضية من دون أي نجاح.

ساد الهدوء الغرفة، ورأى شتال أون من تعابير المريض أنه قد طرح سؤالاً وينتظر إجابة عالم النفس.

- مممم.

ووضع أون ذقنه على قبضة يده، ونظر في عيني الرجل ثم قال:

- ما رأيك في هذا؟

بدت الحيرة في عيني الرجل، وللحظة خاف أون من أن يكون الرجل قد طلب كأس ماء أو شيئاً مشابهاً.

- ما رأيي بابتسامتها؟ أو شعاع النور؟

- كلاهما.

- أظن في بعض الأحيان أنها تبتسم لأنها تحبني، ثم أظن أنها تبتسم لأنها تريدني أن أقوم بشيء ما. لكنها حين تتوقف عن الابتسام يموت شعاع النور في عينيها، ويفوت الأوان على معرفة ذلك، فهي لن تتكلم معي بعد ذلك. لذا أظن أنه الأمبير أو شيء من هذا القبيل.

- الأمبير؟

- نعم. الأمبير الذي أخبرتك عنه، الذي كان أبي يطفئه حين يدخل غرفتي ويقول إنني كنت أستمع لتلك الأسطوانة لفترة طويلة لحد الجنون. حينها يكون بإمكاني رؤية الضوء الأحمر الصغير بجانب زر الإطفاء يتلاشى ويختفي كعين أو كغروب الشمس. عندها ظننت أنني سأخسرها ولهذا لا

تقول لي شيئاً في نهاية الحلم، فهي الأمبير الذي يتلاشى حين يطفئه أبي، وعندها لا أعود قادراً على الحديث معها.

- أتستمع لأسطوانات الموسيقى وتفكر فيها؟

- نعم. طوال الوقت حتى بلغت السادسة عشرة من العمر... وليست أسطوانات، وإنما أسطوانة محددة.

- الجانب المظلم من القمر؟

- نعم.

- لكنها لم تكن تريدك، أليس كذلك؟

- لا أدري. ربما لا.

- ممم. لقد انتهى الوقت. سأعطيك شيئاً لتقرأه للمرة القادمة، ثم أريد أن نصنع نهاية جديدة للقصة في الحلم. عليها أن تتكلم وتقول لك شيئاً... شيئاً تمنيت أن تقوله... إنها تحبك ربما. أيمكنك التفكير في الأمر للمرة القادمة.

- ممتاز.

حين نظر شتال إلى الأعلى كان ستافنس قد رحل.

نهض وأمسك بالصحيفة، وتوجه إلى النافذة. أين الاحتباس الحراري الذي كانوا يتحدثون عنه؟ نظر إلى الصحيفة، لكنه فجأة لم يعد يحتملها فرماها... تكفيه الأسابيع والأشهر وهو يشق طريقه عبر الصحف... يكاد يموت... قوى خارقة... ضربات قاضية على الرأس. لقد ترك إيرلند فينيسلا وراءه زوجة وأطفالاً وأحفاداً وأصدقاء وزملاء بحالة صدمة... فهو شخص لطيف وعطوف... من المستحيل أن تكرهه... إنه شريف ومتسامح وطيب القلب من دون أي أعداء؛ أو كان كذلك.

زفر شتال أون زفرة ونظر إلى الهاتف. معهم رقمه، ومع ذلك بقي الهاتف صامتاً كالفتاة في الحلم.

4

مرر رئيس فرقة مكافحة الجرائم غونار هاغن يده على جبينه، ثم رفعها إلى الأعلى نحو شعره، ليمسح العرق المتجمع على راحة يده بشعره الكثيف في مؤخر رأسه، بينما جلس أمامه فريق التحقيق. في جرائم القتل العادية يكون هناك نحو اثني عشر شرطياً، لكن قتل أحد زملائهم ليس أمراً عادياً. لذا، امتلأت القاعة ك 2 حتى آخر مقعد بنحو خمسين شخصاً. كانت القائمة تضم ثلاثة وخمسين شخصاً؛ بمن فيهم رجال الشرطة الغائبون بإجازات مرضية، بينما سيضطر الباقون قريباً لأخذ إجازات مرضية بسبب الضغط الشديد لوسائل الإعلام. إن أفضل ما يمكن قوله حول هذه القضية هو أنها جمعت أكبر وحدتين للتحقيق في الجرائم في النروج: فرقة مكافحة الجرائم وكريبوس. حيث تم نبذ كل الشقاقات، وبدأوا بالتعاون من دون أي هدف آخر، سوى العثور على الشخص الذي قتل زميلهم. في الأسابيع الأولى، كان هناك تركيز وحماسة أقنعا هاغن أن القضية ستحل قريباً على الرغم من انعدام الأدلة الجنائية والشهود والدوافع والمشتبه بهم والخيوط الممكنة أو المستحيلة. وببساطة، لأن الإرادة الجماعية عظيمة. كانت الشبكة ضيقة، والموارد لا محدودة، لكن...

حدقت الوجوه المنهكة إليه بفتور أصبح مرئياً أكثر فأكثر خلال الأسابيع القليلة الماضية. كما أن المؤتمر الصحفي الذي عقد بالأمس - الذي كان كاستسلام شنيع، وطلب للمساعدة من أي كان - لم يرفع المعنويات. واليوم، هناك شخصان آخران غائبان. وبالإضافة إلى قضية إيرلند فينيسلا هناك قضية غاستو هانسن التي تحولت من قضية محلولة إلى غير محلولة بعد إطلاق سراح أوليغ فوك، وسحب كريس ريدي «أديداس» اعترافه. لكن هناك جانباً إيجابياً في قضية فينيسلا، فقد طغت جريمة قتل الشرطي على قضية مقتل تاجر المخدرات الوسيم الشاب المدعو غاستو هانسن، حيث إن وسائل الإعلام لم تكتب أي كلمة عن استئناف هذا التحقيق.

حدق هاغن إلى الورقة على المنضدة التي كان عليها سطران... هذا كل شيء... سطران لاجتماع الصباح.

سعل غونار هاغن وقال:

- صباح الخير يا شباب. كما يعرف معظمكم، تلقينا بعض المكالمات بعد مؤتمر البارحة... تسعاً وثمانين مكالمة... ونقوم بتتبع العديد منها.

لم يكن بحاجة إلى قول ما يعرفه الجميع... لقد وصلوا إلى القاع بعد

مضي ثلاثة أشهر. خمس وتسعون بالمائة من المكالمات مضيعة للوقت؛ إذ إن المجانين المعتادين هم الذين يتصلون عادة، وكذلك مدمني الشراب، والناس الراغبين بإلقاء الشكوك على شخص ما؛ كجيران يتهربون من أداء واجباتهم بالتنظيف، وبعض الناس الراغبين ببعض الاهتمام أو بوجود شخص يتكلمون معه. ما كان يعنيه بكلمة «عدة» هو رقم أربعة... أربع معلومات. وحين قال إنه يتم تتبعها كان يكذب، فقد انتهى تتبعها، وقد أدت إلى حيث هم الآن... إلى لا نهاية.

قال هاغن:

- لدينا زائر لامع اليوم.

وفكر فوراً أنه من الممكن أن يبدو ذلك كسخرية:

- يرغب رئيس الشرطة بالانضمام إلينا اليوم وقول بضع كلمات. مايكل...

أغلق هاغن الملف ورفعه ووضعه على الطاولة كما لو أنه يحوي كدسة من الوثائق الجديدة المثيرة للاهتمام وليس ورقة واحدة. كان يأمل أن يكون قد خفف من السخرية التي بدت واضحة حين قال كلمة «لامع» باستخدامه اسم بيلمان الأول وهزّه رأسه للرجل الواقف عند الباب في مؤخر الغرفة.

كان رئيس الشرطة الشاب متكئاً على الجدار شابكاً ذراعيه وينتظر تلك اللحظة القصيرة حين يلتفت الجميع لينظروا إليه كي يبتعد بحركة رشيقة وقوية عن الجدار ويمشي نحو المنبر. كان شبه مبتسم، وكأنه كان يفكّر في شيء مضحك. وحين التفت إلى المقرأ، وأسند ذراعيه عليه، وانحنى إلى الأمام، ونظر باستقامة إليهم، بدا كما لو أنه يؤكد أنه ليس لديه خطاب مكتوب مسبقاً؛ مما جعل هاغن يفكّر أنه من الأفضل لبيلمان تقديم ما يعد به بدخوله.

- قد يكون بعضكم يعلم أنني متسلق. وحين أستيقظ في الصباح في أيام مشابهة، أنظر من النافذة ولا أرى أي شيء بسبب الضباب وتكون هناك توقعات بالثلج والرياح العاتية أفكر في جبل كانت لدي في ما مضى مخططات لتسلقه.

توقف بيلمان بينما فكّر هاغن في أن المقدمة غير المتوقعة آتت ثمارها، فقد جذب بيلمان انتباههم للحظات. لكن هاغن كان يعلم أن درجة احتمال أفراد الوحدة المنهكين منخفضة للغاية، وأنهم لن يحاولوا إخفاء الأمر. كان بيلمان شاباً، وقد تولى منصبه منذ فترة قصيرة للغاية،

ووصل إليه بسرعة كبيرة، ولن يسمحوا له باختبار صبرهم.

- وبمحض الصدفة يحمل ذلك الجبل اسم هذه الغرفة نفسه، وهو الاسم نفسه الذي منحه بعضكم لقضية فينيسلا... ك 2 . إنه اسم جيد... ثاني أعلى جبل في العالم... جبل الوحوش... أصعب جبل للتسلق في العالم... يموت ربع متسلقيه... لقد خططنا لتسلقه من الجانب الجنوبي المعروف أيضاً باسم الخط السحري. مع بعض التغيير في حالة الطقس والرياح، ستتغلف أنت والجبل بالثلج وستصبح درجة الحرارة قاتلة... نسبة الأوكسجين في المتر المربع أقل من نسبته تحت الماء. وبما أن هذه جبال الهيمالايا، يعرف الجميع أنه سيكون هناك تغيير في حالة الطقس والرياح.

صمت.

- لماذا سأتسلق هذا الجبل من بين جميع الجبال؟

صمت آخر... أطول... كما لو كان ينتظر أن يجيبه أحد مع ابتسامة خفيفة. استمر الصمت لفترة طويلة. فكّر هاغن... رجال الشرطة ليسوا من محبي التأثيرات المسرحية.

نقر بيلمان بإصبعه على الطاولة وراء المنبر وقال:

- لأنه الأصعب في العالم جسدياً وفكرياً؛ إذ ليست هناك أي لحظة سعادة في التسلق، وإنما هناك القلق والتعب والخوف ورهاب الأماكن المرتفعة ونقص الأوكسجين ودرجات من الذعر الخطر وحتى المزيد من اللامبالاة الخطرة. وعندما تصل إلى القمة لن يكون همك التلذذ بلحظة النصر، وإنما إنتاج أدلة تثبت أنك كنت هناك من خلال التقاط صورة أو صورتين من دون أن تخدع نفسك في أن الجزء الأسوأ قد انتهى، أو تسمح لنفسك بأخذ غفوة قصيرة، بل ستحافظ على تركيزك، وتقوم بواجباتك كرجل آلي، وستستمر في مراقبة الوضع. ستراقب الوضع طوال الوقت... كيف حال الطقس؟ ما الإشارات التي تتلقاها من جسدك؟ أين نحن؟ كم مضى على وصولنا إلى هنا؟ كيف يتأقلم الآخرون في الفريق؟

خطا خطوة للوراء.

- لنعتبر ك 2 تسلقاً جبلياً بكل ما للكلمة من معنى؛ حتى عند النزول، وقد كان ذلك سبب رغبتنا بالذهاب.

كان الهدوء يسود الغرفة... صمت مطبق... من دون أي صوت تثاؤب أو جر أقدام تحت المقاعد. فكّر هاغن... يا الله... لقد سيطر عليهم.

قال بيلمان:

- كلمتان... الجلد والتكافل. كنت أفكّر في إضافة الطموح، لكن هذه

الكلمة ليست هامة بما فيه الكفاية، ولا كبيرة بما فيه الكفاية بالمقارنة مع الكلمتين الأخيرتين. وقد تسألون عن الجدوى من الجلد والتكافل إن لم يكن هناك هدف أو طموح... مجرد الكفاح لأجل الكفاح؟! شرف من دون مكافأة؟! نعم... أقول: الكفاح لأجل الكفاح، وشرف من دون مكافأة. حينما تبقى قضية فينيسلا مذكورة بعد سنوات من الآن فسيكون ذلك لأنها تسلقٌ جبلي، ولأنها بدت مستحيلة الحلّ؛ فقد كان الجبل مرتفعاً للغاية، والطقس سيئاً، والهواء قليلاً، وكل شيء سيئاً. إنها قصة التسلق الجبلي التي ستحول القضية إلى أسطورة، وتجعلها واحدة من القصص التي تروى على مر السنين. وكما أن معظم المتسلقين في العالم لم يتجاوزوا خاصرة جبل ك 2 ، يمكنكم العمل طوال حياتكم من دون أن تصادفوا قضية كهذه. لو أننا حللنا هذه القضية خلال الأسابيع الأولى لأصبحت منسية... ما القاسم المشترك بين كل القضايا الجنائية الأسطورية في التاريخ؟

انتظر بيلمان ثم هز رأسه كما لو أنهم أعطوه الجواب.

- استغرقت وقتاً وكان المحققون فيها كمتسلقي الجبل.

همس صوت بجوار هاغن:

- كفاك تبجحاً يا تشرشل.

التفت ورأى بتي لون تقف إلى جانبه وقد علت وجهها ابتسامة جذلة.

هز رأسه، وراقب رجال الشرطة المجتمعين. إنها خدع قديمة، لكنها لا تزال تؤتي ثمارها؛ حيث تمكن بيلمان من إضرام النيران مجدداً وبعث الحياة في الجمر. لكن هاغن كان يعلم أنها لن تبقى مشتعلة لفترة طويلة إن لم تظهر النتائج بسرعة.

بعد ثلاث دقائق، أنهى بيلمان خطابه، وغادر المنصة بابتسامة عريضة وسط تصفيق شديد. حتى إن هاغن نفسه صفق مضطراً، وهو يتوجس من عودته للمنبر لأنه سيوقف العرض، ويخبرهم أن الوحدة ستقسم إلى خمس وثلاثين. كانت تلك تعليمات بيلمان، لكنهما اتفقا على عدم ذكر ذلك. خطا إلى الأمام، ووضع ملفه، وسعل متظاهراً أنه يبحث داخله، ثم نظر إلى الأعلى، وسعل مجدداً، وقال بابتسامة ساخرة:

- سيداتي سادتي... انتهى العرض.

صمت... لا ضحك.

- حسناً، لدينا بعض الأمور التي ينبغي علينا تسويتها. سيتم نقل بعضكم للقيام بواجبات أخرى.

صمت مطبق... لقد اضطرمت النار.

حين غادر مايكل بيلمان المصعد إلى بهو مركز الشرطة، لمح شخصاً يختفي في المصعد المجاور. أهو ترولس؟ من المستبعد ذلك، فهو لا يزال موقوفاً عن العمل بعد قضية أساييف. سار بيلمان مغادراً المبنى، وترنح في الثلج حتى وصل إلى السيارة التي كانت بانتظاره. حين تولى منصب رئيس الشرطة أخبروه أنه يحق له الحصول على سائق لكن أسلافه الثلاثة امتنعوا عن الاستفادة من هذه الخدمة؛ لأنهم رأوا أن ذلك سيرسل إشارات خاطئة، بما أنهم سيطلبون خفض النفقات في مجالات أخرى، لكن بيلمان عكس هذه الممارسات، وقال إنه لن يسمح لذلك النوع من التفاهة الديمقراطية الاجتماعية بأن تهدد إنتاجيته، كما أنه من الأجدى إرسال إشارات لأولئك في أسفل الهرم بأن العمل الجاد والترقيات تجلب مزايا إضافية. وبالتالي، أخذه رئيس العلاقات العامة جانباً، ونصحه أنه في حال سأله الصحافيون عن الأمر فعليه أن يحد إجابته بالجزء المتعلق بالإنتاجية، وينسى الجزء المتعلق بالامتيازات.

قال بيلمان وهو يجلس على المقعد الخلفي:

- قاعة المدينة.

ابتعدت السيارة عن الرصيف، وانعطفت حول دار العبادة غرونلاند، وتوجهت نحو فندق بلازا ومبنى مكتب البريد الذي - وعلى الرغم من أعمال الحفر حول دار الأوبرا - لا يزال يهيمن على خط أفق أوسلو. لكن اليوم ليس هناك خط أفق، وإنما ثلج فقط. خطرت ببال بيلمان ثلاث أفكار منفصلة عن بعضها... ديسمبر اللعين... قضية فينيسلا اللعينة... ترولس بيرنتسين اللعين.

لم يكن مايكل قد رأى أو تكلم مع ترولس منذ أن اضطر لإيقاف صديق طفولته ومساعده عن العمل في أكتوبر الماضي؛ على الرغم من أنه ظن أنه لمحه خارج فندق غراند الأسبوع الماضي في سيارة مركونة. ما تسبب بإيقاف ترولس هو الضخ الكبير للنقد في حسابه. وبما أنه لم يستطع - أو لم يرد - تفسير مصدر النقود، لم يعد لدى رئيسه مايكل أي خيار. بالطبع، كان مايكل يعرف مصدر النقود؛ العمل كحارق، أي تخريب الأدلة، الأمر الذي قام به ترولس لعصابة رودولف أساييف لتجارة المخدرات. ولم يكن هناك على وجه البسيطة سوى شخصين من الممكن أن يفضحا تعاون مايكل مع أساييف... الأول مستشارة الشؤون الاجتماعية وهي

متواطئة معه، والآخر يرقد في غيبوبة في جناح مغلق في مشفى ريكشوبيتالت.

سارت السيارة عبر كفادراتورين، حيث حدق بيلمان بافتتان إلى التباين بين بشرة النساء السوداء والثلج الأبيض على شعرهن وأكتافهن، كما رأى أن تجار المخدرات الجدد قد انتقلوا إلى منطقة الفراغ التي خلفها أسابيف.

ترولس بيرنتسين. لقد تبع مايكل في طفولته في مانغلرود كما يتبع السمك المصاص أسماك القرض. مايكل بتفكيره وصفاته القيادية وبلاغته ومظهره وترولس «بيفيس» بيرنتسين بجسارته وتصميمه وولائه الطفولي. مايكل الذي يكسب الأصدقاء كيفما التفت، وترولس الذي كان من الصعب أن يحبه أحد، فقد كان الجميع يتجنبونه؛ ومع ذلك كان هذان الاثنان يخرجان معاً... بيلمان وبيرنتسين. كان اسماهما ينادى بهما واحداً تلو الآخر في الصف، ثم في كلية الشرطة... بيلمان أولاً ثم يتبعه بيرنتسين. ارتبط بيلمان بأولا، لكن بيرنتسين بقي هناك على بعد خطوتين منهما. وبمرور السنين، بقي ترولس وراءهما؛ إذ لم يكن لديه أي من مرح بيلمان في مهنته وحياته الخاصة. كقاعدة عامة، كان ترولس رجلاً مطواعاً ومن السهل توقع تصرفاته، فحين يقول له بيلمان اقفز يقفز. لكنه أحياناً يصبح شخصاً لا يعرفه مايكل؛ كما في تلك المرة مع الشاب الذي اعتقلوه والذي أعماه ترولس بهراوته، أو مع الشاب في كريبوس الذي أساء إلى مايكل أمام زملائه. لذا، اضطر مايكل للقيام بشيء لتجنب الانطباع بأنه قد يسمح بمثل هذه الأمور. وهكذا، واعد الشاب باللقاء في غرفة مرجل كريبوس، حيث هاجم ترولس الرجل بهراوته في البداية بطريقة عادية، ثم بوحشية متزايدة، حتى بدا كأنه ممسوس، إذ اتسعت عيناه وأصبحتا داكنتين، مما اضطر مايكل لإيقافه كي لا يقتل الرجل. نعم، لقد كان ترولس وفياً. لكنه أيضاً مدفع طليق؛ مما أقلق مايكل بيلمان. فحين أخبره مايكل بيلمان أن مجلس التوظيف قد قرر إيقافه عن العمل حتى يعرفوا مصدر النقود في حسابه المصرفي، هزّ ترولس كتفيه وكأن الأمر لا يستحق التعليق، وغادر كما لو أن لديه شيئاً ينجزه أو حياة خارج العمل. لكن مايكل رأى عينيه تصبحان داكنتين؛ كإشعال مفرقعة ومشاهدتها وهي تحترق في حقل ألغام، ثم لا يحدث شيء، لكنك لا تعرف إن كان سبب ذلك أن المفرقعة طويلة، أو أنها احترقت وانطفأت؛ لذا تنتظر على أحر من الجمر لأن شيئاً ما في داخلك يخبرك أنه كلما تأخر الأمر كان الانفجار أسوأ.

توقفت السيارة خلف قاعة المدينة، فترجل مايكل منها، وصعد

الدرجات المؤدية إلى المدخل. يدعي البعض أن هذا هو المدخل الرئيس الحقيقي كما صممه المعماريان أرنيبيرغ وبولسون في عشرينيات القرن الماضي، وأن الرسوم قد قلبت بالخطأ. وعندما تم اكتشاف الخطأ في نهاية الأربعينيات كان المبنى قد أصبح في آخر مراحله، فأخفوا الأمر، واستمروا كما لو أن كل شيء على ما يرام، وتمنوا أن لا يدرك الناس الذين يبحرون في خليج أوسلو إلى عاصمة النروج أن المشهد الذي يقابلهم هو المدخل الخلفي الذي يؤدي إلى المطبخ.

احتك حذاء مايكل بيلمان الجلدي الإيطالي بالأرضية الحجرية وهو يسير نحو مكتب الاستقبال حيث ابتسمت له المرأة الواقفة وراء المنضدة.

- صباح الخير يا سيدي. إنهم ينتظرونك في الطابق التاسع في نهاية الممر إلى اليسار.

تفحص بيلمان نفسه في مرآة المصعد في طريقه إلى الأعلى. وفكّر أن هذا ما هو عليه بالضبط: في طريقه للأعلى... على الرغم من جريمة القتل هذه. عدّل ربطة العنق الحريرية التي اشترتها له أولا في برشلونة بعقدة مزدوجة. كان قد علّم ترولس في المدرسة كيف يربط ربطة العنق؛ لكن بعقدة صغيرة وبسيطة. كان الباب في نهاية الممر مواربا، فدفعه مايكل وفتحه.

كانت غرفة المكتب جرداء، والطاولة فارغة، والرفوف خاوية، وورق الجدران عليه لطخ باهتة حيث توجد صور معلقة. كانت تنتظر عند إفريز النافذة، وبدا وجهها مقبولاً؛ بالشكل الذي تدعوه النساء عادة «لطيفاً»، لكنه كان وجهاً خالياً من أي جاذبية على الرغم من الشعر الأشقر المصفف بحلقات مضحكة. كانت طويلة ورشيقة، وعريضة المنكبين، وقد غطت تنورة جلدية ضيقة وركيها، وقد لفت ساقاً على ساق. كانت الملامح الذكورية تبدو في وجهها - التي يؤكد عليها أنفها المعقوف، وعيناها الوحشيتان الزرقاوان الباردتان - إلى جانب ثقتها بنفسها ونظرتها المثيرة. لقد جعلت بيلمان يقوم بعدة افتراضات سريعة حين رآها للمرة الأولى. كانت إيزابيل سكوين أسداً مبادراً ومحباً للمخاطرة.

- أغلق.

لم يكن مخطئاً.

أغلق مايكل الباب خلفه، وبرم المفتاح، ثم مشى إلى واحدة من النوافذ الأخرى. كانت قاعة المدينة تعلو فوق المنطقة المتواضعة في أوسلو المكونة من مبانٍ من أربعة طوابق أو خمسة، وتطل على ساحة قاعة

المدينة رادهاسبلاسين التي كانت في ما مضى حصن أكيرشاس الذي يعود تاريخه إلى 700 عام، بأسواره الشاهقة، مع مدافع قديمة متضررة من الحرب وموجهة نحو الخليج. كان الثلج قد توقف عن التساقط، بينما استحمت المدينة بالنور الأبيض والأزرق تحت السماء الرمادية الداكنة... فكّر بيلمان... كلون جثة هامدة.

تردد صوت إيزابيل بين الجدران الجرداء:

- حسناً يا حبيبي. ما رأيك بالإطلالة؟

- مذهلة. حسبما أذكر، كان مكتب المستشار السابق أصغر وفي طابق منخفض أكثر.

- لا أقصد تلك الإطلالة وإنما هذه.

التفت إليها ليجد مستشارة أوسلو للشؤون الاجتماعية جالسة بطريقة مثيرة. فحدّق وتمتم: مذهلة للغاية.

ضرب حذاؤها الأرض الخشبية بقوة، وتوجهت نحوه، ومسحت ذرة غبار لا وجود لها فعلياً عن ياقته. وحتى من دون حذاء عالٍ كانت ستبقى أطول منه بسنتيمتر، لكنها الآن تعلو فوقه. لم يجد ذلك مخيفاً بل على العكس، فحجمها الجسدي وشخصيتها المستبدة كانا يشكلان تحدياً مثيراً للاهتمام؛ فقد كان ذلك يتطلب منه الكثير كرجل، أكثر مما تتطلبه أولا بجسدها الضئيل وإذعانها الرقيق.

- أظن أنه من الصحيح والمناسب أن تكون أنت أول شخص يدشن مكتبي بزيارته، فبدون... تعاونك لم أكن لأحصل على هذه الوظيفة.

تنشق مايكل بيلمان شذا عطرها... كان مألوفاً... كان عطر أولا... عطر توم فورد... ماذا كان اسمه؟ بلاك أوركيد. كان قد اشتراه لها حين كان في باريس أو لندن لأنه من المستحيل العثور عليه في النروج. لكن المصادفة بدت بعيدة الاحتمال.

رأى الضحكة في عينيها حين رأت الدهشة في عينيه، ثم شبكت أصابعها وراء رقبته وانحنت للوراء وهي تضحك.

- آسفة، لم أستطع كبح نفسي.

تباً! بعد الحفلة التي أقيمت بمناسبة الانتقال إلى البيت الجديد، تذمرت أولا من أن زجاجة العطر قد اختفت، وأن أحد الضيوف من المشاهير قد سرقها. كان متأكداً من أنه أحد سكان مانغلرود، وبالذات ترولس بيرنتسين؛ فهو لم يكن غير مدرك أن ترولس بيرنتسين غارق في حب أولا منذ أيام طفولتهم، وهو الأمر الذي لم يذكره إطلاقاً أمامها أو أمام

ترولس، ولا حتى ذكر مسألة عطر أولا، إذ من الأفضل أن يكون ترولس قد سرق عطر أولا وليس شيئاً أكثر حميمية.

قال مايكل:

- هل تساءلت يوماً إن كانت هذه مشكلتك؟ كبح نفسك؟

ضحكت برقة، وأغمضت عينيها، بينما باعدت بين أصابعها العريضة والطويلة وراء رقبته، وأنزلتها إلى ظهره، ثم أقحمتها تحت حزامه بينما نظرت إليه بخيبة أمل بسيطة في عينيها.

- ماذا هناك يا فارسي؟

- يقول الأطباء إنه لن يموت، وإنه قد أبدى أعراضاً تشير إلى أنه سيصحو من غيبوبته.

- من أي ناحية؟ هل يتحرك؟

- لا. لكنهم استطاعوا رؤية تغيرات في المخطط الكهربائي للدماغ. لذا بدأوا بإجراء فحوصات لكهرباء الدماغ.

قربت شفتيها من شفتيه وقالت:

- ماذا إذاً؟ هل أنت خائف منه؟

- لست خائفاً منه، وإنما مما قد يقوله عنا.

- لماذا سيقوم بشيء غبي كهذا؟ إنه وحيد، ولن يجني شيئاً من ذلك.

قال مايكل وهو يبعد يدها:

- دعيني أشرح لك الأمر يا حبيبتي. مجرد فكرة أن هناك شخصاً ما يمكنه أن يشهد أننا كنا نعمل مع تاجر مخدرات للتقدم بمهنتينا...

- اسمع، كل ما فعلناه هو أننا تدخلنا بحذر لمنع قوى السوق من الهيمنة. إنها سياسة جيدة ومجربة من قبل الحزب الاشتراكي يا عزيزي. لقد سمحنا لأساييف بالهيمنة على تجارة المخدرات، بينما اعتقلنا عمالقة تجارة المخدرات الآخرين؛ لأن بضاعة أساييف تسببت بنسبة أقل من الموت بالجرعات المفرطة، وأي شيء آخر سيكون سياسة غير مرضية.

ابتسم مايكل:

- أرى أنك تشحذين قدراتك البلاغية في دروس للنقاش.

- أيمكننا تغيير الموضوع يا عزيزي؟ ووضعت يدها على ربطة عنقه.

- أنت تعرفين كيف سيتم تفسير الأمر في المحكمة، أليس كذلك؟ لقد توليت منصب رئيس الشرطة، وأصبحت أنت مستشارة لأنه بدا أننا بجهدنا الشخصي نظفنا شوارع أوسلو، وخفضنا مستوى الوفيات، بينما نحن في

الواقع سمحنا لأساييف بتدمير الأدلة، وإزالة منافسيه، وبيع نوع من المخدرات أقوى من المخدرات الموجودة في السوق بأربع مرات.

- مممم. أنت تثيرني حين تتكلم بهذه الطريقة...

جذبته نحوها، وقبلته، وسمع حفيف جوربيها وهي تفرك فخذيها بفخذيه، ثم جرته إليها وهي تترنح إلى الخلف حتى وصلت إلى طاولة المكتب.

- إن استيقظ في المشفى وبدأ بالثرثرة...

- توقف. لم أحضرك إلى هنا للثرثرة.

وبدأت أصابعها بالعمل الذي من أجله أحضرته إلى هنا.

- لدينا مشكلة وعلينا حلها يا إيزابيل.

- أعلم. لكنك الآن رئيس الشرطة، وتعرف كيف تحدد أولويات العمل يا حبيبي. والآن، أولويات قاعة المدينة هي هذه.

تفادى مايكل يدها.

تنهدت:

- حسناً. دعني أسمع. ماذا لديك من خطط؟

- ينبغي أن يشعر بالتهديد بطريقة حقيقية.

- لماذا نهدده؟ لم لا نقتله فحسب منذ الآن؟

ضحك مايكل حتى أدرك أنها جادة.

- لأن...

التقت عينا مايكل عينيها، فتكلم بصرامة محاولاً أن يكون مايكل بيلمان البارع نفسه الذي كان يقف قبل نصف ساعة أمام المحققين المجتمعين، محاولاً الوصول إلى إجابة، لكنها كانت أسرع.

- لأنك لا تجرؤ. لنرَ إن كان بإمكاننا إيجاد شخص من مؤيدي القتل الرحيم في دليل الصفحات الصفراء، وستقوم أنت بإزالة حراسة الشرطة بسبب إساءة استخدام الموارد ومثل هذه الخزعبلات، ثم سيتلقى المريض زيارة غير متوقعة من الصفحات الصفراء، أو يمكنك إرسال ظلك بيفيس... ترولس بيرنتسين؛ فهو سيقوم بأي شيء مقابل المال.

هز مايكل رأسه غير مصدق:

- أولاً، رئيس فرقة مكافحة الجرائم غونار هاغن هو الذي أمر برقابة الشرطة على مدار أربع وعشرين ساعة، وإذا قُتل المريض بعد أن أنقض أوامر هاغن فسيجعلني هذا أبدو بصورة سيئة. وثانياً، لن نقوم بقتل أحد.

- اسمعني يا عزيزي، إذ ما من سياسي أفضل من مستشارة. ولهذا،

للوصول إلى القمة يفترض بك أن تحيط نفسك دائماً بأشخاص أذكى منك، وقد بدأت أشك في أنك أذكى مني يا مايكل. في البداية، لم تتمكن من إلقاء القبض على قاتل رجل الشرطة، ثم تعجز الآن عن حل مشكلة بسيطة لرجل في غيبوبة. وبما أنك لا تريد أن تقوم بالأمر الذي أحضرتك لأجله فعليّ أن أتساءل: ماذا سأفعل بك؟ أجبني على هذا السؤال لو سمحت.

- إيزابيل...

- سأعتبر هذا رفضاً، لذا أنصت إليّ. فهكذا سنقوم بالأمر...

أحس بالإعجاب بها وبمهنيتها المكبوحة والرائعة، لكن لا يمكنه التغاضي عن مزاجها المتقلب المحب للمخاطرة الذي جعل زملاءها يبتعدون عنها؛ فبعضهم يراها كقنبلة موقوتة، لكنهم لم يدركوا أن إنتاج الشك إحدى مزايا لعبة إيزابيل سكوين. كانت من أولئك الأشخاص الذين يرتقون أعلى من أي شخص آخر، وبوقت أقصر. وفي حال سقطت فستهوي في قاع سحيق. لم يكن الأمر أن مايكل بيلمان لا يعتبر نفسه كإيزابيل سكوين، لكنه يرى أنها نسخة متطرفة عنه. لكن الغريب في الأمر أنها بدلاً من أن تسحبه خلفها جعلته أكثر حذراً.

قالت إيزابيل سكوين:

- لم يصحُ المريض من غيبوبته بعد. لذا، لن نفعل شيئاً في الوقت الحالي. أعرف أحد أنصار القتل الرحيم من إنيباك. إنه من النوع الغامض، وهو يزودني بالحبوب التي لا يمكنني كسياسية الحصول عليها من الشارع. إنه كبيفيس، وهو مستعد للقيام بالكثير من الأشياء مقابل المال، وأي شيء مقابل المتعة الأنثوية. وبما أننا تطرقنا لهذا الموضوع...

جثمت على حافة الطاولة، ورفعت ساقيها، فما كان من مايكل إلا أن أمسك بمعصميها وقال:

- دعينا ننتظر حتى يوم الأربعاء في الغراند.

- دعنا لا ننتظر حتى يوم الأربعاء في الغراند.

- حسناً، أنا أصوت لأن ننتظر.

- أوه حقاً؟

حررت يديها، ونظرت إلى الأسفل ثم قالت بصوت أجش:

- لا يمكنك أن تنتصر بكلمة لا واحدة يا عزيزي.

5

هبط كل من الظلام والحرارة بينما التمع قمر باهت عبر نافذة غرفة ستيان باريلي حين سمع صوت أمه من غرفة الجلوس في الطابق السفلي.

- إنها لك يا ستيان.

كان قد سمع الهاتف الأرضي يرن، وتمنى أن لا تكون المكالمة له. أطفأ جهاز الألعاب بعد أن وصل إلى الجولة الثانية عشرة، حيث لم تتبق أمامه سوى ثلاث جولات كي يتأهل إلى المرحلة الاحترافية. كان يلعب ريك فاولر، إذ إنه لاعب الغولف الوحيد في دورة المحترفين الوسيم والذي يقاربه بالعمر... إحدى وعشرون سنة. كما أنهما يحبان إمينيم ورايز أغينست ويرتديان اللون البرتقالي. بالطبع، بإمكان ريك فاولر اقتناء شقته الخاصة، أما ستيان فلا يزال يعيش في منزل والديه. لكن الأمر مؤقت حتى يحصل على منحة دراسية، ويلتحق بالجامعة في ألاسكا؛ إذ إن كل المتزحلقين شبه المحترمين يذهبون إلى هناك في حال حصلوا على نتائج جيدة في بطولة النروج للتزلج للشباب. وبالطبع لا أحد يتحسن أداؤه بسبب الذهاب إلى هناك، لكن لم لا؟ نساء وشراب وتزلج. ما الأفضل من هذا؟ ربما الامتحان الغريب في حال تسنى له الوقت لتوصله المؤهلات إلى وظيفة مقبولة وليجني المال للحصول على شقته الخاصة وليعيش حياة أفضل من هذه... من النوم في سرير قصير للغاية تحت ملصقات أكسل لاند سفيندال وبوند ميلر، وتناول الطعام الذي تطهوه أمه، وإطاعة قواعد أبيه، وتدريب الأشقياء الصغار الذين يراهم آباؤهم الجهلة موهوبين ككجيتيل أندريه آمودت أو لاس كجاس، وتشغيل مصاعد التزلج في تريفانسكليفا مقابل أجر لا يجرؤون على إعطائه لصبي عامل في الهند. ولهذا عرف ستيان أن رئيس نادي التزلج هو المتصل، فهو الشخص الوحيد الذي يعرف ستيان أنه يتجنب الاتصال بالناس بهواتفهم المحمولة لأنها أكثر تكلفة، ويفضل إجبارهم على نزول السلم ركضاً في المنازل القديمة التي لا تزال تحوي هواتف أرضية.

تناول ستيان سماعة الهاتف من أمه.

- نعم؟

قال باكن:

- أهلاً يا ستيان. لقد أخبروني أن مصعد كليفا يعمل.

- الآن؟

ونظر ستيان إلى ساعته ليجد أن الساعة 11 : 15 ليلاً، في حين أن

موعد الإغلاق الساعة التاسعة.

- أيمكنك التوجه إلى هناك لترى ما يجري؟

- الآن؟

- إلا إن كنت مشغولاً للغاية بالطبع.

تجاهل ستيان السخرية في نبرة الرئيس، فقد كان يعرف أنه مر بموسمين مخيبين للآمال، وأن الرئيس لم يظن أن ذلك بسبب نقص الموهبة، وإنما بسبب الفترات الطويلة من الوقت التي ملأها ستيان بالكسل والفتور.

- ليست لدي سيارة.

تدخلت أمه التي لم تكن قد ابتعدت، وإنما كانت تقف بجواره شابكة ذراعيها:

- يمكنك استخدام سيارتي.

علّق الرئيس باقتضاب:

- آسف يا ستيان، لكنني سمعت ذلك. لا بد أن متزلجين هواة قد اقتحموا المكان؛ فهم يظنون أن الأمر مضحك.

استغرق الأمر عشر دقائق بينما قاد ستيان السيارة باتجاه برج تريفان حيث كان برج التلفاز منتصباً بارتفاع 118 متراً ومثبتاً بالأرض في أعلى جبال أوسلو الشمالية الغربية.

توقف في مرأب السيارات المغطى بالثلج، ولاحظ أن السيارة الأخرى الوحيدة هناك هي سيارة غولف حمراء. أخرج زلاجتيه من الصندوق السقفي، وانتعلهما، ثم تزلج عبر البوابة الرئيسة إلى حيث يوجد المصعد الرئيس... تريفان إكسبرس الذي يشير إلى قمة منشأة التزلج حيث يمكنه من هناك رؤية البحيرة ومصعد كليفا الأصغر مع القضبان المتعامدة. وعلى الرغم من النور المنبعث من القمر، كان الظلام حالكاً للتأكد إن كانت القضبان تتحرك، لكنه استطاع سماع الصوت... دوي الآلات في الأسفل.

وبينما كان يتزلج بين المنعطفات الطويلة، خطر بباله كم أن المكان هنا غريب في الليل، كما لو أن الساعة الأولى بعد إغلاقهم لا تزال مليئة بصدى صرخات السرور، وزعيق الفتيات المبالغ به من الرعب، ونداء الصبيان لجذب الانتباه، واحتكاك الفولاذ بالثلج والجليد. وحتى حين يطفئون الأضواء، يبدو الضوء كما لو أنه لا يزال منتشراً في الجو لفترة من الوقت، ثم يعم الهدوء والظلام تدريجياً، حتى يملأ الصمت تجاويف الأرض، وتزحف الظلمة من الغابة كما لو أن تريفان قد أصبح مكاناً آخر؛ لدرجة أنه حتى ستيان

الذي يعرف المكان عن ظهر قلب وجده غريباً كما لو أنه في كوكب آخر... كوكب بارد ومظلم ومهجور.

كان انعدام الضوء يعني أن عليه التزلج بالاعتماد على حدسه، وتوقع كيف تنحدر الأرض والثلوج تحت الزلاجتين. لكن هذه كانت موهبته الخاصة التي تعني أنه يقوم دائماً بأفضل ما لديه حين تكون الرؤية سيئة، والثلج كثيفاً، والنور خفيفاً... يمكنه الشعور بما لا يمكنه رؤيته، إذ إن لديه ذلك النوع من الفراسة التي لا يتمتع بها إلا ثلة قليلة من المتزلجين. داعب الثلج وهو يتحرك ببطء ليزيد من متعته حتى وصل إلى الأسفل، وتوجه إلى مبنى مصعد التزلج.

كان الباب محطماً، وكان مفتوحاً على مصراعيه. في تلك اللحظة، أدرك ستيان أنه كان وحيداً، وأن الوقت منتصف الليل، وأنه الآن في مكان مهجور حيث تم ارتكاب جريمة... ربما تكون مجرد دعابة، لكنه ليس متأكداً من أنها مجرد دعابة، ولكن الشيء الوحيد الذي كان متأكداً منه أنه وحده.

- أهلاً!

صرخ ستيان رافعاً صوته فوق دوي المحرك، وقعقعة القضبان المتأرجحة من الأسلاك الطنانة فوقه، ثم ندم على الفور، فقد عاد الصدى من جانب الجبل مع صوت خوفه؛ إذ كان خائفاً لأن دماغه لم يتوقف عن ترديد كلمتي «وحيد» و«جريمة»، بل استمر حتى عاد للقصة القديمة. لم تكن من القصص التي يفكّر فيها خلال اليوم، وإنما بين الفينة والأخرى حين يكون في مناوبة ليلية، ولا يكون هناك أحد على المنحدرات؛ حيث تزحف القصة من الغابة في الظلام. كان ذلك في وقت متأخر من ليلة غير مثلجة، في شهر ديسمبر، حيث لا بد أنه قد تم جرّ الفتاة من مكان ما في مركز المدينة، ونقلها بالسيارة إلى هنا بعد تقييدها بالأصفاد، ثم نُقلت من مرأب السيارات إلى وراء هذا الباب المحطم، وتم الاعتداء عليها. كان ستيان قد سمع أن الفتاة ذات الخمسة عشر عاماً كانت نحيلة وصغيرة الحجم للغاية، حيث كان من السهل على المعتدي أو المعتدين نقلها في حال كانت فاقدة للوعي، وكان يتمنى أن تكون فاقدة للوعي. كما سمع ستيان أنها كانت مثبته بالجدار بمسمارين كبيرين... واحد تحت كل من عظمتي الترقوة ليتمكن أو يتمكنوا من الاعتداء عليها مع أقل تماس مع الجدار أو الأرض أو الفتاة، ولهذا لم تتمكن الشرطة من العثور على أي آثار للحمض النووي أو بصمات أصابع أو أنسجة ملابس، لكن قد لا يكون

ذلك صحيحاً. فما يعرفه هو أنهم وجدوا الجثة في ثلاثة أماكن... في أسفل بحيرة تريفان وجدوا الجذع والرأس، وفي الغابة أسفل مضمار ويلر للتزلج وجدوا نصف الجزء السفلي من جسدها، وعلى ضفة بحيرة أورتجيرن النصف الثاني. ولأنه تم العثور على الجزءين الأخيرين بعيدين عن بعضهما وعن المكان الذي تم الاعتداء عليها فيه، فقد توقعت الشرطة أن يكون هناك معتديان... لكن كل ذلك مجرد توقعات. إذ لم يتم العثور على الرجال - في حال كانوا رجالاً - ولم يتم العثور على أي سائل بيولوجي. لكن رئيس النادي ورفاقه الآخرين كانوا يحبون أن يخبروا أعضاء النادي الصغار أنه في الليالي الهادئة يقول الناس إنهم يسمعون أصواتاً صادرة من الكوخ... صرخات وطرق مسامير في الجدار.

حرر ستيان حذاءه من الرباط، ومشى نحو الباب، وانحنى على ركبتيه محاولاً تجاهل نبضه المتسارع.

يا الله... ما الذي يتوقع رؤيته؟ أيتوقع رؤية دم وأحشاء؟ أشباح؟

بحث داخل الغرفة على الجدار، ووجد المفتاح الكهربائي بيده وأداره.

وحدق إلى الغرفة المضاءة.

على الجدار الخشبي غير المطلي، وجد صورة فتاة معلقة من مسمار وعارية بالكامل، إلا من ثوب سباحة أصفر بقطعتين يغطي قليلاً جسدها المسمر من الشمس. كان الشهر ديسمبر. في الواقع، في أمسية هادئة قبل بضعة أسابيع، وقف ستيان مطوّلاً أمام تلك الصورة، فقد كانت مثيرة للغاية. لكن ما أثاره أكثر هو الفتيات اللواتي كن يمررن أمام النافذة وهو يجلس مثاراً على بعد أمتار منهن، وخاصة الفتيات اللاتي يصعدن وحدهن.

دخل ستيان الكوخ... ما من شك في أن أحداً ما كان هناك، فلوحة التحكم بالطاقة محطمة، والمقبض البلاستيكي مكسور لقطعتين ومرمي على الأرض، بينما نتأ الجزء المعدني من الثقب. أمسك الذراع الباردة بين إصبعيه السبابة والإبهام، وحاول لفها، لكنها انزلقت بين أصابعه فحسب، فمشى نحو خزانة القاطع الكهربائي في الزاوية، ووجد الباب المعدني مقفلاً والمفاتيح التي كانت تبقى عادة مدلاة على الجدار المجاور قد اختفت... هذا! توجه إلى حامل الإفريز، وحاول سحب الأغطية البلاستيكية عن أزرار التحكم لتشغيل الأضواء الكاشفة والموسيقى، لكنه أدرك أنه سيخربها أيضاً فهي مثبتة بلاصق أو بالجص. كان بحاجة إلى شيء ما يشده حول الذراع كمفتاح إنكليزي أو شيء ما مشابه. وحين فتح ستيان أحد أدراج الطاولة أمام النافذة راوده شعور داخلي، كذلك الذي كان لديه وهو يتزلج من دون أن يرى... يمكنه

الشعور بما لا يراه... هناك شخص ما يقف في الخارج في الظلام يراقبه.

نظر إلى الأعلى، ورأى وجهاً يحدق إليه بعينين كبيرتين مفتوحتين.

إنه وجهه... عيناه المذعورتان منعكستان على النافذة.

تنفس ستيان الصعداء... تباً! كم يخاف بسرعة.

وما إن عاد قلبه للنبض بشكل طبيعي مجدداً، وحوّل انتباهه إلى الدولاب حتى التقطت عيناه حركة في الخارج... وجهاً يبتعد عن الانعكاس، ويتلاشى بعيداً عن الأنظار. رفع بصره بسرعة مجدداً ليجد انعكاساً لوجهه.

لطالما كان واسع الخيال... هذا ما قاله له ماريوس وكجيلا حين أخبرهما أن التفكير بالفتاة التي اعتدي عليها يثيره... ليس مجرد الاعتداء عليها وقتلها، أو بالطبع نعم... الاعتداء كان... شيئاً يفكّر فيه. لكن أكثر ما أثاره هو كونها جميلة ولطيفة، وأنها كانت في الكوخ عارية... نعم... كانت تلك الفكرة التي تثيره. فقال ماريوس إنه مريض، أما كجيلا السافل فقد أفشى الأمر. وحين سمع ستيان القصة مجدداً كان من المفترض به أن يقول إنه كان يرغب في الانضمام للمعتدين. استمر ستيان في البحث في الدرج... تذاكر المصعد... طوابع... لاصق طوابع... أقلام... لاصق... مقص... سكين... فواتير... مفكات... مكسرات. تباً! انتقل إلى الدرج المجاور. لا مفتاح إنكليزي... لا مفاتيح. ثم أدرك أن بإمكانه البحث عن عمود الإيقاف المخصص للطوارئ، والذي يبقونه في الثلج خارج الكوخ ليتمكن أي شخص من إيقاف المصعد بضرب الزر الأحمر في أعلى العمود في حال حصل شيء ما، ولطالما كان يحدث شيء ما... أطفال يضربون رؤوسهم بالقضبان، ومبتدئون يقعون للوراء حين يبدأ المصعد بالعمل، وحمقى يريدون الاستعراض فيلفون سيقانهم وهم منحنون جانباً للتبول على حافة الغابة حين يمرون بها.

فتش الخزائن. ينبغي أن يكون من السهل العثور على العمود، فهو بطول متر، ومصنوع من المعدن، وعلى شكل عتلة بطرف محدب لكي تعلق في الجليد والثلج المكدس. دفع ستيان النظارات والقفازات المنسية... الخزانة التالية... معدات إطفاء الحرائق... دلو وقماش... عدة الإسعافات الأولية... مصباح، لكنْ لا يوجد عمود.

بالطبع ربما يكونون قد نسوه حين أقفلوا ليلاً.

أمسك بالمصباح، وخرج، وطاف حول الكوخ.

لا عمود هناك أيضاً. يا الله! هل سرقوه أم ماذا؟ وتركوا تذاكر المصعد؟ ظن ستيان أنه سمع صوتاً فاستدار إلى الغابة، وانعطف إلى الغابة حيث أضاء المصباح على الأشجار.

طائر؟! سنجاب؟! تأتي الأيائل أحياناً إلى هنا، لكنها لا تبذل جهوداً كبيرة للاختباء. لو أمكنه فقط أن يطفئ المصعد اللعين لتمكن من الإصغاء بشكل أفضل.

عاد ستيان إلى الكوخ، ولاحظ أنه يشعر براحة أكبر في الداخل. التقط قطعتي المقبض البلاستيكي عن الأرض، وحاول إرجاعهما لمكانهما لكن من دون فائدة.

نظر إلى ساعة يده... اقترب منتصف الليل. أراد أن ينهي جولة الغولف في أوغستا قبل أن ينام. فكّر أن يتصل برئيسه. كل ما عليه فعله هو أن يلف الذراع نصف دورة.

رفع رأسه بشكل فطري، وتوقف قلبه عن النبض.

حدث الأمر بسرعة كبيرة، حيث لم يكن متأكداً إن كان قد رآها أو لا. ومهما يكن، فهو لم يكن أيلاً. ضغط ستيان على اسم الرئيس، لكن أصابعه كانت ترتعش لدرجة أنه ارتكب العديد من الأخطاء قبل أن يدخل الاسم الصحيح.

- ألو؟
- لقد اختفى عمود الطوارئ، ولا يمكنني إيقاف المصعد.
- خزانة القواطع الكهربائية...
- مقفلة والمفاتيح مختفية.

سمع الرئيس يشتم ثم يتنهد:

- انتظرني... سأوافيك على الفور.
- أحضر معك مفتاحاً إنكليزياً أو شيئاً من هذا القبيل.

كرر الرئيس من دون أن يحاول إخفاء ازدرائه:

- مفتاح إنكليزي أو شيء من هذا القبيل.

كان ستيان يعرف منذ زمن أن احترام الرئيس يقاس حسب تصنيفك في بطولة التزلج. وضع هاتفه المحمول في جيبه، وحدّق إلى الظلمة، ثم خطر بباله أن بإمكان أي كان أن يراه طالما أن النور مضاء، لكنه لا يستطيع رؤية أحد. نهض، وأغلق ما تبقى من الباب، وأطفأ النور وانتظر، بينما بدت قضبان المصعد الفارغ القادم من المنحدرات فوق رأسه وكأنها تتسارع وهي تتأرجح حول نهاية المصعد قبل أن تبدأ بالصعود مجدداً.

رمش ستيان.

لماذا لم يفكّر في هذا من قبل؟

أدار جميع المقابض على لوحة التحكم ليكتسح النور منحدر التزلج،

وتصدح أغنية إمباير ستيت أوف مايند من مكبرات الصوت وتملأ الوادي. هكذا أصبح الجو مألوفاً.

نقر بأصابعه، ونظر إلى عمود الدوران مجدداً حيث وجد ثقباً في الأعلى. نهض، وأمسك بالحبل المتدلي من جانب القاطع الكهربائي، وطواه، وأدخله عبر الثقب، ثم لفه حول عمود الدوران وسحبه... قد يثمر هذا. سحب أكثر وأكثر حتى تحرك عمود الدوران إلى أن انتزعه.

خفت صوت آلات المصعد بعويل تحول إلى زعيق.

صرخ ستيان:

- أيها السفلة!

أمسك بالهاتف للاتصال بالرئيس وإخباره أنه قد أنجز العمل، ثم تذكر أن الرئيس سينزعج من موسيقى الراب الصادحة من مكبرات الصوت في الليل فأطفأها.

أنصت إلى رنين الهاتف الذي كان كل ما يمكنه سماعه في الوقت الحالي، ثم فجأة عم الهدوء من جديد... وراوده ذلك الشعور... الشعور بأن هناك شخصاً هنا... شخصاً يراقبه.

رفع ستيان باريلي رأسه ببطء، وأحس بالقشعريرة تمتد من منطقة في مؤخر رأسه كما لو أنه يتحول إلى حجر أو يحدق إلى وجه ميدوسا... لكنه لم يكن وجهها، وإنما وجه رجل يرتدي معطفاً جلدياً أسود طويلاً ويحدق بعينين مجنونتين مع فم مصاص دماء مفتوح يقطر دماً، وبدا كما لو أنه يطوف فوق الأرض.

- ألو؟ ألو؟ ستيان؟ أتسمعني؟ ستيان؟

لكن ستيان لم يجب، فقد وقف وركل الكرسي، وتراجع إلى الخلف، والتصق بالجدار، وأوقع لوحة الفتاة عن المسمار على الأرض.

لقد وجد عمود إيقاف الطوارئ، فقد كان بارزاً من فم الرجل المربوط بأحد قضبان المصعد.

سأل غونار هاغن:

- ثم دار مراراً وتكراراً على مصعد التزلج؟

وأمال رأسه وهو يتفحص الجثة المعلقة أمامهم. كان هناك شيء خطأ في الشكل... كأنه تمثال شمعي يذوب ويمتد نحو الأرض.

أجابت بتي لون وهي تضرب بقدمها الثلج، وتنظر إلى المصعد المضاء، حيث بدا زميلها الذي يرتدي اللون الأبيض كأنه ممتزج بالثلج.

- هذا ما أخبرنا به الشاب.

- أوجدتم شيئاً؟

كانت نبرة صوت هاغن توحي بأنه يعرف الجواب مسبقاً.

- الكثير. خط من الدم يستمر لأربعمائة متر حتى القمة، وأربعمائة متر في طريق العودة.

- أعني أي شيء سوى ما هو واضح.

- آثار أقدام على الثلج من مرأب السيارات عبر الطريق المختصر حتى هنا. تتطابق النقوش في أسفل الحذاء مع حذاء الضحية.

- أتى إلى هنا منتعلاً حذاءً؟

- نعم. وأتى وحيداً؛ إذ ليست هناك أي آثار أخرى سوى آثاره، وهناك سيارة غولف حمراء في المرأب. سنتحقق الآن لنعرف المالك.

- ما من دلائل على الجناة، أليس كذلك؟

- ماذا تظن يا بيورن؟

والتفتت بتي إلى هولم الذي كان في تلك اللحظة يمشي نحوهما ممسكاً بيده شريطاً لاصقاً.

لهث:

- حتى الآن لا. ما من آثار أقدام أخرى، وإنما هناك الكثير من آثار الزلاجات بالطبع. كما لا توجد أي بصمات أصابع أو شعر أو أنسجة حتى الآن. ربما قد نجد شيئاً على العمود.

وأومأ بيورن برأسه إلى القضيب الناتئ من فم الرجل.

- وإلا فإن كل ما نأمله هو أن يجد الطبيب الشرعي شيئاً.

ارتعش غونار هاغن داخل معطفه:

- يبدو وكأنك تعرف مسبقاً أنك لن تجد الكثير.

قالت بتي لون:

- حسناً.

حين سمع غونار هاغن كلمة «حسناً» تذكر أنها الكلمة التي كان هاري هول يستخدمها للإعلان عن أخبار سيئة.

- ليس هناك أي حمض نووي أو آثار أقدام في مسرح الجريمة الآخر.

تساءل هاغن عن سبب ارتعاشه، أهو درجة الحرارة، أو لأنه أتى مباشرة من سريره، أو ما قالته رئيسة كريمتكنيسك؟

- ماذا تقصدين؟

- أعني أنني أعرف من هو.
- ظننت أنك قلت إنك لم تجدي أي أوراق تعريف شخصية.
- هذا صحيح... لكن الأمر استغرق برهة حتى تعرفت عليه.
- أنت؟ كنت أظن أنك لا تنسين أي وجه مطلقاً.
- ترتبك تلافيف الدماغ المغزلية حين تتضرر كلتا الوجنتين، لكن هذا بيرتل نيلسن.
- ومن هذا؟
- لهذا اتصلت بك. إنه...
أخذت بتي لون نفساً عميقاً، بينما فكّر هاغن... لا تقوليها.
قال بيورن هولم:
- شرطي.
قالت بتي لون:
- لقد عمل في مركز الشرطة في نيدر إيكر. كانت لدينا جريمة قتل قبل قدومك إلى فرقة مكافحة الجرائم بفترة، حيث اتصل نيلسن بكريبوس وأخبرهم أن القضية مشابهة لقضية اعتداء عمل عليها في كروكستادلفا وعرض عليهم القدوم إلى أوسلو لتقديم المساعدة.
- ثم؟
- لا نتيجة. لقد جاء ولم يفد بشيء سوى تأخير الإجراءات، ولم نتمكن من القبض على الرجل أو الرجال أبداً.
هز هاغن رأسه:
- أين؟
قالت بتي لون:
- هنا. تم الاعتداء عليها في كوخ مصعد التزلج، ثم قطعت وعثر على جزء من جثتها على ضفة البحيرة هنا، وجزء آخر على بعد كيلومتر جنوباً، والجزء الثالث على بعد سبعة كيلومترات في الاتجاه المعاكس عند بحيرة أورتجيرن. ولهذا ظننا أن هناك أكثر من شخص متورط في الجريمة.
- والتاريخ؟
- تاريخ اليوم نفسه.
- منذ متى؟
- تسع سنوات.
صدر صوت قرقعة من جهاز إرسال لاسلكي، بينما شاهد هاغن بيورن هولم وهو يرفعه إلى أذنه ويتكلم بهدوء ثم ينزله.

- سيارة الغولف المركونة في مرأب السيارات مسجلة باسم ميرا نيلسن، وتقطن في عنوان بيرتل نيلسن نفسه. لا بد أنها زوجته.

تنهد هاغن تنهيدة خرج فيها الهواء من فمه كعلم أبيض:

- عليّ إرسال تقرير بهذا إلى رئيس الشرطة. لا تذكرا أمر الفتاة المقتولة في الوقت الراهن.

- ستكتشف وسائل الإعلام الأمر.

- أعلم. لكنني سأنصح الرئيس بأن يترك وسائل الإعلام تنشغل في الوقت الراهن.

قالت بتي:

- تصرف حكيم.

رمقها هاغن بابتسامة سريعة كشكر على التشجيع اللازم، ثم نظر إلى الجبل، وإلى مرأب السيارات والمستنقع أمامه، ثم نظر إلى الجثة ثم ارتعش ثانية.

- أتعرفان بمن أفكر حين أرى رجلاً طويلاً ونحيلاً كهذا؟

- نعم.

- أتمنى لو كان هنا الآن.

قال بيورن هولم:

- لم يكن طويلاً ونحيلاً.

التفت الآخران إليه.

- لم يكن هاري...

قال هولم مقاطعاً وهو يومئ إلى الجثة المعلقة:

- أعني هذا الرجل... نيلسن. لقد أصبح طويلاً بين عشية وضحاها. إن تحسستما جسده فستجدانه هلامياً. لقد رأيت الأمر نفسه يحدث لأشخاص سقطوا من ارتفاع شاهق، وحطموا جميع عظامهم، حيث لا يعود هناك هيكل يمسك الجسد، ويتدلى اللحم حتى تتصلب الجثة. هذا مضحك... أليس كذلك؟

نظروا إلى الجثة بصمت حتى استدار هاغن وغادر.

سأل بيورن هولم:

- الكثير من المعلومات؟

- تافهة وسطحية ربما، كما أنني أتمنى أيضاً لو كان هنا.

- أتظنين أنه سيعود يوماً؟

هزت بتي رأسها، لكن بيورن هولم لم يعرف إن كانت تجيب على

سؤاله أو على الوضع بكامله. التفت ورأى غصن صنوبر يهتز عند حافة الغابة، بينما علت صرخة طائر ملأت الصمت.

6

رن الجرس المعلق فوق الباب حين دخل ترولس بيرنتسين من الشارع البارد إلى الدفء الرطب حيث تفوح رائحة الشعر النتن ومستحضرات تجميل الشعر.

قال الشاب ذو الشعر الأسود اللامع الذي كان ترولس واثقاً من أنه قد صففه في صالون آخر:

- قص؟

سأل ترولس وهو ينفض الثلج عن كتفيه:

- مائتين؟

مارس... شهر الوعود الكاذبة. مرر إبهامه على كتفه ليتأكد من أن اللوحة في الخارج لا تزال على حالها. الرجال 200 ، والأطفال 85 ، والمتقاعدون 75 . وكان ترولس قد رأى أناساً يحضرون كلابهم إلى هنا.

قال الرجل بلكنة باكستانية:

- مثل المعتاد.

أجلسه على أحد كرسيي الصالون الفارغين، بينما جلس رجل صنفه ترولس فوراً على أنه عربي على الكرسي الثالث. عينان داكنتان تحت غرة تغطي جبهته... عينان أشاحتا النظر بسرعة خوفاً حين التقتا عيني ترولس. ربما يشم الرجل رائحة اللحم المقدد، أو تعرف على نظرة رجل الشرطة؛ مما يعني أنه قد يكون واحداً من أولئك الذين يبيعون المخدرات في بروغاتا... الحشيش فحسب. كان العرب يخشون الاتجار بالمخدرات الأقوى... وربما يكون قواداً؛ فقد أوحت السلسلة الذهبية بالكثير.

ارتدى صدرة.

- لقد طال شعرك يا صديقي.

لم يحب ترولس أن يناديه شخص باكستاني يا صديقي، وخاصة إن كان باكستانياً غير سويّ، وتحديداً إن كان هذا الباكستاني غير السويّ سيلمسه بعد قليل. لكنه على الأقل لا يسند وركه على كتفي ترولس، ولا يميل رأسه ويمرر يده في شعر هذا الأخير وهو ينظر في عينيه في المرآة ويسأله إن كان يريده هكذا، وإنما يعمل مباشرة من دون أن يسأله إن كان يرغب أن يغسل له شعره المدهن وإنما يرشه بالماء فحسب ويتجاهل أي تعليمات يوجهها له ويبدأ العمل بالمقص والمشط كما لو أنها البطولة الأسترالية لجز الخراف.

نظر ترولس إلى الصفحة الأولى من الصحيفة الملقاة على الرف تحت المرآة، ووجد اللازمة نفسها... ما دافع قاتل رجال الشرطة؟ معظم التوقعات تركزت على كونه شخصاً مجنوناً يكره رجال الشرطة أو فوضوياً متشدداً، بينما ذكر الإرهاب الخارجي؛ لكن الإرهابيين يتبنون عادة شرف عملهم الناجح. لم يشك أحد في أن جريمتي القتل مترابطتان - التواريخ ومسارح الجرائم أكدت ذلك - ولبعض الوقت بدأ رجال الشرطة يبحثون عن مجرم اعتقله أو استجوبه أو أزعجه كل من فينيسلا ونيلسن لكنهم لم يجدوا أي صلة من هذا النوع. ثم عملوا على نظرية أن قتل فينيسلا كان انتقاماً فردياً بعد اعتقال، أو كنوبة غيرة، أو للحصول على الإرث، أو أي من الدوافع المعتادة. أما مقتل نيلسن فكان من قبل شخص آخر لديه دافع مختلف، لكنه ذكي بما يكفي ليقلد جريمة قتل فينيسلا، وليخدع الشرطة، ويجعلهم يظنون أن هناك قاتلاً متسلسلاً يعمل، ويضللهم عن البحث في الأماكن الواضحة. لكن، حين بحث رجال الشرطة في الأماكن الواضحة كما لو أنهما كانتا جريمتي قتل منفصلتين لم يجدوا أي شيء على الإطلاق.

لذا، عادت الشرطة إلى نقطة الصفر... قاتل رجال الشرطة. كما فعلت وسائل الإعلام الشيء ذاته، واستمرت بالتذمر: لماذا لا تستطيع الشرطة إلقاء القبض على الشخص الذي قتل اثنين من رجالها؟

أحس ترولس بالرضا والغضب في الوقت عينه حين رأى هذه العناوين. ربما كان مايكل يأمل أنه بحلول رأس السنة ستنسى وسائل الإعلام جريمتي القتل، وستبدأ بالتركيز على أشياء أخرى؛ مما يسمح له بالعمل بهدوء، وبأن يكون رئيس الشرطة الجديد والمثير في المدينة، لا أن يكون شخصاً فشل وأخفق وجلس أمام الكاميرات اللامعة بتعابير الاستسلام وعدم الكفاءة.

لم يكن ترولس بحاجة إلى النظر إلى الصحف فقد قرأها في البيت، وضحك بصوت مرتفع على عبارات مايكل غير الفعالة حول مدى تقدم التحقيقات. «في الفترة الراهنة، من غير الممكن قول...» و«ليست هناك أي معلومات بخصوص...» كانت هاتان العبارتان مأخوذتين مباشرة من الفصل المتعلق بالتعامل مع وسائل الإعلام في كتاب أساليب التحقيق لبجيركس وهوف جوهانسن والذي كان كتاباً مقرراً للدراسة في كلية الشرطة، يذكر أنه على رجال الشرطة استخدام مثل هذه الجمل العامة لأن الصحفيين يشعرون بالانزعاج من عبارات مثل «لا تعليق»، كما ينبغي تجنب استخدام الصفات.

كان ترولس قد تحقق من الصور بحثاً عن آثار اليأس على وجه

مايكل... التعابير التي كانت تبدو عليه حين كان الصبية الكبار في مانغلرود يظنون أنه قد حان الوقت لإغلاق فم محدث النعمة المغرور ويحتاج مايكل للمساعدة... مساعدة ترولس. وبالطبع، كان ترولس يتقدم ليعود في نهاية المطاف إلى منزله بكدمات سوداء على عينيه وشفتين متورمتين. أما مايكل فكان يحافظ على مظهره الجذاب لأجل أولا.

قال ترولس:

- لا تقصه كثيراً.

شاهد شعره يتساقط على جبهته البارزة والشاحبة في المرآة. كانت جبهته وفكه البارز هما ما يجعلان الناس يفترضون أنه غبي، وهي ميزة في بعض الأحيان... في بعض الأحيان. أغمض عينيه محاولاً أن يقرر إن كانت تعابير مايكل اليائسة ظاهرة في المؤتمر الصحفي، أو أنه رآها فقط لأنه يرغب برؤيتها.

الإيقاف... الطرد... الرفض.

كان لا يزال يتقاضى مرتبه. كان مايكل متأسفاً حين وضع يده على كتفه وقال إن هذا لمصلحة الجميع بمن فيهم ترولس حتى يتم التوصل إلى قرار حول عواقب تلقي رجل الشرطة أموالاً لا يمكنه تبرير مصدرها. كما حرص مايكل على حصول ترولس على بعض المساعدة، لذا هو غير مضطر للذهاب إلى حلاق يتقاضى القليل من المال، لكنه لطالما كان يأتي إلى هنا، كما أنه قد أحب ذلك أكثر الآن فهو يحب قصة شعر العربي الجالس على الكرسي المجاور.

- علام تضحك يا صديقي؟

توقف ترولس فجأة حين سمع نخير ضحكاته التي منحته لقب بيفيس... لا... مايكل هو الذي منحه إياه خلال حفلة مدرسية لتسلية الجميع؛ حين نبههم - تباً له - إلى أن بيرنتسين يشبه بشكله وصوته الشخصية الكرتونية! أكانت أولا هناك؟ أو إن مايكل كان جالساً وواضعاً ذراعه على فتاة أخرى؟ أولا بعينيها اللطيفتين وكنزتها البيضاء ويدها النحيلة التي وضعتها سابقاً على رقبته، وقربت رأسه إليها، ثم صرخت في أذنه أن يخفض أصوات الموسيقى في أحد أيام الأحد في برين، لتسأله عن مكان مايكل لاحقاً. لكنه لا يزال يذكر دفء يدها الذي أحس به وكأنه سيذيبه، ويجعل ركبتيه تنثنيان تحته على الجسر فوق الطريق السريع في شمس الصباح. ومع نفسها في أذنه وعلى وجنته تنبهت كل حواسه. ومع أنه كان محاطاً برائحة البترول والدخان والمطاط المحترق من الدراجات النارية في

الأسفل، إلاّ أنه تمكن من تمييز رائحة معجون أسنانها، ومعرفة أن ملمع الشفاه كان بنكهة الفراولة، وأن كنزتها مغسولة بمسحوق غسيل من نوع ميلو، وأن مايكل قد قبلها وفعل معها أشياء لن ينساها... أو إنه يتخيل ذلك؟ لا يزال يذكر أنه أجاب أنه لا يعرف، على الرغم من أنه كان يعرف وعلى الرغم من أن جزءاً منه أراد إخبارها. لقد أراد القضاء على اللطف والنقاء والبراءة والبساطة بعينيها... أراد القضاء عليه... على مايكل.

لكنه بالطبع لم يفعل.

لماذا يفعل ذلك؟ كان مايكل صديقه المقرب. ماذا كان سيجني من إخبارها أن مايكل كان في منزل أنجيليكا؟ بإمكان أولا الحصول على أي شيء تريده، وهي لا تريده... لا تريد ترولس. وطالما أنها مع مايكل فستكون أمامه الفرصة ليبقى بالقرب منها... كانت لديه الفرصة وليس الدافع.

ليس في ذلك الحين.

- أهذا جيد يا صاح؟

نظر ترولس إلى مؤخر رأسه في المرآة البلاستيكية المدورة التي يحملها الباكستاني.

نخر ونهض ووضع قطعة نقدية من فئة 200 كرونر على الصحيفة لتجنب التلامس المباشر، وخرج إلى صباح مارس الذي لم يكن سوى مجرد شائعة بأن الربيع على الطريق. رفع نظره إلى مركز الشرطة، ثم بدأ يمشي باتجاه قطار الأنفاق في غرونلاند. لم يستغرق قص شعره سوى تسع دقائق ونصف الدقيقة. رفع رأسه ومشى بسرعة مع أنه لم يكن لديه شيء مستعجل ولا شيء يفعله... أوه بلى.. لديه شيء ما، لكنه لا يتطلب الكثير من العمل. كما أن لديه موارده المعتادة: الوقت للتخطيط والكراهية والتصميم على خسارة كل شيء. حدّق في نافذة أحد محلات بيع الطعام الآسيوي وتأكد من أنه يبدو كما هو عليه.

جلس غونار هاغن يحدّق إلى ورق الجدران فوق طاولة مكتب رئيس الشرطة وكرسيه الفارغ، وركّز على البقع الداكنة من الصور المعلقة هناك منذ زمن بعيد. كانت هناك صور لرؤساء الشرطة السابقين، ويقصد منها أن تكون مصدر إلهام؛ لكن من الواضح أن مايكل بيلمان كان قادراً على العمل من دونهم... من دون النظرات المتسائلة إلى أسلافه.

أراد هاغن أن ينقر بأصابعه على ذراع الكرسي، لكن لم تكن هناك

أي ذراع للكرسي، فقد بدل بيلمان الكراسي أيضاً بكراسٍ خشبية منخفضة وصلبة.

لقد تم استدعاء هاغن، حيث قام الموظف المساعد في الردهة بإيصاله إلى هنا وإخباره أن رئيس الشرطة سيأتي حالاً.

فتح الباب.

- ها أنت ذا!

اندفع بيلمان حول طاولة المكتب، وارتمى على الكرسي، ثم شبك يديه وراء رأسه.

- هل من جديد؟

سعل هاغن، فقد كان يعرف أن بيلمان مدرك تماماً أنه ما من جديد، حيث إن هاغن قد تلقى أوامر بإعلامه بأبسط التطورات في قضيتي القتل. لكنه أجاب عن السؤال، وشرح أنه ليست لديهم حتى الآن أي أدلة في القضيتين؛ سواء أتم العمل عليهما كقضيتين منفصلتين، أو كقضيتين بينهما صلة غير ما هو واضح... وهو أن الضحيتين رجلا شرطة تم العثور عليهما في مسرحي جريمتين غير محلولتين كانا قد عملا عليهما.

نهض بيلمان في منتصف الحديث ووقف بجانب النافذة، وكان ظهره يواجهه بينما انتشر احمرار مفاجئ حول البقع البيضاء على وجهه.

- وأريد أن أسأل عن سبب إعطائك الأولوية للحراسة على مدار 24 ساعة في مشفى ريكشوبيتالت في حين يتم قتل رجال الشرطة الشرفاء. ألا ينبغي أن يكون هؤلاء الحراس مشتركين في التحقيق؟

نظر هاغن إلى بيلمان بذهول:

- ليس رجالي من يقومون بذلك، وإنما رجال محطة شرطة مركز المدينة، وطلاب كلية الشرطة الذين يخضعون للتدريب. ولا أظن أن التحقيق يعاني يا مايكل.

- حقاً؟! لكنني لا أزال أرغب بإعادة النظر في قرارك، فأنا لا أرى أي خطر محدق بأن يقوم أحد بقتل المريض بعد مرور كل هذا الوقت، فهم يعرفون أنه لن يتمكن من الشهادة في كل الأحوال.

- يقول الأطباء إن هناك مؤشرات على تحسنه.

جاء جواب رئيس الشرطة بنبرة غاضبة ومتسرعة:

- لم تعد لتلك القضية أي أولوية.

ثم أخذ نفساً عميقاً والتفت إليه:

- لكن تعيين حارس هو قرارك بالطبع، ولا أريد أن تكون لي أي

علاقة... مفهوم؟

وابتسم.

كان هاغن على وشك قول لا، لكنه تمكن من كبح نفسه، وهزّ رأسه وهو يحاول أن يفكر في ما يرمي إليه مايكل بيلمان.

قال بيلمان وهو يصفق بيديه ليشير إلى أن الاجتماع قد انتهى:

- جيد.

كان هاغن على وشك النهوض والمغادرة بارتباك كما وصل، لكنه بقي جالساً.

- نفكر في تجربة إجراءات مختلفة.

- ماذا؟

- نعم. سنقسّم وحدة التحقيق إلى عدة وحدات أصغر.

- لماذا؟

- للسماح بالمزيد من المكان للأفكار البديلة. بالطبع تتمتع المجموعات الكبيرة بالكفاءة، لكنها غير مناسبة للتفكير خارج الصندوق بالشكل نفسه.

- وهل علينا التفكير خارج الصندوق؟

تجاهل هاغن السخرية وقال:

- إننا ندور في حلقة مفرغة ولا نتمكن من رؤية الصورة العامة.

نظر إلى رئيس الشرطة. وكمحقق سابق، كان بيلمان يعرف السيناريو جيداً بالطبع... يمكن لمجموعة أن تعلق في افتراضات صعبة ولا تتمكن من رؤية الفرضيات البديلة. ومع ذلك، هز بيلمان رأسه بالنفي.

- في المجموعات الصغيرة ستفقد قدرتك على رؤية القضية بالكامل يا هاغن، كما ستتجزأ المسؤولية وتتضارب أعمالكم ويتكرر العمل. مجموعة كبيرة واحدة منظمة جيداً هي الخيار الأفضل؛ على الأقل طالما أن لديها قائداً قوياً وحاسماً.

أحس هاغن بالسطح المتعرج لأضراسه وهو يصر على أسنانه، وتمنى أن لا يظهر تأثير تلميح بيلمان على وجهه.

- لكن...

- حين يبدأ القائد بتغيير نهجه يمكن تفسير الأمر على أنه يأس واعتراف بالفشل.

- لكننا فشلنا يا مايكل، فنحن الآن في مارس، وهذا يعني أنه قد مضت ستة أشهر على الجريمة الأولى.

- لا أحد يتبع قائداً فاشلاً يا هاغن.

- زملائي ليسوا أغبياء أو عمياناً؛ فهم يعرفون أننا في مأزق، كما يعرفون أن على القادة الجيدين أن تكون لديهم القدرة على تغيير مسارهم.

- القادة الجيدون يعرفون كيف يلهمون فريقهم.

بلع هاغن ما كان يريد قوله... وهو أنه كان يحاضر في القيادة في الأكاديمية العسكرية بينما كان بيلمان يلعب في الشارع، وأنه إن كان بيلمان جيداً لهذه الدرجة في إلهام مرؤوسيه فلم لا يلهمه... أي غونار هاغن؟ لكنه كان مرهقاً ومنزعجاً، فابتلع الكلمات التي كان يعلم أنها ستزعج مايكل بيلمان كثيراً.

- لقد نجحنا في المجموعة المستقلة التي قادها هاري هول... أتذكر؟ ما كانت جرائم أستاوسيت لتجد حلاً لولا...

- أظن أنك سمعتني يا هاغن. أفضل دراسة إجراء تغييرات في إدارة التحقيق... الإدارة مسؤولة عن الثقافة بين الموظفين، وهي لا تبدو الآن مهتمة كثيراً بالنتائج. إذا لم يكن لديك شيء آخر فلدي اجتماع في غضون بضع دقائق.

لم يصدق هاغن أذنيه، وترنح على قدميه كما لو أن الدم لم يجرِ في ساقيه خلال الفترة القصيرة التي جلس فيها على الكرسي المنخفض الضيق، وتعثر نحو الباب.

قال بيلمان من ورائه وهو يكبت تثاؤبه:

- بالمناسبة... هل من جديد في قضية غاستو هانسن؟

أجاب هاغن من دون أن يلتفت لبيلمان الذي كانت ساقاه بعكس ساقيه - حيث كان ضغط الدم هائلاً - وقال بصوت متهدج من الغضب:

- كما قلت أنت. لم تعد القضية ذات أولوية.

انتظر مايكل بيلمان حتى أغلق الباب، وسمع هاغن يودّع السكرتيرة في الردهة، ثم ارتمى على الكرسي الجلدي مرتفع الظهر. لم يكن قد استدعى هاغن لسؤاله عن جريمتي قتل رجُلَي الشرطة، وهو يشك في أن هاغن قد أدرك ذلك. وإنما السبب هو المكالمة الهاتفية التي تلقاها من إيزابيل سكوين قبل ساعة، والتي بدأت بالثرثرة حول كيف أن جرائم القتل غير المحلولة هذه تجعلهما يبدوان غير مؤهلين وفاشلين، وكيف أنها بخلافه تعتمد على رضا الناخبين. وكان هو يملأ الفراغات في حديثها بين الحين والآخر بعبارات مثل: مممممم، وأووه، منتظراً إياها لتنهي حديثها كي ينهي

الاتصال؛ حتى ألقت القنبلة.

- إنه يصحو من الغيبوبة.

جلس بيلمان متكئاً بمرفقيه على الطاولة ورأسه بين يديه، وهو يحدّق في الطلاء اللامع لطاولة المكتب، حيث يمكنه رؤية صورة مشوشة عن نفسه. تظن النساء أنه وسيم كما أخبرته إيزابيل بصراحة. إن هذا أحد أسباب اختيارها له... فهي تحب الرجال الجذابين، ولهذا كانت على علاقة مع غاستو. غالباً ما يخطئ الناس في الفهم حين يكون الرجال وسيمين. فكّر مايكل بالشرطي في كريبوس الذي أساء إليه، كما فكر بإيزابيل وغاستو وتخيلهما معاً... نهض عن الكرسي بسرعة وتوجه نحو النافذة.

كل شيء جاهز حسب تعبيرها، وكل ما عليه فعله هو الانتظار. لا بد أن يجعله الأمر أكثر هدوءاً وأكثر تلاؤماً مع العالم من حوله... إذاً، لماذا أقحم السكين في هاغن وأدارها؟ أليشاهده يترنح؟ فقط ليرى وجهاً معذباً آخر كالوجه المنعكس على طاولة المكتب؟ لكن الأمر سينتهي حالاً، فكل شيء أصبح بيديها الآن. وحين يتم إنجاز ما ينبغي إنجازه سيستمران كما كانا من قبل، وسينسيان أساييف وغاستو؛ وبالطبع الرجل الذي لا يمكن الامتناع عن ذكره... هاري هول. عاجلاً أو آجلاً سيتم نسيان كل شيء؛ وكذلك جريمتَي قتل رجُلَي الشرطة هاتين.

أراد مايكل بيلمان معرفة إن كان هذا ما أراده، لكنه يعلم جيداً ما أراده.

7

أخذ شتال أون نفساً عميقاً، فهذه إحدى الطرق المفصلية في العلاج حيث عليه اتخاذ قرار... قرر.

- قد يكون هناك شيء معلق في وضعك الجنسي.

نظر إليه المريض بابتسامة بسيطة، وعينين ضيقتين، وارتفعت اليدان النحيلتان مع الأصابع الطويلة جداً كما لو أنه على وشك تعديل ربطة عنقه؛ لكنه لم يفعل. كان شتال قد لاحظ هذه الحركة عدة مرات من قبل، وقد ذكرته بمرضى تمكنوا بنجاح من التغلب على عادة قسرية محددة، لكنهم غير قادرين على التغلب على الحركة المبدئية... إنه تصرف غير مكتمل... تصرف لا إرادي لكن يمكن تفسيره بالكامل... كندبة... كعرجة... كصدى يذكرك أن لا شيء يختفي بالكامل؛ فكل شيء يخلف أثراً بطريقة أو بأخرى في مكان ما... كالطفولة... كأناس عرفتهم... كشيء أكلته ولم تستطع احتماله... كعاطفة لديك... كذاكرة خليوية.

نزلت يد المريض إلى حضنه، وسعل ثم قال بصوت مشدود ورنان:

- ما الذي تعنيه؟ أبدأنا بسخافات فرويد؟

نظر شتال إلى الرجل. كان قد شاهد مسلسلاً جنائياً على التلفاز، حيث كانت الشرطة تفسر الحياة العاطفية للناس: كانت لغة الجسد جيدة، لكن أصواتهم هي التي خذلتهم، فعضلات الحبال الصوتية والحنجرة مضبوطة بدقة ليتمكنوا من إنتاج أمواج صوتية على شكل كلمات يمكن تحديدها. حين كان شتال يحاضر في كلية الشرطة، كان يؤكد للطلاب دائماً أن هذه أعجوبة عظيمة، كما قال إن هناك أداة أكثر حساسية... الأذن البشرية التي لا يمكنها تفسير الأمواج الصوتية فحسب، وإنما يمكنها أيضاً فضح درجة حرارة جسم المتحدث، ومستوى توتره، ومشاعره. ففي المقابلات، من الأهم أن تنصت أكثر من أن تشاهد، فالارتفاع البسيط في النبرة أو الارتعاش شبه الخفي يعتبر دلالة أهم من الذراعين المشبوكتين أو القبضة المغلقة أو حجم بؤبؤ العين وجميع العوامل التي اتفقت على أهميتها التيارات النفسية الحديثة، والتي يعتقد شتال أنها تربك وتضلل المحقق. على الرغم من أن هذا المريض قد شتم أمامه، لكن ما جعله يعتقد أن المريض غاضب ومتعب هو نمط الضغط على أذن شتال. في العادة، هذا لا يقلق عالم النفس الخبير، بل على العكس، غالباً ما تعني العواطف الجياشة أن هناك تكشف وشيك. لكن المشكلة مع هذا المريض هي أن الأمور تظهر بالترتيب

الخاطئ، حتى بعد عدة أشهر من الجلسات المنتظمة، لم يتمكن شتال من التواصل معه والتقرب منه وكسب الثقة؛ أي إن العملية غير مثمرة لدرجة أن شتال كان يفكر في أن ينصحه بإيقاف العلاج، وربما تحويل المريض إلى أحد زملائه... الغضب في جو آمن أمر جيد لكنه يعني في تلك الحالة أن المريض ينغلق على نفسه ويحفر لنفسه خندقاً عميقاً.

تنهد شتال... لا بد أنه اتخذ القرار الخاطئ، لكن الأوان قد فات على التراجع. لذا، قرر شق طريقه.

- اسمعني يا باول. الرغبات الجنسية الغريبة المكبوتة أمر طبيعي حتى في مجتمعنا المتسامح.

كان الحاجبان المشذّبان بعناية، واللطختان الصغيرتان تحت الذقن اللتان تشيران إلى عملية شد وجه قد سمحت لشتال بتصنيفه خلال عشر دقائق من أول جلسة علاج.

راقب أون المريض بعناية منتظراً ردة فعله:

- غالباً ما تستشيرني الشرطة، وقد أخبرني أحد رجال الشرطة أنه منفتح حول رغباته الجنسية الغريبة في حياته الخاصة، لكن لا يمكنه أن يصارح بذلك أحداً في عمله لأنه سيتم تجنبه. سألته إن كان متأكداً من ذلك؛ فغالباً ما يتبين أن الكبت هو التوقعات التي نفرضها على أنفسنا والتوقعات التي نظن أنها موجودة لدى من حولنا؛ وخاصة الزملاء والأصدقاء المقربين.

توقف.

لم يكن هناك أي اتساع في بؤبؤ عين المريض، ولا تلون على بشرته، ولا تجنب للتواصل البصري، ولا لغة جسد مراوغة. بل على العكس... ظهرت ابتسامة مزدرية على شفتيه الرفيعتين. لكن لدهشته، لاحظ شتال أون أن درجة حرارة وجنتيه قد ارتفعت. يا الله، كم يكره هذا المريض! كم يكره هذا العمل!

- وهل اتبع الشرطي نصائحك؟

قال شتال أون من دون أن ينظر إلى الساعة:

- انتهى وقتنا.

- أشعر بالفضول يا أون.

- وقد أقسمت على السرية.

- إذاً، دعنا ندعوه س، ويمكنني أن أرى من وجهك أنك لم تحب السؤال. لقد اتبع نصيحتك لتنتج عنها نتيجة بائسة أليس كذلك؟

تنهد أون:

- لقد تجاوز س الحدود، وأساء فهم الوضع، وحاول تقبيل ص في الحمام، فتم نبذه بالكامل. الفكرة هي أنه كان من الممكن أن يمر الأمر بشكل طبيعي. أترغب بالتفكير في الأمر للمرة القادة؟

- لكنني لا أملك رغبات جنسية غريبة.

ورفع باول يده إلى حنجرته ثم أخفضها.

هز شتال أون رأسه بسرعة.

- الوقت نفسه الأسبوع المقبل.

- لا أعرف. لا أتحسن أبداً أليس كذلك؟

- الأمر بطيء لكننا نتقدم.

كان الجواب تلقائياً كيد المريض التي تتحرك نحو ربطة عنقه.

- نعم، لقد قلت لي هذا عدة مرات، لكنني أشعر أنني أدفع نقودي على لا شيء، وأنك عديم الفائدة كأولئك المحققين الذين لم يتمكنوا من القبض على معتدٍ وقاتل متسلسل لعين...

لاحظ شتال بذهول أن صوت المريض قد انخفض وأصبح أكثر هدوءاً؛ أي إن صوته ولغة جسده أشارا إلى شيء مختلف نوعاً ما عما قاله، وبدأ ذهن شتال بتحليل سبب استخدام المريض لهذا المثال بالتحديد، لكن الجواب كان واضحاً، وما من حاجة للبحث بعيداً. الصحف الملقاة على طاولة مكتب شتال منذ الخريف، والمفتوحة دائماً على الصفحة التي تتحدث عن جرائم قتل رجال الشرطة.

- ليس من السهل القبض على قاتل متسلسل يا شتال. أنا أعرف الكثير عن القتلة المتسلسلين؛ فهذا تخصصي في الواقع. لكن، إن رغبت بالتوقف عن العلاج أو بتجربة واحد من زملائي فإن الأمر يعود إليك. لدي قائمة بأسماء علماء النفس الأكفاء ويمكنني مساعدتك في...

- أتريد التخلص مني يا شتال.

أمال باول رأسه جانباً، بينما أغمض عينيه ذات الرموش عديمة اللون، وابتسم ابتسامة عريضة. لم يكن شتال قادراً على تحديد إن كانت تلك ابتسامة متكلفة على نظرية الرغبات الجنسية الغريبة، أو إن كان باول يظهر نفسه الحقيقية، أو كلا الأمرين.

- أرجوك، لا تفهمني خطأً.

كان شتال يعرف أنه لم يفهمه خطأً؛ فهو يريد التخلص منه. لكن المعالجين المحترفين لا يطردون مرضاهم المخادعين، وإنما يصرون على أسنانهم

بقوة... أليس كذلك؟ عدّل ربطة عنقه وقال:

- أرغب بعلاجك، لكن من الضروري أن نثق ببعضنا أولاً. ونحن الآن لا نبدو...

- لقد مررت بيوم سيئ فحسب يا شتال. آسف، أعلم أنك بارع، فقد عملت على جرائم القتل المتسلسلة في فرقة مكافحة الجرائم أليس كذلك؟ كما ساعدت في القبض على الرجل الذي كان يرسم نجوماً خماسية في مسارح الجريمة. أنت وذلك المحقق.

تفحص شتال المريض بينما نهض وأغلق أزرار سترته.

- نعم. أنت أكثر من بارع بالنسبة إليّ يا شتال. الأسبوع المقبل، وسأفكر إن كنت ذا رغبات غريبة في الوقت الحالي.

لم ينهض شتال، وتمكن من سماع المريض وهو يدمدم في الممر بانتظار المصعد. هناك شيء مألوف في النغمة.

كما كانت هناك أشياء مألوفة في بعض الأشياء التي قالها باول. لقد استخدم تعبير «جرائم القتل المتسلسلة» الذي تفضله الشرطة بدلاً من «القتل المتسلسل» الأكثر شيوعاً. كان قد دعا هاري هول بالمحقق بينما لا تكون لدى أغلب الناس فكرة حول رتب الشرطة؛ فهم يتذكرون عموماً التفاصيل المثيرة من تقارير الصحف، وليس التفاصيل البسيطة كنجمة خماسية محفورة في عارضة بجانب الجثة. لكن ما استرعى انتباهه بشكل خاص هو أن باول قارنه بأولئك المحققين الذين لا يمكنهم حتى القبض على معتدٍ وقاتل متسلسل لعين...

سمع شتال المصعد يصل ويبتعد، لكنه تذكر النغمة الآن. في الواقع، كان قد استمع لأغنية الجانب المظلم من القمر لإيجاد أي دلائل لتفسير كابوس باول ستافنيس. كانت الأغنية تدعى برين داميج وتدور حول المجانين... المجانين على العشب وفي الصالة ثم يدخلون.

معتدٍ.

لم يتم الاعتداء على رجُلَي الشرطة المقتولَيْن.

بالطبع، لم تكن القضية قد أثارت اهتمامه كثيراً لدرجة أنه خلط بين رجُلَي الشرطة المقتولين والضحيتيْن السابقتين في مسرح الجريمة، أو افترض كقاعدة عامة أن القتلة المتسلسلين يعتدون، أو حلم برجال شرطة معتدى عليهم؛ مما يعزز بالطبع نظرية الرغبات الجنسية الغريبة المكبوتة أو...

تجمد شتال أون في مكانه، وحدّق بذهول إلى اليد المتجهة نحو ربطة عنقه.

احتسى أنطون ميتيت حسوة قهوة، ونظر إلى الرجل النائم على سرير المشفى. ألا ينبغي أن يشعر هو أيضاً بسعادة ما؟ السعادة نفسها التي عبرت عنها منى على أنها واحدة من الأعاجيب اليومية الصغيرة التي تجعل كل العمل يستحق العناء؟ نعم بالطبع، من الجيد أن يغير مريض في غيبوبة افترض الجميع أنه سيموت رأيه ويعود إلى الحياة ويستيقظ. لكن الشخص في السرير ذا الوجه المشوه والشاحب على الوسادة لا يعني له شيئاً سوى أن عمله يكاد ينتهي؛ إلا أنه لا يعني بالضرورة نهاية علاقته مع منى بالطبع، فهما لم يمضيا أكثر أوقاتهما حميمية هنا، بل على العكس. وهما لم يعودا بحاجة إلى القلق من أن يلاحظ زملاؤهما النظرات الرقيقة التي يتبادلانها كلما دخلت أو خرجت من غرفة المريض، أو الأحاديث التي كانت طويلة قليلاً والثرثرة التي كانت تنتهي فجأة حين يظهر أحد ما. لكن، كان هناك شعور يراود أنطون ميتيت، وهو أن هذه كانت الشرارة في علاقتهما... السرية... الخفاء... الإثارة في رؤيتهما بعضهما من دون أن يتمكنا من اللمس... الانتظار... التسلل من البيت... الكذب على لورا عن مناوبة إضافية... كذبة أصبحت أسهل فأسهل حتى ملأت فمه لدرجة أنه علم أنه عاجلاً أو آجلاً سيختنق بها. كان يعلم أن الخيانة لا تجعله رجلاً أفضل في عيني منى، وأنه يمكنها تخيله وهو يقدم لها الأعذار نفسها في مرحلة ما في المستقبل. كانت قد أخبرته أن ذلك قد حصل لها من قبل مع رجال آخرين قاموا بخداعها حين كانت أصغر وأكثر نحولاً. لذا، إن أراد هجر المرأة البدينة متوسطة العمر فإن ذلك لن يصدمها. حاول أن يقول لها إنه لا ينبغي عليها قول مثل هذا الكلام حتى لو كانت تقصد ما تقوله، فهذا يجعلها أقل جاذبية، ويجعله أقل جاذبية؛ إذ سيبدو كرجل مستعد لأخذ ما يتوفر أمامه كما هو. لكنه الآن سعيد لقولها ذلك، إذ ينبغي أن يتوقف الأمر في مرحلة ما، وقد جعلت الأمر أسهل عليه.

سأل الممرض الجديد وهو يعدل نظارته مستديرة العدستين بينما كان يقرأ ملاحظات الطبيب التي تناولها من أسفل السرير:

- من أين حصلت على هذه القهوة؟

- هناك آلة لتحضير القهوة في آخر الممر. أنا الشخص الوحيد الذي يستخدمها، لكن يمكنك...

- شكراً على العرض، لكنني لا أشرب القهوة.

تمكن أنطون من تمييز شيء غير عادي في لفظه. وتناول الممرض ورقة من جيب سترته وقرأها:

- دعني أرى... إنه بحاجة لبعض البروبوفول.

- ليست لدي أدنى فكرة عنه.

- هذا يعني أنه سينام لفترة من الزمن.

تفحص أنطون الممرض وهو يثقب غلاف زجاجة صغيرة تحتوي على السائل الشفاف بحقنة. كان الممرض قصيراً ومكتنزاً ويشبه ممثلاً شهيراً... ليس واحداً من الممثلين الوسيمين، وإنما هو واحد من الذين تمكنوا من تحقيق الإنجاز فحسب... كذاك الممثل ذي الأسنان القبيحة والاسم الإيطالي الذي يستحيل تذكره. كما نسي الاسم الذي ذكره الممرض حين عرف عن نفسه.

قال الممرض:

- الأمر معقد بالنسبة إلى المرضى الذين يستفيقون من الغيبوبة، فهم سريعو التأذي، وينبغي مراقبتهم بعناية أثناء انتقالهم إلى مرحلة الوعي، فحقنة واحدة في غير محلها قد تعيدهم إلى حيث كانوا.

- فهمت.

كان الرجل قد أظهر بطاقة التعريف الشخصية، وأعطاه كلمة السر، وانتظر حتى اتصل أنطون بغرفة المراقبة ليتأكد من أنه قد تم تعيين هذا الشخص للقيام بهذه المناوبة.

- يبدو أن لديك خبرة واسعة بالتخدير؟

- نعم، لقد عملت في قسم التخدير لفترة طويلة.

- لكنك لا تعمل هناك الآن.

- كنت مسافراً منذ سنتين إلى ثلاث سنوات.

ورفع الممرض الحقنة إلى الضوء، وأطلق رذاذاً تلاشى بعد تحوّله إلى ذرات ضئيلة.

- يبدو هذا المريض كما لو أنه أمضى حياة شاقة. لماذا لا يوجد اسم على لوحة الملاحظات؟

- من المفترض أن يبقى مجهولاً. ألم يخبروك؟

- لم يخبروني بشيء.

- كان ينبغي عليهم إخبارك. يظنون أنه ستتم محاولة إنهاء حياته، ولهذا أجلس هنا في الممر.

انحنى الرجل بالقرب من وجه الرجل، وأغمض عينيه كما لو أنه

يتنشق أنفاس المريض، فارتعش أنطون.

- لقد رأيته من قبل. أهو من أوسلو؟
- لقد أقسمت على السرية.
- وماذا تظن أني فعلت؟

رفع الممرض كم المريض وفرك ذراعه. كان هناك شيء غريب في طريقة كلام الممرض... شيء لم يتمكن أنطون من تحديده. ارتعش مجدداً بينما دخلت الحقنة في البشرة، وفي الصمت المطبق ظن أنه يسمع صريراً... صوت احتكاك الإبرة باللحم... تدفق السائل المعصور عبر الحقنة حين ضغط على المكبس.

- لقد عاش في أوسلو لعدة سنوات قبل أن يسافر، لكنه عاد في ما بعد. تقول الشائعات إن ذلك بسبب صبي مدمن على المخدرات.
- قصة حزينة.
- نعم. لكن، يبدو أنها ستنتهي نهاية سعيدة.
- لا يزال الوقت مبكراً على قول ذلك، فالكثير من المرضى الذين يكونون في غيبوبة ينتكسون فجأة.

تمكن أنطون من سماعها الآن ومعرفة الشيء الغريب في طريقة كلامه. كانت غير مسموعة تقريباً... اللدغة.

بعد أن غادرا الغرفة ومشى الممرض في الممر، عاد أنطون إلى المريض، وتفحص جهاز مراقبة دقات القلب، وأنصت إلى النبضات المتناغمة كإشارات صوتية لغواصة من أعماق المحيط. لم يكن يعرف ما الذي جعله يفعل ذلك، لكنه فعل ما فعله الممرض تماماً، وانحنى على وجه الرجل، وأغمض عينيه، وأحس بنفسه على وجنته.

ألتمان. كان أنطون قد ألقى نظرة على بطاقة الاسم قبل أن يغادر الممرض. كان اسم الممرض سيغورد ألتمان. كان كل ما لديه مجرد حدس، ومع ذلك قرر أن يتحقق من وضعه في اليوم التالي، فهو لا يريد أن ينتهي الأمر كما حدث في درامن... لن يرتكب أي أخطاء هذه المرة.

8

جلست كاترين برات واضعة قدميها على طاولة المكتب وسماعة الهاتف بين كتفها وأذنها، بينما كان غونار هاغن يجري مكالمة أخرى. مررت أصابعها على لوحة المفاتيح أمامها وهي تعلم أن وراءها، خارج النافذة تستحم بيرغن بأشعة الشمس، وأن الشوارع المبللة تتلألأ بفعل المطر الذي انهمر طوال الصباح ولم يتوقف إلا منذ عشر دقائق، وأنه وفقاً للمعدل الوسطي في بيرغن سيبدأ قريباً بالتساقط. لكن الآن هناك شعاع من الشمس، بينما تمنت كاترين برات أن ينتهي غونار هاغن من المكالمة الأخرى ليتمكن من إكمال الحديث معها. لم تكن تريد سوى تسليمه المعلومات التي لديها، والخروج من محطة شرطة بيرغن إلى الأوزون الأطلسي المنعش؛ الأفضل بكثير من الهواء الذي كان رئيسها السابق يتنشقه في تلك اللحظة داخل مكتبه شرق العاصمة، قبل أن يطلقه مجدداً على شكل صرخة ساخطة:

- ماذا تعني بأنه لا يمكننا الحديث معه؟ هل استفاق من الغيبوبة أم لا؟... نعم أُقدّر أنه في وضع حرج، لكن... ماذا؟

تمنت كاترين أن تكون الأيام الأخيرة التي مرت على هاغن قد حسّنت من مزاجه الذي يبدو أنه سيئ للغاية الآن. تفحصت الصفحات لتتحقق مما تعرفه مسبقاً.

- لا يهمني ما يقوله محاميه، ولا يهمني ما تقوله المستشارة أيضاً، كل ما يهمني الآن أنني أريد استجوابه فوراً!

سمعته كاترين برات وهو يضع السماعة مكانها بقوة، ثم عاد إليها. سألته:

- ما الأمر؟

- لا شيء.

- هل هذا هو؟

تنهد هاغن:

- نعم. إنه هو. لقد صحا من الغيبوبة، لكنهم ينومونه، ويقولون إن علينا الانتظار ليومين قبل أن نتكلم معه.

- أليس من الحكمة التقدم بحذر؟

- ربما، لكنْ كما تعرفين نحن بحاجة إلى بعض النتائج الآن. لقد أربكتنا جريمتا قتل رجلي الشرطة.

- يومان لن يشكّلا فارقاً كبيراً.

- أعرف... أعرف.. لكن، عليّ النباح قليلاً، فهذا جزء من الصعود إلى القمة. أليس كذلك؟

لم تكن لدى كاترين برات إجابة عن ذلك، فهي لم تهتم مطلقاً بأن تصبح رئيسة، وحتى لو كانت مهتمة فإنها تشك في أن المحققين الذين أمضوا الوقت في مصح نفسي سيكونون أول الواصلين حين يتم توزيع المناصب الكبيرة والعليا. لقد تغير تشخيص حالتها من اكتئاب جنوني، إلى اعتلال في الشخصية، إلى ثنائية القطب، وأخيراً سليمة؛ على الأقل طالما أنها تتناول الحبوب الوردية لتبقى متوازنة. يمكنهم انتقاد استخدام الحبوب في علم النفس كما يشاءون، لكنها تعني بالنسبة إلى كاترين حياة جديدة أفضل. غير أنها لاحظت أن رئيسها يراقبها باستمرار، وأنه لا يتم إعطاؤها أعمالاً أكثر من اللازم، وكان ذلك جيداً بالنسبة إليها، فهي تحب الجلوس في مكتبها الذي تعمه الفوضى مع جهاز حاسب خاص، ومع دخول حصري إلى محركات بحث حتى رجال الشرطة لا يعرفون عنها، والنظر والبحث وإيجاد أشخاص اختفوا عن سطح الأرض وتعقبهم، ورؤية أنماط حيث لا يرى الناس سوى الفرص. كان ذلك تخصص كاترين برات التي كانت لأكثر من مرة مفيدة لكريبوس وفرقة مكافحة الجرائم في أوسلو؛ مما جعلهم مضطرين للتعايش مع المجنونة.

- قلت إن لديك شيئاً لي.

- لم يكن لدينا عمل كثير في القسم خلال الأسابيع القليلة الماضية، مما أتاح لي الفرصة لألقي نظرة على قضيّتَي قتل رجُلَي الشرطة.

- هل أخبرك رئيسك في بيرغن...؟

- لا... لا... لا. فكّرت أن ذلك أفضل من التحديق إلى المواقع الخليعة والتحلي بالصبر.

- كلّي آذان صاغية.

أحست كاترين أن هاغن يحاول أن يبدو إيجابياً، لكنه لم يكن قادراً على إخفاء يأسه. لربما سئم من أن ترتفع آماله، ثم تتحطم في الأشهر التالية.

- لقد درست البيانات لأرى إن كانت هناك أي أسماء متكررة في جرائم الاعتداء الجنسي والقتل الأصلية في ماريدال وعند بحيرة تريفان.

- شكراً يا كاترين، لكننا قمنا بذلك أيضاً من دون أي طائل.

- أعرف، لكنني أعمل بأسلوب مختلف نوعاً ما كما ترى.

تنهد عميق.

- أكملي.

- لاحظت أن هناك فريقين مختلفين عمل كل واحد منهما على إحدى القضيتين باستثناء شرطيين من كريمتكنيسك، وثلاثة محققين عملوا على كلتا القضيتين. ولم تكن لدى أي من الخمسة صورة كاملة عمّن تم استدعاؤه للتحقيق، كما أن كلتا القضيتين طالتا، وكان ملف كل من القضيتين ضخماً.

- ضخم... يمكنك قول ذلك ثانية، كما أن من الصحيح أن لا أحد يمكنه تذكر كل ما حصل خلال التحقيق، لكن كل من تم استدعاؤه للتحقيق سُجِّل اسمه في نظام الشرطة المركزي.

- هذه هي الفكرة.

- ما هي الفكرة بالضبط؟

- حين يتم استدعاء الناس للتحقيق يتم تسجيلهم وتصنيف المقابلة وفقاً للقضية التي تم استدعاؤهم لأجلها. لكن في بعض الأحيان، تحصل أمور في الخفاء، كما هي الحال عندما يكون الشخص الذي يتم استجوابه في السجن؛ مما يجعل المقابلة غير رسمية في الزنزانة، ولا يتم تسجيل الشخص بما أنه مسجّل مسبقاً.

- لكن الملاحظات التي تستقى من المقابلة تبقى في ملف القضية.

- في الأحوال العادية نعم. لكن الأمر لا يكون على هذا النحو عندما تتعلق المقابلة بقضية أخرى يكون فيها هذا الشخص هو المشتبه الرئيس. على سبيل المثال، كانت جريمة القتل في ماريدال مجرد جزء بسيط من المقابلة كمحاولة روتينية، وعندها تم تصنيف المقابلة ضمن القضية الأولى مما يجعل من العسير ربط هذا الشخص بالقضية الثانية من خلال البحث.

- مثير للاهتمام. وهل وجدت...؟

- وجدت شخصاً تم استجوابه كمشتبه به رئيس في قضية الاعتداء في أليساند، حين كان معتقلاً بتهمة الهجوم ومحاولة الاعتداء على فتاة صغيرة في فندق في أوتا. وخلال المقابلة، تم سؤاله أيضاً عن قضية ماريدال، لكنهم قاموا في نهاية المطاف بتصنيف المقابلة ضمن قضية الاعتداء في أوتا. المثير للاهتمام هو أن هذا الشخص تم استدعاؤه أيضاً في قضية تريفان، لكن في هذه المرة بالطريقة المعتادة.

- ثم؟

ولأول مرة، تمكنت من سماع دلائل الاهتمام الحقيقي في صوت

هاغن.

- كانت لديه حجة غياب للقضايا الثلاث.

أحست كاترين بالهواء يتسرب من البالون الذي نفخته له.

- حسناً. هل لديك أي قصص مسلية أخرى من بيرغن تظنين أن عليّ سماعها اليوم؟

- هناك المزيد.

- لدي اجتماع خلال...

- تحققت من حجة غياب الرجل فوجدتها نفسها في القضايا الثلاث. شاهد أكد أنه كان في المنزل. كان الشاهد سيدة شابة تم اعتبارها في ذلك الوقت موثوقة؛ إذ لم يكن لديها أي سجل أو علاقة بالمشتبه به، سوى كونهما يسكنان في المنزل نفسه. لكنك إن تتبعت اسمها حتى المستقبل فستجد أشياء مثيرة للاهتمام.

- مثل ماذا؟

- مثل الاحتيال والاتجار بالمخدرات وتزوير الوثائق. وإذا تفحصت المقابلات أكثر، فستجد أنه تم استدعاؤها منذ ذلك الحين، وهناك موضوع مشترك بينهما... خمّن ما هو؟

- شهادة زور.

- لسوء الحظ، ليست من عادتنا النظر إلى القضايا القديمة تحت ضوء جديد... على الأقل القضايا القديمة والمعقدة كقضيتي ماريدال وتريفان.

- ما اسم المرأة؟

عاد الاهتمام إلى صوته.

- إرجا جاكوبسن.

- ألديك عنوانها؟

- نعم، فهي مدرجة في نظام تسجيل الشرطة... السجل الوطني وعدة سجلات أخرى...

- حسناً... إذاً، دعينا نقبض عليها الآن!

- كسجل الأشخاص المفقودين.

صمت مطبق من أوسلو. أحست كاترين برغبة بالذهاب في نزهة إلى قوارب صيد السمك في بريغين، وشراء كيس من رؤوس سمك القد، والتوجه إلى شقتها في موهلينبريس، وإعداد العشاء ببطء، ومشاهدة التلفاز، بينما يعاود المطر الهطول.

- عظيم. على الأقل أعطيتنا شيئاً نعمل عليه. ما اسم الرجل؟

- فالنتين غجيرتسين.
- وأين هو؟
- هنا الفكرة. لا يمكنني العثور عليه.
- أهو مفقود أيضاً؟
- ليس موجوداً على قائمة الأشخاص المفقودين، وهذا غريب؛ كما لو أنه تلاشى من على وجه الأرض. ليس هناك أي عنوان معروف، ولا أرقام هواتف مسجلة، ولا استخدام لبطاقة الائتمان، ولا حساب مصرفي مسجل. كما أنه لم ينتخب في الانتخابات الأخيرة، ولم يستقل قطاراً أو طائرة خلال السنة الماضية.
- هل جرّبت غوغل؟

ضحكت كاترين حتى أدركت أن هاغن لا يمزح.
- استرخ. سأجده.

أنهيا المكالمة، ونهضت كاترين وارتدت سترتها بسرعة فالغيوم في طريقها عبر جزيرة أسكوي. وبينما كانت على وشك إطفاء جهاز الحاسب، تذكرت شيئاً كان قد قاله لها هاري هول حول كيف أنه من المعتاد أن ينسى الإنسان أن يتحقق مما هو واضح أمام عينيه. كتبت بسرعة، وانتظرت ظهور الصفحة.

لاحظت الرؤوس تلتفت في المكتب المفتوح المشترك حين صدرت منها بعض الشتائم، لكنها لم تكترث لتؤكد لهم أنها لم تكن مجنونة. كالمعتاد كان هاري محقاً.

رفعت سماعة الهاتف، وضغطت على زر إعادة الاتصال، ليرد عليها غونار هاغن عند الرنة الثانية.
- ظننت أن لديك اجتماعاً.
- تم تأجيله. أنا أطلب من الموظفين العثور عن فالنتين غجيرتسين.
- لست بحاجة لذلك، فقد عثرت عليه للتو.
- حقاً؟
- ليس من الغريب أنه تلاشى عن وجه الأرض، فأنا أظن أنه قد تلاشى بالفعل عن وجه الأرض.
- أتقصدين...؟
- إنه ميت. آسفة على هذا الإزعاج من بيرغن. سأتوجه إلى المنزل، وأتناول رؤوس السمك وأنا أشعر بالخزي.

حين أنهيا المكالمة كانت السماء قد بدأت تمطر.

رفع أنطون ميتيت رأسه عن كوب القهوة بينما اندفع غونار هاغن إلى الممرّ المهجور تقريباً في الطابق السادس من مركز الشرطة. كان أنطون يحدق إلى المشهد المطل لبعض الوقت وهو يفكر ويتأمل في حقيقة أنه منذ زمن لم يفكر كيف يمكن أن يكون ذلك قد حصل. ربما هذا هو معنى أن يكون المرء عجوزاً، فقد فتح أوراقه ورآها، ولم يعد بإمكانه الحصول على أوراق جديدة. لذا، إنّ كل ما تبقى أمامه هو أن يلعب بالأوراق التي لديه بأفضل ما يمكنه، ويحلم بالأوراق التي كان من الممكن أن يحصل عليها.

قال غونار هاغن وهو يرتمي على الكرسي المقابل له:

- آسف على التأخير يا أنطون. لقد تلقيت مكالمة تحمل على الجنون من بيرغن. كيف الحال؟

هز أنطون كتفيه:

- لا أتوقف عن العمل، وأنا أشاهد الشباب وهم يتجاوزونني في طريقهم للقمة. حاولت منحهم بعض النصائح، لكنهم لا يرون أي سبب للإنصات لرجل في أواسط العمر لم يتمكن من النجاح. إنهم يظنون الحياة سجادة حمراء ممدودة أمامهم.

- وفي المنزل؟

هز أنطون كتفيه مجدداً:

- جيد. زوجتي تتذمر لأنني أعمل كثيراً، لكنني حين أبقى في المنزل فإنها تتذمر أيضاً. أيبدو ذلك مألوفاً؟

أصدر هاغن صوتاً مبهماً قد يعني أي شيء أراد المستمع أن يعنيه.

- أتذكر يوم زفافك؟

- نعم.

نظر هاغن إلى الساعة، ليس لأنه لا يعرف الوقت، وإنما كتلميح لأنطون.

- أسوأ شيء هو أنك تكون مخلصاً حقاً حين تقف هناك وتقول نعم للأبد.

وضحك أنطون ضحكة عديمة المعنى، وهز رأسه.

سأله هاغن:

- أهناك شيء محدد أردت سؤالي عنه؟

مرر أنطون إصبعه على أنفه:

- نعم. هناك ممرض أتى أثناء مناوبتي في الليلة الماضية. بدا مثيراً للريبة نوعاً ما، لكنني لا أعرف ما الأمر بالتحديد، لكنك تعرف أن المخضرمين أمثالنا يلاحظون هذه الأمور. لذا، تحققت منه، وتبيّن لي أنه كان متورطاً في قضية جريمة قتل قبل بضع سنوات، ثم تم إطلاق سراحه وتبرئته لكن...

- فهمت.

- ظننت أنه من الأفضل أن أكلمك عنه. إذ يمكنك الحديث مع إدارة المشفى لينقلوه.

- سأتولى الأمر.

- شكراً.

- شكراً. أحسنت صنعاً يا أنطون.

أومأ أنطون بسعادة لدى سماعه هاغن يشكره... كان سعيداً لأن رئيس فرقة مكافحة الجرائم كان الرجل الوحيد في الشرطة الذي يشعر بالامتنان نحوه، فهاغن هو من أنقذ أنطون بعد القضية، حين اتصل بمفوض الشرطة في درامن، وقال إنهم كانوا قاسين للغاية مع أنطون، وإن لم يكونوا بحاجة لخبرته فهم في حاجة ماسة له في مركز الشرطة في أوسلو. وهذا ما حصل بالفعل، حيث بدأ أنطون العمل في الطابق الأول في غرونلاند، لكنه بقي مقيماً في درامن وفقاً للشرط الذي وضعته لورا. وبينما استقل أنطون ميتيت المصعد المتجه إلى الطابق الأول، أحس بخطواته خفيفة، وبظهره منتصباً مع ابتسامة على وجهه، وأحس أن هذا قد يكون بداية شيء جيد. سيشتري بعض الأزهار لـ... تمهل... للورا.

حدقت كاترين من النافذة بينما كانت تضغط الرقم. كانت شقتها في ما يدعوه النروجيون الطابق الأرضي المرتفع، فقد كانت مرتفعة بما فيه الكفاية لكي لا ترى الناس وهم يمرون في الخارج ومنخفضة بما فيه الكفاية لترى قمم مظلاتهم. ووراء قطرات المطر المرتجفة على لوح النافذة في الرياح العاصفة، كان بإمكانها رؤية جسر بودفجورد الذي يصل البلدة بفجوة في الجبل على طرف لاكسيفاغ. لكنها كانت تنظر إلى شاشة تلفاز بقياس خمسين بوصة، حيث يقوم أستاذ كيمياء ومريض سرطان بصنع الميثامفيتامين والذي وجدته شيئاً مسلياً. كانت قد اشترت التلفاز متبعة شعارها الشخصي: لماذا ينبغي على الرجال غير المتزوجين شراء شاشات التلفاز الكبرى؟ كما قامت بترتيب أسطواناتها المضغوطة وتصنيفها وفقاً لمعايير

شخصية تحت مشغل الأسطوانات من نوع مارانتز. فعلى رف النوع الكلاسيكي، حجزت المساحة الأولى والثانية في أقصى اليسار لسانسيت بوليفارد وسينغينغ إن ذا رين، في حين أن الأفلام الأحدث على الرف الأسفل يتصدرها توي ستوري 3 . أما الرف الثالث فمخصص للأسطوانات التي لم تتبرع بها لاتحاد الرعاية الاجتماعية لأسباب عاطفية على الرغم من أنها نسختها على سواقتها. كان ذوقها في الموسيقى محدوداً: الروك المثير، والبوب التقدمي، وتفضل الأنواع البريطانية، وغالباً ديفيد بوي وسباركس وموت ذا هوبل وستيف هارلي ومارك بولان وسمول فيسز وموسيقى روكسي وسويد.

كان أستاذ الكيمياء يقدّم مشهداً عن الجدل المتكرر مع زوجته، فقامت كاترين بتسريع مشغل الأقراص المضغوطة ريثما تتصل ببتي.

- لون.

كان الصوت حاداً وشاباً، ولم يظهر الرد أكثر من اللازم. في النروج عدم إجابتك بالكنية يشير إلى أن هناك عائلة أكبر، وأن عليك تحديد أي فرد تريد. لكن في هذه الحالة، لم تكن لون سوى بتي لون الأرملة وابنها.

- أنا كاترين.

- كاترين! مضى زمن طويل... ماذا تفعلين؟

- أشاهد التلفاز وأنت؟

- لقد منيت بهزيمة في اللعب مع هذا الشاب الصغير، والآن أتناول الطعام بهدف الراحة... البيتزا.

فكّرت كاترين محاولة تذكر عمر ابنها الآن، لكنه بكل الأحوال كبير بما فيه الكفاية ليهزم أمه في اللعب. كم يمضي الوقت بشكل مرعب؟ كادت كاترين أن تضيف أنها تتناول الطعام بهدف الراحة أيضاً... رؤوس سمك القد، لكنها تذكرت أن هذه أصبحت كليشة تستخدمها النساء كعبارة ساخرة، وشبه كئيبة تستخدمها النساء العازبات بدلاً من الكلام بصراحة. إنها لا تظن أن بإمكانها الحياة من دون حرية مطلقة. خلال السنوات، كانت تفكر أحياناً أن عليها الاتصال ببتي لتبادل الحديث فحسب، كما كانت تفعل مع هاري، فهي وبتي شرطيتان غير مرتبطتين في العقد الثالث من عمرهما، ترعرعت كل منهما على يدي والد من رجال الشرطة، وتتمتعان بذكاء فوق المتوسط، وواقعيتان من دون أي أوهام أو رغبة بالحصول على أمير على فرس بيضاء... أو ربما ترغبان بالفرس إن كانت ستأخذهما إلى حيث تريدان الذهاب.

كان بإمكانهما الحديث عن الكثير من الأمور.

لكنها لم تكن تتصل بأحد مطلقاً إلا إن كان الأمر متعلقاً بالعمل بالطبع.

وكانتا متشابهتين في هذه الناحية أيضاً.

- أتصل بخصوص شخص يدعى فالنتين غجيرتسين... معتد ومتوفى. أتعرفين شيئاً عنه؟

- انتظري لحظة.

تمكنت كاترين من سماع نقر الأصابع على لوحة المفاتيح، ولاحظت أن هناك شيئاً آخر مشتركاً بينهما. كانتا دائماً متصلتين بالإنترنت.

- آه، هو... لقد رأيته عدة مرات.

أدركت كاترين أن صورته موجودة على شاشة بتي. كانوا يقولون إن التلافيف الدماغية المغزلية لدى بتي والمسؤولة عن التعرف على الوجوه تحوي جميع الأشخاص الذين كانت قد التقتهم سابقاً. كانت عبارة «أنا لا أنسى أي وجه على الإطلاق» صحيحة تماماً في ما يتعلق بها. كما كانوا يقولون إن باحثين في علم الدماغ قاموا بفحصها لكونها واحدة من أغرب ثلاثين شخصاً على وجه الأرض لديهم هذه القدرة الغريبة.

قالت كاترين:

- تم استجوابه حول قضيتي تريفان وماريدال.

- نعم، أذكر ذلك نوعاً ما، لكن يبدو أنه كانت لديه حجة غياب لكلتا القضيتين.

- أحد الأشخاص في المنزل الذي يقيم فيه أقسم إنه كان في المنزل في كلتا الليلتين. لكنني أتساءل إن كنتم قد أخذتم عينة من حمضه النووي؟

- لا أظن أننا سنقوم بذلك إن كانت لديه حجة غياب. في ذلك الزمن، كان تحليل الحمض النووي عملية معقدة وباهظة التكلفة، ولا نقوم بها سوى للمشتبه بهم الرئيسين، إن لم يكن لديهم شيء آخر.

- أعلم. لكن، ما إن أصبح لديكم قسم اختبار للحمض النووي في المعهد حتى بدأتم بفحص الحمض النووي للقضايا القديمة غير المحلولة... أليس كذلك؟

- نعم، لكن لم تكن هناك أي آثار بيولوجية في ماريدال أو تريفان. وإن لم أكن مخطئة، حصل فالنتين غجيرتسين على عقوبته وزيادة.

- حقاً؟

- نعم. تم قتله.

- علمت أنه ميت، لكن لم...

- نعم بالطبع. بينما كان في سجن إيلا تم العثور عليه في زنزانته مضروباً ومهشماً. لا يحب السجناء الأشخاص المعتدين على الفتيات الصغيرات. لكن، لم يتم القبض على المذنب مطلقاً، كما أنني لست متأكدة من أن أحداً بذل قصارى جهده للعثور على الفاعل.

صمت.

- آسفة... لم أتمكن من مساعدتك، لكنه يريدني أن ألعب وأُجرّب حظي الآن. لذا...

- آمل أن يعود.

- ما هو؟

- حظك.

- بالضبط.

- شيء أخير. أرغب بالحديث مع إرجا جاكوبسن... المرأة التي شهدت لصالح فالنتين. إنها الآن مفقودة، لكنني أقوم ببعض البحث.

- حسناً؟

- ليست هناك أي تغييرات في العنوان أو دفعات ضرائب أو دفعات الضمان الاجتماعي أو الشراء ببطاقة الائتمان، كما لا توجد أي رحلات أو مكالمات بالهاتف المحمول. إن كان النشاط معدوماً لهذه الدرجة فهذا يعني أن الشخص واحد من اثنين... أحدهما أنه ميت - وهو الأكثر شيوعاً - لكنني وجدت شيئاً... اليانصيب. تم تسجيلها بقيمة عشرين كرونر.

- أتلعب اليانصيب؟

- ربما كانت تأمل أن يعود حظها. في كل الأحوال، هذا يعني أنها من النوع الثاني.

- وهو؟

- إنها تبذل قصارى جهدها كي لا يتم العثور عليها.

- والآن، تريدين مني أن أساعد في العثور عليها؟

- حصلت على آخر عنوان معروف لها في أوسلو، وعنوان الكشك الذي اشترت منه بطاقة اليانصيب، وعلمت أنها كانت منتشية من المخدرات.

- حسناً... سأتحقق من مخبرينا السريين.

- شكراً.

- حسناً.

صمت.

- هل من شيء آخر؟
- لا... نعم... ما رأيك بسينغينغ إن ذا رين؟
- لا أحب الموسيقى. لماذا؟
- من الصعب العثور على توأم روح... ألا تظنين ذلك؟
- صحيح... لنتكلم عن ذلك يوماً ما.

أنهتا المكالمة.

كان أنطون جالساً شابكاً ذراعيه وهو ينصت للصمت وينظر إلى آخر الممر.

الآن منى في الداخل مع المريض، وستخرج قريباً وتبتسم له تلك الابتسامة العابثة، وقد تضع يدها على كتفه، وتداعب شعره، وربما تقبله قبلة عابرة ليشمّ رائحة النعناع، ثم تمشي عبر الممر وهي تهز خصرها بتلك الطريقة المثيرة. ربما هي لا تتقصد فعل ذلك، لكنه يحب أن يفكّر في أنها تتقصد ذلك... إنها تشد عضلاتها، وترفع مؤخرتها وتتمايل في مشيتها لأجله... لأجل أنطون ميتيت. نعم، هناك الكثير ليشعر بالامتنان لأجله حسب ما قالوه.

نظر إلى ساعة يده... سيتم تغيير المناوبة عما قريب. كان على وشك التثاؤب حين سمع صرخة.

كان ذلك كافياً بالنسبة إليه ليقفز على قدميه، ويفتح الباب، ويتفحص الغرفة من اليسار إلى اليمين، ويتأكد من أن منى والمريض هما الوحيدان هناك.

كانت منى واقفة بجوار السرير فاغرة فمها من دون أن ترفع نظرها عن المريض.

- أهو...؟

لكنه لم يكمل العبارة حين سمع الصوت... كان صوت جهاز مراقبة نبضات القلب حاداً، والصمت مطبقاً، حيث كان بإمكانه سماع الصفير القصير والمنتظم من الممر.

وضعت منى رؤوس أصابعها على نقطة التقاء الترقوة بعظم القص التي تدعوها لورا حفرة الجوهرة؛ لأنها المكان الذي يرقد فيه القلب الذهبي الذي أعطاه للورا في ذكرى زواجهما. ربما يكون هذا المكان أيضاً مركز الراحة بالنسبة إلى المرأة حين تخاف أو تتعب أو تنقطع أنفاسها؛ لأن

منى كانت تضع أصابعها في النقطة نفسها بالضبط، كما لو أن هذه النقطة لدى منى ولورا تسترعي كامل انتباهه. وحتى حين التفتت منى إليه، وهمست كما لو أنها خائفة من إيقاظ المريض، بدت الكلمات وكأنها قادمة من مكان آخر.

- لقد تكلم... لقد تكلم.

لم يستغرق الأمر من كاترين أكثر من ثلاث دقائق لتتسل عبر الممرات الخلفية المؤدية إلى نظام منطقة شرطة أوسلو. لكن، كان من الصعب العثور على أشرطة المقابلات لقضية الاعتداء في فندق أوتا. كانت عملية البرمجة المفروضة على جميع تسجيلات الصوت والفيديو لتحويلها إلى رقمية قيد الإنجاز، لكن الأمر مختلف مع الفهرسة، حيث جرّبت كاترين جميع كلمات البحث التي أمكنها التفكير بها: فالنتين غجيرتسين، فندق أوتا، اعتداء جنسي، وغيرها... لكن من دون طائل، وكادت تستسلم حين ملأ الغرفة صوت رجل حاد.

- كانت تسأل عنه... أليس كذلك؟

أحست كاترين بصدمة كهربائية تمر عبر جسدها؛ كما حصل معها حين كانت تجلس مع والدها في القارب، وأعلمها بهدوء أنه قد لُدِغ. لا تعرف لماذا، لكنها عرفت أن هذا هو الصوت... هذا هو.

قال صوت آخر منخفض ومتملق... صوت شرطي يضغط للحصول على نتيجة:

- مثير للاهتمام... ما الذي يجعلك تقول هذا؟

- لقد سألوا عنها أليس كذلك؟ بطريقة أو بأخرى، ثم شعروا بالخزي وأبلغوا الشرطة... لكنك تعلم كل ذلك.

- إذاً، تلك الفتاة في فندق أوتا كانت تسأل عنه. أهذا ما كنت تقوله؟

- كان من الممكن ذلك.

- لو لم تعتدي عليها قبل أن تسنح لها الفرصة؟

- لو كنت هناك.

- لقد اعترفت للتو أنك كنت هناك في تلك الليلة يا فالنتين.

- لأدفعك لوصف الاعتداء بتفاصيل أكثر. من الممل نوعاً ما الجلوس في زنزانة، وعليك أن تضيف بعض الإثارة ليومك قدر المستطاع.

صمت.

ثم صدرت ضحكة فالنتين الحادة. ارتعشت كاترين، وشدّت عليها سترتها الصوفية.

- تبدو كشخص منزعج... ما هذه التعابير يا حضرة الشرطي؟

أغمضت كاترين عينيها، وتذكرت وجهه.

- دعنا نترك قضية أوتا جانباً لبعض الوقت. ماذا عن الفتاة في ماريدال يا فالنتين؟

- ماذا عنها؟

- كنت أنت... أليس كذلك؟

ضحكة مدوية هذه المرة.

- عليك التدرّب على هذه العبارة أكثر أيها الشرطي. ينبغي أن تكون مرحلة المواجهة في المقابلة كلكمة لا كتربيت على الرأس.

تمكنت كاترين من ملاحظة أن مفردات فالنتين مختلفة عن مفردات معظم السجناء.

- أتنكر ذلك إذاً؟

- لا.

- لا؟

- لا.

تمكنت كاترين من الإحساس بالإثارة، بينما أخذ الشرطي نفساً عميقاً وقال بتماسك صعب:

- أيعني ذلك... أنك تعترف بارتكاب الاعتداء الجنسي والقتل في ماريدال في سبتمبر؟

على الأقل كانت لديه الخبرة الكافية ليحدد ما كان يأمل أن يجيب عليه فالنتين بالإيجاب لكي لا يدعي محامي الدفاع في ما بعد أن المتهم قد أساء فهم أي قضية كانا يتكلمان عنها. لكن، كان بإمكانها أيضاً سماع الابتهاج في صوت الرجل الذي يتم استجوابه وهو يجيب:

- يعني ذلك أنني لست مضطراً للإنكار.

- ما الذي...

- يبدأ بحرف الحاء وينتهي بالباء.

صمت قصير.

- كيف يمكنك إخباري فجأة أن لديك حجة غياب لتلك الليلة يا فالنتين؟ لقد مضى زمن طويل.

- لأنني كنت أفكّر في الأمر حين أخبرني. ما الذي كنت أفعله في

تلك اللحظة؟

- من أخبرك بماذا؟
- الرجل الذي اعتدى على الفتاة.

صمت طويل.

- أتعبث معنا يا فالنتين؟
- ماذا تظن يا زاشريسون؟
- ما الذي يجعلك تظن أن هذا اسمي؟
- سناريلفين 41 ... صحيح؟

صمت أكثر. المزيد من الصمت وصوت فالنتين:

- تبدو مستاءً للغاية.
- من أين علمت بأمر الاعتداء؟
- هذا سجن للمنحرفين أيها الشرطي. عم تظننا نتكلم؟ شكراً على مشاركتي هذه القصة... لكنه لم يكن يعلم أنه كان يكشف عن الكثير من المعلومات، إلا أنني قرأت الصحف، وأتذكر القضية جيداً.
- إذاً، من هو يا فالنتين؟
- إذاً، متى يا زاشريسون؟
- متى؟
- متى يمكنني الخروج إن وشيت به؟

أحست كاترين بالرغبة بالإسراع لتجاوز الصمت المتكرر.

- سأعود بعد قليل.

صرير كرسي، وإغلاق باب بهدوء.

انتظرت كاترين وهي تسمع أنفاس الرجل، وتشعر بشيء غريب. كانت تجد صعوبة في التنفس كما لو أن أنفاسه الصادرة من مكبر الصوت تمتص الحياة من غرفة جلوسها.

لم يبتعد الشرطي لأكثر من دقيقتين، لكنها بدت كنصف ساعة.

صرير كرسي ثم قال:

- حسناً.
- كان ذلك سريعاً. وهل سيتم تخفيف حكمي أيضاً؟
- أنت تعلم أننا غير مسؤولين عن إصدار الحكم يا فالنتين، لكننا سنتكلم مع القاضي. إذاً، ما هي حجة غيابك؟ ومن الذي اعتدى على الفتاة؟
- كنت في المنزل طوال الليل مع صاحبة المنزل. وما لم تكن تعاني

من الزهايمر فإنها ستؤكد الأمر.

- كيف يمكنك تذكّر ذلك؟

- أنا معتاد على تدوين تواريخ عمليات الاعتداء الجنسي. فحين لا تجدون الرجل المحظوظ فوراً أعلم أنكم ستأتون عاجلاً أم آجلاً وتسألونني عن مكاني وقت وقوع الجريمة.

- حسناً. والآن السؤال الأهم... من الذي فعل ذلك؟

تم لفظ الإجابة ببطء وبأسلوب دقيق وواضح:

- جوداس جوهانسن. تعرفه الشرطة منذ زمن كما يقولون.

- جوداس جوهانسن؟!

- أتعمل على الرذيلة ولا تميز اسم معتدٍ شهير يا زاشريسون؟

صوت تحريك أقدام:

- ما الذي يجعلك تظن أنني لا أميز الاسم.

- تعابير وجهك جوفاء كالفضاء الخارجي يا زاشريسون. جوهانسن يملك أكبر موهبة في الاعتداء منذ... منذ وقتي، كما يوجد قاتل بداخله. إنه لا يعرف ذلك، لكن الأمر مجرد مسألة وقت حتى يستيقظ القاتل... صدقني.

تخيلت كاترين أنها سمعت صوت إطباق الشرطي فكّه، وأنصتت للصمت المطبق. ظنت أن بإمكانها سماع نبض الشرطي وهو يتسارع، ورؤية العرق يتصبب من حاجبيه وهو يحاول كبح إثارته وأعصابه؛ لكونه يعرف أنه قريب من اللحظة... الفتح العظيم... الريشة في قبعة المحقق.

تلعثم زاشريسون:

- كيف...

لكن، تمت مقاطعته بعواء شوهه مكبر الصوت، وأدركت كاترين في النهاية أنه كان ضحكاً... ضحك فالنتين. خفت العواء الحاد تدريجياً وتحوّل إلى نشيج طويل ولاهث.

- إنني أسخر منك يا زاشريسون. جوداس جوهانسن سجين. إنه في الزنزانة المجاورة لزنزانتي.

- ماذا؟

- أتريد سماع قصة أكثر إثارة للاهتمام من القصة التي أتيت بها؟ قام جوداس بمداعبة صبي صغير، فأمسكت به الأم بالجرم المشهود. ولسوء حظ جوداس، كان الصبي صغيراً، والعائلة ثرية ومحافظة. لذا، فقد أبلغوا عن جوداس بتهمة الاعتداء الجنسي. جوداس! الذي لم يؤذ ذبابة من قبل... أو إنها كانت بعوضة؟ ذبابة... بعوضة... ذبابة... بعوضة. بكل الأحوال، ما

رأيك بتولي هذه القضية إن حصلت على معلومات إضافية؟ يمكنني إخبارك شيئاً أو شيئين عما كان يفعله الصبي منذ ذلك الحين.

سُمِع صرير الكرسي على الأرض، وصوت ارتطامه بالأرض، ونقرة ثم صمت. تم إطفاء جهاز التسجيل.

جلست كاترين تحدّق إلى شاشة الحاسب، ولاحظت أن الظلام قد خيّم في الخارج كما بردت رؤوس سمك القد.

قال أنطون ميتيت:

- نعم... نعم! لقد تكلم!

كان أنطون ميتيت واقفاً في الممر، وواضعاً الهاتف على أذنه، وهو يتحقق من بطاقتي تعريف طبيبين وصلا. كان وجهاهما يظهران مزيجاً من الانزعاج والمفاجأة... بالتأكيد يمكنه تذكرهما.

أشار لهما أنطون بالدخول فأسرعا إلى المريض.

سأل غونار هاغن عبر الهاتف:

- لكن، ما الذي قاله؟
- لقد سمعته يتمتم شيئاً، لكنها لم تفهم ما قاله.
- أهو مستيقظ الآن؟
- لا. لم يكن هناك سوى بعض التمتمة، ثم صمت مجدداً. لكن الأطباء يقولون إنه قد يستيقظ في أي لحظة.
- حسناً. أبقني على اطلاع، واتصل بي في أي وقت.
- حسناً.
- جيد... جيد. لدى المشفى أوامر صارمة بالاتصال بي أيضاً ما إن يحدث ذلك. لكن... كما ترى لديهم أمور يهتمون بها.
- بالطبع.
- نعم. أليس كذلك؟
- نعم.
- نعم.

أنصت أنطون للصمت... أهناك شيء يريد غونار هاغن أن يقوله؟ لكن رئيس فرقة مكافحة الجرائم أنهى المكالمة.

9

هبطت كاترين في غاردموين في تمام التاسعة والنصف، وركبت قطار المطار الذي قادها عبر أوسلو أو بدقة أكبر تحت أوسلو. كانت قد عاشت هنا، لكن النظرات الخاطفة التي لمحتها في المدينة لم تثر لديها أي مشاعر... خط أفق على شكل نصف قلب، ومرتفعات منخفضة وطبيعية وناعمة ومغطاة بالثلج، والريف الأليف. داخل القطار، كانت الوجوه المنغلقة والخالية من التعابير من دون أي تفاعلات عادية أو عفوية بين الغرباء كما اعتادت في بيرغن. ثم كان هناك فشل بارز في أحد أكثر الخطوط باهظة التكلفة في العالم؛ حيث توقف القطار ساكناً في النفق الأسود المظلم.

كانت قد بررت طلبها القيام برحلة إلى أوسلو بأن هناك ثلاث قضايا اعتداء جنسي غير محلولة في منطقة الشرطة لديهم - هوردالاند - وهي تشبه نوعاً ما القضايا التي كان من الممكن أن يكون فالنتين وراءها. وناقشتهم أنه إن أمكن اعتقال فالنتين بسبب هذه القضايا، فسيساعد ذلك كريبوس وشرطة أوسلو على نحو غير مباشر في حل قضيتَي قتل رجلَي الشرطة.

سألها رئيس فرقة مكافحة الجرائم في بيرغن نوت مولر نيلسن:

- ولم لا نترك الأمر لعناصر شرطة أوسلو ليقوموا به بأنفسهم؟

- لأن نسبة حلهم للجرائم عشرون فاصلة ثمانية بالمائة، أما النسبة لدينا فأربعون فاصلة واحد بالمائة.

ضحك مولر نيلسن بصوت مرتفع، وعندها علمت كاترين أنها ستحصل على تذكرة الطائرة.

توقف القطار فجأة، لتتنهد وراءه المقطورات بفعل الراحة أو الانزعاج أو اليأس. نزلت في ساندفيكا، واستقلت سيارة أجرة إلى إكسماركا.

توقفت عند جوسينغفين 33 ، وترجلت من السيارة إلى الجليد الرمادي. وعلى الرغم من السور المرتفع الذي يطوق البناء والمشيد من الطوب الأحمر، لم يكن في مركز الاعتقال وسجن إيلا ما يشير إلى أنه يؤوي بعض أسوأ القتلة وتجار المخدرات والمعتدين الجنسيين في البلاد. يفيد نظام السجن أنه مؤسسة وطنية للسجناء الذكور الذين... يحتاجون لمساعدة خاصة.

مساعدة لكي لا يتمكنوا من الهرب... مساعدة لكي لا يؤذوا الآخرين... مساعدة في ما يعتقد علماء الاجتماع وعلماء الجرائم أنها أمنية يتشاركها

جميع الناس: أن يكونوا أشخاصاً صالحين ويسهموا في تنمية المجتمع.

كانت كاترين قد أمضت فترة كافية من الوقت في المصح النفسي في بيرغن، وهي تعرف كقاعدة عامة أن المنحرفين غير المجرمين لا يهتمون بخير المجتمع، وليست لديهم أي خبرات بأي أناس سوى بأصحابهم وأوهامهم، فهم يريدون أن يتم تركهم بسلام فحسب. لكن ذلك لا يعني بالضرورة أنهم يريدون ترك الآخرين بسلام.

مرت عبر القنوات الأمنية، وأظهرت بطاقة تعريفها الشخصية والتصريح الذي تلقته بالبريد الإلكتروني حتى وصلت إلى قاعة الاستقبال.

وجدت ضابطاً من شرطة السجن يقف بانتظارها مباعداً بين ساقيه، وشابكاً ذراعيه، وهو يعبث بمفاتيحه. كان متبجحاً، وثقته بنفسه زائفة؛ لأن الزائر من الشرطة... من الطبقة البرهمية بالقانون التي تتلقى معاملة خاصة من رجال الشرطة في السجن والحراس الأمنيين وحتى مسؤول مرأب السيارات.

تصرفت كاترين كما تفعل دائماً في مثل هذه الحالة: كانت أكثر أدباً وتودداً من طبيعتها الحقيقية.

قال السجان:

- أهلاً بك في المجارير.

كانت كاترين متأكدة من أنه لا يستخدم هذه العبارة مع العملاء العاديين، لكنه حضّرها بعناية مسبقاً ليشير إلى المزيج الصحيح من الفكاهة القاتمة والسخرية الواقعية تجاه وظيفته.

لكن كاترين فكّرت وهما يمشيان عبر ممرات السجن أو ما يمكن تسميتها أمعاء النظام في أن الصورة لم تكن غير ملائمة نوعاً ما. إذ يقسّم المكان حيث توجد السبل الهضمية الأفراد المذنبين إلى كتل بنية قذرة سيتم إطلاقها في فترة ما. كانت جميع الأبواب مغلقة، والممرات فارغة.

قال السجان وهو يفتح باباً حديدياً في نهاية الممر:

- وحدة المنحرفين.

- ألديهم وحدة خاصة بهم؟

- نعم. حين نضع جميع المعتدين الجنسيين في قسم واحد، فستقل فرص اعتداء جيرانهم عليهم.

- اعتداؤهم عليهم؟

- نعم. المعتدون الجنسيون مكروهون هنا، كما هم مكروهون في المجتمع، إن لم يكن أكثر. ولدينا هنا قتلة لا يسيطرون على أنفسهم مثلي

ومثلك. لذا في يوم سيئ...

ومرر مفتاحاً على حنجرته بإيماءة مسرحية.

- هل يتم قتلهم؟!

كان الرعب يملأ صوت كاترين، ثم تساءلت للحظة إن كانت قد تجاوزت الحدود، لكن لم يبد على السجان أنه لاحظ شيئاً.

- حسناً... قد لا يتم قتلهم، لكن الكثير من المنحرفين يتعرضون لكسور في أذرعهم أو سيقانهم، ويتذرعون بأنهم سقطوا عن السلم أو انزلقوا في الحمام. لا يمكنهم الإفصاح عن الحقيقة... أليس كذلك؟

أقفل الباب وراءهما، وتنشق الهواء:

- أيمكنك شم تلك الرائحة؟ إنها رائحة السائل المنوي على أجهزة التدفئة الساخنة... يجف مباشرة، لكن يبدو أن الرائحة تعلق بالمعدن، ومن المستحيل التخلص منها. تفوح رائحة كرائحة اللحم المحروق أليس كذلك؟

قالت كاترين وهي تتنشق:

- أنيسيان.

لكنها لم تشم سوى رائحة طلاء الجدران الحديث.

- ماذا؟

- في القرن السابع عشر، كان الناس يظنون أن المني يحوي أناساً صغاراً أي أنيسيان.

وحين رأت السجان يحملق، فكّرت في أنها قد أخفقت، إذ كان ينبغي عليها أن تتظاهر بالصدمة.

أسرعت مضيفة:

- إذاً. كان فالنتين مسجوناً هنا بأمان مع الآخرين المماثلين له؟

هزّ السجان رأسه بالنفي:

- أطلق أحدهم شائعة أنه اعتدى على فتاتين في ماريدال وتريفان؛ وهذا مختلف عن السجناء الذين تحرشوا بالأطفال الصغار. فالجميع - بمن فيهم المعتدون سيئو السمعة - يكرهون المعتدين جنسياً على الأطفال.

أجفلت كاترين، لكن هذه المرة لم يكن الأمر مصطنعاً، وإنما بسبب الطريقة العادية التي لفظ بها الكلمة.

- إذاً، هل تم التحقيق مع فالنتين؟

- يمكنك قول ذلك.

- وماذا عن هذه الشائعة... ألديك أي فكرة عمن أطلقها؟

قال السجان وهو يفتح الباب التالي:

- نعم... أنتم.
- نحن؟ الشرطة؟
- جاء شرطي إلى هنا مدعياً أنه يريد استجواب السجناء حول القضيتين، لكنني علمت أنه سرّب معلومات أكثر مما أخذ.

هزّت كاترين رأسها، إذ كانت قد سمعت بذلك... فهناك قضايا حيث تكون الشرطة متأكدة من أن السجين مذنب بالاعتداء على طفل، لكنها لا تتمكن من إثبات ذلك، فتضمن أن يحصل على عقابه بطريقة أو بأخرى. ليس عليك سوى إخبار السجين الصحيح الأكثر قوة أو الأقل سيطرة على نفسه.

- وهل قبلت بذلك؟

هزّ السجان كتفيه:

- وماذا يمكن للسجان أن يفعل؟

ثم أضاف بصوت منخفض:

- وربما في تلك القضية بالذات لم نكن معارضين جداً...

مرا بغرفة الترفيه.

- ماذا تقصد؟
- كان فالنتين غجيرتسين سافلاً يملأه الشر. كانت لدينا شرطية هنا قام...
- أوه، أهلاً... ها أنت ذا.

كان الصوت ناعماً، فاستدارت كاترين لليسار لتجد رجلين يقفان إلى جانب لوح السهام. لقيت نظرة باسمة من الرجل الذي تكلم... رجل نحيل في العقد الثالث من العمر. كانت آخر خصل شعره الشقراء مصففة للخلف على رأس أحمر... فكّرت كاترين... مرض جلدي، أو هناك حجرة أشعة شمسية بما أنهم هنا بحاجة إلى مساعدة خاصة.

سحب الرجل السهام من اللوح ببطء وهو ينظر إلى عينيها:

- ظننت أنك لن تأتي إلى هنا مطلقاً.

ثم أخذ سهماً، ورماه إلى المركز الأحمر، وضحك وهو يلوي السهم للأعلى والأسفل، ويدفعه بعمق ثم سحبه للخارج، وأصدر أصواتاً بشفتيه. لم يضحك الرجل الآخر كما توقعت كاترين، وإنما راقب زميله بتعابير قلقة.

أمسك السجان بكاترين من تحت إبطها ليسحبها بعيداً، لكنها رفعت ذراعها لتحرر نفسها، بينما عمل ذهنها بسرعة قصوى محاولاً البحث عن رد سريع.

- أليس هناك الكثير من مواد التنظيف في جيل شعرك؟

مشت وهي تعلم أنها حتى لو لم تصب عين الصقر فقد كانت قريبة منها، إذ انتشرت مسحة حمراء على وجه الرجل، ثم ابتسم ابتسامة عريضة وحياها.

سألت كاترين السجان وهو يفتح باب الزنزانة:

- أكان لدى فالنتين من يتكلم معه؟
- جوناس جوهانسن.
- أهو المدعو جوداس؟
- نعم. أمضى عقوبته بسبب إقدامه على الاعتداء على رجل.
- أين هو الآن؟
- هرب.
- كيف؟
- لا ندري.
- لا تدرون!
- اسمعي. هناك الكثير من الأشرار هنا، لكننا لسنا وحدة ذات أمن مشدد. في هذه الوحدة لدينا أشخاص لديهم أحكام مخففة، وهناك الكثير من الظروف التخفيفية في حكم جوداس، كما أن فالنتين كان هنا لمجرد محاولة الاعتداء جنسياً، أما المعتدون المتسلسلون فيبقون في مكان آخر. لذا، إننا لا نهدر مواردنا في حراسة السجناء لدينا. نقوم كل صباح بتفقد جميع الأسماء، وفي بعض الحالات يكون هناك أحد مفقود، فيعود الجميع إلى زنزاناتهم لنتمكن من معرفة الشخص الناقص. لكن، إن كان العدد صحيحاً فستعود الأمور لمجراها المعتاد، وهكذا عرفنا أن جوهانسن قد ذهب. لقد أرسلنا تقريراً بذلك إلى الشرطة. لم أفكّر كثيراً في الأمر إلا في ما بعد؛ حين واجهتنا القضية الأخرى.
- أتقصد...؟
- نعم. جريمة قتل فالنتين.
- إذاً، لم يكن جوداس هنا حين حصل الأمر.
- صحيح.
- من كان بإمكانه قتله برأيك؟
- لا أعرف.

هزّت كاترين رأسها، فقد كان الجواب جاهزاً وسريعاً.

- أعدك ألاّ أقول أي كلمة عن هذا الموضوع. من تظن أنه قتل

فالنتين؟

مص السجان أسنانه، وتفحص كاترين بعناية كما لو أنه يرى إن كان قد فوت شيئاً في فحصه الأولي.

- كان هناك الكثير من الناس هنا الذين يكرهون ويخافون فالنتين، وربما يكون بعضهم قد أدرك أنه إما هم أو هو؛ إذ إنه متعطش للانتقام. وبالطبع، إن الرجل الذي قتله متعطش للانتقام أيضاً، فقد كان فالنتين... كيف يمكنني أن أصفه؟

شاهدت كاترين حنجرة السجان ترتفع وتنخفض عند ياقته:

- تم تهشيم الجثة لتصبح هلامية. لم أكن قد رأيت شيئاً مشابهاً.

- هل تم ضربه بأداة حادة؟

- لا أدري، لكن ما يمكنني تأكيده هو أنه تم ضربه حتى أصبح من غير الممكن تمييزه، فقد أصبح الوجه كاللحم المفروم. ولولا الوشم على صدره، لست متأكداً إن كنا سنتمكن من التعرف عليه. لست من النوع الحساس، لكن بعد ذلك الحادث بدأت كوابيس مرعبة تراودني.

- ما نوع الوشم؟

- ما نوع؟

- نعم. مـ...

لاحظت كاترين أنها تبتعد عن دور الشرطية الودودة، فسيطرت على نفسها لئلا تظهر انزعاجها:

- عمّ كان الوشم؟

- لا أدري. كان هناك وجه شنيع مشدود من جميع الجوانب، كما لو كان عالقاً ويحاول الإفلات.

هزت كاترين رأسها ببطء:

- هل بدا كما لو أنه لا يمكنه الخروج من الجسد المسجون فيه؟

- نعم... صحيح... نعم... أتعرفين...؟

- لا.

لكنها كانت تعرف ذلك الشعور.

سألته:

- ألم تجدوا جوداس مجدداً؟

- أنتم لم تجدوا جوداس مجدداً.

- لا. لكن، لماذا لم نجده برأيك؟

هزّ السجان كتفيه:

- وما أدراني؟ كل ما أعرفه أن جوداس ليس من أولوياتكم. وكما قلت، كانت هناك ظروف تخفيفية، بالإضافة إلى أن مخاطر تكرير ما فعله ضئيلة. كانت مدة عقوبته على وشك الانتهاء، لكن لا بد أن الغبي أصيب بالحمى.

هزّت كاترين رأسها... حمى التسريح. حين يقترب الموعد، يبدأ السجين بالتفكير بالحرية، وفجأة لا يعود قادراً على احتمال الحبس ليوم آخر.

- أهناك أحد آخر هنا يمكنه إخباري عن فالنتين؟

هزّ السجان رأسه:

- باستثناء جوداس، لم يرغب أحد بالاقتراب منه، فقد كانوا يخافونه؛ كأن شيئاً ما يخيم على جو الغرفة حين يدخلها.

وقفت كاترين وهي تطرح المزيد من الأسئلة حتى أدركت أنها كانت تحاول تبرير الوقت وتذكرة الطائرة.

- لقد بدأت بإخباري عما فعله فالنتين.

- حقاً؟!

ونظر إلى ساعته.

- يا الله. لقد داهمنا الوقت عليّ...

في طريقهما للعودة عبر غرفة الترفيه، لم تر كاترين سوى الرجل النحيل ذي الرأس الأحمر يقف باستقامة واضعاً ذراعيه على جانبيه، ويحدّق إلى لوح السهام الفارغ. استدار ببطء، ولم تتمكن كاترين من منع نفسها من النظر إلى عينيه. كانت الابتسامة قد اختفت، وعيناه داكنتين ورماديتين كالسمك الهلامي.

صرخ أربع كلمات، وكررهما بصوت مرتفع وحاد كعصفور يحذر الآخرين من الخطر ثم ضحك.

- لا تقلقي حياله.

تلاشى الضحك وراءهما وهما يسرعان عبر الممر.

ثم أصبحت في الخارج تتنفس الهواء الرطب والماطر.

أخرجت هاتفها المحمول، وأطفأت مسجل الصوت الذي كان يعمل طوال فترة بقائها في الداخل، ثم اتصلت ببتي.

- انتهيت من إيلا. ألديك بعض الوقت الآن؟

- سأشغل آلة تحضير القهوة.

- آه. أليس لديك...؟

- أنت شرطية يا كاترين، وتشربين القهوة سريعة التحضير. أليس

كذلك؟

- اسمعيني. كنت أتناول الطعام سابقاً في مقهى سارة في تورغاتا، وأنت الآن بحاجة للخروج من مختبرك... سأدعوك على الغداء... أنا سأدفع.

- نعم ستدفعين.

- ماذا؟

- لقد وجدتها.

- من؟

- إرجا جاكوبسن. إنها على قيد الحياة... على الأقل إن أسرعنا.

اتفقتا على اللقاء خلال ثلاثة أرباع الساعة، وأنهتا المكالمة. وبينما كانت كاترين تنتظر سيارة أجرة شغّلت التسجيل وسرعته إلى الأمام؛ حتى وصلت إلى الصرخات المتكررة للرجل ذي الرأس الأحمر.

- فالنتين حي... فالنتين يقتل... فالنتين حي... فالنتين يقتل.

قال أنطون ميتيت وهو يندفع عبر الممر مع غونار هاغن:

- لقد استيقظ هذا الصباح.

نهضت سيلج عن كرسيها حين رأتهما قادمين.

قال أنطون:

- يمكنك المغادرة يا سيلج. سأتولى الأمر.

- لكن مناوبتك لا تبدأ إلا بعد ساعة.

- قلت لك يمكنك المغادرة. اعتبريها إجازة.

نظرت إلى أنطون نظرة تقييم، ثم تفحصت الرجل الآخر:

- غونار هاغن، رئيس فرقة مكافحة الجرائم.

قالت وهي تصافحه:

- أعرف من أنت. سيلج غرافسينغ. آمل أن أعمل لديك يوماً ما.

- عظيم. يمكنك البدء بتنفيذ ما طلبه منك أنطون.

أومأت لهاغن:

- أنت أحد قادتي، لذا بالطبع...

وشاهدها أنطون وهي توضّب أغراضها في حقيبتها.

- بالمناسبة، هذا آخر يوم لي في التدريب العملي، وعليّ الآن التركيز على امتحاناتي.

قال أنطون:

- سيلج شرطية متدربة.

قالت سيلج:

- طالبة في مدرسة الشرطة حسبما أصبحت تدعى الآن. كان هناك شيء آخر أفكّر فيه... رجال الشرطة رفيعو المستوى.

قال هاغن وهو يبتسم بخبث بسبب العبارة الطويلة التي استخدمتها:

- نعم؟

- هذا الأسطورة الذي عمل لحسابك... هاري هول. يقولون إنه لم يرتكب أي خطأ، وحلّ جميع القضايا التي حقق بها... أهذا صحيح؟

تدخل أنطون بسعال حذر، ونظر إلى سيلج، لكنها تجاهلته.

اتسعت ابتسامة هاغن الساخرة:

- أولاً، هل من الممكن أن تتركي قضايا غير محلولة من دون أن يعني ذلك أنك ارتكبت خطأ؟

لم تجب سيلج غرافسينغ.

- في ما يتعلق بهاري والقضايا غير المحلولة... إنهم محقون، لكن الأمر يتوقف على الطريقة التي تنظرين بها إلى الأمر.

- كيف تنظر إلى الأمر؟

- عاد من هونغ كونغ للتحقيق في جريمة قتل تم فيها اعتقال ابن حبيبته. وعلى الرغم من أنه تمكن من تبرئة أوليغ، وقام شخص آخر بالاعتراف، لكن جريمة قتل غاستو هانسن لم تحل مطلقاً بأي شكل من الأشكال.

قالت سيلج بابتسامة سريعة:

- شكراً.

- حظاً موفقاً بعملك.

راقبها وهي تسير عبر الممر، ليس لأن الرجال يحبون مشاهدة النساء الشابات الجذابات، وإنما ليخمن ما سيحصل خلال الثواني القليلة القادمة حسبما ظن أنطون الذي كان قد لاحظ عصبية رئيس فرقة مكافحة الجرائم. ثم استدار غونار هاغن نحو الباب المغلق، وأغلق أزرار سترته، ووقف على كعبي قدميه كلاعب تنس ينتظر رمية منافسه.

- سأدخل.

- تفضل، سأبقى هنا للحراسة.

- حسناً... حسناً.

خلال الغداء سألت بتي كاترين إن كانت قد أقامت علاقة مع هاري

في ذلك الوقت.

في البداية، شرحت بتي كيف تعرف أحد العملاء المتخفين على صورة المرأة التي أعطت حجج الغياب الكاذبة... إرجا جاكوبسن. كان قد قال إنها في الغالب تبقى في المنزل الذي تقطنه قرب ساحة ألكسندر كييلاند. كان المنزل يخضع للمراقبة بسبب بيع الأمفيتامين هناك. لكن رجال الشرطة لم يكونوا مهتمين بإرجا، فهي لم تكن تقوم بالاتجار، وإنما في أسوأ الحالات كانت تشتري.

ثم ابتعدت أحاديثهما عن العمل إلى حياة كل منهما الخاصة، ثم إلى الأيام الخوالي. واعترضت كاترين قليلاً حين ادعت بتي أن كاترين ذهبت بألباب نصف موظفي فرقة مكافحة الجرائم وهي تسير في الممر. وفي الوقت نفسه، فكّرت كاترين أن النساء يضعن بعضهن في هذا الموقف للتأكيد على جمالهن وخاصة إن كن غير جميلات. ولكن على الرغم من أن بتي لم تذهب بلب أحد لكنها لم تكن من النوع الذي يرمي سهاماً مسمومة أيضاً، فهي هادئة وخجولة، ومجدة، ومخلصة ولا تلجأ إلى الأساليب القذرة. لكن لا بد أن شيئاً ما قد تغير؛ ربما بسبب الشراب الذي تناولتاه. بكل الأحوال لم تكن من عادة بتي طرح مثل هذه الأسئلة الشخصية المباشرة.

كانت كاترين سعيدة لأن فمها كان ممتلئاً بالخبز حيث لم تتمكن سوى من هز رأسها.

قالت بعد أن ابتلعت ما في فمها:

- لكنني أعترف أن الفكرة راودتني. هل ذكر هاري شيئاً؟

قالت بتي وهي ترفع كأسها وترتشف القطرات الأخيرة:

- كان هاري يخبرني معظم الأشياء، لكنني كنت أتساءل إن كان يكذب حين أنكر أنكما...

لوحت كاترين طالبة الفاتورة:

- لماذا ظننت أننا قد نكون فعلنا ذلك؟

- رأيت الطريقة التي كنتما تنظران بها إلى بعضكما، وسمعت الأسلوب الذي كنتما تتكلمان به مع بعضكما.

- كنت أتشاجر أنا وهاري يا بتي.

- هذا ما كنت أعنيه.

ضحكت كاترين:

- ماذا عنك أنت وهاري؟

- مستحيل. إنه صديق رائع، ثم وجدت هالفورسن بالطبع...

هزت كاترين رأسها... شريك هاري... محقق شاب من ستينكجر. كان هالفورسن والد طفل بتي، وقد لقي حتفه أثناء تأديته عمله.

صمت.

- ماذا هناك؟

هزّت كاترين كتفيها، وأخرجت هاتفها المحمول، وشغّلت الجزء الأخير من التسجيل.

قالت بتي:

- هناك الكثير من المجانين في إيلا.

- لقد كنت مريضة نفسية أيضاً، مما يعني أنني أعرف ما هو الجنون. لكن ما لا أفهمه هو كيف عرف أنني هناك بسبب فالنتين.

كان أنطون ميتيت جالساً على كرسي وهو يراقب منى وهي تتجه نحوه مستمتعاً بالمنظر، ومفكراً في أنها قد تكون المرة الأخيرة.

كانت تبتسم من على بعد وهي متجهة إليه مباشرة. شاهدها وهي تضع قدماً أمام الأخرى كما لو كانت تمشي بخط مستقيم... ربما كانت هذه طريقتها في المشي، أو إنها تمشي هكذا من أجله. ثم وصلت إليه، ونظرت تلقائياً وراءها لتتأكد من أحداً لم يكن قادماً، ومررت يدها في شعره. ومن دون أن ينهض فرك ذراعيه بفخذيها ورفع نظره إليها.

- إذاً، ألديك مناوبة أيضاً؟

- نعم. لقد غادر ألتمان إلى جناح السرطان.

ابتسم أنطون:

- إذاً، سأراك أكثر.

- لا أظن ذلك، فالاختبارات تشير إلى أنه يتحسن بسرعة.

- لكننا سنلتقي في كل الأحوال.

قال ذلك بنبرة مازحة، لكنها لم تكن مزحة، وقد كانت تعرف ذلك. ألهذا تشنجت وبهتت ابتسامتها وأبعدته عنها وهي تنظر وراءها لتظهر أنها فعلت ذلك لأن أحداً قد يراهما؟ أفلتها أنطون.

- رئيس فرقة مكافحة الجرائم في الداخل الآن.

- ماذا يفعل هناك؟

- يتكلم معه.

- عن ماذا؟

- لا يمكنني القول.

قال ذلك بدلاً من لا أعرف... يا إلهي... يا له من أحمق!

في تلك اللحظة، فتح الباب وخرج غونار هاغن وتوقف ونظر من منى إلى أنطون ومن أنطون إلى منى كما لو أن هناك رسائل مشفرة على وجهيهما. احمرت وجنتا منى وهي تندفع عبر الباب وراء هاغن.

قال أنطون:

- إذاً؟

كان يحاول أن يبدو غير متأثر، ثم أدرك أن نظرة هاغن لم تكن نظرة شخص يفهم وإنما نظرة شخص لم يفهم. حدق بأنطون نظرة غامضة كشخص انهارت جميع معتقداته فجأة.

قال هاغن وهو يشير بإصبعه من فوق كتفه:

- ذلك الرجل هناك... أبق عينيك مفتوحتين عليه يا أنطون. أتسمعني؟ لا تبعد نظرك عنه.

سمعه أنطون يردد آخر كلمتين لنفسه وهو يمشي بخطى سريعة عبر الممر.

10

حين رأت كاترين الوجه من فتحة الباب ظنت في البداية أنهما قدمتا إلى المنزل الخطأ، وأن المرأة العجوز ذات الشعر الرمادي والوجه المرتخي لا يمكن أن تكون إرجا جاكوبسن.

سألتهما وهي تحملق بهما بارتياب:

- ماذا تريدان؟

أجابت بتي:

- لقد اتصلت بك قبل قليل. نرغب بالحديث عن فالنتين.

صفقت المرأة الباب في وجهيهما.

انتظرت بتي حتى تلاشى صوت حفيف الخطوات في الداخل، ثم ضغطت على مقبض الباب وفتحته.

كانت الملابس وأكياس النايلون معلقة على طول الممر... دائماً أكياس نايلون. لماذا يحيط مدمنو المخدرات أنفسهم بأكياس النايلون دائماً؟! تساءلت كاترين. لماذا يصرون على الاحتفاظ بكل ما يملكونه وحمايته ونقله في أكياس رقيقة وغير موثوقة؟ لماذا يسرقون المماسح والمشاجب وأدوات الشاي ولا يسرقون الحقائب؟

كانت الشقة قذرة لكنها ليست بالسوء الذي تكون عليه عادة مساكن المدمنين التي رأتها من قبل. ربما تكون لدى سيدة المنزل إرجا بعض المعايير حيث قررت القيام بالتنظيف بنفسها. وقد افترضت كاترين تلقائياً أنها ستكون وحيدة في هذه المحاولات. لحقت ببتي إلى غرفة الجلوس حيث كان هناك رجل مستلق ونائم على أريكة قديمة... لا شك أنه منتشٍ. فاحت من الغرفة رائحة العرق والدخان والخشب المتشرب للشراب ورائحة حلوة لم تتمكن أو لم ترغب كاترين بتحديدها. وعلى طول الجدار كانت الأغراض المسروقة في كومة فوق بعضها؛ من ألواح تزلج الأطفال في أكياس شفافة من النايلون عليها صورة فكي سمك القرش الأبيض الضخم نفسها، وآثار عضة سوداء على الحافة مما يوحي أن القرش قد عض قطعة منها. الله أعلم كيف سيستبدلونها بنقود.

توجهت بتي وكاترين إلى المطبخ حيث كانت إرجا قد جلست إلى الطاولة الصغيرة، وبدأت بلف سيجارة لنفسها. كانت الطاولة مغطاة بقطعة قماش صغيرة، وهناك وعاء سكر فيه أزهار اصطناعية على إفريز النافذة.

جلست كاترين وبتي مقابلها.

قالت إرجا وهي تومئ إلى السيارات في بوابة ويلاندز:

- إنها لا تتوقف أبداً.

كان صوتها خشناً كما توقعت كاترين بعد أن رأت الشقة ووجه المرأة التي كانت في أواخر العقد الثالث من العمر.

- إنها دائماً تتحرك. إلى أين يذهبون جميعاً؟

قالت بتي:

- إلى بيوتهم... أو إنهم يغادرون بيوتهم.

هزت إرجا كتفيها.

قالت كاترين:

- وأنت أيضاً غادرت البيت. العنوان في سجل...

- لقد بعت بيتي. لقد ورثته، لكنه كان كبيراً للغاية وكان...

ومدت لسانها الأبيض الجاف ومررته على ورق السيجارة، بينما أكملت كاترين العبارة في ذهنها... من المغري بيعه بعد أن أصبحت نقود الإعانة الحكومية غير كافية لاستهلاكها من المخدرات.

- كانت هناك الكثير من الذكريات السيئة.

سألت بتي:

- ما نوع تلك الذكريات؟

ارتعشت كاترين. كانت بتي خبيرة في التحقيقات لكنها غير خبيرة في تقنيات الاستجواب، وهي تلقي شبكة واسعة وتسأل عن كامل مأساة حياتها. ولا أحد يذكر هذه الأمور بالتفصيل أو ببطء أكبر من مدمن مخدرات يشعر بالشفقة على نفسه.

- فالنتين.

نهضت كاترين. ربما كانت بتي تعرف ما تفعله.

- ماذا فعل؟

هزت كتفيها مجدداً.

- لقد استأجر شقة القبو. كان... هناك.

- كان هناك؟

- أنت لا تعرفين فالنتين. إنه مختلف... إنه...

ضغطت على الولاعة لكن بلا جدوى.

- إنه...

وضغطت مجدداً.

اقترحت كاترين بنفاد صبر:

- هل كان مجنوناً؟
- لا!
ورمت إرجا السيجارة والولاعة بغضب.
شتمت كاترين نفسها... لقد بدت الآن كمبتدئة تسأل أسئلة غبية.
- الجميع يقولون إن فالنتين مجنون لكنه ليس كذلك!
ونظرت عبر النافذة إلى الشارع وأخفضت صوتها.
- إنه يفعل شيئاً للجو... هذا يخيف الناس.
سألتها بتي:
- هل ضربك؟
سؤال غبي آخر... حاولت كاترين لفت نظر بتي.
- لا. لم يكن يضربني وإنما يخنقني في حال عارضته. كان قوياً للغاية، حيث كان يضع يداً واحدة حول رقبتي ويضغط ويبقى على هذه الحال حتى يبدأ كل شيء بالدوران. كان من المستحيل تحريك يده.

افترضت كاترين أن الابتسامة التي بدأت بالظهور على وجه إرجا كانت نوعاً من السخرية حتى أكملت.
- ... لكن الغريب في الأمر أن ذلك كان يجعلني أشعر بالنشوة والإثارة.

نظرت كاترين باستغراب. كانت قد قرأت أن نقص الأوكسجين في الدماغ قد يؤدي لهذه النتيجة لدى بعض الناس... لكن مع معتدٍ جنسي؟
- ثم كنتما تقومان بعلاقة، أليس كذلك؟

سألت بتي وهي تنحني للأمام وتلتقط السيجارة عن الأرض وتشعلها، ثم ناولتها لإرجا التي وضعتها بسرعة بين شفتيها، وانحنت للأمام وامتصت اللهب غير الموثوق، ثم نفثت الدخان وارتمت للوراء على الكرسي، وبدت وكأنها تنفجر داخلياً؛ كما لو كان جسدها كيساً وقد أحرقته السيجارة محدثة ثقباً فيه.
- لم يرغب دائماً بذلك. كان أحياناً يخرج ويتركني جالسة بانتظاره وأنا آمل أنه سيعود عما قريب.

تمالكت كاترين نفسها لئلا تضحك أو تظهر ازدراءها بطريقة أو بأخرى.
- ماذا كان يفعل في الخارج؟
- لا أدري. لم يكن يقول شيئاً، وأنا...
هزت كتفيها مجدداً كما لو أنها تبدي موقفها من الحياة.

- ... ربما لم أكن أرغب في أن أعرف... هذا ما أفترضه.
سعلت بتي:
- لقد قدمت له حجة غياب عن الليلتين اللتين تم فيهما قتل الفتاتين... ماريدال و...
قاطعتها إرجا:
- نعم... نعم... نعم.
- لكنه لم يكن معك في المنزل كما ذكرت في المقابلات... أليس كذلك؟
- لا يمكنني أن أذكر. كنت قد تلقيت أوامر.
- أوامر بفعل ماذا؟
- طلب مني فالنتين القيام بذلك في المرة الأولى التي قمنا بعلاقة فيها. أخبرني أن الشرطة ستسألني هذه الأسئلة ما إن يتم الاعتداء جنسياً على أي أحد لمجرد كونه مشتبهاً به في قضية لم يتمكنوا من إثباتها عليه، وأنه إن لم تكن لديه حجة غياب في قضية جديدة فسيحاولون إلصاق التهمة به حتى لو كان بريئاً. قال إن الشرطة تفعل ذلك عادة مع الناس الذين يُظَنّ أنهم أفلتوا من العقاب في قضايا أخرى. لذا، علي أن أقسم إنه كان في المنزل في أي وقت يسألونني عنه، حيث قال إنه يريد أن نتجنب كلانا الكثير من المتاعب وإضاعة الوقت... بدا لي الأمر منطقياً حينها.
- وهل كنت تظنين حقاً أنه بريء من كل تهم الاعتداء الجنسي على الرغم من أنك كنت تعرفين أنه قد قام بالاعتداء مسبقاً؟
صرخت إرجا، ثم صدر صوت نخير من غرفة الجلوس:
- حقاً؟! لم أكن أعلم شيئاً.
كانت كاترين على وشك الضغط عليها حين أحست بيد بتي تضغط على ركبتها من تحت الطاولة:
قالت بتي بلطف:
- إن لم تكوني تعلمين شيئاً يا إرجا فلماذا تريدين الحديث معنا الآن؟
نظرت إرجا إلى بتي وهي تلتقط خيوطاً خيالية من التبغ عن حافة لسانها الأبيض، وفكرت ثم اتخذت قرارها.
- كان مداناً... أليس كذلك؟ بتهمة محاولة الاعتداء الجنسي. وحين كنت أنظف الشقة قبل تأجيرها لشخص آخر وجدت هذه... هذه...

وفجأة، ومن دون أي سابق إنذار بدا صوتها وكأنه يلتقي بجدار من الطوب ولا يمكنه الاستمرار.

- ... هذه...

واغرورقت عيناها الكبيرتان بالدموع.

- هذه الصور.
- أي صور؟
- فتيات... فتيات شابات... فتيات صغيرات. كانت أفواههن مربوطة بشيء...
- كمامة؟
- نعم... مكممة. كن يجلسن على كراسٍ أو أسرّة بينما ظهر الدم على ملاءة السرير.

قالت بتي:

- وفالنتين، هل كان يظهر في الصور؟

هزت إرجا رأسها بالنفي.

- إذاً، قد تكون زائفة. هناك صور اعتداءات جنسية منتشرة على الإنترنت يصورها محترفون للمهتمين بهذا النوع من الأمور.

هزت إرجا رأسها ثانية:

- لقد كن خائفات للغاية... كان ذلك واضحاً في أعينهن. لقد... تعرفت على الخوف نفسه الذي كان يراودني حين كان فالنتين يريد...
- ما تقصده كاترين هو أنه ليس بالضرورة أن يكون فالنتين من التقط الصور.
- الحذاء.
- ماذا؟
- كان لدى فالنتين حذاء طويل ومدبب بمشبك على الجانب. في إحدى الصور كان الحذاء ظاهراً على الأرض بجانب السرير، وعندها علمت أن ذلك حقيقي. كان بإمكانه القيام بكل ذلك كما قالوا لكن ذلك لم يكن أسوأ ما في الأمر...
- لم يكن أسوأ ما في الأمر؟؟!!
- يمكنك رؤية ورق الجدران وراء السرير، وقد كان ورق الجدران بالرسومات نفسها. لقد تم التقاط الصور في شقة القبو، وعلى السرير...

أغمضت عينيها لتنحدر منهما دمعتان صغيرتان.

سألتها كاترين:

- وماذا فعلت؟

- ماذا تظنين؟ لقد جئت إليكم! إلى الناس الذين كان من المفترض بهم حمايتي!

سألت كاترين وهي غير قادرة على إخفاء اشمئزازها:

- وماذا قلنا؟

- قلتم إنكم ستحققون في الأمر، وتوجهتم إلى فالنتين مع الصور لكنه تمكن بالطبع من تخليص نفسه من المأزق، حيث قال إنها كانت مجرد لعبة لم يتم فيها استخدام العنف مطلقاً، لكنه لا يستطيع تذكر أسماء البنات فهو لم يرهنّ مجدداً، وسأل إن كان أحد قد قام بتقديم شكوى ضده. وبما أن أحداً لم يكن قد تقدم بشكوى فقد توقفتم عند تلك النقطة... وهكذا انتهى الأمر بالنسبة لكم بينما كان قد بدأ للتو بالنسبة لي.

مررت إصبعاً نحيلة تحت كلتا عينيها كما لو أنها كانت تظن أنها تضع مساحيق تجميل قد لطختها.

- حقاً؟

- في إيلا يُسمَح للسجين بإجراء مكالمة هاتفية واحدة أسبوعياً، وقد تلقيت رسالة تخبرني أنه يريد الحديث معي لذا ذهبت لزيارته.

لم تكن كاترين بحاجة لسماع الباقي.

- كنت جالسة بانتظاره في غرفة الزوار، وحين جاء نظر إلي فشعرت كما لو أنه يلف يده حول رقبتي ويخنقني مجدداً، ولم أعد قادرة على التنفس. جلس وقال إنني إن نطقت بكلمة واحدة حول حجتَي الغياب لأي شخص فسيقتلني، وإن تحدثت مجدداً مع الشرطة لأي سبب فسيقتلني، وإن كنت أظن أنه سيبقى في الداخل طويلاً فإنني مخطئة، ثم نهض وغادر. كنت متيقنة من أنني طالما أعرف ما أعرفه فسيقتلني مهما حصل عند أول فرصة تسنح له. توجهت مباشرة إلى البيت، وأقفلت جميع الأبواب وبكيت من الرعب لثلاثة أيام. وفي اليوم الرابع اتصلت بي صديقة تريد اقتراض المال كما كانت معتادة، فقد كانت مدمنة على الهيروويين ثم على الفيولين. كنت معتادة على التسكع معها، لكنني في تلك المرة لم أقبل، وفي الليلة التالية جاءت إلى منزلي وساعدتني على أخذ أول حقنة من شيء تمنيت لو كنت أعرفه منذ بداية حياتي... يا إلهي... كم كان الأمر مريحاً... الفيولين... لقد أصلح كل شيء... لقد...

استطاعت كاترين رؤية بريق حب سابق في عيني المرأة المحطمة.

- ثم أدمنت أنت أيضاً وبعت المنزل...

- ليس لأجل المال فحسب... كان علي الهرب والاختباء منه... والتخلص من كل ما سيوصله إلي.

- توقفت عن استخدام بطاقة الائتمان، وانتقلت من دون إعلام السلطات، ولم تقبضي تعويض الضمان الاجتماعي.

- بالطبع.

- ولا حتى بعد أن مات فالنتين.

لم تجب إرجا، ولم ترمش عيناها، وإنما جلست ساكنة بينما تصاعد الدخان من عقب السيجارة المحترق بين أصابعها الصفراء. تذكرت كاترين حيواناً عالقاً تحت الأضواء الكاشفة.

قالت بتي بلطف:

- لا بد أنك ارتحت حين علمت بذلك؟

هزت إرجا رأسها تلقائياً كدمية.

- إنه ليس ميتاً.

علمت كاترين مباشرة أنها كانت تعني ما تقوله... ماذا كان أول ما قالته عن فالنتين؟ أنت لا تعرفين فالنتين... إنه مختلف... وليس كان مختلفاً.

أطفأت إرجا سيجارتها بالطاولة:

- لماذا تظنان أنني أخبركما بذلك؟ إنه يقترب يوماً تلو الآخر. يمكنني الشعور بذلك. في بعض الأيام أستيقظ صباحاً وأشعر بيده حول رقبتي.

أرادت كاترين أن تقول إن ذلك يدعى جنون الارتياب وهو يرافق الهيروين باستمرار، لكنها فجأة لم تعد واثقة من ذلك. وحين انخفض صوت إرجا إلى همس ناعم بينما تحركت عيناها بين الزوايا المظلمة للغرفة أحست كاترين بذلك أيضاً... اليد على رقبتها.

- عليكما إيجاده... أرجوكما... قبل أن يجدني.

نظر أنطون ميتيت إلى ساعته... السادسة والنصف. تثاءب... كانت منى قد دخلت لترى المريض مع الطبيب بضع مرات، ولا شيء آخر حدث. حين تجلس بهذا الشكل يكون لديك متسع من الوقت للتفكير... الكثير من الوقت لأن أفكارك تصبح سلبية بعد مدة. كان ذلك جيداً لو أن السلبية كانت شيئاً بإمكانه العمل عليه، لكن ليس بمقدوره تغيير قضية درامن أو قراره بعدم ذكر الهراوة التي وجدها في الغابة أمام مسرح الجريمة. لم يكن بإمكانه العودة والتراجع عن الأوقات التي آذى فيها لورا، كما لا

يمكنه العودة وإلغاء أول ليلة قضاها مع منى، ولا حتى ثاني ليلة.

جفل... ما كان ذلك؟ يبدو أنه قادم من الطرف الآخر من الممر. أنصت بحذر لكن الهدوء كان يعم المكان. كانت هناك ضجة؛ مع أنه باستثناء الطنين المنتظم لجهاز مراقبة دقات القلب لا ينبغي أن تكون هناك أي أصوات.

نهض أنطون على قدميه بصمت، وحل الشريط حول مسدسه، وأخرج السلاح وفتح صمام الأمان... أبق عينيك مفتوحتين عليه يا أنطون.

انتظر لكن أحداً لم يأت، ثم بدأ المشي ببطء في الممر وهو يركل جميع الأبواب في طريقه، لكنها كانت مقفلة كما يفترض أن تكون. انعطف عند الزاوية ورأى الممر التالي يمتد أمامه مضاءً بالكامل، لكنْ لم يكن هناك أحد أيضاً. توقف مجدداً وأنصت... لا شيء... ربما لا يكون قد سمع شيئاً... وأعاد المسدس إلى قرابه الجلدي.

لم يسمع شيئاً؟ أوه بلى... لقد سمع. هناك شيء شكل أمواجاً التقت العضو الحساس في كل من أذنيه وجعلته يرد قليلاً، لكن بما يكفي لتتلقى الأعصاب الرد وتنقل الإشارة إلى الدماغ. كانت حقيقة جيدة، لكنها قد تكون واحداً من آلاف الأشياء التي قد تسببها... فأرة أو جرذ أو مصباح ينفجر مصدراً صوتاً أو انخفاض الحرارة في الليل مما يؤدي إلى تقلص الخشب في المبنى أو طائر يطير قرب نافذة.

ولم يلحظ أنطون تسارع نبضه إلا حين بدأ يهدأ... ينبغي عليه ممارسة التمارين الرياضية مجدداً ليستعيد لياقته البدنية ويستعيد جسده الحقيقي.

كان على وشك العودة حين فكر أن عليه الآن تناول كوب من القهوة، فتوجه إلى آلة تحضير القهوة الحمراء، وأمسك بالعلبة الخضراء الوحيدة ذات الغطاء البراق. وهنا خطر بباله أن تكون الضجة صادرة عن أحد ما يتسلل ويحاول سرقة قهوته... ألم تكن هناك الكثير من علب القهوة البارحة؟ وضع العلبة في الآلة، لكنه لاحظ فجأة أنها كانت مثقوبة، أي مستخدمة... لا، لا يمكن أن تكون مستخدمة وإلا فسيكون على الغطاء رسم على شكل رقعة الشطرنج بعد أن يتم عصره. شغل الآلة لتبدأ بالطنين، ثم أدرك أنها خلال العشرين ثانية التالية ستطغى على أي ضجيج آخر. تراجع خطوتين إلى الخلف لكي لا يكون وسط الضجة.

وحين امتلأ الكوب تفحص القهوة... سوداء بقوام متماسك... لم يتم استخدام العلبة مسبقاً.

وحين قطرت القطرة الأخيرة إلى كوبه ظن أنه سمع الصوت ثانية... ضجة... الضجة نفسها... لكن، هذه المرة من الجانب الآخر من الممر، باتجاه غرفة المريض. هل فوت شيئاً في طريقه؟ نقل أنطون الكوب إلى يده اليسرى وأخرج مسدسه ثانية وعاد بخطى طويلة وثابتة محاولاً موازنة الكوب من دون أن ينظر إليه، وهو يشعر بالقهوة الساخنة تحرق يده. انعطف عند الزاوية... لا أحد. تنفس الصعداء وأكمل طريقه إلى كرسيه، وبينما كان على وشك الجلوس تجمد في مكانه وعاد إلى غرفة المريض وفتح الباب.

كان من المستحيل رؤيته فالوسادة تغطيه.

لكن الإشارة الصوتية لجهاز مراقبة ضربات القلب كانت ثابتة كالمعتاد، وكان بإمكانه رؤية الخط الممتد من اليسار لليمين على الشاشة الخضراء وهو يقفز مع كل طنين.

كان على وشك إغلاق الباب، لكن شيئاً ما دفعه لتغيير رأيه.

دخل وترك الباب مفتوحاً ودار حول السرير.

نظر إلى المريض.

كان هو نفسه.

قطب حاجبيه، وانحنى بالقرب من فمه... أيتنفس؟

نعم... ها هي الحركة في الهواء، والرائحة المثيرة للغثيان التي قد تكون ناتجة عن الأدوية.

خرج أنطون ميتيت وأغلق الباب وراءه ثم نظر إلى ساعة يده. شرب قهوته، ثم نظر إلى ساعة يده مجدداً ليلاحظ أنه كان يعد الدقائق، وأنه يريد أن تنتهي هذه المناوبة بسرعة.

قالت كاترين:

- من اللطيف أنه وافق على الحديث معي.

أجاب السجان:

- وافق؟! معظم الرجال في هذه الوحدة سيضحون بأيديهم اليمنى مقابل إمضاء بعض الدقائق بمفردهم مع امرأة. ريكو هيريم مغتصب محتمل... أمتأكدة من أنك لا تريدين أحداً معك؟

- أعرف كيف أهتم بنفسي.

- لقد قالت طبيبة الأسنان الكلام نفسه، لكنك على الأقل ترتدين سروالاً.

- سروالاً؟!

- كانت ترتدي تنورة وجوربين من النايلون الرقيق، بينما جلس فالنتين على كرسي طبيب الأسنان من دون وجود أي شرطي. ويمكنك تخيل ما حصل...

حاولت كاترين أن تتخيل.

- لقد دفعت ثمن ارتداء ملابس كالـ... حسناً... ها نحن ذا!

فتح باب الزنزانة وقال:

- سأبقى هنا. اصرخي فحسب إن كنت بحاجة لأي شيء.

قالت كاترين وهي تدخل:

- شكراً.

كان الرجل ذو الرأس الأحمر يجلس على كرسي دوار عند المكتب.

- أهلاً بك في مسكني المتواضع.

- شكراً.

- خذي هذا.

ونهض ريكو وحمل الكرسي لها، ثم عاد وجلس على السرير المرتب... مسافة جيدة. جلست وأحست بدفء جسده على الكرسي. وحين سحبت كاترين الكرسي وقرّبته منه تراجع إلى الوراء على السرير، فتساءلت إن كان من أولئك الرجال الذين يخشون النساء ولذلك لا يعتدي عليهن وإنما يشاهدهن ويعرض نفسه لهنّ ويتصل بهنّ ويقول لهنّ كل الأشياء التي يرغب بفعلها معهنّ لكنه لم يجرؤ بالطبع على فعلها. كان سجل ريكو هيريم مقيتاً أكثر من كونه مخيفاً.

قالت وهي تنحني للأمام بينما انكمش هو للخلف أكثر، حيث كانت لغة جسده دفاعية لكن ابتسامته لا تزال الابتسامة الفاحشة والكريهة والوقحة

نفسها:

- لقد صرخت لي وقلت إن فالنتين ليس ميتاً... ماذا تعني بذلك؟

- ماذا تظنين يا كاترين؟ إنه حي حسب ما أظن.

- تم العثور على فالنتين غجيرتسين ميتاً في السجن هنا.

- هذا ما يظنه الجميع. هل أخبرك الرجل في الخارج ما فعله مع طبيبة الأسنان؟

- شيء عن تنورة ونايلون... يبدو أنه شيء يوقد مخيلتك.

- ذلك يوقد مخيلة فالنتين، وأنا أعني ذلك حرفياً. لقد اعتادت على

القدوم إلى هنا يومين في الأسبوع، حيث كان الكثير من الناس هنا يشتكون من أسنانهم في ذلك الوقت. لقد استخدم فالنتين إحدى حفاراتها لإجبارها على خلع جوربيها النايلون وارتدائهما في رأسها، ثم عاشرها على كرسي طبيب الأسنان. لكنه قال في ما بعد إنها جلست هناك كحيوان مذبوح. لا بد أنها تلقت نصائح سيئة حول ما ينبغي عليها فعله في حال حصل شيء ما. ثم أخرج فالنتين ولاعته وأشعل النار في الجوربين... أرأيت كيف يذوب النايلون حين يحترق؟ هذا ما جعلها تصرخ وتقفز. لقد بقيت رائحة وجهها المقلي بالنايلون عالقة بالجدران لعدة أسابيع. لا أدري ما الذي حصل لها لكنني أظن أنها لن تخشى من الاعتداء عليها ثانية.

نظرت إليه كاترين... وجهه يشير إلى أنه تلقى الكثير من الضربات مما جعل ابتسامته كدفاع تلقائي.

سألت:

- إن لم يكن فالنتين ميتاً فأين هو؟

اتسعت الابتسامة، بينما سحب الوسادة على ركبتيه.

تنهدت كاترين:

- أرجوك يا ريكو أخبرني إن كنت أهدر وقتي هنا، فقد قضيت الكثير من الوقت في مؤسسات الصحة النفسية لدرجة أن الناس المجانين يشعرونني بالملل... مفهوم؟

- أتظنين أنني سأعطيك تلك المعلومات مقابل لا شيء أيتها الضابطة؟

- رتبتي هي محققة... ما السعر الذي تريده؟ أتريد حكماً مخففاً؟

- سأخرج الأسبوع القادم. أريد خمسين ألف كرونر.

انفجرت كاترين بضحكة عالية من كل قلبها بقدر ما يمكنها حتى رأت الحنق يتسلل إلى عينيه.

قالت وهي تنهض:

- إذاً لا يمكنني فعل شيء لك.

- ثلاثون ألفاً تكفي، فأنا مفلس وحين أخرج سأحتاج لتذكرة طائرة تأخذني إلى مكان بعيد.

هزت كاترين رأسها بالرفض:

- لا ندفع المال إلا حين تكون لدى المخبر معلومات تلقي ضوءاً جديداً على قضية... قضية كبيرة.

- وماذا إن كانت معلوماتي كذلك؟

- حينها علي الحديث مع رئيسي حول الأمر؛ لكنني كنت أظن أن

لديك ما تخبرني به. أنا لست هنا للتفاوض حول شيء لا أملكه.

ومشت نحو الباب ورفعت يدها لتطرقه.

- انتظري... يمكنني إخبارك شيئاً.

- ليس لدي شيء لك.

وطرقت كاترين الباب.

- أتعرفين ما هذه؟ ورفع أداة نحاسية اللون جعلت قلب كاترين يتوقف عن النبض؛ إذ ظنت لجزء من الثانية أنها مسدس، لكنها رأت في ما بعد أنها آلة وشم ارتجالية تنتأ من نهايتها إبرة.

- أنا رسام الوشوم هنا في هذه الوحدة... رسام بارع للغاية. أتعرفين كيف تعرفوا على الجسد الذي وجدوه هنا على أنه فالنتين؟

حدقت كاترين به... بالعينين الصغيرتين المليئتين بالكراهية... وبالشفتين الرقيقتين الرطبتين... وبالبشرة الحمراء المتوهجة تحت الشعر الخفيف... الوشم... وجه العفريت.

- ليس لدي أي شيء لك يا ريكو.

- يمكنك...

- ماذا؟

- يمكنك فتح زر قميصك لأتمكن من رؤية...

نظرت كاترين إليه غير مصدقة:

- أتعني...؟

ووضعت يديها تحت صدرها، وأحست بالحرارة تشع من الرجل في السرير.

سمعت صوت طرطقة المفاتيح في القفل في الخارج.

قالت بصوت مرتفع من دون أن تتفادى نظرات ريكو هيريم:

- أيها الشرطي... امنحنا بضع دقائق أخرى من فضلك.

سمعت صوت الطرطقة يتوقف، وسمعته يقول شيئاً، ثم تلاشت خطواته بعيداً.

بدت تفاحة آدم أمامها كجسم غريب يصعد وينزل تحت البشرة محاولاً الخروج.

- هيا.

- ليس حتى...

- لنتفق، سيبقى القميص مغلقاً، لكنني سأضغط على صدري لتتمكن من رؤية الشكل. وإن كان ما ستقوله لي جيداً...

- إنه جيد!
- حسناً... اسمعني.
- لقد وشمت صورة وجه العفريت على صدره.
- هنا؟ في السجن؟!

سحب ورقة من تحت الوسادة.

اقتربت كاترين منه.

- توقفي!

توقفت، ونظرت إليه، ورفعت يدها اليمنى وتحسست صدرها تحت القماش الرقيق لحمالة الصدر، ثم وقفت مقوسة ظهرها وتركته يرى وسمعت تنفسه يتسارع.

ناولها قطعة الورق فخطت للأمام وسحبتها ثم جلست على الكرسي.

كانت رسمة تعرفت عليها من وصف السجان... رأت وجه عفريت شنيع مشدوداً من جميع الجوانب كما لو كان معلقاً من وجنتيه وجبهته ويصرخ ألماً لكي يتحرر.

- كنت أظن أنه كان يضع هذا الوشم قبل سنوات من موته.
- لا يمكنني قول ذلك بالضبط.
- ماذا تقصد؟
- أقصد أنه حصل عليه بعد أن مات.

نظرت إليه ورأت عينيه لا تزالان معلقتين بقميصها:

- هل وشمت صدر فالنتين بعد أن مات؟! أهذا ما تقوله؟
- هل أنت صماء يا كاترين؟ فالنتين ليس ميتاً.
- لكن... من...؟
- زران.
- ماذا؟
- افتحي زرين.

فتحت ثلاثة أزرار، وسحبت قميصها إلى الجانب، وتركته يرى حمالة صدرها.

- جوداس... لقد وشمت صدر جوداس. لقد أخفاه فالنتين في خزانته لثلاثة أيام... حبسه في خزانته... أيمكنك أن تتخيلي؟

- جوداس جوهانسن!

- ظن الجميع أنه هرب، لكن فالنتين كان قد قتله وأخفاه في الخزانة. لا أحد يبحث عن رجل في خزانة... صحيح؟ كان فالنتين قد ضربه

كثيراً، لدرجة أنني تساءلت إن كان حقاً جوداس... إذ بدا كاللحم المفروم. كان من الممكن أن يكون أي أحد آخر. كان الشيء الوحيد الباقي قطعة واحدة هو الصدر حيث يفترض بي أن أرسم الوشم.

- جوداس جوهانسن. إنه صاحب الجثة التي وجدوها.

- والآن، بما أنني أخبرتك أصبحت في عداد الأموات أيضاً.

- لكن، لماذا قتل جوداس؟

- كان فالنتين مكروهاً في الداخل لأنه تحرش بفتيات أصغر من عشر سنوات، ثم جاءت قصة طبيبة الأسنان. كان الكثير من الناس هنا يحبونها وكذلك الحراس... كان الأمر مجرد مسألة وقت قبل أن يتعرض لحادث... جرعة مفرطة تجعل الأمر يبدو كانتحار... لذا قام بشيء حيال ذلك.

- كان بإمكانه الهرب فحسب.

- كانوا سيجدونه، لذا توجب عليه أن يجعل الأمر يبدو كما لو أنه ميت.

- وصديقه جوداس...

- فالنتين ليس مثلنا يا كاترين.

تجاهلت كاترين شمله نفسه في المقارنة:

- لماذا أردت إخباري بذلك؟ فقد كنت مشتركاً في الجريمة.

- لم أفعل شيئاً سوى الوشم على جثة رجل ميت، كما أن عليكم القبض على فالنتين.

- لماذا؟

أغمض صاحب الرأس الأحمر عينيه:

- راودتني مؤخراً الكثير من الأحلام يا كاترين. إنه قادم... سيعود إلى الحياة، لكن عليه في البداية أن يتخلص من ماضيه... من كل من سيقف في طريقه... من كل من يعرف... وأنا واحد منهم. سيتم إطلاق سراحي الأسبوع القادم... عليكم إلقاء القبض عليه...

- ... قبل أن يصل إليك.

كانت كاترين تحدق من دون أن ترى الرجل أمامها، وهي تتخيل المشهد الذي صوره ريكو، حيث وشم جثة شخص مات منذ ثلاثة أيام لدرجة أنها لم تدرك أو تسمع أو ترى شيئاً؛ حتى أحست بقطرة صغيرة على رقبتها وسمعت حشرجته المنخفضة ونظرت للأسفل، ثم قفزت عن الكرسي وتعثرت باتجاه الباب وهي تشعر بالغثيان.

استيقظ أنطون ميتيت.

كان قلبه يدق بسرعة وهو يتنشق الهواء.

رمش مرتبكاً للحظات حتى تمكن من التركيز.

نظر إلى الجدار الأبيض أمامه وهو جالس على الكرسي مسنداً رأسه على الجدار وراءه... لقد غط في النوم... غط في النوم أثناء تأديته عمله.

لم يحصل ذلك معه من قبل. رفع يده اليسرى التي بدت وكأنها تزن عشرين كيلوغراماً. لماذا يدق قلبه وكأنه كان يركض في سباق الماراثون؟

نظر إلى ساعة يده... الحادية عشرة والربع. لقد بقي نائماً لأكثر من ساعة! كيف حصل ذلك؟ أحس بنبض قلبه يتباطأ تدريجياً... لا بد أنه التوتر الذي تعرض له خلال الأسابيع الأخيرة... المناوبات... الروتين اليومي للتوقيت... لورا ومنى.

ما الذي أيقظهُ؟ أهو ضجيج آخر؟

أنصت.

لا شيء... مجرد صمت مرتعش، وتلك الذكرى الغامضة التي تشبه الحلم بأن الدماغ قد سجل شيئاً وجده مربكاً. كان الأمر مشابهاً لنومه في بيتهم في درامن عند النهر. كان يعلم أن محركات القوارب المزمجرة تعمل خارج نافذتهم المفتوحة لكن دماغه لم يسجل شيئاً... لكن، ما إن صدرت طقطقة بسيطة من باب غرفة النوم حتى قفز. زعمت لورا أنه بدأ بفعل ذلك بعد قضية درامن حين وجدوا الشاب رينيه كالسنس بجانب النهر.

أغمض عينيه ثم فتحهما... يا إلهي... لقد غط في النوم ثانية! حين نهض أحس بدوار شديد مما اضطره للجلوس... يا لهذه الغشاوة اللعينة التي تغلف حواسه.

نظر إلى كوب القهوة الفارغ بجانب الكرسي. عليه تحضير كوب قهوة ثقيل لنفسه... أوه لا... تباً! لقد انتهت العلب. سيضطر للاتصال بمنى وأن يطلب منها إحضار كوب له... إذ لم يتبق الكثير من الوقت حتى موعد زيارتها المقبلة. أمسك الهاتف وبحث عن اسمها الذي كان مسجلاً على أنه كاملم من ريكشوبيتالت كإجراء احتياطي في حال فتحت لورا سجل المكالمات على هاتفه المحمول ورأت المكالمات الكثيرة مع هذا الرقم. بالطبع كان يحذف الرسائل النصية... كان أنطون ميتيت على وشك الاتصال حين تعرف دماغه عليه.

الصوت الخطأ... طقطقة باب غرفة النوم.

الصمت.

الصوت الذي لم يكن هناك هو الخطأ.

الطنين الصوتي... جهاز مراقبة دقات القلب.

وقف أنطون على قدميه وترنح باتجاه الباب واقتحم الغرفة محاولاً التخلص من الدوار وهو يحدق في الشاشة الخضراء للآلة... في الخط المستقيم الميت الممتد على عرضها.

ركض إلى السرير ونظر إلى الوجه الشاحب.

سمع صوت خطوات تركض مقتربة في الممر... لا بد أن جهاز الإنذار في غرفة المراقبة قد عمل حين توقفت الآلة عن تسجيل ضربات القلب. قام أنطون تلقائياً بوضع يده على جبهة الرجل... لا تزال دافئة. لكن أنطون كان قد رأى جثثاً بما فيه الكفاية؛ مما لا يدع مجالاً للشك... المريض ميت.

11

كانت الجنازة مقتضبة وسريعة من دون أي إسهاب، حتى إن رجل الدين لم يحاول أن يشير إلى أن الرجل في النعش كان محبوباً وعاش حياة مثالية، تضرّع إلى الله ليغفر له ذنوبه.

لم يكن هناك عدد كافٍ من المتطوعين لحمل النعش، فبقي داخل دار العبادة بينما خرجت الجموع إلى الثلج خارج دار العبادة فيستر آكر. كان معظم المجتمعين من رجال الشرطة - بدقة أكثر أربعة أشخاص - وقد ركبوا السيارة نفسها وتوجهوا إلى مقهى جاستيسن الذي كان قد فتح للتو، وحيث كان هناك عالم نفسي بانتظارهم. أزالوا الثلج عن أحذيتهم، وطلبوا الشراب وأربع زجاجات من الماء لم تكن أنقى أو ألذ من الماء النازل من صنابير المياه في مدينة أوسلو. وحين وصل ما طلبوه شتموا الرجل الميت كما هي العادة وشربوا.

قال رئيس فرقة مكافحة الجرائم غونار هاغن:

- كان موته سابقاً لأوانه.

علقت رئيسة كريمتكنيسك بتي لون:

- سابقاً لأوانه قليلاً جداً.

رد ضابط الشرطة ذو الشعر الأحمر الذي يرتدي سترة جلدية:

- تباً.

قال شتال أون وهو يرفع كأسه:

- كعالم نفسي أشخِّص أن لديكم جميعاً انعداماً في المشاعر.

رد هاغن:

- شكراً أيها الطبيب، لكن التشخيص هو الشرطة.

قالت كاترين:

- لكن، ماذا عن تشريح الجثة؟ لا أظن أنني قد فهمته.

قالت بتي:

- لقد مات بسبب خرق دماغي... سكتة... من الممكن حصول ذلك.

قال بيورن هولم:

- لكنه صحا من الغيبوبة.

ردت بتي بصوت رتيب:

- يمكن لذلك أن يؤثر في أي منا في أي وقت.

- شكراً على ذلك... والآن، بما أننا انتهينا من الميت أقترح أن نمضي

قدماً.

- القدرة على التعامل بسرعة مع الصدمة إشارة إلى شخص منخفض الذكاء.

حدق هاغن في العالم النفسي لثانية قبل أن يكمل:

- أظن أنه سيكون من الأفضل أن نجتمع هنا بدلاً من مركز الشرطة.

سأل بيورن هولم:

- حسناً... لكن، لماذا نحن هنا؟

- لنتكلم عن جريمتي قتل رجُلَي الشرطة... كاترين؟

هزت كاترين برات رأسها وسعلت.

- سأقدم ملخصاً موجزاً لكي يطلع أون على المستجدات بسرعة. تم قتل شرطيين في مسرحَي جريمتَي قتل غير محلولتين عمل كل منهما في التحقيق فيهما. في ما يتعلق بقتل رجُلَي الشرطة ليست لدينا حتى الآن أي أدلة أو مشتبه بهم أو معرفة بالدوافع المحتملة. أما في ما يتعلق بجريمتي القتل الأصليتين فنفترض أن الدافع جنسي، وأن هناك أدلة لكنها لم تشر إلى مشتبه به حقيقي. أي قمنا باستجواب الكثيرين لكن تمت تبرئتهم؛ إما لأن لديهم حجج غياب، أو لأنهم غير مناسبين لمثل هاتين الجريمتيْن. لكننا الآن أعدنا النظر في أهلية أحدهم...

أخرجت شيئاً من حقيبتها ووضعته على الطاولة ليتمكنوا جميعهم من رؤيته... كانت صورة رجل عاري الصدر، بينما أظهر التاريخ والرقم أنها لقطة خاصة بالشرطة.

- هذا هو فالنتين غجيرتسين... قضايا متعلقة بالرذيلة... رجال... نساء... أطفال. وجهت له التهمة الأولى حين كان في السادسة عشرة من العمر؛ حين حاول الاعتداء على طفلة في التاسعة من العمر كان قد أغراها للصعود معه في قارب التجذيف. وفي السنة التالية، أبلغت جارته عن محاولته الاعتداء عليها في غرفة الغسيل.

سأل بيورن هولم:

- وما علاقته بماريدال وتريفان؟

- حتى الآن لا شيء سوى أنه مناسب، وأن المرأة التي قدمت له حجّتَي الغياب في وقت الجريمتين أخبرتنا للتو أنها كانت تكذب، فقد كانت تفعل ما أمرها بفعله.

قالت بتي لون:

- لقد أخبرها فالنتين أن رجال الشرطة كانوا يحاولون إلصاق تهمة زائفة به.

- آها... وقد يكون ذلك أساس كراهيتها لرجال الشرطة... ما رأيك أيها الطبيب؟ أهذا ممكن؟

عض أون على شفتيه:

- بالطبع، إلا أن القاعدة العامة التي أتبعها في الأمور المتعلقة بالنفس البشرية هي أن كل شيء يمكن تخيله محتمل، بالإضافة إلى أشياء كثيرة لا يمكن تخيلها.

- وبينما كان فالنتين غجيرتسين في السجن بتهمة التحرش بأحد الأحداث قام بالاعتداء على طبيبة أسنان في سجن إيلا وتشويهها، وقد كان متأكداً من أن الانتقام سيأتيه عما قريب فقرر الهرب. الهرب من إيلا ليس صعباً للغاية، لكن فالنتين أراد أن يبدو الأمر كما لو أنه مات لكي لا يلاحقه أحد، وهكذا فقد قتل أحد السجناء ويدعى جوداس جوهانسن، إذ ضربه حتى شوهه وأخفى الجسد، وحين اختفى جوداس تم تسجيله على أنه مفقود. في ما بعد، أجبر رسام الوشوم في السجن على وشم نسخة عن وجه العفريت الشنيع الموشوم على صدره في المكان الوحيد الذي لم يتم فيه ضرب جوداس... صدره. وقد أوضح له أنه سيعاني هو وعائلته من الموت المحتم إن نبس ببنت شفة لأي إنسان كان. وفي تلك الليلة، هرب فالنتين بعد أن ألبس جثة جوداس جوهانسن ملابسه ووضعه على أرضية زنزانته وترك الباب موارباً. حين وجدوا جثة الرجل في الصباح التالي ظنوا أنه فالنتين ولم يستغرب أحد، فمقتل أكثر شخص مكروه في الوحدة أمر متوقع نوعاً ما، ومن الواضح أنهم لم يفكروا حتى في التحقق من بصمات الأصابع ولا في إجراء فحص للحمض النووي.

ساد الصمت حول الطاولة. دخل زبون آخر وكان على وشك الجلوس على الطاولة المجاورة لكن نظرة واحدة من هاغن كانت أكثر من كافية ليبتعد عنهم.

قالت بتي لون:

- إذاً، تعنين أن فالنتين هرب وهو حي يرزق، وأنه كان وراء جريمتي القتل الأصليتين، وجريمتَي قتل رجُلَي الشرطة بدافع الانتقام من الشرطة عموماً. كما أنه يستخدم مسارح جرائم سابقة للقيام بذلك... لكن، ما الذي ينتقم منه بالضبط؟ أينتقم من قيام رجال الشرطة بعملهم؟ في هذه الحالة، ما كان لأحد منا أن يبقى على قيد الحياة.

- لست متأكدة من أنه يلاحق رجال الشرطة عموماً. لقد أخبرني السجان أنه جاء إليهم رجل شرطة في إيلا وتكلم مع بعض السجناء حول جريمتي قتل الفتاتين في ماريدال وتريفان، وقد قال لي إنه تحدث إليهم عن الجريمتين، وبدلاً من أن يسألهم عن معلومات قام بتسريبها. كان يوجه أصابع الاتهام إلى فالنتين كـ... كمعتد على الأطفال.

ونظرت إليهم... حتى بتي لون أحجمت. من الغريب كيف يمكن لكلمة واحدة أن تبدو أقوى من أسوأ صور مسارح الجرائم.

- وإن كان ذلك لا يعني أنه سيلقى حكماً مباشراً بالإعدام فإنه لن يذهب بعيداً.

- ومن هو ذلك الشرطي؟

- لم يتمكن السجان الذي تكلمت معه من تذكره. كما أن اسمه غير مسجل في أي مكان، لكن بإمكانكم التخمين.

قال بيورن هولم:

- إيرلند فينيسلا أو بيرتل نيلسن.

قال غونار هاغن:

- ألا تظنون أن الصورة قد بدأت تتضح. لقد تعرض جوداس للنوع نفسه من العنف الجسدي الشديد الذي تعرض له رجُلا الشرطة.

قال أون:

- نعم بالطبع. القتلة معتادون على الالتزام بالطرائق المجربة.

ردت بتي لون:

- لكن مع جوداس كان هناك هدف محدد... التمويه على هروبه.

قال بيورن هولم:

- إن كان ذلك حقاً ما جرى عليه الأمر، فذلك السجين الذي تكلمت معه كاترين ليس شاهداً موثوقاً.

ردت كاترين:

- لكنني أصدقه.

- لماذا؟

ابتسمت كاترين ابتسامة بسيطة:

- ماذا كان هاري يقول عادة؟ الحدس حصيلة الكثير من الأشياء الصغيرة المحددة التي لم يتمكن الذهن من تسميتها بعد.

سأل أون:

- ماذا عن نبش الجثة والتحقق منها؟

- احزر.

- هل تم حرقها؟

- كتب فالنتين وصية قبل أسبوع من وفاته طلب فيها في حال وفاته أن يتم حرق الجثة بأسرع وقت ممكن.

- ومنذ ذلك الحين لم يسمع عنه أحد حتى قتل فينيسلا ونيلسن.

قال غونار هاغن:

- هذه هي الفرضية التي قدمتها لي كاترين، وهي الآن لا تزال مستبعدة. لكن بما أن وحدة التحقيقات تجاهد لإحراز أي تقدم مع الفرضيات الأخرى فإنني سأمنحها فرصة. ولهذا جمعتكم هنا اليوم. أريدكم أن تشكلوا وحدة صغيرة لمتابعة هذا الخيط، أما باقي الأمور فاتركوها للوحدة الكبرى. إن كنتم ستقبلون بتنفيذ المهمة فسترسلون تقاريركم إليّ... إليّ فحسب.

سألت بتي:

- هل يعني هذا أن...؟

- نعم. هذا يعني أنكم ستعملون بسرية تامة.

سأل بيورن هولم:

- سرية عمّن؟

- عن الجميع... الجميع ما عداي.

سعل شتال أون:

- ومن بالأخص؟

صمت هاغن وأخفض عينيه فبدا كسحلية تحت الشمس الحارة.

قالت بتي:

- بيلمان... رئيس الشرطة.

بسط هاغن يديه وقال:

- لا أريد سوى النتائج. لقد نجحنا بالعمل في مجموعات صغيرة ومستقلة حين كان هاري معنا لكن رئيس الشرطة أقحم نفسه في الموضوع ولم يقبل سوى بمجموعة كبيرة واحدة. لكن المجموعة الكبيرة الواحدة قد نفدت منها الأفكار، بينما يتوجب علينا القبض على قاتل رجال الشرطة هذا وإلا فستفتح النيران علينا. وفي حال اضطررنا لمواجهة رئيس الشرطة فسأتحمل كامل المسؤولية وأقول إنني لم أخبركم أنه لم يكن على علم بهذه الوحدة. لذا، إن الأمر متوقف عليكم الآن إن كنتم تريدون الانضمام أو لا.

لاحظت كاترين كيف التفتت عيناها - كعيني الباقين - نحو بتي لون. كانوا يعلمون أن القرار الحقيقي يعود إليها. فإن قررت المشاركة فسيشاركون جميعهم.

أمسكت بتي بالصورة من على الطاولة وتفحصتها ثم قالت:

- الوجه الشنيع على صدره يبدو كشخص يريد الخروج... الخروج من السجن... الخروج من جسده... الخروج من ذهنه... كالرجل الثلجي. ربما يكون واحداً منهم.

ورفعت بصرها مبتسمة وأكملت:

- أنا مشاركة.

نظر هاغن إلى الآخرين وتلقى إيماءات تأكيد.

قال هاغن:

- جيد. سأقود وحدة التحقيق كما فعلنا سابقاً، بينما ستكون كاترين القائدة الرسمية لهذه الوحدة بما أنها تتبع لمركزي شرطة بيرغن وهوردالاند. تقنياً، لستم مضطرين كمجموعة لكتابة تقارير لرئيس شرطة أوسلو.

قالت بتي:

- نحن نعمل لحساب بيرغن... لم لا؟ تحية لبيرغن يا شباب!

ورفعوا كؤوسهم.

حين وقفوا على الرصيف خارج جاستيسن كان رذاذ المطر يتساقط مما يظهر رائحة الملح الصخري والزيت والأسفلت.

قال شتال أون وهو يغلق أزرار سترته:

- اسمحوا لي بانتهاز هذه الفرصة لشكركم على إعادتي.

قال بيورن هولم:

- كما في الأيام الخوالي.

ردت بتي لون:

- تقريباً، لكن هناك شخصاً ناقصاً.

قال هاغن:

- كفى! لقد اتفقنا على عدم الحديث عنه ثانية. لقد رحل وهذا يكفي.

- لن يرحل بالكامل يا غونار!

تنهد غونار وحدق في السماء ثم هز كتفيه:

- ربما لا. كانت هناك طالبة في مدرسة الشرطة تقوم بمناوبة في

ريكشوبيتالت، وقد سألتني إن كان هاري هول لم يتمكن من حل قضية ما. في البداية ظننتها تشعر بالفضول لأنها درست إحدى قضاياه فأجبتها أن قضية غاستو هانسن لم تحل بعد. واليوم، سمعت أن سكرتيرتي تلقت مكالمة هاتفية من مدرسة الشرطة طُلبت فيها نسخ عن ملف تلك القضية. ربما يصبح أسطورة في كل الأحوال.

- سيبقى هاري محفوراً في الذاكرة؛ إذ لا أحد يشبهه أو يتفوق عليه.

قالت بتي:

- ربما. لكن لدينا هنا أربعة أشخاص يكادون يلحقون به... ألسنا كذلك؟

نظروا إلى بعضهم وهزوا رؤوسهم وصافحوا بعضهم بسرعة، ثم تفرقوا في ثلاثة اتجاهات مختلفة.

12

رأى مايكل بيلمان الشخص من فوق منظار مسدسه، فأغمض عيناً ثم سحب الزناد ببطء منصتاً لدقات قلبه الهادئة والثقيلة. أحس بالدم يصل إلى رؤوس أصابعه... لم يكن الشخص يتحرك... وإنما كان مجرد شعور بأنه يتحرك. أفلت الزناد وأخذ نفساً عميقاً وركز مرة أخرى ليرى الشخص مجدداً، ثم سحب ورأى الشخص يرتعش... يرتعش بالطريقة الصحيحة... ميت... عرف مايكل بيلمان أنه قد أصاب الرأس.

صرخ وهو يخفض مسدسه ويخلع واقي العينين والأذنين:

- أحضر الجثة وسنقوم بتشريحها.

ثم سمع طقطقة كهربائية، وأصوات أسلاك، ورأى الشخص يرقص باتجاهه ليتوقف على بعد نصف متر أمامه.

قال ترولس بيرنتسين وهو يفلت الزر:

- جيد.

قال مايكل بيلمان وهو يتفحص الهدف الورقي المثقوب فوق الجذع وفي الرأس:

- لا بأس.

ثم أومأ إلى الهدف ذي الرأس المقطوع في الممر المجاور له:

- لكن، ليس ببراعتك.

- جيد بما فيه الكفاية لتنجح بالاختبار. سمعت أن عشرة فاصلة اثنين بالمائة قد رسبوا هذا العام.

وغير ترولس هدفه الورقي بيدين محترفتين وضغط على الزر ليتحرك شخص جديد مبتعداً ويتوقف عند الصفيحة المعدنية الخضراء على بعد عشرين متراً. سمع مايكل ضحكاً حاداً قادماً من على بعد بضعة ممرات يساراً، ورأى امرأتين تمشيان معاً وتحدقان فيهما. ربما تكونان طالبتين في مدرسة الشرطة قد تعرفتا عليه. جميع الأصوات هنا لها ترددها الخاص، حيث كان بإمكان مايكل سماع حفيف الورق، واصطدام الرصاص بالمعدن، ليتبعه صوت طقة صغيرة بينما الرصاصة تسقط في الصندوق المخصص لجمع بقايا الرصاص تحت الهدف.

- عملياً... أكثر من عشرة بالمائة من رجال الشرطة غير قادرين على الدفاع عن أنفسهم أو عن غيرهم. ما رأي رئيس الشرطة في ذلك؟

- لا يمكن لجميع رجال الشرطة أن يتدربوا بقدرك يا ترولس.

- أتقصد ليس لديهم الكثير من الوقت ليضيعوه؟

ضحك ترولس ضحكته المزعجة، بينما نظر مايكل إلى مرؤوسه وصديق طفولته. كان كل شيء يبدو كما كان من قبل، لكن شيئاً ما قد تغير... ربما تكون قصة الشعر الجديدة... أو الإيقاف؟ لهذا النوع من الأمور القدرة على التأثير في أناس لم تكن تظنهم حساسين... وخاصة الناس الذين لا يعبرون عادة عن مشاعرهم ويبقونها مخفية على أمل أن تتحسن الأمور مع مرور الوقت. هؤلاء هم الناس الذين قد ينهارون حين تضع رصاصة في رؤوسهم.

لكن ترولس يبدو راضياً؛ فهو يضحك. كان مايكل قد أخبر ترولس مرة أن ضحكته تدفع الناس للذعر، وأن عليه أن يحاول تغييرها وإيجاد ضحكة طبيعية أكثر ومرضية أكثر. لكن ترولس ضحك بصوت أعلى وأشار إلى مايكل من دون أن ينطق بحرف... فقط الضحكة الغريبة.

تساءل ترولس وهو يضغط الخراطيش في مخزن مسدسه:

- ألن تسأل؟

- عمَّ؟

- عن النقود في حسابي المصرفي؟

غير مايكل موضعه:

- ألهذا دعوتني إلى هنا؟ لأسألك؟

- أتريد أن تعرف كيف وصلت النقود إلى هناك؟

- ولماذا أزعجك الآن؟

- أنت رئيس الشرطة.

- وأنت اتخذت قرارك بعدم قول شيء. أظن أن ذلك غباء منك لكنني أحترم قرارك.

- حقاً؟! أو تركتني وشأني لأنك تعرف مسبقاً من أين أتت يا مايكل؟

نظر بيلمان إلى صديق طفولته... يمكنه أن يرى الآن... يرى ما تغير... إنه البريق المريض... البريق من أيام طفولتهما... البريق الذي يظهر لديه حين يغضب... حين كان الأطفال الأكبر في مانغلرود يهددون بضرب المتشدق ذي المظهر الجميل الذي استحوذ على أولا فيضطر مايكل لدفع ترولس للمواجهة... يطلق عليهم الضبع... الضبع الأجرب الذي كان قد تلقى الكثير من الضرب لدرجة أن الضرب لم يعد يشكل بالنسبة له فرقاً. وحين يظهر ذلك البريق على ترولس فإنه يعني أنه مستعد للموت، وأنه إن أنشب

أسنانه في جسدك فلن يفلتك على الإطلاق؛ إذ سيطبق فكيه، وسيبقى على تلك الحال حتى تقع على ركبتيك أو يتم سحبه بعيداً. لكن مع مرور الوقت لم يعد مايكل يرى هذا البريق إلا حين اضطرا للتعامل مع ذاك الرجل في غرفة المرجل، وحين أخبره مايكل بقرار الإيقاف. لكن ما تغير الآن هو أن البريق لم يخفت، وإنما بقي طوال الوقت كما لو أنه يعاني من الحمى.

هز مايكل رأسه ببطء غير مصدق:

- عم تتحدث يا ترولس؟

- ربما جاءت النقود منك على نحو غير مباشر. ربما كنت تدفع لي طوال الوقت. ربما أنت من أرسلت أساييف إلي.

- أظن أنك تنشقت الكثير من دخان المسدس يا ترولس. ليست لي أي علاقة بأساييف.

- ربما ينبغي عليك سؤاله عن ذلك؟

- رودولف أساييف ميت يا ترولس.

- هذا مناسب... أليس كذلك؟ يبدو أن كل من كان بإمكانه الوشاية بك قد مات.

فكر مايكل بيلمان... الجميع... ما عداك.

ابتسم ترولس:

- ما عداي.

- علي الذهاب.

وسحب مايكل هدفه وطواه.

- أوه نعم... موعد يوم الأربعاء.

تجمد مايكل:

- ماذا؟

- أذكر أنك كنت دائماً تترك المكتب في هذا الوقت أيام الأربعاء.

تفحصه مايكل. كان من الغريب أنه بعد معرفته ترولس بيرنتسين لثلاثين عاماً لم يكن مايكل متأكداً من كونه ذكياً أو غبياً.

- صحيح. لكن من الأفضل أن تبقي مثل هذه التخمينات لنفسك؛ فالأمر سيؤذيك يا ترولس. كما أنه من الأفضل أن لا تقول الكثير، فهذا قد يضعني في موقف حرج في حال تم استدعائي كشاهد... مفهوم؟

لكن ترولس كان قد وضع الواقي على أذنيه والتفت إلى الهدف وحدق من وراء الزجاج... أطلق طلقة... اثنتين... ثلاثاً... بدا المسدس وكأنه

يبتعد، لكن قبضة ترولس كانت محكمة... قبضة الضبع.

في مرأب السيارات، أحس مايكل بهاتفه المحمول يهتز في جيب بنطاله.

كانت أولا.

- هل تكلمت مع فرقة القضاء على الحشرات.

رد مايكل الذي لم يكن قد فكر في الأمر أو تحدث مع أحد:

- نعم.

- ماذا قالوا؟

- قالوا إن الرائحة التي تظنين أنها قادمة من الشرفة قد يكون سببها جرذ أو فأر ميت في مكان ما. لكن، بما أنه أسفلت لا يمكننا فعل شيء. مهما كانت، ستتحلل مع الوقت وتتلاشى الرائحة من تلقاء نفسها. وقد نصحونا بعدم هدم الشرفة.

- كان عليك أن تطلب من محترفين بناء الشرفة بدلاً من ترولس.

- لقد بناها في منتصف الليل من دون أن يسألني. لقد أخبرتك بذلك من قبل... أين أنت يا عزيزتي؟

- سألتقي صديقة لي. هل ستأتي على العشاء؟

- أوه نعم. ولا تقلقي بشأن الشرفة. اتفقنا يا عزيزتي؟

- اتفقنا.

أنهى المكالمة وهو يفكر أنه قال عزيزتي مرتين، وهذا كثير؛ مما جعل الأمر يبدو ككذبة. شغّل محرك السيارة، وضغط على الدواسة، وحرر المكابح، وأحس بالضغط الرائع لمسند الرأس بينما انطلقت سيارة الأودي الجديدة عبر مرأب السيارات. فكّر في إيزابيل... كيف شعر... شعر بالدم يتدفق... وفكر بالمفارقة الغريبة التي لم تكن كذبة... حبه لأولا لم يكن أقل من حبه لها قبل أن يقوم بعلاقة مع أي امرأة أخرى.

جلس أنطون ميتيت على الشرفة مغمضاً عينيه وهو يشعر بدفء الشمس على بشرته. كان الربيع يصارع، لكن اليد العليا كانت لا تزال للشتاء. فتح عينيه ليقع نظره على الرسالة على الطاولة المجاورة.

كان شعار مركز درامن الصحي منقوشاً على المغلف باللون الأزرق.

كان يعرف ما تحتويه... نتيجة تحليل دمه. كان على وشك فتح المغلف لكنه امتنع مجدداً وحدق عبر نهر درامن. حين رأيا منشور الشقق الحديثة في إلفيباركين إلى غرب آسيدن لم يترددا، فالأطفال خربوا العش، كما

أن العناية بالحديقة الكبيرة ليست بالعمل السهل، ولا حتى الاهتمام بالمنزل الخشبي القديم والضخم في كونيرود الذي ورثاه من والدي لورا. كان يفترض بهما بيعه وشراء شقة حديثة مما سيمنحهم المزيد من الوقت والمال للقيام بما خططا له خلال السنوات... السفر معاً... زيارة الأماكن البعيدة... تجربة الأشياء التي تقدمها هذه الحياة القصيرة.

إذاً، لماذا لم يسافرا بعد ذلك؟ لماذا أحجم عن ذلك أيضاً؟

عدل أنطون نظارته الشمسية، وأدار الرسالة، ثم بحث عن هاتفه في جيب سرواله العريض.

هل السبب هو الحياة اليومية المتسارعة؛ حيث تتوالى الأيام تباعاً؟ هل السبب هو إطلالة درامن المريحة والرائعة؟ هل السبب هو فكرة أنهما سيمضيان الكثير من الوقت مع بعضهما، والخوف مما قد يكشفه ذلك عن كل منهما وعن زواجهما؟ أم إن السبب هو القضية... الزلة... التي قضت على طاقته ومبادرته وتركته بحالة بدا فيها الروتين اليومي هو المهرب الوحيد من الانهيار الكامل؟ ثم ظهرت منى...

نظر أنطون إلى الشاشة... كاملم من ريكشوبيتالت.

كانت هناك ثلاثة خيارات تحته... اتصال وإرسال رسالة وتعديل.

تعديل... حري بالحياة أن يكون فيها مثل هذا الزر... لكان كل شيء حينها مختلفاً... كان سيذكر الهراوة... وما كان ليدعو منى إلى شرب القهوة... ما كان ليغط في النوم.

لكنه غط في النوم.

غط في النوم أثناء أدائه عمله على كرسي خشبي صلب! هو الذي كان غالباً ما يجاهد ليغفو في سريره بعد يوم طويل... هذا غير مفهوم! ثم بقي شبه مخدر لفترة من الوقت في ما بعد، ولم يكن حتى وجه الرجل الميت والاضطراب الذي تلا ذلك كافيين لإيقاظه؛ حيث وقف هناك كالموتى غير قادر على القيام بشيء أو حتى الإجابة عن الأسئلة بوضوح... ليس من المؤكد أنه كان سينقذ المريض لو بقي صاحياً، فالتشريح لم يظهر أي شيء سوى أن المريض قد مات بسبب سكتة. لكن أنطون لم يقم بعمله؛ مع أن أحداً لن يكتشف ذلك، ولم ينبس ببنت شفة مع أنه كان يعلم... يعلم أنه أخفق مجدداً.

نظر أنطون ميتيت إلى الأزرار.

اتصال... إرسال رسالة... تعديل.

ثم أمسك بالمغلف وفتحه وأخرج الرسالة وقرأها. كان قد توجه إلى

المركز الطبي في الصباح بعد أن تم العثور على المريض ميتاً، وشرح لهم أنه شرطي في طريقه للعمل لكنه تناول دواء من دون أن يعرف ما يحويه، وقد أحس بشعور غريب مما جعله يشعر بالقلق من الذهاب إلى العمل في حال كانت له أي آثار جانبية. في البداية أراد منه الأطباء أن يقصدهم في حال مرض، لكنه أصر على إجراء تحليل للدم.

مرر عينيه على الرسالة التي لم يفهم كل الكلمات والأسماء والأرقام فيها، لكن الطبيب أضاف جملتين توضيحيتين في النهاية:

... تم العثور على النيترازيبام في الأدوية المنومة القوية. يجب عليك التوقف عن تناول المزيد من هذا الدواء من دون استشارة طبيب أولاً.

أغمض أنطون عينيه وتنشق الهواء عبر أسنانه المطبقة.

تباً.

كان محقاً في شكوكه... لقد تم تخديره... لقد خدره أحد ما... ولديه شكوك في الطريقة... القهوة... الضجة في الممر... العلبة الوحيدة المتبقية. لقد تساءل إن كان الغطاء مثقوباً... لا بد أنه تم حقن المحلول بحقنة، ثم انتظر الجاني حتى ذهب أنطون وحضر قهوته المخدرة.

قالوا إن المريض توفي لأسباب طبيعية، أو إنه ما من دليل يشير إلى حدوث أي شيء مثير للريبة، لكن جزءاً كبيراً من استنتاجهم هذا ناتج عن تصريح أنطون أن لا أحد جاء لرؤية المريض بعد زيارة الطبيب الأخيرة قبل ساعتين من توقف القلب.

عرف أنطون ما يجب عليه فعله... عليه الاعتراف بذلك. أمسك بالهاتف ليعترف بخطئه ويشرح سبب عدم إخبارهم مباشرة بأنه غط في النوم ثم أغلق الهاتف... سيتصل بهم... لكن ليس الآن.

عقد مايكل بيلمان ربطة عنقه أمام المرآة.

جاءه صوت من السرير:

- كنت بارعاً اليوم.

علم مايكل أن ذلك صحيح، وشاهد إيزابيل سكوين وهي تنهض وراءه وترتدي جوربيها:

- أذلك لأنه ميت؟

رمت غطاء السرير من جلد الغزال على الوسادة. فوق المرآة، كان قرنا وعل معلقين، بينما كانت الجدران مزينة بصور لرسامين. كان هذا الجناح من الفندق يضم غرفاً صممتها فنانات، وتحمل كل منها اسم

مصممتها؛ حيث كانت غرفتهما تحمل اسم مغنية. كانت المشكلة الوحيدة في غرفتهما أن السياح الصينيين قد سرقوا قرون الحمل بسبب الاعتقاد الشائع أن خلاصة القرن لها تأثير في تعزيز الطاقة الجنسية. كان مايكل قد فكر بالأمر في المرات الأخيرة لكن ليس اليوم... ربما تكون محقة... ربما بسبب راحته لأن المريض قد مات.

- لا أريد أن أعرف كيف حصل الأمر.

ردت وهي ترفع تنورتها:

- لست قادرة على إخبارك بكل الأحوال.

- دعينا ننسى الأمر.

وقفت وراءه وعضته من رقبته ثم قهقهت:

- لا تقلق... الحياة مجرد لعبة.

- بالنسبة لك. أنا ما زالت لدي جرائم القتل اللعينة لأحلها.

- لست بحاجة لأن يتم انتخابك أما أنا فنعم. هل أبدو لك قلقة؟

هز كتفيه وتناول سترته:

- هل ستذهبين أولاً؟

ابتسم حين ضربته، ثم سمع صوت طقطقة حذائها أثناء اتجاهها نحو الباب.

- قد تكون لدي مشكلة مع يوم الأربعاء القادم، فقد تم تغيير موعد اجتماع المجلس.

- حسناً.

ولاحظ أن عبارته تعني أكثر من حسناً... وأنه أحس بالراحة... نعم... كان كذلك.

توقفت عند الباب، وأنصتت كالمعتاد لأي ضجة في الممر لتتأكد من أن الطريق فارغ:

- أتحبني؟

فتح فمه، ورأى نفسه في المرآة، ورأى الثقب الأسود في منتصف وجهه وهو يتحرك من دون أن يصدر أي صوت، ثم سمع صوت ضحكتها المنخفضة.

- أنا أمزح. هل أخفتك؟ عشر دقائق.

فتحت الباب وأغلقته بهدوء وراءها.

كانا متفقين على أنه يجب على الشخص الثاني الانتظار لعشر دقائق قبل مغادرة الغرفة. لا يذكر إن كانت هذه فكرته أو فكرتها، لكن ذلك

لتجنب الاصطدام بصحفي فضولي أو وجه مألوف في صالة الاستقبال؛ إلا أن ذلك لم يحدث حتى الآن.

أخرج مايكل مشطه ومشط شعره الطويل الذي لا يزال مبللاً بعد الاستحمام. لم تكن إيزابيل تستحم أبداً بعد أن يقوما بعلاقة؛ فقد كانت تقول إنها تحب المشي بينما رائحته عالقة بها طوال اليوم. نظر إلى ساعة يده... كل شيء على ما يرام اليوم... لم يكن مضطراً للتفكير بغاستو، ومع ذلك فكر فيه مطولاً، حيث إنه إن انتظر هناك حتى تنتهي الدقائق العشر فسيتأخر على الاجتماع مع رئيس مجلس المدينة.

نظرت أولا بيلمان إلى ساعة يدها من نوع موفادو 1947 التي أهداها إياها مايكل في ذكرى زواجهما. مرت عشرون دقيقة. اتكأت إلى الوراء على الكرسي وتفحصت الردهة وهي تتساءل إن كانت ستتعرف عليه. لم يكونا قد التقيا سوى مرتين... مرة حين فتح لها الباب حين ذهبت لرؤية مايكل في محطة ستوفنر للشرطة وقدم نفسه لها... رجل ساحر وجذاب. والمرة الثانية كانت في حفل عشاء عشية الكريسمس في ستوفنر حيث رقصا وجذبها إليه بقوة أكثر مما ينبغي. لم تكترث حينها، فقد كانت مداعبة بريئة وكانت سعيدة بذاك العبث. وكان مايكل جالساً في مكان ما من الغرفة، بينما رقصت باقي الزوجات مع شركاء ليسوا أزواجهن. وكان هناك شخص آخر غير مايكل يتابعها بعينين حذرتين وهو يقف على منصة الرقص حاملاً كأساً في يده... ترولس بيرنتسين. سألت أولا ترولس إن كان يريد الرقص لكنه كشر وأجاب بالرفض فهو لا يجيد الرقص.

رونار... كان هذا هو اسمه الذي غاب عن مخيلتها. لم تكن قد سمعت عنه ثانية حتى اتصل بها وسألها إن كان بإمكانها ملاقاته هنا اليوم. في البداية رفضت متذرعة أنه ليس لديها وقت، لكنه قال إن لديه شيئاً مهماً ليقوله لها. كان صوته مشوهاً بشكل غريب، إذ إنها لا تذكر أن صوته كان يبدو كذلك. لكن قد يكون السبب مزجه للهجته المحلية القديمة ولهجة غرب النروج. ذلك يحصل كثيراً مع الناس من الأرياف حين ينتقلون للعيش في أوسلو لفترة من الوقت.

لذا، وافقت على تناول كوب قهوة بسرعة بما أنها ستتوجه إلى البلدة هذا الصباح في كل الأحوال؛ مع أن ذلك لم يكن صحيحاً، كإجابتها لمايكل حين سألها عن مكانها، إذ قالت إنها في طريقها لملاقاة إحدى صديقاتها. لم تكن تقصد أن تكذب، لكن السؤال حشرها في الزاوية، ثم أدركت أنه كان

عليها إخبار مايكل أنها ستتناول كوب قهوة مع زميل سابق له... لماذا لم تفعل ذلك؟ لأنها كانت تشك في داخلها بأنه سيخبرها بشيء متعلق بمايكل؟ إنها نادمة على قدومها إلى هنا... نظرت إلى ساعة يدها.

نظر موظف الاستقبال إليها عدة مرات. كانت أولا قد خلعت معطفها، حيث كانت ترتدي تحته كنزة وسروالاً أظهرا جسدها النحيل. لم تكن معتادة على الذهاب إلى مركز المدينة كثيراً، وإنما كانت تمضي معظم وقتها في الاهتمام بتبرجها وشعرها الأشقر الطويل الذي جعل شباب مانغلرود يقودون سياراتهم ويتجاوزونها ليروا إن كان وجهها جميلاً كما هو ظهرها، وكانت ترى في وجوههم الرضا. كان والد مايكل قد أخبرها مرة أنها تبدو كالمرأة الجميلة في مسلسل ماما وبابا، لكنها لم تكن تعلم من هي، ولم تحاول قط معرفة ذلك.

ألقت نظرة على الباب المتأرجح حيث كان الكثير من الناس يتدفقون، لكن ليس ذلك الشخص ذا العينين الجاحظتين الذي تنتظره.

سمعت رنة مكبوتة من أبواب المصعد، ثم خرجت امرأة طويلة ترتدي معطفاً من الفرو. ما فاجأ أولا هو أنه إن قام أحد الصحفيين بسؤال المرأة إن كان الفرو حقيقياً فإنها قد تنكر ذلك، فالسياسيون الاشتراكيون يفضلون إخبار غالبية الناخبين بما يرغبون بسماعه... إيزابيل سكوين... مستشارة المجلس للشؤون الاجتماعية. كانت قد جاءت إلى منزلها حين أقيمت حفلة بعد تعيين مايكل. كانت في الواقع حفلة بمناسبة الانتقال إلى البيت الجديد. لكن بدلاً من الأصدقاء دعا مايكل شخصيات هامة في عمله أو عملهما كما قال لها. كان ترولس بيرنتسين أحد الحاضرين الذين كانت تعرفهم، ولم يكن من النوع الذي يمكنها الحديث معه طوال الأمسية... إذ ليس لديها متسع من الوقت؛ فقد كانت منشغلة بأداء دور صاحبة المنزل.

نظرت إليها إيزابيل سكوين وهي على وشك متابعة السير، لكن أولا كانت قد لاحظت التردد البسيط... التردد الخفي الذي يعني أنها تعرفت على أولا وهي تواجه خيار التظاهر بأنها لم تتعرف عليها، أو التوجه إليها وإلقاء التحية عليها، وكانت تفضل تجنب الخيار الثاني. كانت أولاً غالباً تشعر بالشعور نفسه، فعلى سبيل المثال كانت تشعر بذلك مع ترولس... كانت تحبه بشكل ما، فقد ترعرعا معاً، وهو مخلص ولطيف. ومع ذلك، كانت تأمل أن تختار إيزابيل الخيار الأول وتجعل الأمر أسهل عليهما، ورأتها وهي تتجه نحو الباب المتأرجح، ثم غيرت رأيها واستدارت بابتسامة

عريضة وعينين متلألئتين واتجهت نحوها. كانت إيزابيل سكوين تذكر أولا بسفينة شراعية ضخمة.

صرخت من على بعد أمتار كما لو أن ذلك اجتماع لصديقتين ابتعدتا عن بعضهما منذ زمن:

- أولا!

نهضت أولا وهي تشعر بالحرج من اضطرارها للإجابة على السؤال المحتوم التالي: ماذا تفعلين هنا؟

- رائع أن أراك مجدداً يا عزيزتي. كم كانت حفلة صغيرة رائعة!

وضعت إيزابيل سكوين يدها على كتف أولا ومدت وجنتها، حيث كانت أولا مضطرة لوضع يدها عليها... حفلة صغيرة؟! كان هناك اثنان وثلاثون ضيفاً.

- آسفة، كنت مضطرة للمغادرة باكراً.

تذكرت أولا أن إيزابيل كانت الضيفة الأكثر سوءاً، فبينما كانت ترحب بالضيوف توجه مايكل مع المستشارة الطويلة والجذابة إلى الشرفة لفترة من الوقت؛ مما جعل أولا تشعر بالغيرة نوعاً ما.

- الأمر لا يهم. لقد تشرفنا بحضورك يا إيزابيل.

كانت أولا تأمل أن لا تبدو ابتسامتها صارمة كما كانت.

نظرت المستشارة إليها، وتفحصتها كما لو أنها تبحث عن شيء ما... عن إجابة عن السؤال الذي لم تطرحه بعد: ماذا تفعلين هنا يا عزيزتي؟

قررت أولا إخبارها الحقيقة كما ستفعل مع مايكل في ما بعد.

قالت إيزابيل من دون أن تأتي بحركة أو تبعد ناظريها عن أولا:

- علي المغادرة.

- نعم. أفترض أنك أكثر انشغالاً مني.

انزعجت أولا حينما سمعت الضحكة المكبوتة الغبية التي كانت مصممة على إخفائها. كانت إيزابيل لا تزال تنظر إليها، وفجأة أحست أولا أن هذه الغريبة تحاول معرفة الإجابة من دون أن تسألها: ماذا تفعلين يا زوجة رئيس الشرطة هنا في صالة الاستقبال في فندق غراند؟ يا إلهي، أتظن أن أولا ستلتقي عاشقاً هنا؟! ألهذا لم تسألها؟ أحست أولا بتيبس ابتسامتها يتلاشى، حيث أصبح من الأسهل عليها الابتسام كما تبتسم عادة... كما تريد أن تبتسم. علمت أن الابتسامة وصلت إلى عينيها الآن، وكانت على وشك الضحك في وجه إيزابيل سكوين، لكن الغريب في الأمر أن إيزابيل سكوين بدت كما لو أنها تريد الضحك أيضاً.

- آمل أن أراك مجدداً عما قريب يا عزيزتي.

وضغطت إيزابيل على يد أولا بين أصابعها الطويلة والقوية، ثم استدارت ومشت عبر قاعة الاستقبال، حيث أسرع أحد البوابين لمساعدتها، ولمحتها أولا وهي تسحب هاتفها المحمول قبل أن تندفع عبر الباب المتأرجح.

كان مايكل واقفاً عند المصعد على بعد خطوات من غرفة الفندق. نظر إلى ساعته ورأى أنه لم تمر سوى أربع أو خمس دقائق، لكن ذلك كافٍ، فالمهم أن لا يراهما أحد معاً. كانت إيزابيل تحجز الغرفة دائماً، وتصل قبله بعشر دقائق، حيث تستلقي على السرير جاهزة بانتظاره. هكذا كانت تحب الأمر... أهكذا كان هو يحبه؟

لحسن الحظ، لم يكن فندق غراند يبعد سوى ثلاث دقائق مشياً على الأقدام عن مجلس المدينة حيث ينتظره الرئيس.

فُتِح باب المصعد، ودخل مايكل وضغط على الزر 1 للطابق الأرضي لينطلق المصعد ويتوقف في الطابق التالي نزولاً، ثم يفتح الباب.

سياح ألمان... زوجان كبيران في السن يحملان كاميرا قديمة بحقيبة جلدية بنية. أحس بنفسه يبتسم... إنه بمزاج جيد. أفسح لهما مجالاً... كانت إيزابيل محقة؛ إنه مرتاح لأن المريض قد مات. أحس بقطرة ماء تسقط من شعره وتسيل على رقبته لتبلل ياقة قميصه. كانت أولا قد نصحته بقص شعره من أجل منصبه الجديد، لكن لماذا؟ مظهره شاب... ألا يؤكد شعره على هذه النقطة؟ إنه - مايكل بيلمان - أصغر رئيس للشرطة في أوسلو؟

نظر الزوجان إلى أزرار المصعد بقلق... المشكلة القديمة نفسها. هل الزر رقم 1 للطابق الأرضي أو الأول؟ ما هو النظام المتبع في النروج؟

قال مايكل باللغة الإنكليزية وهو يضغط على زر إغلاق الباب:

- إنه الطابق الأرضي.

تمتمت المرأة:

- شكراً.

أغمض الرجل عينيه وبدأ يتنفس بصوت مسموع.

نزلوا عبر المبنى بصمت.

حين فتح الباب وخرجوا إلى صالة الاستقبال، أحس مايكل باهتزاز على فخذه... هاتفه المحمول. وجد مكالمة فائتة من إيزابيل، وكان على وشك

الاتصال بها حين اهتز الهاتف مجدداً... رسالة نصية.

التقيت زوجتك في صالة الاستقبال.

توقف مايكل فجأة ورفع نظره، لكن الأوان كان قد فات.

كانت أولا جالسة على كرسي أمامه، وبدت جذابة كما لو أنها اهتمت بنفسها أكثر من المعتاد... جذابة ومتجمدة على كرسيها.

- مرحباً يا عزيزتي.

وسمع مباشرة كيف بدا صوته زائفاً وحاداً، ورأى ذلك في وجهها.

ثبتت عينيها عليه بارتباك بدأ يتلاشى مفسحاً المجال لشيء آخر. كان ذهن مايكل بيلمان يعمل بسرعة فائقة محاولاً تلقي البيانات ومعالجتها، والبحث عن صلة، والتوصل لاستنتاجات. كان يعلم أنه لا يمكنه تفسير أطراف شعره المبللة كما أنها رأت إيزابيل. وكان ذهنها أيضاً يعمل بسرعة البرق... هكذا يعمل الذهن البشري... بمنطقية لا رحمة فيها وهو يجمع القطع الصغيرة من المعلومات التي تتناسب مع بعضها فجأة. ورأى أن شيئاً آخر قد حل مكان الارتباك... اليقين. أخفضت نظرها حيث صارت تنظر مباشرة إلى حجابه الحاجز.

بالكاد تعرف على صوتها حين همست:

- لقد وصلت رسالتها متأخرة قليلاً.

أدارت كاترين المفتاح في القفل وسحبت الباب لكنه كان موصداً.

خطا غونار هاغن للأمام ودفعه فاتحاً إياه.

لقيا جواً رطباً وحاراً.

قال غونار هاغن:

- هنا. لقد تركناه من دون أن نلمسه منذ آخر مرة استخدمناه فيها.

دخلت كاترين أولاً وأشعلت النور وقالت:

- أهلاً بكم في مكتب فرع بيرغن في أوسلو.

عبرت بتي لون الباب:

- إذاً، هنا سنختبئ.

سقط ضوء أزرق بارد من مصباح النيون على الغرفة الإسمنتية المربعة ذات الأرضية الزرقاء والرمادية والجدران الجرداء. ضمت الغرفة الخالية من النوافذ ثلاثة مكاتب، مع جهاز حاسب على كل منها، وكرسيّ أمام كل منها. وعلى أحد المكاتب كانت هناك آلة لتحضير القهوة وإناء كبير من الماء.

تساءل شتال أون بدهشة:

- تم إعطاؤنا مكتباً في قبو مركز الشرطة؟

رد غونار هاغن:

- من الناحية الرسمية، أنتم الآن ضمن سجن أوسلو؛ فالممر في الخارج يمتد تحت مرأب السيارات، وإن صعدتم عبر السلالم الحديدية خارج الباب فستصلون إلى صالة الاستقبال في السجن.

علا رنين هاتف هاغن المحمول فأخرجه، ونظرت كاترين من ورائه لترى اسم أنطون ميتيت على الشاشة. ضغط هاغن على زر الرفض وأعاد الهاتف إلى جيبه.

- لدى وحدة التحقيق اجتماع الآن، لذا سأترككم.

وقف الباقون وهم ينظرون إلى بعضهم بعد مغادرة هاغن.

قالت كاترين وهي تخلع سترتها:

- الحر خانق هنا، لكنني لا أرى أي مشعاع.

ضحك بيورن هولم وهو يعلق سترته على ظهر كرسي:

- لأن خزانات التدفئة التابعة للسجن في الغرفة المجاورة. نسميها غرفة المرجل.

حل أون ربطة عنقه:

- إذاً، كنت هنا من قبل؟

- نعم، حين كنا مجموعة أصغر.

وهز رأسه نحو المكاتب.

- كنا ثلاثة لكننا حللنا القضية، إلا أن هاري كان حينها مسؤولاً... لم أقصد...

ردت كاترين:

- لا بأس يا بيورن. أنا لست هاري ولست مسؤولة. سيكون من الجيد أن ترسلوا تقاريركم إليّ رسمياً ليغسل هاغن يديه من القضية كلها. يكفيني أن أتمكن من إدارة نفسي... بتي هي الرئيسة، فهي لديها خبرة أكبر في الإدارة، ومضى على وجودها هنا زمن طويل.

نظر الآخرون إلى بتي التي هزت كتفيها:

- إن كان هذا ما تريدونه فبإمكاني أن أكون الرئيسة؛ إن كانت هناك حاجة لذلك.

ردت كاترين:

- هناك حاجة لذلك.

أومأ بيورن وأون.

- جيد، إذاً فلنبدأ. لدينا تغطية للهواتف المحمولة واتصال بالإنترنت ولديكم أكواب قهوة.

أخرجت كوباً أبيض من وراء آلة تحضير القهوة وقرأت الكتابة:

- هانك ويليامز؟

رد هولم:

- هذا لي.

رفعت كوباً آخر.

- جون فانت؟

- هذا لهاري.

قالت بتي وهي تضع الكوب جانباً:

- حسناً، دعونا نقسم العمل... كاترين؟

- سأستمر بالمراقبة عبر الإنترنت. حتى الآن، ليست هناك أي دلائل على وجود فالنتين غجيرتسين أو جوداس جوهانسن. عليك أن تتحلى بالذكاء للاختباء من العين الإلكترونية لهذه الفترة الطويلة؛ مما يؤكد نظرية أن من هرب ليس جوداس جوهانسن. جوداس ليس مطلوباً للشرطة، مما يعني أنه من غير المحتمل أن يحد من حريته بالاختباء الكامل لمجرد أنه هرب قبل شهرين من إطلاق سراحه من السجن. أما فالنتين فلديه الكثير ليخسره. في كل الأحوال، إن كان أحدهما حياً وقام بتحرك بسيط في العالم الإلكتروني فسأكون له بالمرصاد.

- جيد. بيورن؟

- سأراجع ملفات القضايا المختلفة التي تورط فيها فالنتين وجوداس، وأرى إن كانت هناك أي صلة بتريفان أو ماريدال... كأسماء تتكرر أو أدلة لم ننتبه لها. سأكتب قائمة بالأشخاص الذين يعرفونهما ويمكنهم مساعدتنا بالعثور عليهما. من تكلمت معهم حتى الآن مستعدون للوشاية بجوداس، أما بالنسبة لفالنتين غجيرتسين...

- هل هم خائفون؟

هز بيورن رأسه.

- شتال؟

- سأراجع قضايا فالنتين وجوداس لتحليل شخصيتيهما، وسأكتب تقييماً لهما كقاتلين متسلسلين محتملين.

عم الصمت الغرفة فجأة. كانت هذه أول مرة يقوم فيها أحد بذكر

هذه العبارة.

- في هذه الحالة، القاتل المتسلسل ليس أكثر من مصطلح ميكانيكي تقني وليس تشخيصاً. فهو يصف شخصاً قتل أكثر من شخص، ومن المتوقع أن يقتل مجدداً... حسناً؟

قالت بتي:

- حسناً. بالنسبة لي سأراجع جميع المواد البصرية التي لدينا من كاميرات المراقبة حول مسارح الجريمة ومحطات البترول والمتاجر التي تعمل طوال الليل وكبائن التصوير. لقد رأيت حتى الآن بضع لقطات من جرائم الشرطة، لكن ليس كل شيء، وهناك جريمتا القتل الأصليتان أيضاً.

قالت كاترين:

- هذا كافٍ.

رددت بتي:

- هذا كافٍ.

وقف أربعتهم ينظرون إلى بعضهم، ثم رفعت بتي كوب جون فانت ووضعته وراء آلة تحضير القهوة.

13

قالت أولا وهي تنحني للخلف على رف المطبخ:

- حسناً؟

رد ترولس:

- أوه نعم.

وهو يتحرك بتململ على الكرسي، ويرفع كوب القهوة عن الرف الضيق ليحتسي رشفة ثم ينظر إليها بعينين تعرفهما جيداً. كان خائفاً وجائعاً ومحرجاً وباحثاً ورافضاً ومتوسلاً... لا ونعم.

لقد ندمت مباشرة على السماح له بزيارتها، لكنها لم تكن مستعدة حين اتصل فجأة وسألها عن حالها وعن البيت وإن كان هناك أي شيء بحاجة للإصلاح، وقال لها إنه بما أنه موقوف عن العمل الآن فالأيام تمر طويلة وليس لديه ما يفعله. لا... لم يكن هناك أي شيء بحاجة للإصلاح... كذبت... إذاً، ماذا عن كوب من القهوة وحديث قصير عن الأيام الخوالي؟ قالت أولا إنها لا تعلم إن... لكن ترولس تصرف كما لو أنه لم يسمع، وقال إنه سيعرج عليها ويتناول كوب قهوة، فأجابته: حسناً، لم لا يا ترولس؟

قال:

- ما زلت وحيداً كما تعرفين، وما من شيء جديد.

- ستجد أحداً ما بالطبع.

ونظرت إلى الساعة، وفكرت في القول إن عليها إحضار الأطفال. لكن، حتى الشخص الأعزب كترولس سيدرك أن الوقت باكر.

- ربما.

نظر إلى كوبه، وبدلاً من وضعه على الرف احتسى رشفة أخرى كما لو أنه يستقي منه الشجاعة.

- كما قد تعلمين، لقد أحببتك دائماً يا أولا.

أحكمت أولا قبضتها على الرف.

- لذا، إن واجهت أي مشكلة واحتجت لـ... للحديث مع أحد، فبإمكانك دائماً الاعتماد علي.

رمشت أولا... أسمعته على نحو صحيح؟ حديث!

- شكراً يا ترولس، لكن لدي مايكل.

وضع كوبه ببطء:

- نعم، بالطبع لديك مايكل.
- بالمناسبة، علي البدء بطهو طعام العشاء له وللأطفال.
- نعم بالطبع. أنت في المطبخ تطهين له بينما هو...
وتوقف.
- هو ماذا يا ترولس؟
- يتناول العشاء في مكان آخر.
- لم أفهم ما تقصده يا ترولس.
- أظن أنك تفهمين. اسمعيني... أنا هنا لمساعدتك. أنا مهتم بمصلحتك للغاية يا أولا. والأطفال... بالطبع الأطفال مهمون.
- سأطهو لهم طعاماً شهياً، وهذه الوجبات تحتاج لوقت يا ترولس، لذا...
- هناك شيء واحد أريد قوله يا أولا.
- لا يا ترولس. لا تقل شيئاً لو سمحت.
- أنت أفضل من مايكل. أتعلمين عدد النساء الأخريات اللاتي...
- لا يا ترولس!
- لكن...
- ارحل الآن يا ترولس. ولا أريد رؤيتك هنا مجدداً.

وقفت أولا إلى جانب الرف، وشاهدت ترولس وهو يخرج من البوابة إلى السيارة المركونة بجانب الممر الحصوي الملتوي بين المنازل الحديثة في هوينهول. كان مايكل قد قال إنه سيقوم ببعض المكالمات مع بعض الشخصيات في المجلس ليتم تعبيد الطريق بالأسفلت، لكن شيئاً لم يحدث حتى الآن. سمعت صوتاً منخفضاً حين ضغط ترولس على الزر وأطفأ جهاز الإنذار في السيارة، وشاهدته وهو يركب السيارة ويجلس من دون حراك محدقاً في الأفق، ثم بدا جسده وكأنه يرتعش، وبدأ بلكم عجلة القيادة بقوة مما جعلها ترتعش من شدة عنفه. كان مايكل قد أخبرها عن نوبات غضبه، لكنها لم تشهدها أبداً. لو لم يصبح ترولس شرطياً لكان حسب رأي مايكل مجرماً، وقال الشيء نفسه عن نفسه حين كان يتصرف بخشونة لكنها لم تصدقه، فمايكل مستقيم للغاية وقابل للتكيف أما ترولس... ترولس مصنوع من شيء آخر... من شيء مظلم.

ترولس بيرنتسين البسيط والساذج والمخلص. كانت لديها شكوك... ليس في ما يخص هذا، وإنما لم تصدق أن ترولس قد يكون كسولاً لهذه الدرجة... وواسع الخيال.

فندق غراند.

كانت تلك أكثر اللحظات المؤلمة في حياتها... ليس لأنه لم تخطر ببالها فكرة أنه قد لا يكون مخلصاً وخاصة بعد أن توقف عن القيام بعلاقة معها، لكن كانت هناك الكثير من التفسيرات لذلك... التوتر من جرائم قتل رجال الشرطة... لكن، إيزابيل سكوين؟! في فندق في وضح النهار؟ كما صدمها أن السيناريو بكامله كان مفبركاً. فحقيقة أن أحداً ما يعلم أنهما سيكونان هناك تشير إلى أنها عادة منتظمة؛ مما جعلها تشعر بالغثيان كلما فكرت في الأمر.

وجه مايكل الشاحب فجأة أمامها... العينان المذنبتان الخائفتان كصبي تم الإمساك به وهو يسرق التفاح. كيف تمكن من فعل ذلك؟ كيف أمكنه جعل الأمر يبدو كما لو أنها قضية ثانوية بحاجة لحمايته؟ الرجل الذي داس على كل شيء جيد لديهما... والد أطفالهما الثلاثة. لماذا بدا مذنباً؟

همس:

- سأعود إلى البيت باكراً حيث يمكننا مناقشة الأمر حينها. علي أن أكون في مكتب رئيس المجلس خلال أربع دقائق. أهناك دموع في عينيه؟! ألدى النذل الوقاحة لذرف الدموع؟

بعد أن رحل استجمعت قواها بسرعة... ربما هذا ما يفعله الناس حين لا يكون لديهم بديل... حين لا يكون الانهيار العصبي خياراً متاحاً. وبكل هدوء، اتصلت بالرقم الذي استخدمه الشخص الذي ادعى أنه رونار لكن من دون رد. انتظرت خمس دقائق أخرى ثم غادرت. حين عادت للمنزل، تحققت من الرقم من إحدى النساء اللاتي تعرفهن في كريبوس، فأخبرتها أنه رقم هاتف محمول للاستخدام مرة واحدة. كان السؤال: من الذي سيرسلها إلى فندق غراند لتشهد بعينيها؟ أهو صحفي من مجلات الفضائح؟ أو صديقة بنية طيبة؟ أو شخص من طرف إيزابيل حاقد على مايكل؟ أو شخص لم يرغب بفصله عن إيزابيل وإنما بفصله عن أولا؟ شخص يكره مايكل أو يكرهها؟ أو شخص يحبها؟ شخص ظن أنه سيحصل على فرصة إن تمكن من إشعال فتيل النزاع بينها وبين مايكل. لم تكن تعرف سوى شخص واحد أحبها بشغف لا يوصف.

لم تذكر شكوكها لمايكل حين تكلما في وقت لاحق في ذلك اليوم، فقد ظن أن وجودها في صالة الاستقبال مجرد صدفة كإحدى تلك الضربات التي تحدث في حياة أي شخص... ذلك التزامن غير الممكن بين الأحداث الذي يُدعى القدر.

لم يحاول مايكل الكذب وإنكار أنه كان هناك مع إيزابيل، فهو ليس غبياً. وشرح لها أنها ليست بحاجة لأن تطلب منه إنهاء الأمر فقد قام بذلك بنفسه قبل أن تغادر إيزابيل الفندق. كانت تلك هي الكلمة التي استخدمها: الأمر. ربما جعلها ذلك تبدو صغيرة وتافهة وغير مهمة كأي شيء يمكن تجاهله، أما «العلاقة» فشيء مختلف. لم تصدق للحظة أنه قد أنهاها في الفندق، فقد بدت إيزابيل مبتهجة للغاية، لكن ما قاله في ما بعد كان صحيحاً. إن انكشف الأمر فلن تؤذيه الفضيحة فقط، وإنما ستؤذيها هي والأطفال حيث ستأتي في أسوأ اللحظات الممكنة. كان رئيس المجلس يريد الحديث معه حول السياسة، وعرض عليه الانضمام للحزب، فقد كانوا يرون مايكل كمرشح مثير للاهتمام في منصب سياسي في المستقبل غير البعيد... إنه من يسعون وراءه تماماً؛ فهو شاب وطموح وشهير وناجح؛ حتى ظهرت جريمتا قتل رجُلَي الشرطة الأخيرتان بالطبع. لكن، بعد أن يحلهما عليهم الجلوس ومناقشة مستقبله... في الشرطة أم في السياسة حيث يظن مايكل أنه سيكون له التأثير الأكبر. ليس لأن مايكل قد قرر ما أراده، لكن كان من الواضح أن أي نوع من الفضائح سيغلق ذلك الباب.

وبالطبع هناك هي والأطفال. ما سيحدث لمهنته قضية ثانوية بالمقارنة مع ما ستعنيه هذه الخسارة. قاطعته قبل أن يمضي في إشفاقه على نفسه، وقالت إنها فكرت في الأمر وإن حساباتها تتفق مع حساباته. مهنته... أطفالهما... حياتهما معاً... وقالت بهدوء إنها سامحته، لكن عليه أن يعدها بألاّ يتواصل مع إيزابيل سكوين إطلاقاً؛ إلا بما تقتضيه اجتماعات رئيس الشرطة؛ حيث يكون هناك أشخاص آخرون حاضرون. بدت على مايكل خيبة الأمل، كما لو أنه كان متسلحاً لمعركة لا لمناوشة صغيرة انتهت ببساطة من دون أن تكلفه شيئاً. شاهدت أولا ترولس يشغل محرك السيارة ويقودها مبتعداً. لم تكن قد أخبرت مايكل بشكوكها، كما لم تكن لديها النية لتفعل ذلك. ما الغرض الذي سيخدمه ذلك؟ إن كانت محقة يمكن لترولس أن يكون الجاسوس الذي سيطلق صفارة الإنذار في حال لم يتم الالتزام بالاتفاق بخصوص إيزابيل سكوين.

اختفت السيارة ليمتزج الصمت مع سحب الغبار، بينما خطرت ببالها فكرة... فكرة جامحة وغير مقبولة على الإطلاق؛ لكن الذهن لا يخضع للرقابة الفكرية... هي وترولس في غرفة النوم هناك كانتقام بالطبع، لكنها رفضت الفكرة مباشرة فور ظهورها.

اختفى الجليد المتجمع على زجاج النافذة كبصاق رمادي ليحل محله المطر... مطر غزير وعمودي حيث كافحت مساحتا الزجاج بشدة ضد جدار من المياه. قاد أنطون ميتيت السيارة ببطء؛ فالظلمة حالكة، والماء يجعل كل شيء غبشاً ومشوهاً. ألقى نظرة إلى الساعة في سيارته فوكس فاجن. حين قررا شراء سيارة قبل ثلاث سنوات أصرت لورا على هذه السيارة ذات المقاعد السبعة، فسألها مازحاً إن كانت تنوي إنجاب عائلة كبيرة؛ على الرغم من أنه كان يعلم أنها لا تحب الجلوس في سيارة صغيرة في حال تعرضوا لحادث. أنطون أيضاً لم يكن يرغب بحدوث أي حادث، فهو يعرف هذه الطرق جيداً، ويعرف أن فرص لقاء سيارات مارة في هذا الوقت من الليل ضئيلة للغاية، لكنه لم يقم بالمخاطرة.

كان النبض في صدغيه متسارعاً بسبب المكالمة الهاتفية التي تلقاها قبل عشرين دقيقة، بالإضافة إلى أنه لم يتناول قهوته اليوم، فقد عافها بعد قراءة نتيجة التحليل... غباء. والآن تضيقت الأوعية الدموية المعتادة على الكافيين؛ مما تسبب له بصداع شديد. كان قد قرأ أن أعراض الانسحاب لدى المدمنين على القهوة تستغرق أسبوعين حتى تختفي، لكن أنطون لم يكن راغباً بالتخلي عن إدمانه؛ فهو يريد القهوة ويريدها بمذاق لذيذ إلا أنه لم يعد يتذوق سوى الطعم المر للحبوب المنومة.

كان قد استجمع قواه للاتصال بغونار هاغن وإخباره أنه تم تخديره حين توفي المريض، وإنه كان نائماً بينما دخل أحد ما الغرفة، وإنه حتى لو قال الأطباء إن الموت حدث لأسباب طبيعية فإن الأمر ليس كذلك، وهم بحاجة للقيام بتشريح آخر للجثة أكثر دقة. اتصل مرتين من دون الحصول على رد... لقد حاول... وسيحاول مجدداً. لقد تكرر الأمر... تم قتل أحد ما... ضغط على المكابح وانعطف إلى الطريق الحصوي المتجه إلى إيكرساغا، ثم ضاعف السرعة وسمع الحجارة الصغيرة وهي تصطدم بالعجلات.

كان الظلام أشد هنا، والحفر في الأرض ممتلئة بالمياه... إنه منتصف الليل. كان الوقت منتصف الليل حين حدث الأمر أول مرة أيضاً. وبما أن الموقع كان قريباً من حدود المنطقة المجاورة، كان الشرطي نيدر إيكر أول الواصلين إلى مسرح الجريمة بعد تلقيه مكالمة من أحد ما قد سمع الاصطدام، وظن أن هناك سيارة سقطت في النهر. وكما لو أن الأمر لم يكن سيئاً بما فيه الكفاية لدخول الشرطي المنطقة من دون إذن، فقد جال في الموقع بسيارته وطمس الأدلة المحتمل وجودها.

تجاوز أنطون المنعطف حيث وجدها... الهراوة. كان ذلك في اليوم

الرابع بعد مقتل رينيه كالسنس وحصول أنطون أخيراً على إجازة، لكنه بقي متململاً وذهب للمشي في الغابة بمفرده لإكمال البحث. في كل الأحوال، لم تكن جرائم القتل من الأشياء التي تحدث كل يوم - أو كل سنة - في منطقة شرطة سوندر باسكيرود. كان قد غادر المنطقة التي مشطها فريق البحث بدقة ليجدها تحت شجرة صنوبر وراء المنعطف. عندها، اتخذ أنطون قراره... قراره الغبي الذي دمر كل شيء. كان قد قرر عدم ذكر شيء عن ذلك... لماذا؟ أولاً، كان المكان بعيداً عن مسرح الجريمة في إيكرساغا، حيث إنه ما من صلة بين الهراوة وجريمة القتل. في ما بعد سألوه عن سبب بحثه هناك إن كان يظن حقاً أن المكان بعيد جداً، لكنه في ذلك الحين لم يظن سوى أن هراوة الشرطة لن تسترعي سوى الاهتمام السلبي وغير المطلوب بالشرطة. كان من الممكن أن يكون سبب إصابات رينيه كالسنس أي أداة ثقيلة، أو سقوطه عن الجرف إلى النهر تحت أربعين متراً. والهراوة لم تكن سلاح الجريمة في كل الأحوال، فقد تم إطلاق النار على وجه رينيه كالسنس بمسدس من عيار 9 ملم.

لكن أنطون أخبر لورا بأمر الهراوة بعد بضعة أسابيع، فأقنعته أن عليه ذكر ذلك وأنه ليس من صلاحيته تقييم أهمية ما وجده، لذا قام بذلك. توجه إلى رئيسه وأخبره بما وجده. وبدلاً من أن يشكروه على قضاء يوم عطلته في المساعدة بالتحقيق بجريمة القتل، قاموا بإيقافه عن العمل ووضعه في مكتب ليجيب على الهاتف ليفقد كل شيء بسقطة واحدة. ولماذا؟ لم يقل أحد ذلك بصوت مرتفع، لكن رينيه كان نذلاً بارداً وعديم الضمير خدع أصدقاءه والغرباء... هو شخص سيكون العالم أفضل بدونه. لكن الجزء الأسوأ في الأمر هو أن العاملين في كريمتكنيسك لم يجدوا أي آثار على الهراوة لربطها بجريمة القتل. وبعد ثلاثة أشهر من احتجازه في المكتب، كان أمام أنطون الخيار بفقدان صوابه أو الاستقالة أو النقل، لذا اتصل بصديقه وزميله القديم غونار هاغن الذي حصل له على وظيفة مع شرطة أوسلو. عملياً، ما قدمه له غونار كان خطوة للوراء، لكن على الأقل عاد أنطون ليختلط بالناس والمجرمين في أوسلو. وأي شيء أفضل من الهواء الراكد في درامن حيث كانوا يحاولون تقليد أوسلو بتسمية محطتهم الصغيرة «مركز الشرطة»، وحتى العنوان كان تقليداً: غرونلاند 36 ، مقارنة بعنوان أوسلو غرونلاندسليرت.

وصل أنطون إلى أعلى التل، حيث ضغطت قدمه اليمنى تلقائياً على المكابح حين رأى النور، لتحتك الإطارات بالحصى وتقف السيارة ساكنة. كان

المطر يهطل على السيارة مغرقاً صوت المحرك. انخفض المصباح البعيد عنه عشرين متراً، لتنعكس أضواء السيارة على شريط برتقالي وأبيض وسترة شرطة صفراء يرتديها الشخص الذي أخفض المصباح. لوح له ليقترب، فقاد أنطون السيارة متقدماً. هنا... وراء الحاجز... كانت سيارة رينيه قد سقطت. كانوا قد استخدموا شاحنة كبيرة مزوّدة بسلاسل فولاذية لسحب الحطام من النهر إلى المنشرة المهجورة حيث تمكنوا من وضعها على الأرض. اضطروا للوي جثة رينيه كالسنس ليحرروه، إذ إن المحرك ارتطم بداخل السيارة على مستوى الورك.

ضغط أنطون على زر فتح النافذة ليلفحه هواء الليل البارد والرطب... عظيم... مطر غزير هطل على حافة النافذة مرسلاً رذاذاً خفيفاً على رقبته.

- حسناً... أين...؟

رمش أنطون. لم يكن متأكداً إن أكمل عبارته، فقد كان الأمر كقفزة صغيرة عبر الزمن... تعديل بسيط في فيلم... لم يعرف ما حصل... بل عرف فقط أنه كان فاقداً وعيه. نظر إلى حضنه... إلى شظايا الزجاج هناك. رفع بصره واكتشف أن الجزء العلوي من النافذة محطم. فتح فمه وكان على وشك طرح سؤال عما يحدث، لكنه سمع صفارة في الجو وأدرك ما هي... أراد رفع يده لكنه كان بطيئاً للغاية... سمع صوت تحطم، وأدرك أنه من رأسه... شيء ما يتهشم لقطع... رفع ذراعه وصرخ، ثم وضع يده على ناقل السرعة وحاول تحريكه لكنه لم يتحرك. كان كل شيء يتحرك ببطء... أراد الضغط على الناقل وتسريعه لكن ذلك سيرسله إلى الأمام باتجاه الحافة... نحو الجرف... إلى النهر... على ارتفاع أربعين متراً للأسفل. ثم سمع صوت المطر بوضوح أكثر، وأحس بهواء الليل البارد على كامل الجزء الأيسر من جسده. أحد ما فتح الباب... مقبض التعشيق... أين كانت قدمه؟ كانت تلك نسخة كاملة... بالمقلوب... ها نحن ذا.

حدق مايكل بيلمان في السقف، وأنصت إلى الطقطقة المطمئنة لقطرات المطر على السطح... بلاط هولندي... مكفول لأربعين سنة. تساءل مايكل كم قطعة بلاط يبيعون بسبب هذه الكفالة... أكثر مما يكفي ليدفعوا لمن لم يصمد لديهم لفترة كافية. إن كان هناك شيء أراده الناس فهو الكفالة بأن الأشياء ستصمد.

استلقت أولا واضعة رأسها على صدره.

كانا قد تكلما... تكلما مطوّلاً... لأول مرة حسب ما يذكر بكت...

ليست دموع الألم التي يكرهها، وإنما الدموع الأخرى... الدموع اللطيفة التي تدل على ألم أقل وخسارة أقل... الدموع التي تخبره أن هناك شيئاً ثميناً للغاية في علاقتهما يستحق التضحية. لم يكن قد شعر بالخسارة حتى بكت؛ كما لو أنه كان بحاجة لدموعها لتريه. رفعا الستائر التي كانت هناك: الستائر بين ما يظنه مايكل بيلمان وما يشعره، لكنها كانت تبكي من أجل كلا النوعين من الستائر، كما كانت تضحك من أجل كلا النوعين.

كان قد أراد إراحتها فربت على شعرها، وسمح لدموعها بتبليل القميص الأزرق الفاتح الذي كوته له في اليوم السابق، ثم قبلها من دون تعمّد... أو هل كان مدركاً لذلك؟ أكان ذلك بدافع الفضول؟ الفضول لمعرفة ردة فعلها... النوع نفسه من الفضول الذي راوده حين قام كمحقق شاب باستجواب مشتبه به وفقاً لنموذج ريد وباكلي ذي الخطوات التسع حيث يتم الضغط على الزر العاطفي لرؤية ردة الفعل الناتجة.

في البداية، لم تظهر أولا أي ردة فعل للقبلة، وإنما تصلبت فحسب ثم استجابت بلطف. كان يعرف قبلاتها، لكن ليس هذه القبلة... القبلة المترددة والمؤقتة، فقبلها بنهم أكبر، فسحبته إلى السرير ومزقت ملابسه لتراوده الفكرة في الظلام مجدداً... أنها ليست هي... ففشل حتى قبل أن يصبحا تحت الغطاء.

شرح لها أنه كان مرهقاً ولديه الكثير ليفكر به، وأن الوضع مربك بالنسبة له، وأن شعوره بالخزي مما فعله كبير، ثم أضاف أنه ليس لها - المرأة الأخرى - أي علاقة بالأمر، وقد أقنع نفسه أيضاً أن ذلك صحيح.

أغمض عينيه مجدداً، لكن كان من المستحيل أن يغفو... كان يشعر بالاضطراب نفسه الذي أيقظه خلال الأشهر الماضية... انتابه شعور غامض بأن شيئاً رهيباً قد حصل أو على وشك الحصول... ولبعض الوقت، كان يأمل أن يكون ذلك مجرد تأثير حلم حتى يذكره.

شيء ما جعله يفتح عينيه مجدداً... ضوء... ضوء أبيض على السقف منبعث من الأرض بجوار السرير. استدار ونظر إلى شاشة هاتفه... صامت كالعادة. كان قد اتفق مع إيزابيل على عدم إرسال الرسائل في الليل... ولم يسألها قط عن سبب ذلك. وبدا أنها تفهمت الأمر حين شرح لها أنهما لن يكونا قادرين على رؤية بعضهما لفترة من الزمن؛ على الرغم من أنه ظن أنها فهمت ما يعنيه... الفترة من الزمن ستكون أبدية.

أحس مايكل بالراحة حين رأى أن الرسالة من ترولس، ثم استغرب... ربما يكون ثملاً أو أخطأ بالرقم... قد يكون أرسلها لامرأة لم يذكرها له.

كانت الرسالة مكونة من كلمتين:
نم جيداً.

استيقظ أنطون ميتيت.

كان أول ما سجله هو صوت المطر الذي لم يعد سوى غمغمة خفيفة على زجاج النافذة، والمحرك مطفأ، ورأسه يؤلمه ولا يمكنه تحريك يديه.

فتح عينيه.

كانت مصابيح السيارة لا تزال مضاءة لتنير الأرض عبر المطر إلى الظلام حيث اختفت اليابسة فجأة. لقد منعه زجاج السيارة المبلل من رؤية غابة الصنوبر على الجانب الآخر من الممر، لكنه كان يعلم أنها موجودة وخاوية وصامتة وعمياء. لم يتمكنوا من إيجاد شهود في تلك المرة... ولا حتى في هذه المرة.

نظر إلى يديه... لم يستطع تحريكهما لأنهما كانتا مقيدتين بعجلة القيادة برباط بلاستيكي. في الشرطة يقومون حالياً باستبدال الأصفاد بالرباط؛ حيث لا تحتاج سوى لوضع الرباط الضيق حول معصم الموقوف وتشده ليحد من حركة أقوى المشتبه بهم... وأكثر ما يمكن أن يحققه من يقاوم هو الإصابة بجروح عميقة في البشرة واللحم حتى العظم في حال لم يستسلم.

أمسك أنطون بعجلة القيادة من دون أن يشعر بأصابعه.

- هل أنت مستيقظ؟

بدا الصوت مألوفاً. التفت أنطون إلى المقعد المجاور، وحدق في العينين اللتين تنظران عبر ثقبي قناع الوجه... النوع نفسه الذي تستخدمه قوة دلتا الخاصة.

- دعنا نطلق هذه.

أمسكت اليد اليسرى التي ترتدي القفاز ذراع المكابح اليدوية ورفعتها. كان أنطون يحب دائماً سحب ذراع المكابح اليدوية لأنها تمنحه شعوراً بالميكانيك والمسننات والسلاسل وما يحصل عادة. هذه المرة ارتفعت وتحركت مصدرة مجرد غمغمة خفيفة... المسننات... إنها تتدحرج للأمام لمتر أو اثنين. داس أنطون بقدمه على المكابح... كان عليه أن يدوس بقوة ليمنع المحرك من التشغيل.

- ردة فعل جيدة يا ميتيت.

حدق أنطون عبر زجاج النافذة الأمامية... الصوت... هذا الصوت. أبعد قدمه عن المكابح بينما تحركت السيارة، ثم داس بقدمه مجدداً حيث تمكن من إيقافها هذه المرة.

أضاء النور الداخلي.

- أتظن أن رينيه كان يعلم أنه سيموت؟

لم يجب أنطون ميتيت. لمح نفسه في المرآة... أو على الأقل ظن أنه هو. فقد كان وجهه مغطى بالدم اللامع، وأنفه متورماً من أحد الجانبين وربما مكسوراً.

- كيف هو شعورك يا ميتيت؟ أتعلم؟ أيمكنك إخباري؟

- لـ... لماذا؟

كان سؤال أنطون رداً تلقائياً؛ إذ لم يكن متأكداً من أنه يريد معرفة السبب، وكل ما كان يعرفه هو أنه متجمد من البرد، وأنه يريد الهرب والذهاب إلى لورا ليعانقها وتعانقه ويشم عطرها ويشعر بدفئها.

- ألم تحزر بمفردك يا ميتيت؟ ذلك لأنك لم تحل القضية بالطبع. سأمنحك فرصة أخرى... فرصة لتتعلم من أخطائك السابقة.

- أ... أتعلم؟

- أتعلم أن الأبحاث النفسية قد أظهرت أن التغذية الراجعة السلبية نوعاً ما تعزز أداءك؟ ليس سلبياً جداً وغير إيجابي وإنما هو سلبي قليلاً. معاقبتكم كلكم بقتل محقق من المجموعة بين الفينة والأخرى تعتبر كسلسلة من التقارير السلبية قليلاً... ألا تظن ذلك؟

صدر صرير العجلات فداس أنطون على المكبح مجدداً وهو يحدق في الحافة. وبدا له وكأن عليه الضغط بقوة أكبر.

قال الصوت:

- إنه سائل المكابح... لقد ثقبت الأنبوب فبدأ ينفد. قريباً لن تستفيد شيئاً مهما ضغطت. أتظن أنك ستتمكن من التفكير وأنت تسقط؟ أو الندم على ما فعلته؟

- الندم على ماذ...؟

أراد أنطون أن يكمل، لكن لم تعد الكلمات تصدر كما لو أن فمه مملوء بالطحين... يسقط... هو لا يريد السقوط.

- الندم على أخذ الهراوة... الندم على عدم المساعدة في العثور على القاتل. كان ذلك سينقذك من هذا كما تعلم.

أحس أنطون أنه يضغط مخرجاً السائل عبر الدواسة، وأنه كلما ضغط

بقوة أكبر تسرب السائل بسرعة أكبر من النظام، فخفف الضغط بقدمه، وسمع طقطقة الحصى تحت الإطارات. وحين أحس بالذعر، دفع ظهره نحو المقعد، ومد ساقيه على الأرضية ودواسة المكابح. كان في السيارة نظاما مكابح هيدروليكيان منفصلان... ربما يكون قد ثقب أحدهما فقط.

- في حال تبت فقد يتم غفران ذنوبك يا ميتيت.

- أنا... أنا أتوب. أخرجني من هنا.

ضحكة خافتة.

- لكنني يا ميتيت لا أتحدث عن نفسي، إذ لن تحصل مني على أي مغفرة... والجواب نعم... لقد ثقبت كلا النظامين.

للحظة، ظن أنطون أن بإمكانه سماع سائل المكابح وهو يقطر من تحت السيارة، حتى لاحظ أن دمه يقطر من ذقنه إلى حضنه... سيموت. كانت فكرة مفاجئة وغير قابلة للتغيير، فسرت رعشة في جسده، وأصبح من الصعب عليه الحركة، كما لو أن الموت بدأ يسري في جسده. لكن، لماذا لا يزال القاتل جالساً بجواره؟

لهث أنطون طلباً للهواء؛ إذ لم يكن هناك ما يكفي لكليهما.

قال الصوت:

- بالنسبة لي... أنا لست خائفاً من الموت على الإطلاق... أليس هذا غريباً؟ أن تخسر ميزة الخوف من الموت. بالطبع هذا متعلق جزئياً بالرغبة بالحياة... لكن جزئياً فقط. الكثير من الناس يمضون معظم حياتهم في مكان لا يرغبون بالبقاء فيه بسبب الخوف من أن يكون البديل أسوأ. أليس ذلك محزناً؟

أحس أنطون بالاختناق... لم يكن قد عانى من الربو من قبل، لكنه رأى لورا حين أصيبت بنوبة، ورأى التعابير المتوسلة واليائسة على وجهها، وأحس باليأس لعدم قدرته على المساعدة ولبقائه مجرد متفرج على كفاحها الشديد للتنفس. لكن جزءاً منه كان يشعر بالفضول، ويريد المعرفة والإحساس بذلك الشعور، والإحساس بأنه على حافة الموت والإحساس بأنه ما من شيء يمكنه فعله... إنه شيء يتم فعله لك.

الآن عرف.

ترنم الصوت:

- أظن أن الموت أفضل. لكن، لا يمكنني الانضمام إليك يا أنطون. فكما ترى، لدي عمل أقوم به.

استطاع أنطون سماع طقطقة الحصى مجدداً كصوت أجش يقدم جملة

ببطء. ولم يعد من الممكن الضغط على الدواسة أكثر، فقد كانت تلامس الأرض.

- وداعاً.

أحس بالهواء البارد من المقعد المجاور حين فتح الباب.

تنهد أنطون:

- المريض.

وحدق أمامه بالحافة حيث تلاشى كل شيء، لكنه أحس بالشخص على المقعد المجاور يلتفت إليه.

- أي مريض؟

مد أنطون لسانه ومرره على شفته العليا، وتحسس شيئاً رطباً مذاقه حلو ومعدني، ثم لعق داخل فمه حتى وجد صوته:

- المريض في مشفى ريكشوبيتالت. لقد تم تخديري قبل أن يتم قتله... أكان ذلك أنت؟

مضت بضع ثوانٍ من الصمت وهو ينصت للمطر في الظلام... أهناك صوت أجمل؟ لو كان لديه الخيار لجلس هنا منصتاً لهذا الصوت يوماً تلو الآخر وسنة تلو الأخرى... ينصت وينصت ويستمتع بكل ثانية أمامه.

ثم تحرك الجسد الذي كان بجواره، وأحس بالسيارة ترتفع حين ذهب ثقل الرجل وأغلق الباب بهدوء ليبقى وحيداً بينما تحركت السيارة. كان صوت الإطارات وهي تدور ببطء على الحصى كهمس أجش... المكابح اليدوية... كانت تبعد خمسة عشر سنتيمتراً عن يده اليمنى. حاول أنطون سحب يده بعيداً، ولم يشعر بالألم حين انجرح الجلد. علا الهمس الأجش وتسارع، وكان يعلم أنه طويل ومتشنج للغاية حيث لا يمكنه وضع قدمه تحت المكبح اليدوي، لذا انخفض للأسفل، وفتح فمه وأمسك بطرف المكبح اليدوي، وأحس به يضغط على الجانب الداخلي من أسنانه وسحبه لكنه أفلت، ثم حاول ثانية وهو يعلم أن الأوان قد فات، لكنه فضل الموت هكذا؛ وهو يكافح للبقاء على قيد الحياة. انثنى وأمسك المكبح بفمه ثانية.

في تلك اللحظة، ساد السكون وخفت الصوت وتوقف المطر عن الهطول... لا، لم يتوقف... وإنما كان هو... إنه يسقط... بلا وزن... وهو يدور ببطء كما لو كان يرقص مع لورا بينما وقف كل من يعرفه حوله يشاهد... دار حول محوره ببطء متأرجحاً... خطوة... اثنتين... ثلاثاً... الآن أصبح وحده... يسقط في هذا الصمت الغريب... يسقط مع المطر.

14

نظرت إليهما لورا ميتيت. كانت قد نزلت إلى مقدمة الحي في إلفيباركين حين اتصلا، وها هي الآن تقف شابكة ذراعيها ومتجمدة في ثوبها بينما تلألأت أشعة الشمس على نهر درامن. خطرت ببالها فكرة جعلتها تغيب عنهما لبضع ثوانٍ ولا تسمعهما ولا ترى شيئاً سوى النهر وراءهما. لبضع ثوانٍ، كانت تفكر في أن أنطون لم يكن يوماً الشخص المناسب لها، وأنها لم تلتق قط بالشخص المناسب أو لم تحظ به. أما الشخص الذي حصلت عليه - أنطون - فقد خانها في سنة زواجهما نفسها. لم يكتشف أبداً أنها عرفت لأنها كانت ستخسر الكثير، وربما يكون على علاقة بأخرى الآن؛ إذ تبدو عليه التعابير المبالغ بها نفسها حين يقدم لها أعذاره العفنة نفسها... مناوبات إضافية مفروضة من الأعلى... الازدحام المروري على الطريق... الهاتف المحمول مطفأ بسبب البطارية الفارغة.

كانا اثنين... رجلاً وامرأة يرتديان بذلتين نظيفتين ومرتبتين كما لو أنهما جديدتان... عيون جادة وخائفة... نادياها سيدة ميتيت، بينما لم يقم أحد من قبل بذلك، كما أنها لا تحب ذلك... إنه اسمه وهي نادمة على حمله.

سعلا... لديهما شيء ليقولاه لها... ما الذي ينتظرانه؟ كانت تعلم مسبقاً، فقد أخبراها بوجهيهما المأساويين والمعتوهين. أحست بالغضب الشديد لدرجة أنها أحست بوجهها يتلوى ويتشوه إلى شكل لا تحبه لتؤدي دوراً في هذه المأساة الهزلية. قالا شيئاً... ما هو؟ أهو باللغة النروجية؟ ليس للكلمات أي معنى.

لم ترغب قط بالحصول عليه، ولم ترغب بحمل اسمه.

إلا الآن.

15

ارتفعت سيارة فوكس فاجن السوداء نحو السماء الزرقاء كصاروخ يتحرك ببطء شديد. فكرت كاترين وهي تشاهد أثرها الذي لم يكن من النار والدخان وإنما من الماء الذي يسيل من أبواب السيارة المحطمة وصندوقها ليتلاشى في قطرات تتلألأ في الشمس وهي تنهمر في النهر.

قال الشرطي المحلي:

- لقد سحبنا سيارة من هنا في المرة الماضية.

كانوا واقفين بجوار المنشرة القديمة ذات الطلاء الأحمر المتقشر والألواح المحطمة في النوافذ الصغيرة، بينما كان العشب الذابل على الأرض كغرة هتلر مسرحة باتجاه هطول المطر في الليلة الماضية. وفي الظل، كان هناك بعض الثلج الرمادي المتجمد، بينما غرد طائر مهاجر عاد قبل أوانه بتفاؤل وخر النهر برضى.

- لكن هذه علقت بين صخرتين مما جعل رفعها أكثر سهولة.

تبعت نظرات كاترين مجرى النهر. فوق المنشرة، هناك سد حيث يتخزن الماء بين الصخور الرمادية الضخمة التي تحيط بالآلة. رأت الشمس تسطع على شظايا الزجاج المبعثرة، ثم رفعت عينيها عن صخور الغرانيت لتلمح الجسد أسفل الرافعة الصفراء البارزة فوق حافة الجرف في الأعلى، وتمنت أن يكونوا قد حسبوا الوزن مقابل طول الذراع على نحو صحيح.

سأل الشرطي الذي سمح لهم بتجاوز الشريط بعد تفحص بطاقات تعريفهم الشخصية بدقة:

- لكن، إن كنتم محققين فلماذا لم تأتوا إلى هنا مع الآخرين؟

هزت كاترين كتفيها، إذ لم يكن بإمكانها القول إنهم يعملون سراً... أربعة أشخاص بدون تفويض رسمي مما يعني أن عليهم البقاء بعيدين عن وحدة التحقيق الرسمية.

- يمكننا رؤية ما نحتاج لرؤيته من هنا... شكراً لك على السماح لنا بالنظر.

- لا مشكلة.

أطفأت كاترين برات جهاز الآي باد الذي كان لا يزال موصولاً بموقع السجون النروجية، ثم أسرعت وراء بتي لون وشتال أون اللذين كانا قد تجاوزا الشريط وبدآ العودة إلى سيارة من نوع فولفو أمازون ذات الأربعين عاماً التي يملكها بيورن هولم. جاء صاحبها وهو يسير الهوينا على الطريق

الحصوي شديد الانحدار، ولحقهم إلى سيارته القديمة التي لا تحوي مكيف هواء أو أكياس هواء أو قفلاً مركزياً، لكن عليها شريطاً لاصقاً على المقدمة والسقف. استنتجت كاترين من أنفاس هولم المتسارعة أنه لن يلبي المتطلبات الحالية للالتحاق بمدرسة الشرطة.

قالت بتي:

- إذاً؟

رد هولم وهو يخلع قبعته ويمسح بها عرقه عن وجهه:

- الوجه مهشم جزئياً، لكن الجسد واحد ويعود لأنطون ميتيت.

ردت بتي:

- ميتيت... بالطبع.

التفت الآخرون إليها.

- شرطي محلي حل محل سيمون من ماريدال. أتذكره يا بيورن؟

رد هولم:

- لا.

لم تكن تبدو عليه أي دلائل على الخزي، مما جعل كاترين تفترض أنه معتاد على فكرة أن رئيسته من المريخ.

- كان في شرطة درامن، وكان منخرطاً في التحقيق في الجريمة السابقة التي وقعت هنا.

هزت كاترين رأسها بدهشة. فبالنسبة إليها، أن تبدي بتي ردة فعل فور ظهور الرسالة بشأن سيارة في النهر في سجلات الشرطة بطلبها منهم جميعاً التوجه إلى درامن - إذ تذكرت أنها المكان الدقيق الذي قتل فيه رينيه كالسنس منذ عدة سنوات - شيء، وأن تتذكر اسم الرجل في درامن الذي كان منخرطاً في التحقيق شيء آخر.

قالت بتي بعد أن لاحظت بالتأكيد كاترين وهي تهز رأسها:

- من السهل تذكره لأنه ارتكب خطأ فادحاً؛ فقد تكتم عن هراوة الشرطي التي وجدها خشية أن تتورط الشرطة. هل ذكر أي شيء عن السبب المحتمل للموت؟

رد هولم:

- لا. فمن الواضح تماماً أن السقوط قد قتله؛ إذ إن مكبح اليد قد اخترق فمه إلى مؤخر رأسه، لكن من المؤكد أن أحدهم قد قام بضربه عندما كان حياً؛ إذ تظهر على وجهه كدمات.

فسألت كاترين:

- هل يمكن أن يكون قد قاد نفسه إلى أسفل الجرف؟

- من الممكن، لكن يديه كانتا مثبتتين إلى عجلة القيادة برباط، ولم تكن هناك آثار للمكابح، كما أن السيارة قد اصطدمت بالصخور القريبة من الجرف، لذلك لا يمكن أن تكون السيارة قد تقدمت بسرعة. لا بد أنها تدحرجت فقط.

فقالت بتي بعبوس:

- مكبح اليد في فمه! كيف حصل ذلك؟

قالت كاترين:

- يداه موثقتان والسيارة تتقدم نحو الحافة. لا بد أنه كان يحاول أن يسحب المكبح بفمه.

- ربما. على أية حال، هذا شرطي يُقتل في مسرح جريمة قديم.

أضاف بيورن هولم:

- جريمة لم يتم كشف غموضها.

فردت بتي وهي تلوح بالتقرير الذي طبعوه بسرعة قبل مغادرة المكتب في الطابق الأرضي:

- نعم. ولكن ثمة اختلافات هامة بين تلك الجريمة وجريمتي قتل الفتاتين في ماريدال وتريفان. إذ إن رينيه كالسنس كان رجلاً، ولم تكن هناك أي علامات على اعتداء جنسي.

فأضافت كاترين:

- يوجد اختلاف أكثر أهمية أيضاً.

- وما هو؟

ربتت على جهاز الآي باد تحت ذراعها وقالت:

- كنت للتو أتحقق من السجلات الجنائية وقوائم السجناء ونحن في طريقنا إلى هنا، فوجدت أن فالنتين غجيرتسين كان يمضي فترة عقوبة في سجن إيلا عندما قتل رينيه كالسنس.

رد هولم:

- تباً.

فقالت بتي:

- الآن، هذا لا يستبعد قتل فالنتين لأنطون ميتيت، فربما يكون قد كسر القاعدة هنا. لكن، لا يزال الرجل المجنون نفسه خلف الجريمة، أليس كذلك يا شتال؟

التفت الثلاثة إلى شتال أون الذي كان صامتاً على غير عادته،

فلاحظت كاترين أن الرجل البدين كان أيضاً شاحباً على غير عادته، وكان متكئاً على باب سيارة الأمازون وصدره يرتفع وينخفض، فكرّرت بتي:

- شتال؟

فأجاب مبدياً محاولة غير ناجحة للتبسم:

- عفواً، مكبح اليد...

قاطعته بتي وهي تحاول إخفاء نفاد صبرها من دون نجاح:

- ستعتاد على ذلك. هل هذا قاتل الشرطة الذي نبحث عنه أم لا؟

انتصب شتال أون قائلاً:

- يمكن للقاتل المتسلسل أن يكسر القاعدة إذا كان ذلك ما تسألين عنه. لكنني لا أعتقد أن هذا شخص مقلد يكمل حيث ترك أول... قاتل للشرطة، فالقاتل المتسلسل كما اعتاد هاري أن يقول حوت أبيض. لذلك، القاتل المتسلسل لضباط الشرطة حوت أبيض منقط باللون الوردي، أي إنه فريد من نوعه.

فأوضحت بتي قائلة:

- إذاً، نحن متفقون على أنه القاتل نفسه، إلا أن حكم السجن يستبعد نظرية عودة فالنتين إلى وساوسه القديمة وتكرار الجرائم.

قال بيورن:

- ورغم ذلك، إن هذه أول جريمة تكون فيها الجريمة نفسها مستنسخة أيضاً، فضربات الوجه والسيارة في النهر قد يكون لها بعض الأهمية.

- ما رأيك يا شتال؟

- هذا يمكن أن يعني أنه يشعر أنه أكثر مهارة لدرجة أنه يتقن الجرائم بجعلها نسخاً مطابقة مصقولة.

ردت كاترين بشموخ:

- تمهل قليلاً... إنك تجعله يبدو كفنان.

رد شتال مع نظرة ساخرة:

- حقاً؟!

- لون!

التفت الجميع، فإذا برجل آتٍ من أعلى التلة مرتدياً قميصاً من هاواي، وخصلات شعره تتراقص. وبدا لهم أن ذلك بفعل السرعة العالية نسبياً نتيجة لانحدار التلة الشديد أكثر من كونه متحمساً.

قالت بتي:

- دعونا نذهب.

ازدحموا داخل سيارة الأمازون، وبينما كان بيورن يقوم بمحاولة ثالثة لتشغيل السيارة، طرقت سبابة نحيلة على النافذة الأمامية حيث كانت بتي جالسة، فتذمرت بصوت منخفض وفتحت النافذة قائلة:

- روجر غيندم، هل لدى صحيفة أفتنبوستن أية أسئلة يمكنني أن أجيب عليها بـ «لا تعليق»؟

تكلم الرجل ذو القميص على طراز هاواي وهو يلهث، مما جعل كاترين متأكدة من أن بيورن هولم قد التقى من هو أقل منه من ناحية اللياقة فقال:

- هذا هو الشرطي الثالث الذي يتم قتله، هل لديكم أي آثار تشير للقاتل؟

تبسمت بتي لون، فقام روجر غيندم بتهجئة أحرف الكلمة متظاهراً أنه يكتب على دفتره:

- ل ا ت ع... لقد أبقينا آذاننا متنبهة لنجمع الأخبار. لقد صرح مالك ورشة سيارات أن ميتيت قام بتعبئة سيارته عنده في وقت متأخر الليلة الماضية، وحسب ظنه كان ميتيت وحده. هل هذا يعني...؟

- لا...

- ... تعليق. أعتقد أن رئيس الشرطة سيجعلك تحملين سلاحاً محشوّاً من الآن فصاعداً.

رفعت بتي حاجبها قائلة:

- ماذا تقصد؟

انحنى غيندم وألقى نظرة ريبة على الآخرين ليرى إذا كانت المعلومة التي سيقولها قد فاتتهم وقال:

- لقد كان السلاح الموجود في صندوق القفازات في سيارة ميتيت فارغاً بالرغم من وجود علبة ذخيرة هناك، فلو كان سلاحه محشواً لكان من الممكن أن ينقذ حياته.

فردت بتي:

- أتعلم شيئاً يا غيندم؟ بإمكانك أن تضيف إشارات تم ذكرها بعد الجواب الأول الذي تلقيته، لكنني في الحقيقة أفضل أن لا تذكر أمر هذا اللقاء السريع لأحد.

- ولم ذلك؟

هدر محرك السيارة وهي تتحرك، فقالت:

- أتمنى لك يوماً جميلاً يا غيندم.

وبدأت بتي بإغلاق النافذة، ولكن ليس بالسرعة الكافية لتتجنب السؤال التالي.

- هل اشتقت لأحدهم؟ أنت تعرفين من أقصد.

أفلت هولم المقبض، ونظرت كاترين إلى روجر غيندم وهو يتقلص في المرآة، لكنها انتظرت حتى اجتازوا ليرتوبن قبل أن تبوح بما يفكر به الجميع:

- إن غيندم على حق.

فتنهدت بتي قائلة:

- نعم، ولكنه لم يعد موجوداً يا كاترين.

- أعلم، لكن علينا أن نحاول!

سأل بيورن:

- نحاول ماذا؟! أن نحفر بحثاً عن رجل قد تم إعلان وفاته ودفنه؟!

وسرحت كاترين بنظرها إلى منظر الأشجار المتكررة وهي تمر عبر الطريق، وهي تفكر كيف قامت ذات مرة برحلة طيران في مروحية الشرطة فوق هذا المكان الأكثر اكتظاظاً بالسكان في النروج، وكيف خطر بذهنها أنه حتى في هذا المكان هناك مساحة كبيرة من الغابات والبرية؛ وهي أماكن لا يقصدها الناس وإنما هي أماكن للاختباء، وأن البيوت هنا كانت تبدو كنقط صغيرة في الليل، والشارع كشريط رفيع عبر الظلام الدامس الذي يجعل من المستحيل رؤية أي شيء مما يجعلك مضطراً لتشم وتسمع وتعرف.

كانوا على وشك الوصول إلى بلدية آسكر، لكنهم قطعوا الطريق في صمت لم يُخترق لدرجة أنه عندما أجابت كاترين بـ «نعم» لم يكن أحد منهم قد نسي السؤال بعد.

16

عبرت كاترين الساحة المفتوحة أمام قصر نوف؛ المقر الرئيس لجمعية الطلاب النروجيين، وقد كانت تذكر المكان بالحفلات الرائعة والموسيقا المميزة والنقاشات الساخنة، وضمن هذه الفعاليات اجتازوا امتحاناتهم بنجاح.

ومن المفاجئ أن نظام اللباس لم يتغير منذ أن كانت هنا إلا قليلاً: القميص والبنطال الفضفاض والنظارة التافهة والسترة المنتفخة أو سترة الجيش. وهذا الزي الموحي بالأمن هو محاولة تمويه عن انعدام الأمان، ومحاولة الطبقة المتوسطة التقدم اجتماعياً، بالإضافة إلى الخوف من الفشل اجتماعياً ومهنياً. لكنهم على أي حال كانوا يشعرون بالسعادة لأنهم لم يكونوا من الفقراء في الطرف الآخر من الساحة حيث كانت تتجه كاترين.

بعضهم كان يتجه نحوها الآن من البوابة الشبيهة ببوابة السجن الواقعة في مقدمة أراضي الكلية، وقد كان الطلاب بزيّ الشرطة الأسود الذي كان دائماً يبدو واسعاً مهما حاولوا أن يجعلوه ملائماً. ومن بعيد استطاعت أن تميز طلاب السنة الأولى؛ إذ كانوا يبدون كما لو أنهم يقفون في وسط الزيّ، كما أن ذروة القبعة كانت تنزل إلى أسفل جباههم؛ إما لإخفاء شعورهم بانعدام الأمان أو لتجنب مواجهة النظرات التي تنطوي على القليل من الازدراء أو حتى التعاطف من الطلاب في الجهة المقابلة من الساحة؛ أي الطلاب اللائقين، والمفكرين الأحرار المستقلين ذوي التفكير النقدي اجتماعياً الذين كانوا يتسمون بوجود شعر طويل لامع وهم يستلقون على الدرج في الشمس في وضع سامٍ، ويتنشقون ما يُعرف بالنسبة للمتدرب في الشرطة لفافة تبغ المارجوانا؛ لأنهم الشباب الحقيقيون ونخبة المجتمع الذين لهم الحق في ارتكاب الأخطاء ولا تزال خيارات الحياة أمامهم وليس خلفهم.

ربما كانت كاترين الوحيدة التي تنتابها تلك المشاعر عندما كانت هناك، والتي كانت تشعر برغبة في الصراخ والقول إنهم لا يعرفون من هي، ولماذا اختارت أن تصبح مسؤولة في الشرطة، وماذا قررت أن تحقق بقية حياتها.

كان ضابط الشرطة كارستين كاسبرسين لا يزال يجلس في مكتبه بعد الباب، لكنه حتى لو تذكر كاترين برات فإن وجهه لم يظهر ذلك؛ إذ تفحص بطاقتها الشخصية وهز رأسه بسرعة. مشت عبر الرواق إلى غرفة محاضرات، ومرّت بباب غرفة مسرح الجريمة التي كانت مفروشة مثل شقة

فيها جدران فاصلة وصالة يمكنهم فيها أن يراقبوا بعضهم وهم يمارسون البحث لإيجاد الأدلة وتفسير مجرى الحوادث، ثم مرت بباب غرفة اللياقة البدنية حيث يوجد سجاد التدريب ورائحة العرق وحيث يتدربون على الفن الراقي لمصارعة الناس ورميهم على الأرض ووضع القيود في أيديهم. وفي نهاية الرواق انسلت إلى المدرج رقم 2 حيث كانت المحاضرة في منتصفها، لذلك انسلت إلى مقعد شاغر في الصف الأخير وجلست بهدوء شديد فلم تلاحظها الفتاتان اللتان كانتا تهمسان بحماسة أمامها.

- إنها غريبة الأطوار كما أقول لك، فهي تضع صورة له على جدار غرفة النوم والجلوس.

- حقاً؟!

- لقد رأيتها بنفسي.

- يا الله، إنه كبير في السن وقبيح.

- أهذا ما تعتقدينه؟

هزت برأسها مشيرة إلى اللوح الذي كان المحاضر يكتب عليه وظهره للطلاب:

- هل أنت عمياء؟

التفت المحاضر إليهم، وكرر الكلمة التي كتبها على اللوح:

- الدافع! تكلفة القتل عالية جداً بالنسبة للناس ذوي التفكير المنطقي والشعور الطبيعي لدرجة أنه لا بد من وجود دافع جيد جداً، والقاعدة تقول إن العثور على هذه الدوافع الجيدة جداً أسرع وأسهل من العثور على أسلحة الجريمة والشهود والأدلة الشرعية، وأنها تشير مباشرة إلى عمل محتمل، ولهذا السبب يجب على أي محقق أن يبدأ بالسؤال «لماذا؟».

توقف قليلاً ليلقي نظرة على المستمعين مثل كلب حراسة الغنم الذي يقوم بالدوران ويحافظ على تجمع القطيع معاً حسب اعتقاد كاترين.

رفع سبابته قائلاً:

- وببساطة تقريبية، اعثر على الدافع تجد المجرم.

لم تكن كاترين برات تعتقد أنه قبيح رغم أنه لم يكن جذاباً بالمعنى التقليدي للكلمة، أو كما يسميه البريطانيون الذوق المكتسب... صوته بالعمق نفسه والدفء نفسه، ذلك الصوت الأجش المنهك قليلاً الذي لم يكن يثير إعجاب الطلاب المعجبين الشباب فقط.

تردد المحاضر للحظة قبل أن يعطي حق الكلام لطالبة تلوح بيدها.

- نعم؟

- إذا كان بإمكان محقق ذكي أن يحل القضية ببضعة أسئلة والقليل من الاستنتاج، فلماذا نرسل وحدات كبيرة مكلفة للفحص الشرعي؟

لم تنطو نبرة صوت الفتاة على سخرية مسموعة، وإنما على صدق طفولي، بالإضافة إلى إيقاع يظهر أنها قد عاشت في الشمال.

واستطاعت كاترين قراءة أحاسيس الإحراج والاستسلام والانزعاج على وجه المحاضر قبل أن يستجمع نفسه ويعطي جواباً:

- لأنه لا يكفي يا سيلج أن نعرف من هو خارق القانون. فأثناء موجة سرقة المصارف في أوسلو منذ عشر سنوات، كانت لدى وحدة السرقة مسؤولة شرطة استطاعت أن تتعرف على اللصوص المقنّعين من وجوههم.

فقاطعته الفتاة التي ناداها باسم سيلج بالقول:

- بتي لون، رئيسة كريمتكنيسك.

- تماماً. وهكذا تم التعرف على الرجال المقنّعين الذين ظهروا على شريط الدائرة التلفزيونية المصوَّر في ثمان من أصل عشر قضايا لكن لم يكن لديهم أي دليل. فعلى الرغم من أن البصمات دليل والسلاح المستخدم دليل فإن قناعة المحقق ليست بدليل مهما كان ذكياً. لقد استخدمت اليوم عدداً من الإيضاحات المبسّطة، لكن آخر هذه الإيضاحات هو أن الإجابة على السؤال «لماذا» عديمة القيمة ما لم نكتشف «كيف»؛ والعكس صحيح. ولكن الآن بما أننا ابتعدنا قليلاً في سير العملية سيتكلم فولكستاد عن التحقيق الشرعي.

ونظر إلى ساعته ثم أكمل:

- سنتكلم بعمق أكبر عن الدافع في المرة القادمة، ولكن سألقي سؤالاً لتشغيل الأذهان: لماذا يقتل الناس بعضهم بعضاً؟

وتفحص الجمهور مرة ثانية بتعبير مشجع، فلاحظت كاترين أنه بالإضافة إلى الندبة التي تمتد كقناة من طرف فمه إلى أذنه كانت هناك ندبتان جديدتان تبدو إحداهما كجرح بسكين على العنق، بينما تبدو الثانية في طرف رأسه على مستوى حاجبيه وكأنها بسبب رصاصة. وباستثناء هذه الندب، كان شكله أفضل مما رأته سابقاً. فهيئته طويلة مطواعة؛ إذ يبلغ طوله 1 . 92 متراً، وشعره القصير الأشقر لا يحوي أي بقعة رمادية، وكان بإمكانها أن ترى أن جسمه كان متناسقاً تحت قميصه؛ فقد اكتست عظامه باللحم، والأكثر أهمية أن الحياة عادت إلى عينيه، فقد عادت النظرة المتيقظة المفعمة بالحيوية إلى ما يقارب الجنون، وخطوط الضحك، ولغة الجسد التي لم ترها من قبل؛ مما يجعلك تشك في أنه يقود حياة جيدة،

وستكون هذه أول مرة يقود فيها حياة جيدة إن كان الشك صحيحاً.

أجاب صوت فتى:

- لأنهم يحصلون على شيء من وراء ذلك.

هز المحاضر رأسه بلطف:

- هذا ما تظنه، أليس كذلك؟ ولكن يا فيتل من غير المألوف ارتكاب جريمة قتل من أجل مكسب.

فارتفع صوت مزمجر:

- لأنهم يكرهون شخصاً ما؟

فرد المحاضر:

- إيلينغ يقترح جرائم العاطفة مثل الغيرة والرفض والانتقام... نعم، بالتأكيد. هل هناك أي اقتراح آخر؟

جاء اقتراح من فتى طويل منحنٍ:

- لأنهم مضطربون.

ردت عليه الفتاة مرة ثانية. كاترين استطاعت فقط أن ترى شعرها المربوط الأشقر المتدلي خلف مقعدها في الصف الأول.

- مضطربون ليست الكلمة المناسبة يا روبرت، وإنما...

رد المحاضر:

- هذا جيد، ونحن نعرف ما يعنيه يا سيلج.

ثم جلس على مقدمة المنضدة ومد رجليه، وشبك ذراعيه على علامة غلاسفيغاس على قميصه، ثم أضاف:

- وشخصياً، أنا أعتقد أن كلمة مضطربين ممتازة، لكن هذا ليس سبباً مألوفاً بشكل خاص لارتكاب الجرائم. بالطبع، هناك من يرى أن ارتكاب الجريمة نفسها دليل على الجنون، لكن معظم الجرائم عقلانية. فكما أنه من العقلانية البحث عن المكاسب المادية، فإن من العقلانية البحث عن الراحة العاطفية؛ فالمجرم قد يعتقد أن الجريمة ستبلد شعور الألم الذي يرافق الكراهية والخوف والغيرة والإذلال.

عاد الفتى الأول ليقول:

- إذا كانت الجريمة عقلانية لهذه الدرجة... أيمكنك أن تقول لنا كم مجرماً راضياً قابلت؟

خمنت كاترين أن هذا الصف يتمتع بالعبقرية.

قال المحاضر:

- عدد قليل جداً. لكن حقيقة أن الجريمة ينظر إليها على أنها خيبة

أمل لا تعني أنها ليست عملاً عقلانياً؛ طالما أن المجرم يعتقد أنه سيحصل على الراحة. إلا أن الانتقام عادة يكون أجمل في مخيلتك، فالغضب الذي يعتري المجرم الذي تدفعه الغيرة يعقبه الندم؛ فاللحظة التي يحضّر القاتل المتسلسل فيها بعناية تشكل قطعاً هبوطاً مفاجئاً، لذلك عليه أن يواصل المحاولة، وباختصار...

وهنا وقف وعاد إلى اللوح قائلاً:

- في ما يتعلق بالجريمة، توجد وجهة نظر في الادعاء أن الجريمة لا تقدم مكاسب. وأريد من كل منكم للجلسة القادمة أن يفكر بدافع قد يقوده إلى ارتكاب جريمة. ولكن، لا أريد هراء لائقاً ودبلوماسياً، وإنما أريدكم أن تفتشوا في خباياكم العميقة والمظلمة، فربما تكون النقطة الأكثر ظلاماً في نفوسكم هي الدافع. وبعد ذلك، أريدكم أن تقرأوا رسالة أون عن شخصية المجرم ولمحة عن حياته، وسأطرح أسئلة لاحقة، لذلك كونوا خائفين ومستعدين... والآن فلننطلق.

كان هناك تنافر في الأصوات بينما كانت الكراسي تسحب للوراء.

وبقيت كاترين حيث كانت مراقبة الطلاب وهم يمرون بها. وفي النهاية، لم يبق إلا ثلاثة أشخاص: هي، والمحاضر الذي كان يمسح اللوح، والشقراء ذات الشعر المربوط التي وقفت خلفه ضامّة ساقيها ودفترها تحت ذراعها. استطاعت كاترين أن ترى أنها نحيلة، وأن صوتها كان مختلفاً عما كان عليه عندما كانت تتحدث في الدرس.

جاء صوت الفتاة المتأثر كشابة تحاول أن تصل إلى كتب أبيها الجيدة وهي تقول:

- هل تعتقد أن القاتل المتسلسل في أستراليا قد حصل على الرضا بعد قتله النساء؟

- سيلج...

- أعني أنه اغتصبنهن، وهذا بالتأكيد كان جيداً.

- اقرئي الرسالة، وسنتطرق لهذا في الجلسة القادمة.

- حسناً.

وبقيت في المكان تترنح على قدميها يميناً ويساراً كما لو أنها تتمدد على أصابع قدميها نحوه كما كانت كاترين تظن، بينما كان المحاضر يجمع أوراقه في حقيبة جلدية من دون أن يعير أي اهتمام لها، فارتدت على عقبيها، وصعدت الدرج إلى باب الخروج، ولكنها أبطأت عندما رأت كاترين فتفحصتها ثم أسرعت وذهبت، فقالت كاترين:

- مرحباً يا هاري.

فرد عليها من دون أن ينظر:

- أهلاً يا كاترين.

- تبدو جيداً.

فرد وهو يغلق الحقيبة:

- وأنت أيضاً.

- هل رأيتني عندما وصلت؟

فنظر إليها وابتسم قائلاً:

- لقد شعرت بوصولك.

لطالما فاجأ كاترين هذا التحول الذي يحدث لوجهه عندما يبتسم، وكيف أن الابتسامة يمكنها أن تُخفي التعبير القاسي الرافض والمتعب من الحياة الذي يحمله كمعطف مهترئ، وكيف يمكنه فجأة أن يبدو كفتى كبير مرح، والشمس تشع منه كيوم مشمس محتفى به في بيرغن في شهر تموز؛ إذ إنه قصير ونادر.

- ماذا تقصد بذلك؟

- إنني تقريباً كنت أتوقع مجيئك.

- حقاً؟

- نعم. والجواب هو لا.

ووضع الحقيبة تحت ذراعه، وأسرع صاعداً إليها بأربع خطوات واسعة وضمّها إليه، فضمّته بشدة وشمّت رائحته وقالت:

- هاري... الجواب لا لأي شيء؟

فهمس في إحدى أذنيها:

- لا... لا يمكنك أن تملكيني.

أجابت وهي تحاول أن تحرر نفسها من قبضته:

- انتظر! لولا وجود الآنسة حشرة قبيحة لما استغرق الأمر خمس دقائق لأجعلك عند قدميّ يا نور الشمس، وأنا لم أقل إنك تبدو جيداً لهذه الدرجة.

ضحك وأفلتها، ففكرت كاترين أنه كان بإمكانه أن يضمها لأطول من ذلك بقليل، لكنها لم تكن تعلم إن كانت حقاً تريد هاري. وربما عدم قدرتها على تكوين رأي بهذا الشأن غير واقعية، إلا أن هذا الأمر مع مرور الوقت أصبح مزحة، وأصبح محيراً، إضافة إلى أنه عاد إلى علاقته مع راكيل أو كما كان يسمح لكاترين بتسميتها على أنها الآنسة حشرة قبيحة،

إذ إن الفكرة من تسميتها بذلك سخيفة جداً، فهي فقط تؤكد على جمال راكيل المزعج.

حك ذقنه المحلوق بشكل سيّئ وقال:

- إن لم تكوني مهتمة بجسمي الذي لا يقاوم فيجب أن يكون...

ورفع سبابته قائلاً:

- عرفت... إنه عقلي اللامع.

- لم تكتسب المزيد من حس الفكاهة عبر السنين أيضاً.

- ولا يزال الجواب لا. وأنت تعلمين ذلك أيضاً.

- ألديك مكتب يمكننا أن نناقش ذلك فيه؟

- نعم ولا. عندي مكتب، ولكن لا يمكننا أن نناقش فيه إن كان بإمكاني أن أساعدك في قضية الجريمة.

- قضايا الجرائم.

- هي قضية واحدة حسب ما علمت.

- رائعة، أليس كذلك؟

- لا تجربي ذلك معي. لقد انتهيت من هذا النوع من الحياة وأنت تعلمين ذلك.

- هذه القضية تحتاج إليك يا هاري وأنت تحتاج إليها.

لم تصل الابتسامة إلى عينيه هذه المرة:

- إنني أحتاج إلى قضية جريمة كما أحتاج إلى المشروب يا كاترين. أنا آسف، وفري على نفسك الوقت وجربي بديلاً آخر.

نظرت إليه وهي تفكر في أنه قد استخدم التشبيه بالمشروب من دون تردد؛ مما يؤكد ما كانت تشك فيه، وهو أنه ببساطة كان خائفاً من أنه إن انخرط في القضية فسيكون لها تأثير احتسائه القليل من الشراب نفسه؛ إذ لن يتمكن من التوقف وإنما سوف يُستهلك، ووخزها ضميرها للحظة كهجوم الاشمئزاز بالنفس الذي يعتري الانتهازي فجأة، حتى بدأت بتخيل ساحة الجريمة مرة ثانية، وتذكرت جمجمة أنطون ميتيت المحطمة.

- ليس أمامك أي بدائل يا هاري.

- يمكنني أن أعطيك بضعة أسماء. يوجد رجل كنت معه في دورة لمكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الأف بي آي ويمكنني أن أتصل و...

- هاري...

وشدته كاترين من ذراعه وقادته إلى الباب قائلة:

- أيوجد في مكتبك قهوة؟

- يوجد، لكنني قلت...
- انس القضية، ودعنا نتكلم عن أيامنا الماضية.
- ألديك الوقت لذلك؟
- أحتاج إلى بعض التسلية.
نظر إليها وكان على وشك أن يقول شيئاً لكنه غير رأيه فهز رأسه:
- حسناً.
صعدا الدرج، ومشيا في الرواق إلى المكاتب. تكلمت كاترين:
- لقد سمعت أنك سرقت أجزاء من محاضرات شتال أون عن علم النفس.
وكالعادة، كان عليها أن تهرول كي تلحق بخطى هاري الواسعة.
- أسرق قدر المستطاع، ففي النهاية هو الأفضل.
- مثل كلمة « مضطرب » كونها واحدة من الكلمات القليلة في الطب الدقيقة والمفهومة بديهياً والشاعرية بالوقت نفسه، لكن الكلمات الدقيقة دائماً ينتهي بها الأمر في الركام لأن المحترفين الأغبياء يعتقدون أن التعتيم اللغوي أفضل فائدة للمرضى.
فأجاب:
- نعم.
- لهذا السبب أنا لم أعد كئيبة لحد الجنون ولا على الحدود أيضاً، وإنما ثنائية القطب من النمط الثاني.
- الثاني؟
- أتفهم؟ لماذا لا يحاضر أون؟ أعتقد أنه كان يحب ذلك.
- أراد حياة أفضل وأكثر بساطة، ووقتاً أكثر مع عائلته والمقربين منه... وهذا قرار حكيم.
نظرت إليه وقالت:
- يجب أن تقنعه، إذ يجب ألا يُسمح لأحد في المجتمع بأن يتوقف عن استخدام موهبة ممتازة كهذه عندما تكون الحاجة إليها عظيمة. ألا توافقني الرأي؟
ضحك هاري قائلاً:
- لن تستسلمي، أليس كذلك؟ أظن أنه توجد حاجة لي هنا، والكلية لن تتصل بأون لأنهم يريدون محاضرين بالزي الرسمي وليس مدنيين.
- أنت تلبس الزي المدني.
- وهذه هي الفكرة التي أريد أن أوصلها. فأنا يا كاترين لم أعد

ضمن قوات الشرطة وهذا خياري؛ مما يعني أننا في مواقع مختلفة الآن.

فسألته:

- وكيف حصلت هذه الندبة في صدغك؟

ولاحظت أن هاري جفل قليلاً، لكن قبل أن يتمكن من الإجابة ناداه صوت جهوري في الرواق:

- هاري!

توقفا والتفتا، فخرج من أحد الأبواب رجل قصير ضخم، واقترب منهما بمشية متمايلة غير مستوية، وتبعت كاترين هاري وهو يذهب ليلتقي الرجل الكبير في السن الذي صرخ قبل أن يصلا إلى مسافة الكلام الطبيعية:

- لديك زائر.

فرد هاري:

- حقاً. كاترين برات... هذا أرنولد فولكستاد.

قال فولكستاد:

- أعني أن لديك زائراً في مكتبك.

وتوقف ليلتقط أنفاساً عميقة قبل أن يمد يده الكبيرة ذات النمش، فقال هاري:

- أنا وأرنولد نحاضر معاً عن التحقيق الجنائي.

فتذمر فولكستاد قائلاً:

- ومن الطبيعي أنه الأكثر شهرة، لأنه يعطي الجانب الممتع من المادة. أما أنا فعليّ أن أعيدهم إلى الواقع بتقديم المنهجية ودراسة الأدلة الشرعية وآداب المهنة والقوانين. إن العالم غير عادل.

قال هاري:

- من جانب آخر... أرنولد يعرف القليل عن أصول التدريس.

ضحك فولكستاد قائلاً:

- لقد أحرز الحقير تقدماً.

فعبس هاري قائلاً:

- هذا الزائر ليس...؟

- اطمئن. ليست الآنسة سيلج غرافسينغ، وإنما زملاء قدماء. لقد قدمت لهم بعض القهوة.

نظر هاري إلى كاترين بحدة، ثم استدار وسار نحو الباب، فراقبه فولكستاد وكاترين وهو يغادر، ثم سأل فولكستاد بذهول:

- أقلت شيئاً خاطئاً؟

قالت بتي وهي ترفع فنجان القهوة إلى فمها:

- أعلم أن هذا قد يفسَّر على أنه تكتيك الكماشة.

سأل هاري وهو يتكئ إلى كرسيه بقدر ما تسمح به المساحة الصغيرة للمكتب:

- أتعنين أنه ليس تكتيك الكماشة؟

وفي الجهة المقابلة من المكتب، وخلف أكوام الأوراق المتكدسة انحشر كل من بتي لون وبيورن هولم وكاترين برات على الكراسي، وبسرعة انتهت جولة الترحيب بالمصافحة السريعة وبدون عناق وبدون محاولات غير ملائمة للأحاديث القصيرة، فهاري هول لم يكن من النوع الذي يحب الأحاديث، وإنما من النوع الذي يوصل الفكرة مباشرة، وطبعاً هم يعلمون أنه يعرف ماذا كان ذلك.

أخذت بتي رشفة، وبدون قصد جفلت ووضعت الفنجان بتعبير مستهجن وقالت:

- أعلم أنك قد اتخذت قراراً بعدم القيام بأي تحقيق، وأعلم أن لديك سبباً أفضل من الآخرين، ولكن سؤالنا هو إن كان بإمكانك أن تقدم استثناء هنا؛ فأنت في النهاية الاختصاصي الوحيد بالقتل المتسلسل، فالبلد قد استثمر المال ودربك مع مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الأف بي آي...

قاطعها هاري:

- والذي كما تعلمين دفعت ثمنه بالدم والعرق والدموع، وليس فقط دمي ودموعي.

- لم أنس أن راكيل وأوليغ قد انتهى بهما الأمر على خط النار في قضية رجل الثلج، لكن...

قال هاري:

- الجواب لا، فقد وعدت راكيل أن لا يعود أحد منا إلى هناك مرة ثانية، ولمرة واحدة أريد أن أفي بوعدي.

فسألت بتي:

- كيف حال أوليغ؟

رد هاري وهو يتفحصها بعينيه:

- إنه أفضل. فكما تعلمين هو في عيادة لإزالة السموم في سويسرا.

- أنا سعيدة لسماع ذلك. وهل حصلت راكيل على العمل في جنيف؟

- نعم.
- وهل تنتقل من أجل عملها؟
- أربعة أيام في جنيف وثلاثة في بيتها، فمن الجيد لأوليغ أن تكون أمه قريبة منه.
قالت بتي:
- أنا أفهم ذلك. ونوعاً ما هما بعيدان عن كل خط نار هناك، أليس كذلك؟ وأنت وحدك طوال الأسبوع، حيث يمكنك أن تفعل ما تريده.
ضحك هاري وقال:
- عزيزتي بتي، ربما لم أوضح فكرتي بما يكفي، ما أريده هو أن أحاضر وأنقل معارفي.
قالت كاترين:
- إن شتال أون معنا.
قال هاري:
- هذا جيد له ولكم، فهو يعرف عن القتل المتسلسل بالقدر الذي أعرفه.
فقالت كاترين مع إشارة بابتسامة وحاجب مرفوع:
- أأنت متأكد من أنه لا يعرف أكثر؟
ضحك هاري وقال:
- محاولة جيدة يا كاترين... حسناً هو يعرف أكثر.
قالت كاترين:
- يا إلهي... ماذا حدث لنزعتك التنافسية؟
- مجموعكم أنتم الثلاثة مع شتال أون أفضل بداية ممكنة لهذه القضية. عندي محاضرة لذلك...
هزت كاترين رأسها ببطء:
- ما الذي حدث لك يا هاري؟
فقال هاري:
- أشياء جيدة... حصلت لي أشياء جيدة.
قالت بتي وهي تنهض:
- وصلت الرسالة وفهمت، ولكنني أريد أن أسأل إن كان بإمكاننا أن نستشيرك بين الحين والآخر.
وحين رأت أنه سيهز رأسه رافضاً أسرعت وأضافت:
- لا تجب بلا، سأتصل بك لاحقاً.

وفي الرواق بعد ثلاث دقائق، بينما كان هاري يمشي بخطوات واسعة نحو المدرج حيث تجمع الطلاب، خطر لبتي أنه من الممكن أن يكون ذلك صحيحاً، فربما حب امرأة قد ينقذ الرجل، وكانت تشك في أن شعور امرأة أخرى بالمسؤولية قد يكون كافياً ليعيده، لكنْ هذه كانت مهمتها، فقد بدا عليه أنه سعيد ومفعم بالصحة مما صدمها. لقد كانت تحب أن تتركه يذهب لكنها كانت تعلم أن أشباح زملائها الذين قُتلوا ستعود للظهور قريباً، ثم استنبطت الفكرة التالية: لن يكونوا الأخيرين.

اتصلت بهاري فور رجوعها إلى غرفة التدفئة.

استيقظ ريكو هيريم فجأة، ونظر بعينين نصف مفتوحتين حتى استطاعت عيناه أن تركزا على الشاشة البيضاء التي كانت أمامه بثلاثة صفوف، حيث كانت امرأة بدينة تداعب الحصان فشعر أن نبضه المتسارع يتباطأ، فلم يكن هناك سبب للذعر، فهو لا يزال في مخزن السمك، ولم توقظه إلا حركة وصول أحدهم. فتح ريكو فمه محاولاً أن يستنشق بعض الأوكسجين من الهواء الذي تنبعث منه رائحة العرق والتبغ وشيء يشبه رائحة السمك لكنه ليس سمكاً، فقد مرّت أربعون عاماً منذ أن باع محل سمك موين المجموعة الأصلية من السمك الطازج نسبياً من فوق الطاولة ومجلات الخلاعة الحديثة نسبياً من تحت الطاولة. وبعد أن باع موين المكان وتقاعد لكي يستطيع أن يشرب حتى الموت بشكل منظم، افتتح المالكون الجدد سينما في الطابق الأرضي تعرض الخلاعة مباشرة على مدار أربع وعشرين ساعة. ولكن عندما انتقل زبائنهم إلى استخدام الفي إتش إس (نظام الفيديو المنزلي) والدي في دي (أقراص الفيديو الرقمية) تخصصوا بإنتاج وعرض الأفلام التي لا يمكنك الحصول عليها من الإنترنت أو على الأقل لا يمكنك الحصول عليها من دون أن تجلب الشرطة إلى باب بيتك.

كان الصوت ضعيفاً جداً، لدرجة أن ريكو استطاع سماع أصوات الموجودين في الظلام حوله، فقد قيل له إن هذا هو السبب في أن الصوت ضعيف جداً. ورغم أنه قد كبر على افتتان الصبا، إلاّ أن هذا لم يكن السبب الذي جعله يجلس هناك، ولم يكن السبب الذي جعله يتوجه إلى هناك مباشرة بعد إطلاق سراحه ويجلس ليومين متواصلين لا يقطعهما إلا السير الطارئ من أجل الأكل أو التبول أو الحصول على المزيد من الشراب. وهو لا يزال يملك أربع حبات روهيبنول في جيبه، وعليه أن

يجعلها تكفيه.

وبالطبع بإمكانه أن يقضي بقية حياته في مخزن السمك، لكنه أقنع أمه أن تدينه عشرة آلاف كرونر، وريثما تكتشف السفارة التايلاندية أمر الفيزا السياحية يكون مخزن السمك قد قدم له الظلام والخفاء الذي يطلبه كيلا يتم اكتشافه.

تنفس، لكن الهواء بدا كما لو أنه يتألف بأكمله من النتروجين والأرغون وثنائي أكسيد الكربون، ونظر إلى ساعته فوجد أن العقرب المضيء يشير إلى السادسة، لكن في المساء أو الصباح؟ فقد كان الليل متواصلاً هنا. لكن، لا بد أنه المساء. كان الشعور بالاختناق يذهب ويأتي، لكن يجب عليه ألا يصاب برُهاب الأماكن المغلقة. ليس الآن، وليس حتى يخرج من البلد بعيداً عن فالنتين. يا الله كم يتوق لحجرته... للأمان والوحدة والهواء الذي يمكنك أن تتنفسه.

كانت المرأة التي تظهر على الشاشة تعمل بجد، ولكن عليها أن تلحق بالحصان الذي تقدم بضع خطوات مما جعل الصورة تبدو غير واضحة لثانية.

- مرحباً ريكو.

تجمد ريكو، فرغم أن الصوت كان منخفضاً كالهمس فقد بدا له ككتلة جليد تنصب في أذنه.

- أصدقاء فانيسا... حقاً كلاسيكية في الثمانين. أتعلم أن فانيسا ماتت أثناء التصوير؟ داستها فرس.

أراد ريكو أن يلتفت، لكن يداً أوقفته وهي تضغط على أعلى رقبته ممسكة بها بقبضة تدل على الرذيلة. وأراد أن يصرخ، لكن يداً تلبس قفازاً كانت قد هوت على فمه وأنفه، فشم ريكو رائحة الصوف الرطب الحادة.

- كان الوصول إليك سهلاً بشكل مخيب للأمل... سينما المنحرفين... ألا تظن ذلك؟

وظهر صوت ضحكة منخفضة:

- بالإضافة إلى أن ذلك يضيء جمجمتك الحمراء كالمنارة. وعلى ما يبدو، أن الأكزيما سيئة هذه اللحظة يا ريكو، إذ إنها تتوهج في فترات التوتر... أليس هذا صحيحاً؟

وخففت اليد التي تطبق على فمه من الضغط لكي يحصل على الهواء، وقد عمت رائحة غبار الطباشير وشحم التزلج.

- انتشرت شائعات أنك تحدثت إلى سيدة من الشرطة في سجن إيلا.

أهناك شيء مشترك بينكما؟

وانزاح القفاز الصوفي عن فمه، فتنفس ريكو بشدة وقد جف اللعاب في فمه، فقال وهو يلهث:

- لم أقل شيئاً... إنني أقسم. ولم أتكلم، فقد كنت سأخرج خلال بضعة أيام على أي حال.

- المال.

- لقد حصلت على المال!

- أنفقت كل المال في وضعك السيئ، وأنا أراهن أن لديك بعض الحبوب في جيبك الآن.

- أنا لا أمزح، فسوف أنطلق إلى تايلاند بعد غد، ولن تواجه أي مشاكل معي. أعدك.

واستطاع ريكو أن يسمع ما بدا كنزيف رجل متحجر لكنه لم يهتم أبداً فهو نفسه متحجر.

- استرخ يا ريكو، فأنا لا أنوي أن أعمل أي شيء لمن عمل وشماً لي، إذ يجب أن تثق برجل تركته يدخل الإبر في جلدك... أليس كذلك؟

- أنت... بإمكانك أن تثق بي.

- جيد. مدينة باتايا تبدو جيدة.

لم يجب ريكو، فهو لم يقل إنه ذاهب إلى باتايا، كيف...؟ واتكأ ريكو إلى الخلف قليلاً بينما أمسك الرجل الآخر الكرسي ليساعده على الوقوف.

- يجب أن أذهب، فلدي عمل أقوم به. استمتع بالشمس يا ريكو فهي جيدة للأكزيما كما علمت.

التفت ريكو، ونظر للأعلى فوجد أن الرجل قد خبأ النصف السفلي من وجهه بوشاح، وكان الظلام دامساً لرؤية العينين تماماً، وفجأة انخفض إلى ريكو.

- أتعلم أنه عند تشريح جثة فانيسا تم اكتشاف أمراض جنسية لم يكشف العلم الطبي عن وجودها؟ لذلك نصيحتي لك أن تهتم بصحتك.

وشاهد ريكو الشخص وهو يسرع عبر المخرج، وشاهده وهو ينزع الوشاح، فلمح الوجه في الضوء الأخضر لإشارة المخرج وهو يختفي خلف الستارة السوداء، وبدا أن الأوكسجين قد تدفق مرة ثانية للغرفة، فابتلعه ريكو بنهم وهو ينظر للرجل.

كان محتاراً، فهو لا يزال على قيد الحياة. كما أنه محتار بشأن ما قد رآه، فهو لم يكن نفسه، فرغم أن الصوت والضحكة كانا نفسيهما، فإن

الرجل الذي رآه في الضوء الأخضر لجزء من الثانية لم يكن هو... لم يكن فالنتين.

17

قالت بتي وهي تنظر إلى المطبخ الواسع:

- إذاً، لقد انتقلت إلى هنا... أليس كذلك؟

وخارج النافذة كان الظلام قد حل على هولمينكولن ريدج والمنازل المجاورة، لكن لم يكن أي من المنازل مشابهاً للمنزل الذي ورثته بتي من أمها في شرق أوسلو. فقد كانت لجميع المنازل ضعف المساحة، والأسيجة التي تحيط بها كان ارتفاعها ضعف ارتفاع سياجها، وكان لكل منها مرأبان للسيارات وأسماء مزدوجة للقب العائلة على صندوق الرسائل. كانت بتي تعلم أنها متحيزة ضد غرب أوسلو، ورغم ذلك بدت لها رؤية هاري هول في هذا المحيط غريبة.

أجاب هاري وهو يسكب القهوة لكليهما:

- نعم.

- ألا تبدو... وحيداً؟

- ألا تسكنين أنت والصغير وحدك أيضاً؟

- بلى، ولكن...

لم تكمل كلامها، فما كانت تريد قوله هو أنها كانت تعيش في منزل أصفر مريح ومبني بروح إينار جيرهاردسن الاشتراكية في فترة إعادة الإعمار بعد الحرب العالمية الثانية، وهو هادئ وعملي على عكس الطراز الرومانسي الذي جعل الموسرين يبنون الأكواخ الخشبية كالحصون مثل هذا المنزل، فالخشب الملطخ بالأسود يعطي جواً من الظلام الأبدي والكآبة حتى في الأيام المشمسة للمنزل الذي ورثته راكيل عن أبيها.

قال وهو يرفع فنجان القهوة إلى فمه:

- راكيل تأتي إلى البيت في عطلة نهاية الأسبوع.

- إذاً، فالأمور على ما يرام؟

- الأمور جيدة جداً.

هزت بتي رأسها وهي تتفحصه، فالاختلاف أن خطوط الضحك كانت تبدو حول عينيه، لكنه لا يزال يبدو أصغر من سنه. طرق الإصبع الاصطناعية المصنوعة من التيتانيوم والتي تحلّ محل الإصبع الوسطى في كفه اليمنى بالفنجان وسألها:

- ماذا عنك؟

- جيدة، مشغولة، والصغير عنده عطلة من المدرسة، وهو يقيم مع

جدته في ستينكجر.
ضحك فأغمض عينيه تقريباً وقال:
- حقاً! كم من المخيف أنه بسرعة...
قاطعته بتي وهي ترشف قهوتها:
- نعم. كنت أريد أن ألتقيك يا هاري لأنني أريد أن أعرف ما حصل.
قال هاري:
- أعلم. وأنا كنت أنوي أن أتصل بك، لكن كان علي أن أسوّي بعض الأمور مع أوليغ ونفسي.
- تفضل إذاً.
قال هاري وهو يضع فنجان القهوة:
- حسناً، لقد كنت أنت الشخص الوحيد الذي أعلمته بالأمور وهي تجري، فقد ساعدتني وأنا أدين لك بالشكر العظيم يا بتي، وستكونين الشخص الوحيد الذي يعلم بالأمور. لكن، هل أنت متأكدة من أنك تريدين أن تعلمي؟ فقد يسبب ذلك لك بعض المشاكل.
- لقد كنت جزءاً مكملاً في اللحظة التي بدأت فيها بمساعدتك، وقد تخلصنا من الفيولين حتى إنه لم يعد موجوداً في الشوارع.
أجاب هاري بجفاء:
- رائع، لكن الهيرويين وكراك الكوكايين عادا إلى السوق.
- والرجل وراء الفيولين قد ذهب. لقد مات رودولف أساييف.
- أعلم.
- هل كنت تعلم أنه مات؟ وهل تعلم أنه عاش في غيبوبة تحت اسم مستعار في مشفى ريكشوبيتالت لأكثر من سنة قبل أن يموت؟
فرفع هاري حاجبه:
- أساييف؟! كنت أظن أنه مات في غرفة في فندق ليون.
- لقد وُجد هناك والدم يغطي الجدران بالكامل، لكنهم استطاعوا أن يبقوه على قيد الحياة حتى الآن. ولكن، كيف علمت بشأن فندق ليون، فكل ذلك تم التكتم عليه؟
لم يجب هاري، وإنما اكتفى بتدوير الفنجان في يده، فتذمرت بتي قائلة:
- أوه لا...
رفع هاري كتفيه وقال:

- قلت لك ربما لا تريدين أن تعرفي.
- هل كنت أنت من طعنه؟
- أيساعدني إن قلت إن ذلك كان دفاعاً عن النفس؟
- وجدنا رصاصة في إطار السرير الخشبي، لكن جرح السكين كان كبيراً وعميقاً يا هاري، وقد قال أخصائي الأمراض إنه بالتأكيد تم فتل المدية عدة مرات.
نظر هاري إلى فنجانه قائلاً:
- حسناً. من الواضح أني لم أقم بالعمل بالشكل الكامل كما ينبغي.
- صدقاً هاري... أنت... أنت...
لم تعتد بتي على رفع صوتها، فبدا كشفرة منشار مرتجف، ثم جاء صوت هاري منخفضاً وهو يتكلم من دون أن يرفع نظره عن الفنجان:
- لقد حوّل أوليغ إلى مدمن مخدرات يا بتي.
وجلسا صامتين يستمعان إلى السكون الممتد الذي يلف هولمينكولن، فسألت بتي في النهاية:
- هل أساييف هو من أطلق عليك الرصاصة في رأسك؟
فتتبع هاري بإصبعه الندبة الجديدة في جانب جبهته قائلاً:
- وما الذي يجعلك تعتقدين أن هذا جرح رصاصة؟
- ما الذي أعرفه عن جروح إطلاق النار؟ إنني مسؤولة جنائية.
قال هاري:
- حسناً... إنه رجل يعمل لصالح أساييف. ثلاث رصاصات على المدى القصير... اثنتان في الصدر والثالثة في الرأس.
نظرت بتي إلى هاري وهي تعلم أنه يقول الحقيقة، لكن ليست الحقيقة كاملة.
- ولكن، كيف نجوت منها؟
- لقد كنت أتجول في سترة مضادة للرصاص لمدة يومين فكانت مناسبة لتفيدني، لكن الطلقة في الرأس صرعتني وكادت تقتلني لولا...
- لولا ماذا؟
- لولا أن الرجل الذي أطلق علي الرصاص أسرع إلى أ.ي في ستورغاتا واستدعى طبيباً ليأتي وينقذني.
- ماذا؟! لماذا لم أسمع عن أي من ذلك من قبل؟
- ضمّد الطبيب مكان الإصابة وأراد أن يرسلني إلى المشفى، لكنني استيقظت في الوقت المناسب وطلبت إيصالي إلى البيت بدلاً من ذلك.

- لماذا؟

- لم أكن أريد أي جدل في الموضوع. كيف حال بيورن هذه الأيام؟ أوجد لنفسه فتاة؟

- هذا الرجل... في البداية حاول أن يطلق النار عليك ثم أنقذ حياتك؟ من...؟

- لم يحاول إطلاق النار علي، فقد كان ذلك حادثاً.

- حادث! ثلاث رصاصات ليست حادثاً يا هاري.

- إذا كنت قد أقلعت عن الإدمان فجأة وتحملين مسدس أوديسا فمن الممكن أن يحدث ذلك.

- أوديسا؟

كانت بتي تعرف هذا السلاح، فهو النسخة الرخيصة من ستيشكين الروسي. ففي الصور يبدو الأوديسا كما لو أن صبياً ذا مهارة متوسطة قد قام بلحامه في درس الأعمال المعدنية؛ فهو الثمرة غير الشرعية وغير المتقنة التي تجمع بين المسدس والمدفع الرشاش، لكنه مشهور لدى الأوركا الروسيين والمجرمين المحترفين لأنه يمكن أن يطلق طلقات فردية أو دفعة واحدة، فأقل ضغط على الأوديسا يجعل السلاح يحرر دورتين أو ثلاثاً. وتفاجأت بتي من أن رصاصات الأوديسا لها عيار الماكاروف النادر وهو 9 × 18 ملم، وهي الذخيرة نفسها التي قُتل بها غاستو هانسن.

قالت بتي ببطء:

- أريد أن أرى هذا السلاح.

ونظرت إلى عينَي هاري اللتين جالتا تلقائياً في أرجاء غرفة الجلوس، فتلفتت لكنها لم تستطع أن ترى أي شيء هناك إلا الخزانة السوداء القديمة في الزاوية فقالت:

- لم تذكر من هو الرجل.

- غير مهم، فهو خارج سلطتك القضائية منذ فترة طويلة.

هزت بتي رأسها وقالت:

- أنت تحمي شخصاً كاد أن يودي بحياتك!

- كما يعود له الفضل الأكبر لإنقاذها.

- ألهذا السبب تحميه؟

- غالباً كيفية اختيارنا لمن نحميه تبقى لغزاً... ألا تعتقدين ذلك؟

قالت بتي:

- نعم، وخذني كمثال، فأنا أحمي ضباط الشرطة، وكوني بارعة في

تمييز الوجوه قمت باستجواب ساقي مشرب « كامآز يو آر » ، وهو المكان حيث قتل رجل أشقر طويل له ندبة تمتد من فمه إلى أذنه، تاجر المخدرات الذي يتعامل مع أسابيف. فقد عرضت بعض الصور على الساقي وتكلمت كثيراً. وكما تعلم، يمكن التلاعب بالذاكرة البصرية مثل لعب الأطفال، لدرجة أن الشهود لا يتذكرون ما يعتقدون أنهم يتذكرونه. وفي النهاية، كان الساقي متأكداً من أن الرجل لم يكن هاري هول الذي عرضته في الصور.

نظر هاري إليها ثم هز رأسه ببطء وقال:

- شكراً.

ردت بتي وهي ترفع الفنجان إلى فمها:

- كنت أود أن أقول إنه لا ضرورة للشكر لكن هناك ضرورة، وعندي اقتراح حول كيفية تمكنك من شكري.

- بتي...

- أنا أحمي ضباط الشرطة، وأنت تعلم أن هذا أمر شخصي بالنسبة لي عندما يموت الضباط أثناء تأدية الواجب: جاك ووالدي.

ولاحظت أنها تلقائياً لمست قرطها، وهو زر سترة والدها الرسمية بعد أن أعادت سبكها، وتابعت:

- لا نعلم دور من التالي، لكنني أنوي أن أعمل كل ما بوسعي لإيقاف هذا الوغد يا هاري... كل ما بوسعي... هل تفهم؟

لم يجب هاري، فقالت بتي بصوت خافت:

- عفواً، بالتأكيد أنت تفهم، فلديك من مات لتحزن عليه.

فرك هاري باطن كفه اليمنى بفنجان القهوة كما لو أنه يشعر بالبرد، ثم نهض ومشى إلى النافذة ووقف هناك قليلاً قبل أن يتكلم.

- كما تعلمين، جاء قاتل إلى هنا وحاول قتل أوليغ وراكيل، وكان ذلك خطئي.

- كان هذا منذ زمن طويل يا هاري.

- كان ذلك البارحة، وسيبقى البارحة إذ لم يتغير أي شيء، لكنني أحاول على أية حال أن أغير نفسي.

- وكيف يجري ذلك؟

رفع هاري كتفيه:

- على نحو متقلب، هل قلت لك إني لم أتذكر يوماً أن أشتري لأوليغ هدية في ذكرى ميلاده؟ رغم أن راكيل كانت تذكرني قبل ذلك

بأسابيع، لكن كانت دائماً هناك قضية أو أخرى تعيق ذاكرتي، فكنت آتي إلى هنا فأجد المكان مرتباً لحفلة فأخرج فوراً بالحيلة القديمة نفسها.

ورسم هاري على إحدى زاويتي فمه نصف ابتسامة وقال:

- كنت أقول إن علي الذهاب لشراء السجائر، فأقفز في السيارة مسرعاً إلى أقرب محطة بنزين وأشتري بضعة أقراص مضغوطة أو شيئاً من هذا القبيل، وكان بيني وبين راكيل اتفاق، فعندما أدخل من الباب يقف أوليغ هناك وهو ينظر إلي بعينيه الداكنتين المتّهمتين. ولكن قبل أن يستطيع تفتيشي تسرع راكيل لتعانقني كما لو أنها لم ترني منذ سنوات، وبينما ذراعاها تحيطان بي تقوم بسحب الأقراص المضغوطة أو أي هدية أخرى من خلف سروالي وتخفيها، ثم تغادر الغرفة بينما يمرح أوليغ معي، وبعد عشر دقائق تكون راكيل قد لفت الهدية وأرفقتها ببطاقة إهداء.

- وبعد ذلك؟

- هذه السنة حصل أوليغ على هدية مغلفة بشكل لائق مني أنا، فقال إنه لم يستطع تمييز الكتابة على البطاقة، فأخبرته أن السبب أنها مني.

وارتسمت ابتسامة على وجه بتي.

- قصة جميلة ونهاية سعيدة وكل ذلك.

- اسمعي يا بتي، إنني أدين لهذين الاثنين بكل شيء، وما زلت أحتاج إليهما، وأنا محظوظ لأنهما يحتاجان إلي أيضاً. وكونك أماً، أنت تعلمين أن حاجة شخص لك نعمة ونقمة في آن واحد.

- نعم، وما أحاول أن أقوله هو أننا بحاجة لك أيضاً.

فمشى عائداً واتكأ على الطاولة مائلاً نحوها وقال:

- ليس مثل هذين الاثنين يا بتي، فأي شخص يمكن استبداله في العمل حتى...

- لا، هذا غير صحيح، وإلا لتمكنا من استبدال الذين قُتلوا، وعلى أي حال أحدهم كان قد تقاعد، ولأمكننا أن نجد أشخاصاً ليتسلموا مهام الضباط الذين سيتم ذبحهم في المرات القادمة أيضاً.

- بتي...

- هل رأيت هذه؟

لم ينظر هاري إلى الصور التي أخرجتها من حقيبتها ووضعتها على طاولة المطبخ.

- تم تحطيم عظامهم حتى لم تبق أي عظمة سليمة. حتى أنا

وجدت صعوبة في التعرف عليهم.

بقي هاري واقفاً مثل مضيف حفلة ليدل على أن الوقت قد تأخر، لكن بتي بقيت في مكانها ورشفت من فنجانها من دون أن تتحرك، فتنهد هاري وأخذت هي رشفة أخرى.

- سيدرس أوليغ القانون عندما يعود من العيادة... أليس كذلك؟ ثم سيتقدم إلى كلية الشرطة بعد ذلك.

- من أين حصلت على هذه المعلومات؟

- من راكيل. لقد تحدثت إليها قبل مجيئي إلى هنا.

وأظلمت عيناه الزرقاوان اللامعتان.

- ماذا فعلت؟

اتصلت بها في سويسرا وأخبرتها بهذه الأمور. أعلم أن ذلك غير مناسب وأعتذر، لكن كما قلت لك سأقوم بكل ما يستلزمه الأمر.

تحركت شفتاه وهو يتمتم بشتائم صامتة.

- وبِمَ أجابت؟

- أن الأمر يعود إليك.

- نعم... من المحتمل أن تقول ذلك.

- إذاً، الآن أنا أطلب منك المساعدة ي اهاري من أجل جاك هالفورسن، ومن أجل إلين غجيلتين، ومن أجل كل الضباط القتلى، وقبل كل شيء من أجل أولئك الذين لا يزالون على قيد الحياة، ومن أجل أولئك الذين قد يصبحون ضباط شرطة في المستقبل.

شاهدت عضلات فكّه وهي تلتوي بحنق.

- لم أطلب منك أن تتلاعبي بالشهود من أجلي يا بتي.

- أنت لا تطلب أي شيء أبداً يا هاري.

- حسناً. تأخر الوقت لذلك أطلب منك أن...

- ... أغادر الآن.

هزت رأسها - فقد كانت نظرة هاري تجعل الناس تطيعه - ثم نهضت، ودخلت الردهة، وارتدت معطفها، وثبتت الأزرار بينما كان هاري واقفاً عند المدخل يراقبها، فقالت:

- آسفة. كان علي ألا أتدخل في حياتك. نحن نقوم بعمل... فقط العمل.

وشعرت أن صوتها على وشك أن يخذلها فأسرعت لتضيف:

- وأنت على حق... يجب أن تكون هناك حدود وقوانين. إلى اللقاء.

- ببتي...
- نوماً هنيئاً يا هاري.
- بتي لون.

كانت بتي قد فتحت الباب الأمامي محاولة الخروج قبل أن يراها والدموع في عينيها، لكن هاري وقف خلفها تماماً واضعاً يده على الباب فجاء صوته قريباً من أذنها:

- هل تساءلت كيف استطاع القاتل أن يجعل الضباط يذهبون بإرادتهم إلى مسرح الجريمة القديم في التاريخ نفسه الذي ارتكبت فيه الجريمة؟

أفلتت بتي مقبض الباب وقالت:

- ماذا تقصد؟
- أقصد أني عندما قرأت الصحف عرفت أن نيلسن ذهب إلى تريفان في سيارة غولف رُكِنت في مرأب السيارات، وقد ظهرت آثار قدميه في الثلج متجهة إلى كوخ مصعد التزلج، ولديك صور كاميرات المراقبة من محطة البنزين في درامن التي تظهر أن أنطون ميتيت كان وحيداً في سيارته قبل جريمة القتل. فعلى الرغم من علمهما أنه قد تم قتل رجل شرطة بالطريقة نفسها تماماً فقد ذهبا إلى هناك.

قالت بتي:

- طبعاً، لقد تساءلنا عن ذلك لكننا لم نجد الجواب الملائم، ونحن نعلم أنه قد تم الاتصال بهم جميعاً من كشك هاتف غير بعيد عن مسرح الجريمة. فحسب ما نظن، نعتقد أنهم عرفوا القاتل، وكانت لديهم فرصة للقبض على القاتل بمفردهم.

قال هاري:

- لا.
- لا؟
- لقد وجد الخبراء الشرعيون مسدساً فارغاً وعلبة ذخيرة في صندوق القفازات في سيارة أنطون ميتيت، فلو كان يعتقد أن القاتل هناك لقام بتعبئة المسدس أولاً على الأقل.
- ربما لم يكن لديه وقت وهاجمه القاتل قبل أن يتمكن من فتح الصندوق و...
- تم الاتصال به عند الساعة 10 : 31 ، لكنه ملأ سيارته بالبنزين عند الساعة 10 : 35 لذلك كان لديه الوقت الكافي بعد أن تلقى المكالمة.

- من الممكن أن يكون البنزين قد نفد لديه.

- لا، فقد قامت صحيفة أفتنبوستن بعرض صور الفيديو في محطة البنزين تحت عنوان: « آخر صور لأنطون ميتيت قبل أن يتم إعدامه » ، وتظهر هذه الصور رجلاً يملأ سيارته بالبنزين لمدة ثلاثين ثانية فقط قبل أن يصدر زناد المضخة صوتاً معلناً أن الخزان قد امتلأ، لذلك كان ميتيت لديه وفرة من البنزين للوصول إلى مسرح الجريمة والعودة إلى بيته، مما يعني أنه لم يكن على عجلة من أمره.

- صحيح، لذلك كان بإمكانه أن يقوم بتعبئة المسدس لكنه لم يفعل.

قال هاري:

- تريفان. وكذلك بيرتل نيلسن كان لديه مسدس في سيارته لكنه لم يحمله. فبذلك يكون لدينا ضابطان عندهما خبرة في قضايا الجرائم يظهران في مسرحي جريمتين غير محلولتين رغم أنهما يعلمان أن زميلاً لهما قد تم قتله بتلك الطريقة، وكان بإمكانهما أن يتسلحا لكنهما لم يفعلا؛ رغم أنه كان لديهما الكثير من الوقت على ما يبدو. إنهما رجلا شرطة متمرسان توقفا عن لعب دور البطل. ماذا يوحي لك كل هذا؟

استدارت بتي، واتكأت على الباب حتى أغلقته وقالت:

- أوه يا هاري، ماذا يجب أن يوحي لنا؟

- يجب أن يوحي لك أنهما لم يكونا يعتقدان أنهما سيقبضان على القاتل هناك.

- حسناً. من الممكن أنهما لم يكونا يعتقدان ذلك، فربما كانا يعتقدان أنهما على موعد مع امرأة جميلة تستمتع بالقيام بعلاقة حميمة في مسرح الجريمة.

كانت بتي تقصد ما قالته على سبيل المزاح، لكن هاري أجاب من دون أن يحرك جفنيه قائلاً:

- ليست ملاحظة كافية.

فكرت بتي بالأمر وقالت:

- ماذا لو كان القاتل قد تظاهر بأنه صحفي مهتم بالتحدث عن قضايا غير محلولة أخرى عقب الجريمتين الأخيرتين؟ وماذا لو أنه أخبر ميتيت أنه كان يريد أن يتحدث في وقت متأخر من الليل من أجل الحصول على الجو المناسب للصور؟

- يستغرق الوصول إلى مسرح الجريمة بعضاً من الجهد، أو على الأقل الوصول إلى تريفان، وقد قرأت أن بيرتل نيلسن قاد سيارته من نيدر إيكر؛

وهي تبعد مسافة ثلاثين دقيقة في السيارة، وعادة لا يتطوع ضباط الشرطة الجادون بوقتهم لكي يقدموا للصحافة عنوان جريمة مفاجئاً.

- عندما تقول إنهم لا يتطوعون بوقتهم، هل تقصد...؟

- نعم، فعلى ما أظن كانا يعتقدان أنهما في مهمة عمل.

- وهل كان المتصل زميلاً؟

- إم.

- لقد اتصل بهما القاتل مدّعياً أنه شرطي يعمل في مسرح الجريمة لأن... لأن سيناريو هجوم القاتل المتسلسل في المرة القادمة كان محتملاً و... و...

وتلمست بتي زر الزي في أذنها قائلة:

- وقال إنه يريد مساعدتهما في إعادة تشكيل الجريمة الأصلية.

وشعرت بنفسها تبتسم كفتاة في المدرسة عندما تعطي معلمها الإجابة الصحيحة فاحمرت خجلاً عندما ضحك هاري.

- لقد اقتربنا من الجواب الصحيح، لكن مع بعض القيود على العمل في ساعات إضافية. فأنا أعتقد أن ميتيت كان سيتفاجأ لو تم استدعاؤه في منتصف الليل بدلاً من ساعات العمل.

- لقد عجزت.

قال هاري:

- أوه. ما نوع المكالمة من زميل التي تجعلك تذهبين إلى أي مكان على الإطلاق في منتصف الليل؟

ضربت بتي جبهتها وقالت:

- طبعاً. لقد كنا أغبياء.

18

قالت كاترين وهي ترتجف من عصف الرياح الباردة بينما وقفوا على الدرج خارج البيت الأصفر في بيرغسليا:

- ماذا تقولين؟ أيتصل بضحاياه ويقول إن قاتل الشرطة قد هاجم مرة ثانية؟

قالت بتي وهي تتأكد من أن المفتاح مناسب فأدارته وفتحت الباب:

- إن الفكرة بسيطة بقدر كونها لامعة؛ إذ إنهم يتلقون اتصالاً من شخص يدّعي أنه محقق ويقول إنه يريدهم في مسرح الجريمة فوراً لأنهم يعلمون كل شيء عن الجريمة السابقة ويحتاجون إلى المعلومات لمعرفة ما إن كانت ستقودهم إلى القرار الصحيح بينما لا تزال الأدلة حديثة.

دخلت بتي أولاً، فهي تعرف طريقها بالطبع إذ من المعلوم أن المسؤولين الشرعيين لا ينسون مسرح الجريمة، ثم توقفت في غرفة الجلوس حيث كانت أشعة الشمس تسقط من النافذة كمستطيلات محدّبة على الأرضية الخشبية الجرداء الباهتة، فبالتأكيد تم فرشها على نحو خفيف لسنوات بعد أن أخذت العائلة معظم الأثاث بعد جريمة القتل.

قال شتال أون الذي أخذ موقعه بالقرب من نافذة تطل على الغابة بين المنزل وما يفترض أنه مدرسة بيرغ:

- جيد... أي إن القاتل يستخدم الفكرة الجنونية التي ابتكرها بنفسه كطعم.

قالت كاترين:

- لو أنني تلقيت اتصالاً كهذا لاعتبرتها معقولة.

تابعت بتي:

- ولذلك ذهبوا من دون أن يتسلحوا، فقد اعتقدوا أن الخطر انتهى؛ فالشرطة في الموقع، ولذلك أخذ أنطون وقته في تعبئة السيارة بالبنزين على الطريق.

قال بيورن وفمه ممتلئ برقائق واسا والكافيار:

- ولكن، كيف علم القاتل أن الضحية لن يتصل بزميل له ويكتشف أنه لا توجد أي جريمة؟

قالت بتي وهي تنظر إلى الفتات التي تسقط على الأرض باستياء:

- من المفترض أن القاتل طلب عدم إخبار أحد منهم حتى إشعار آخر.

قالت كاترين:

- هذا أيضاً معقول، فضباط الشرطة الخبراء لا يتفاجأون من ذلك؛ فهم يعلمون أهمية التكتم على موت مريب لأطول فترة ممكنة.

قال شتال:

- ولم ذلك مهم؟

قال بيورن وهو يقضم بأسنانه قطعة أخرى من البسكويت:

- لأن القاتل قد يقلل من حذره إذا اعتقد أنه لم يتم اكتشاف الجثة.

سألت كاترين:

- وقد روى هاري كل ذلك على هذا النحو بعد أن قرأ الصحف؟

قالت بتي وهي تسمع ضجة الترام وهو يمر في الطريق:

- لم تكن هذه المعلومات ستكتشف لولا هاري.

ومن النافذة، استطاعت أن ترى سطح مدرج ملعب أوليفال، وكانت النوافذ غير سميكة بالشكل الكافي لتمنع صوت هدير المركبات في الحلبة رقم 3 ، وتذكرت كيف كانت باردة لدرجة أنهم تجمدوا في ثياب عملهم، وكيف أنها استنتجت أن البرد الذي يجعل من المستحيل البقاء في الغرفة من دون أن ترتجف لم يكن سببه درجة الحرارة المنخفضة فقط وإنما أيضاً أنها كانت خالية لفترة طويلة، كما أن المستأجرين والمشترين المحتملين أيضاً كانوا يشعرون بالبرد... البرد الذي ينبعث من القصص والإشاعات المتداولة في ذلك الوقت.

قال بيورن:

- هذا معقول بما يكفي، فقد اكتشف لنا كيف يغري القاتل الضحية، لكننا كنا نعرف سابقاً أنهم ذهبوا إلى هناك بإرادتهم وبدون أي مساعدة من أحد، لذلك هذه ليست قفزة نوعية في التحقيق، أليس كذلك؟

انتقلت بتي إلى النافذة الثانية وتفحصت بنظرها المنطقة، فقد كان من السهل إخفاء فريق دلتا في الغابة على الأرض المنحدرة التي تمر فيها سكة المترو أو ربما في البيوت المجاورة على طرفي المنزل أو باختصار البيوت المحيطة به.

قالت:

- يأتي دائماً بأفكار بسيطة تفكر جاهداً بعدها متعجباً كيف أنها لم تخطر ببالك من قبل... انظر إلى الفتات.

قال بيورن:

- ماذا؟

- فتات البسكويت.

نظر بيورن إلى الأرض، ثم إلى بتي، ثم مزق ورقة من دفتره وانحنى وجمّع الفتات على الورقة.

نظرت بتي للأعلى، والتقت عيناها عيني كاترين المتسائلة، فقالت بتي:

- أعلم ما تفكرين به: لم كل هذه الجلبة فهذا ليس مسرح جريمة؟ لكنه كذلك، فكل مكان ترتكب فيه جريمة لم تحل يبقى مسرح جريمة لاحتمال أن يكشف عن أدلة.

فسأل شتال:

- هل تعوّلين على العثور على أدلة من رجل المنشار هنا؟

قالت بتي وهي تتفحص الأرضية:

- لا، فمن المؤكد أنه قد تم كشط الخشب، فقد كان هناك الكثير من الدماء، ومن المؤكد أن الخشب قد تشرب الدم بعمق لدرجة أن الفرك لم يعد يفيد.

نظر ستان إلى ساعته:

- عندي مريض بعد وقت قصير، فلم لا تخبرينا باقتراح هاري؟

قالت بتي:

- لم نخبر الصحافة، لكننا عندما وجدنا الجثة في هذه الغرفة كان علينا أولاً أن نتأكد من أنها حقاً جثة بشرية.

قال ستان:

- أووه... أما زلتم تريدون الاستماع إلى المزيد؟

قالت كاترين بحزم:

- نعم.

- لقد كانت الجثة مقطعة إلى قطع صغيرة جداً مما يجعل من الصعب التحديد من النظرة الأولى، وقد قام القاتل بوضع أجزاء الصدر على الرف في الخزانة الزجاجية هناك، وكانت شفرة المنشار المكسورة الدليل الوحيد الذي وجدناه و... نعم، والمهتمون بإمكانهم أن يقرأوا ما تبقى في هذا التقرير.

ووضعت بتي يدها على حقيبة كتفها، فقالت كاترين بابتسامة من المؤكد أنها اعتقدت أنها جذابة جداً فاستبدلتها بتعبير جدي:

- شكراً.

قالت بتي:

- كانت الضحية فتاة شابة بمفردها في بيتها، وقد أدركنا بعد ذلك أن الأساليب المستخدمة تشبه تلك المستخدمة في جريمة تريفان، وقد تم ارتكابها في السابع من آذار.

كانت الغرفة هادئة جداً، حتى إنهم استطاعوا سماع الصرخات المرحة من باحة المدرسة في الطرف الآخر من الأشجار، وكان بيورن أول من كسر الصمت قائلاً:

- تحدثت إلى هاري منذ ثلاثة أيام أليس كذلك؟

قالت كاترين:

- نعم، وقد اقترح أن ننصب كميناً... أليس كذلك؟

أومأت بتي برأسها، فهزت كاترين رأسها ببطء قائلة:

- ولِمَ لم يفكر أحد منا بذلك؟

فأجاب شتال:

- لأنه لم يكن أحد منا يعرف تماماً كيف أغرى القاتل ضحاياه للمجيء إلى مسرح الجريمة؟

قالت بتي:

- قد يكون هاري مخطئاً في ما يتعلق بأسلوب عمل القاتل، وبأن هذا هو مسرح الجريمة التالي، فمنذ أن مات أول ضابط شرطة أمضينا عدة أيام في جرائم غير محلولة في أوستلاند ولم يحدث أي شيء.

قال شتال:

- ولكن هاري وجد تشابهاً بين قضية رجل المنشار والجرائم الأخرى، فجميعها تنطوي على تخطيط منظم مترافق مع وحشية مطلقة.

قالت بتي:

- سمّى ذلك حدساً داخلياً، لكنه كان يعني بذلك...

قالت كاترين:

- إنه تحليل مبني على حقائق غير منهجية وهو ما يعرف به أسلوب هاري.

قال بيورن:

- إذاً، قال إنها ستحصل خلال ثلاثة أيام.

قالت بتي:

- نعم، وقد أعطى توقعاً آخر، فقد وضّح مثلما فعل شتال أيضاً أن الجريمة الأخيرة كانت مثل الجريمة الأصلية؛ حيث وضع القاتل الضحية في السيارة ودحرجها عبر الجرف، وأنه يتابع القتل بكمال، فتكون الخطوة

التالية له أن يختار سلاح الجريمة المطابق.
شهقت كاترين:
- منشار المنحنيات.
قال شتال:
- هذا نمطي بالنسبة لقاتل متسلسل نرجسي.
سأل بيورن وهو ينظر حوله بتجهم:
- وهل هاري متأكد من أنها ستحدث هنا؟
قالت بتي:
- في الحقيقة، هذا هو الشيء الذي كان غير متأكد منه تماماً، فالقاتل لديه طريقة وصول سهلة لكل مسارح الجريمة الأخرى، وهذا المنزل بقي فارغاً لعدة سنوات، فلا أحد يريد أن يسكن حيث كان رجل المنشار موجوداً، ومع ذلك بقي مقفلاً. فصحيح أنه تم اقتحام كوخ تريفان إلا أن لهذا المنزل جيران، وإغراء رجل شرطة للمجيء إلى هنا ينطوي على خطر أكبر. لذلك يعتقد هاري أنه قد يبدل نمطه ويجذب الضحية إلى مكان آخر، لكننا سننصب كميناً لقاتل رجال الشرطة هنا ونرى إن كان سيتصل.
كان هناك صمت قصير، فكما يبدو كان الجميع يفكرون بحقيقة أن بتي استخدمت الاسم نفسه الذي تبنته الصحافة وهو قاتل رجال الشرطة.
سألت كاترين:
- والضحية...؟
قالت بتي وهي تضع يدها على حقيبة كتفها مرة ثانية:
- عندي هنا قائمة بأسماء كل من عملوا على قضية رجل المنشار، وسنخبرهم جميعاً بأن يلزموا بيوتهم وأن يبقوا هواتفهم تعمل، وأياً كان المتصل فسيتصرفون بشكل طبيعي، وفقط سيؤكدون أنهم قادمون، ثم سيتصلون بغرفة العمليات ويقولون إلى أين سيذهبون، ثم ننطلق نحن للعمل، وإن لم يكن المكان في بيرغ وإنما في مكان آخر فسينتقل فريق دلتا إلى هناك.
فاستفسر بيورن قائلاً:
- إذاً، هل علينا أن نتصرف بشكل طبيعي عندما يتصل القاتل المتسلسل؟ أنا لا أعرف إن كنت سأتصرف كذلك.
قال شتال:
- لا ينبغي عليهم إخفاء قلقهم. فعلى العكس؛ إن لم يرتجف صوت الشرطي عندما يتلقى اتصالاً عن قتل زميل له فسيكون ذلك مثيراً للشك.

قالت كاترين:
- أنا قلقة أكثر بشأن فريق دلتا وغرفة العمليات.
قالت بتي:
- نعم أعلم. وقد تم القيام بالكثير لتجنب إثارة انتباه بيلمان، فهاغن يخبره الآن ونحن نتحدث.
- وماذا سيحصل لمجموعتنا عندما يكتشف الحقيقة؟
وضعت بتي يدها على قرطها المتدلي من أذنها وقالت بنفاد صبر:
- إذا كانت هناك فرصة لنجاح هذه الخطة فسيكون هذا الأمر ثانوياً. دعونا نتحرك من هنا، فلا فائدة من البقاء هنا كيلا يرانا أحد، ولا تتركوا أي شيء خلفكم.
تقدمت كاترين خطوة نحو الباب لكنها فجأة توقفت، فسأل شتال:
- ما الأمر؟
همست:
- ألم تسمعوا؟
- نسمع ماذا؟
رفعت إحدى قدميها وأرسلت نظرة إلى بيورن:
- صوت طحن.
ضحكت بتي ضحكتها الخفيفة المفاجئة، وأخرج الشرطي من سكريا دفتره بتنهيدة عميقة، وانحنى ثانية.
- حسناً سوف...
- ماذا؟
قال وهو منحنٍ للأمام وينظر بإمعان تحت الطاولة:
- ليست فتاتاً وإنما علكة قديمة، والباقي ملتصق تحت هذا. من الممكن أنها جافة جداً حتى تتفتت أجزاء منها.
قال شتال وهو يتثاءب:
- أمن المحتمل أن تكون للقاتل؟ فعادة يلصق الناس العلكة تحت مقاعدهم في السينما والحافلات، ولكن ليس تحت طاولة غرفة الطعام في بيوتهم.
قال بيورن وهو يرفع قطعة منها نحو النافذة:
- هذه نظرية مهمة، فأنا أعتقد أنه كان بإمكاننا منذ أشهر مضت أن نكتشف الحمض النووي في اللعاب الموجود في هذه القطعة لكنه جف بأكمله الآن.

ابتسمت كاترين:
- هيا يا شيرلوك... امضغها وقل لنا أي ماركة...
قاطعتها بتي:
- كفاكم جميعاً، فلنذهب الآن.

وضع أرنولد فولكستاد فنجانه على الطاولة ونظر إلى هاري، ثم حك لحيته الحمراء، وقد رآه هاري وهو يقتلع إبر الصنوبر منها عندما قدم إلى العمل على دراجته من منزله الموجود في الغابة الواقعة بشكل غريب بالقرب من مركز المدينة. لكن أرنولد أوضح أن زملاءه الذين كانوا يصنفونه كناشط بيئي متقدم بسبب لحيته الطويلة ودراجته ومنزله في الغابة كانوا مخطئين، فهو ليس إلا شخصاً غريباً منقبض الكف يحب السكون.
قال هاري:
- من الأفضل أن تخبرها أن تكبح نفسها، فهذا سيبدو أكثر...
لم يجد هاري الكلمة المناسبة، ولم يكن يعرف إن كانت موجودة، ولكنها بين عبارة « أكثر ملاءمة » و « أقل إحراجاً لجميع المعنيين » .
ضحك أرنولد فولكستاد ضحكة مكتومة:
- هل هاري هول خائف من فتاة صغيرة تجلس في الصف الأول وتبدي افتتاناً بمحاضرها؟
- أكثر ملاءمة وأقل إحراجاً لجميع المعنيين.
- يجب أن تحل ذلك بنفسك يا هاري. ها هي...
وأومأ أرنولد برأسه نحو الساحة خارج نافذة المقصف، فقد كانت سيلج غرافسينغ تقف بمفردها على بعد بضعة أمتار من مجموعة طلاب يتحدثون ويضحكون. نظرت إلى السماء وتتبعت شيئاً ما بعينيها.
تنهد هاري وقال:
- ربما يجب أن أنتظر قليلاً. فحسب الإحصائيات، أعتقد أن الافتتان بالأستاذ قصير المدى في مائة بالمئة من الحالات.
قال فولكستاد:
- بما أنك تكلمت عن الإحصائيات، لقد سمعت أنهم يدّعون أن المريض الذي يحتفظ به هاغن تحت الحماية في مشفى ريكشوبيتالت قد مات نتيجة أسباب طبيعية.
- هكذا يقولون.
- لقد أجرى مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الأف بي آي بعض

الإحصائيات على ذلك، فقد قاموا بدراسة جميع الحالات التي مات فيها الشاهد الأساسي في الادعاء في الفترة بين الاستدعاء الرسمي للشاهد وبداية المحاكمة. وفي المحاكمات الخطيرة حيث يواجه المتهم أكثر من عشر سنوات سجن كان الشهود يموتون بما يدعى أسباباً غير طبيعية في سبع وثمانين بالمائة من الحالات، وقد أدت هذه الإحصائيات إلى القيام بتشريح ثانٍ لجثث العديد من الشهود مما رفع الرقم إلى أربع وتسعين.

- مما يعني؟

- أربع وتسعون رقم مرتفع... ألا تعتقد ذلك؟

نظر هاري إلى الساحة حيث كانت سيلج لا تزال تحدق في السماء والشمس تضيء وجهها المرفوع، فشتم بصوت خافت وشرب ما تبقى من قهوته.

نظر غونار هاغن الذي كان يهتز على أحد الكراسي الدوارة في مكتب بيلمان بدهشة إلى رئيس الشرطة بعد أن أخبره هاغن عن مجموعة العمل الصغيرة التي أنشأها مما يتضارب مباشرة مع تعليمات الرئيس، وعن الخطة لنصب كمين في بيرغ. وجاءت الدهشة لأن هذه الأخبار لم يبد أنها عكرت مزاج الرئيس الجيد على غير المعتاد.

صرخ بيلمان وهو يصفق بيديه:

- ممتاز، وأخيراً شيء مسبق. هل يمكنني أن أتداول الخطة والخريطة كي نستطيع أن نبدأ العمل؟

- نستطيع؟! أتقصد أنك شخصياً...؟

- نعم، أعتقد أنه من الطبيعي جداً أن أقود هذه يا غونار، فعملية كبيرة كهذه تتضمن قرارات عالية المستوى...

- يوجد منزل واحد فقط ورجل واحد...

- لذلك من المناسب أن أقحم نفسي عندما يكون هناك الكثير من المخاطرة؛ نظراً إلى كوني أعلى ضابط رفيع المستوى، ومن الضرورة القصوى إبقاء الخطة سرية... هل تفهم؟

أومأ هاغن برأسه وفكر: سرية إن لم تنجح، لكن من جهة أخرى إذا نجحت وأدت إلى القبض على القاتل فسيكون من الضرورة القصوى الإعلان، وعندها سيحصد مايكل بيلمان الثناء، وسيخبر الصحافة أنه كان شخصياً مسؤولاً عن العملية.

قال هاغن:

- فهمت. سأذهب إذاً، وكما أفهم أيضاً يمكن للمجموعة في غرفة التدفئة أن تستأنف عملها، أليس كذلك؟

ضحك مايكل بيلمان، فتعجب هاغن من هذا التبدل في المزاج، فقد بدا رئيس الشرطة أصغر بعشر سنوات وأخف بعشرة كيلوغرامات، واختفى العبوس الذي كان يحمله كجرح عميق في جبهته منذ اليوم الذي تم تعيينه فيه.

- لا تضغط يا غونار، فإعجابي بالفكرة التي جئت بها لا يعني أنني أحب أن يتحدى المرؤوسون التابعون لي أوامري.

رفع هاغن كتفيه، لكنه حاول أن يتملك النظرة الساخرة لرئيس الشرطة.

- إنني أجمّد جميع الأنشطة في مجموعتك حتى إشعار آخر يا غونار. ومن الأفضل أن نقوم بهذا الحديث الضروري بعد هذه العملية. وإذا اكتشفت في هذه الأثناء أنك قمت بأي بحث على الحاسوب أو أجريت أي اتصال هاتفي واحد بشأن هذه القضية...

فكر غونار هاغن وعيناه مرفوعتان، وكان يعرف أن خليط التحدي والخزي جعل وجنتيه تحمرّان: أنا رجل أكبر سناً وأفضل منه، وذكّر نفسه أن الضفيرة الذهبية على زيّه مجرد زينة، ثم أخفض نظره.

كان الوقت متأخراً، وكاترين برات تنظر إلى التقرير أمامها رغم أنه كان عليها ألا تفعل ذلك، فبتي اتصلت لتقول إن هاغن طلب منهم جميعاً أن يتوقفوا عن عملهم حسب الأوامر المباشرة من بيلمان، لذلك كان على كاترين أن تكون في بيتها مستلقية على سريرها ومعها فنجان كبير من الشاي بالبابونج ورجل يحبها، أو أن تشاهد مسلسلاً تلفزيونياً تحبه بدلاً من الجلوس هنا في غرفة التدفئة وهي تقرأ ملفات القضايا وتبحث عن عيوب أو إشارات ممكنة لشيء لم يحدث كما ينبغي أو أي صلة غريبة. وهذه الصلة كانت غريبة جداً، فهي قريبة من الفراغ، فقد كان من السهل الوصول إلى التقارير في جريمة قتل أنطون ميتيت من خلال نظام الشرطة نفسه، وقد كان ملخص بحث السيارة مفصلاً بقدر كونه مسبباً للنعاس. لكن، لماذا توقفت عند هذه الجملة بالتحديد؟ فمن بين الأدلة المحتملة التي تم إخراجها من سيارة ميتيت كانت هناك كاشطة الجليد وقداحة وبعض العلكة التي كانت ملصقة في أسفل مقعد السائق.

كما كانت معلومات الاتصال بأرملة أنطون ميتيت وهي لورا ميتيت

موجودة في التقرير.

ترددت كاترين ثم اتصلت بالرقم، فبدا صوت السيدة التي أجابت مرهقاً وبليداً بسبب الحبوب، وقدمت كاترين نفسها ثم سألت سؤالها، فقالت لورا ميتيت مكررة الكلمة ببطء:

- العلكة؟! لا يمضغ العلكة أبداً لكنه يشرب القهوة.
- هل يوجد أحد آخر كان يقود السيارة ويمضغ...؟
- لا أحد يقود السيارة عدا أنطون.

قالت كاترين:

- شكراً لك.

19

كان الوقت مساء، وكانت نوافذ المطبخ مضاءة بشكل كامل في المنزل الخشبي الأصفر في أوبسال حيث كانت بتي لون قد أنهت حديثها اليومي مع ابنها، وبعد ذلك تكلمت مع أم زوجها واتفقتا أنه إذا كان الولد لا يزال لديه ارتفاع في الحرارة ويسعل فإن عليهم أن يؤجلوا الرحلة إلى المنزل لعدة أيام، وكان والدا زوجها يحبان أن يبقى معهم لمدة أطول في ستينكجر. وبينما كانت بتي تقوم بفتح كيس بقايا الطعام في الخزانة تحت المغسلة وتفرغه في واحد من أكياس القمامة البيضاء رن الهاتف، وكانت المتصلة كاترين التي لم تضيع أياً من الوقت على المزاح.

- كانت هناك قطعة علكة موجودة تحت مقعد السائق في سيارة ميتيت.

- هذا صحيح...

- لقد تمت إزالتها لكن لم يتم إرسالها لاختبار الحمض النووي.

- وأنا أيضاً ما كنت لأرسلها، فإذا كانت تحت مقعد السائق فهي تعود لميتيت. اسمعي... لو أردنا أن نقوم باختبار أي شيء موجود في مسرح الجريمة فالقائمة ستحتاج إلى وقت انتظار...

- لكن شتال على حق يا بتي، فالناس لا يقومون بلصق العلكة تحت طاولة غرفة الطعام في منازلهم أو في سياراتهم الخاصة. ووفقاً لما قالته زوجة ميتيت، هو لم يقم حتى بمضغ العلكة، ولم يقم أحد آخر غيره بقيادة السيارة لذلك أعتقد أن الشخص الذي ترك العلكة كان ينحني نحو مقعد السائق عندما قام بذلك. كما أنه وفقاً للتقرير كان القاتل جالساً على مقعد الراكب، ثم انحنى نحو ميتيت ليثبت يديه إلى المقود بالحبال، ورغم أن السيارة كانت في النهر فإنه حسب بيورن يمكن للحمض النووي في اللعاب أن...

قاطعتها بتي:

- أعلم إلى أين تريدين أن تصلي. عليك أن تتصلي بأحد في وحدة التحقيق التابعة لبيلمان وتخبريه.

قالت كاترين:

- ولكن، ألا تفهمين أن ذلك قد يقودنا مباشرة للمجرم؟

- نعم بالطبع أنا أفهم، والشيء الوحيد الذي سيقودنا إليه مباشرة هو المشاكل، فقد تم سحب القضية منا يا كاترين.

قالت كاترين:

- يمكنني أن أمر على غرفة الأدلة لكي يرسلوا العلكة لاختبارها ومقارنتها مع السجلات، فإذا لم يكن هناك توافق فلا حاجة لأن يعلم بذلك أحد. لكن، إذا كان هناك توافق فقد حُلّت القضية، ولا يمكن لأحد أن يقول أي كلمة رهيبة عن الأسلوب الذي اتبعناه في حلها. نعم... كلّي الآن غرور، ولمرة واحدة يمكننا أن نحصل على الثناء يا بتي... أنت وأنا، فنحن نستحق ذلك.

- نعم... إن ذلك يغري، ولن يفسد عمل أحد، لكن...

- بدون لكن! ولمرة واحدة يمكننا أن نأخذ حريتنا بالتصرف وحدنا. أم هل تريدين أن تري بيلمان واقفاً هناك بابتسامة الغرور وهو يكرّم لعمل قمنا به مرة ثانية؟

وساد الصمت. صمت طويل.

قالت بتي:

- قلت إنه يجب ألا يعلم أحد بذلك، لكن جميع الطلبات الشرعية للأدلة الشرعية المحتملة من غرفة الأدلة يجب أن تسجل في كوّة الطلبات، وإذا اكتشفوا أننا نقحم أنفينا في ملف ميتيت فلن يمر وقت طويل قبل أن تظهر مذكرة على مكتب بيلمان بهذا الشأن.

قالت كاترين:

- سمعت - إلا إذا كانت ذاكرتي تخدعني - أن رئيسة كريمتكنيسك التي تحتاج أحياناً أن تختبر الأدلة خارج ساعات العمل في غرفة الأدلة لديها مفتاحها الخاص.

تأوهت بتي بصوت عال، فأسرعت كاترين وأضافت:

- أعد أنه لن تكون هناك أي مشكلة. اسمعي... سأمر عليك الآن وأستعير المفتاح وأبحث عن العلكة وأقطع منها قطعة صغيرة ثم أعيد كل شيء بشكل جيد. وفي الصباح غداً، سيتم اختبار القطعة في المعهد، وإذا سألوا فسأقول إنها لقضية أخرى... اتفقنا؟

وازنت رئيسة كريمتكنيسك بين المحاسن والمساوئ في رأسها، ولم يكن الأمر صعباً؛ إذ إن الأمر لم يكن مقبولاً على الإطلاق، وأخذت نفساً عميقاً.

قالت كاترين:

- كما يقول هاري: فقط فلنبدأ بعمل شيء ما بحق الله.

استلقى ريكو هيريم على سريره وهو يشاهد التلفاز، وكانت الساعة

الخامسة صباحاً، لكنه فقد الإحساس بالزمن ولم يكن يستطيع النوم. كان البرنامج إعادة لأحد البرامج التي شاهدها أمس؛ إذ كان تنين كومودو يمشي واثباً على الشاطئ، فانطلق لسان هذا الضب الطويل ثم تحرك حوله، وتراجع بعد أن كان يتتبع جاموس ماء لعدة أيام ولدغه لدغة غير مؤذية. وكان ريكو قد خفض الصوت حتى لم يعد يسمع إلا هدير وحدة تبريد الهواء التي لم تبرّد غرفة الفندق بما يكفي، وشعر ريكو بشهيق الأنفاس التي كانت في رحلة الطيران. إنه أمر كلاسيكي أن يكون هناك تبريد هواء وملابس صيفية في الطريق إلى بلد حار، وتتلخص العطلة بالصداع وسيلان أنفي ودرجة حرارة مرتفعة، لكن لديه الوقت فهو غير مضطر إلى الذهاب إلى موطنه لفترة طويلة، ولم عليه أن يقوم بذلك؟ فقد كان في مدينة باتايا وهي ملجأ جميع المجرمين الهاربين. كان كل شيء يريده موجوداً خارج غرفة الفندق، ومن خلال شبكة البعوض التي تستر النافذة كان يسمع حركة السير وأصواتاً تثرثر بلغة أجنبية وهي التايلاندية، ولم يستطع أن يفهم أي كلمة؛ فهو لا يحتاج ذلك لأنهم هناك لخدمته وليس العكس، وقد رآهم عندما تم إيصاله بالسيارة من المطار وهم يصطفون خارج النوادي الليلية وعلى طول الأزقّة خلف الأطباق وهم يبيعون العلكة، ولكنهم سيبقون هناك عندما يقف على قدميه. كان يستمع إلى تكسر الأمواج رغم أنه يعلم أن الفندق الرخيص الذي انتقل إليه كان بعيداً جداً عن الشاطئ. لكنهم كانوا هناك أيضاً؛ هم والشمس الحارقة والشراب والأوروبيون الآخرون الذين كانوا هناك لمهمته نفسها، وكان بإمكانهم أن يقدموا له بعض النصائح عن كيفية التعامل مع الأمور وعن تنين كومودو.

حلم الليلة الماضية بفالنتين مرة ثانية.

مد ريكو يده ليتناول قارورة المياه الموجودة على الطاولة قرب السرير، وكان مذاقها مذاق الموت والعدوى.

تم تقديم صحيفة نروجية صادرة منذ يومين مع الفطور الغربي الذي بدأ يتناوله، لكن لم يكن هناك أي خبر عن اعتقال فالنتين بعد، ولم يكن من الصعب توقع السبب؛ ففالنتين لم يعد فالنتين أبداً.

وفكر ريكو في ما إذا كان عليه أن يخبرهم: أن يتصل ويطلب الشرطية كاترين برات ويخبرها أنه تغير. فقد شاهد ريكو أنه يمكنك هنا أن تقوم بهذا الشيء ببضعة آلاف كرونر نروجية في إحدى العيادات الخاصة. فكر أن يتصل ببرات ويترك رسالة من مجهول يقول فيها إنه شاهد فالنتين بالقرب من مخزن السمك وقد أجرى جراحة تجميلية شاملة

بدون أن يطلب شيئاً بالمقابل، فقط ليساعد في الإمساك به وليساعد نفسه على النوم ليلاً من دون أن يحلم به.

انحنى تنين كومودو لبضعة أمتار نحو فتحة الماء حيث كان جاموس الماء مستقراً في الطين الرطب غير متأثر على ما يبدو بالوحش آكل اللحوم الذي يبلغ طوله ثلاثة أمتار، والمستلقي بانتظاره.

شعر ريكو بالغثيان يزداد فرمى قدميه عن السرير ونهض، وشعر بالألم في عضلاته. آه، إنها الإنفلونزا في أوجها.

وعندما عاد من الحمام، كانت الحموضة الصفراوية لا تزال تحرق حلقه وقد اتخذ قرارين: الأول أنه سيزور إحدى العيادات للحصول على ذاك الدواء القوي الذي لا يعطونك إياه في النروج، والثاني أنه عندما يحصل عليه ويشعر بالتحسن قليلاً سيتصل ببرات ويعطيها الأوصاف لكي يتسنى له النوم.

رفع الصوت بجهاز التحكم، وكان صوت متحمس يشرح باللغة الإنكليزية أنه كان يعتقد منذ زمن بعيد أن تنين كومودو يقتل عن طريق اللعاب المصاب بالبكتيريا الذي يدخل مجرى دم الضحية عند اللدغ، أما الآن فقد اكتشف أن السم في غدد هذا الضب تمنع دم الضحية من التخثر إلى أن ينزف حتى الموت مما يبدو أنه جرح بسيط.

وارتجف ريكو ثم أغمض عينيه، وخطرت له الفكرة: إنه الروهيبنول، فهذه ليست إنفلونزا على الإطلاق وإنما أعراض الانسحاب، فربما كان الروهيبنول شيئاً يضعونه على قوائم الطعام في خدمة الغرف في مدينة باتايا، وفتح عينيه بشكل كبير. لم يستطع ريكو التنفس فتلوى للحظة بذعر مطلق تماماً كما لو أنه يصارع مهاجماً غير مرئي. لقد كان ذلك تماماً كما في مخزن السمك؛ إذ لم يكن هناك أوكسجين في الغرفة، ثم حصلت رئتاه على ما تريدانه وعاد مستلقياً على سريره.

نظر إلى الباب... لقد كان مقفلاً... لم يكن هناك أحد إلا هو وحده.

20

صعدت كاترين إلى أعلى التلة تحت جنح الظلام والقمر الباهت المصفرّ معلق في السماء خلفها، لكن واجهة مقر الشرطة لم تعكس أياً من الضوء الخافت الذي يلقيه القمر، وإنما ابتلعته كحفرة سوداء. نظرت إلى ساعة يدها الدقيقة المحكمة التي ورثتها عن أبيها الذي كان شرطياً بلقب رافتو الحديدي الذي يناسبه تماماً فوجدتها تشير إلى الحادية عشرة والربع.

سحبت الباب الأمامي لمقر الشرطة لتفتحه بثقله العدواني ومنظار الباب الغريب، وكأن الارتياب يبدأ من هنا.

لوحت للضابط المناوب الذي جلس مختفياً إلى اليسار لكنه استطاع أن يراها، وفتحت الباب المؤدي إلى الردهة، ومرت من مكتب الاستقبال الذي لم يكن يجلس فيه أي شخص، وتابعت نحو المصعد الذي استخدمته لتنزل إلى الطابق الأرضي السفلي، ثم خرجت وعبرت الأرضية الإسمنتية في الضوء الضعيف وهي تسمع وقع قدميها بينما كانت تصغي لتسمع خطوات غيرها.

أثناء النهار، كان باب غرفة الأدلة الحديدي مفتوحاً. أما الآن، فبحثت عن المفتاح الذي أعطتها إياه بتي ووضعته في قفل الباب وأدارته وفتحته ودخلت وهي مصغية، ثم أقفلت الباب خلفها وأشعلت الضوء ورفعت مفصل المنضدة وتقدمت نحو الظلام الذي كان كثيفاً جداً لدرجة أن ضوء المصباح بدا وكأنه يحتاج إلى وقت ليجتاز طريقه حتى يصل إلى صفوف الرفوف العريضة المملوءة بالصناديق المصنوعة من البلاستيك الباهت الذي لا يمكنك أن ترى منه إلا لمحاً الأشياء داخل الصناديق. من المؤكد أن الشخص المسؤول هنا لديه عقل منظم لأن الصناديق كانت مرتبة على الرفوف بدقة؛ حتى إن الأطراف القصيرة كانت تشكل سطحاً غير منقطع. تقدمت كاترين بخطوة واسعة لتقرأ أرقام القضايا التي كانت ملصقة على الصناديق، إذ كانت مرقمة حسب التاريخ الزمني من أقصى يسار الغرفة نحو الداخل حيث تشغل مكان أدلة القضايا محدودة الوقت ريثما تتم إعادة المادة المخزنة إلى أصحابها أو تدميرها.

وحين وصلت تقريباً إلى نهاية الصف الأوسط سقط ضوء المصباح على الصندوق الذي تريده على الرف الأسفل، واحتك بالأرضية القرميدية وهي تسحبه. رفعت الغطاء فوجدت محتوى الصندوق مطابقاً لما جاء في التقرير: كاشطة الجليد، وغطاء المقعد، وكيس من النايلون يحتوي بضع خصلات من

الشعر، وكيس آخر يحوي بعض العلكة. فوضعت المصباح وفتحت الكيس وسحبت العلكة بالملقط، وكانت على وشك أن تقطع جزءاً منها عندما شعرت بتيار من الهواء الرطب.

نظرت إلى ساعدها الذي لمحته في ضوء المصباح فرأت ظل شعيرات دقيقة منتصبة، ثم رفعت عينيها وأمسكت بالمصباح وسلطته على الجدار فرأت تحت السقف مروحة، لكنها صغيرة ولا يمكن أن تكون قد سببت وحدها ما كانت متأكدة نوعاً ما أنه حركة في الهواء فاستمعت. لم يكن هناك شيء مطلقاً إلا خفقان الدم في أذنيها، فركزت مرة ثانية على القطعة الصلبة من العلكة، وقطعت جزءاً صغيراً بسكين الجيش السويسرية التي أحضرتها معها وتجمدت، فقد جاء الصوت من مكان ما بالقرب من الباب بعيد جداً لدرجة أن الأذن لا تتمكن من تمييزه بسهولة. هل هو طرق مفتاح أو ضرب الطاولة؟ قد لا يكون شيئاً، فمن الممكن أن تسمع أصواتاً غريبة في بناء كبير.

أطفأت كاترين المصباح، وحبست أنفاسها، ورمشت عيناها في الظلام وكأن ذلك قد يساعدها على الرؤية. وكان الجو هادئاً كالـ... حاولت أن تقطع تسلسل الأفكار هذا... حاولت أن تتبع تسلسل أفكار آخر يبطئ تسارع قلبها: ما هو أسوأ ما قد يحصل؟ هل سيتم القبض عليها وهي تتجاوز نداء الواجب مما سيعرضهم للوم جميعاً؟ أو ربما ستتم إعادتها إلى موطنها في بيرغن؟ هذا ممل، لكنه ليس السبب الدقيق الذي يجعل قلبها يخفق كالمثقاب الهوائي داخل صدرها.

انتظرت وهي مصغية. لا شيء... لا شيء حتى الآن.

وهنا أدركت أن كل شيء فاحم السواد، فلو أن أحداً ما كان هنا لأشعل الضوء بالطبع، فابتسمت على غبائها وشعرت بتباطؤ دقات قلبها، وأشعلت المصباح وأعادت الدليل إلى الصندوق وأعادت الصندوق إلى مكانه، ثم تأكدت أنه تماماً على مستوى الصناديق الأخرى نفسه ومشت نحو المخرج، فلمعت فكرة في ذهنها... فكرة طائشة فاجأتها، فقد كانت تتشوق للاتصال به، وهذا ما كانت ستفعله؛ ستتصل به وتخبره بما فعلته. لكنها توقفت فجأة، فقد وقع ضوء المصباح على شيء.

كانت الفكرة البديهية الأولى أن تستمر في المشي، فقد كان هناك صوت ضعيف جبان يقول لها أن تخرج بالسرعة الممكنة. ورغم ذلك، قرّبت المصباح مرة ثانية فشاهدت التفاوت؛ إذ إن أحد الصناديق لم يكن في مستوى الصناديق الأخرى نفسه، فاقتربت وسلطت ضوء المصباح على

البطاقة الملصقة عليه.

اعتقد هاري أنه سمع صوت باب يغلق بقوة، فسحب سماعتَي الأذنين اللتين كان يستمع بهما إلى التسجيل الجديد بصوت بون آيفر الذي بقي موجوداً بقدر الدعاية، وأصغى لكنه لم يسمع شيئاً فنادى:

- أرنولد؟

لم يكن هناك أي رد، لكنه اعتاد أن يكون وحده في هذا الوقت المتأخر من المساء في هذا الجناح التابع لمدرسة الشرطة، فبالطبع من الممكن أن يكون أحد أفراد موظفي التنظيف قد نسي شيئاً ما. لكن، بنظرة سريعة إلى ساعة يده تأكد أن الوقت كان ليلاً وليس مساءً. نظر هاري إلى اليسار حيث كومة الواجبات غير المصححة على مكتبه، فقد طبعها معظم الطلاب على الورق الخشن المعاد تكريره الذي يستخدمونه في المكتبة، وقد كان مغبراً جداً لدرجة أن رؤوس أصابع هاري تكون متلونة باللون الأصفر عندما يعود إلى البيت، مما يجعل راكيل تطلب منه أن يغسلها قبل أن تسمح له بلمسها.

نظر من النافذة فوجد القمر معلقاً في السماء كبيراً ومستديراً ومنعكساً على نوافذ الأبنية وأسطحها باتجاه كيركيفين وماجورستين. ورأى إلى الجنوب الخيال الأخضر المتلألئ لبناء كيه بي أم جي للخدمات المالية بجانب سينما كولوسيوم. لم تبد المدينة عظيمة أو جميلة أو حتى رائعة، لكنها البلدة التي عاش وعمل فيها كل حياته تقريباً، وقد مرّت عليه بعض أيام الصباح في هونغ كونغ حيث كان يضع قطعة أفيون في سيجارته ويصعد إلى سطح تشانغكينغ ليرى بزوغ الفجر، وقد جلس هناك في الظلام متمنياً لو كانت المدينة التي ستنبعث الحياة فيها مدينته؛ فهي مدينة متواضعة فيها أبنية متواضعة منخفضة بدلاً من القمم الفولاذية المهولة، ومتمنياً أن يرى سلاسل أوسلو الخضراء المنخفضة بدلاً من أطراف جبال هونغ كونغ القاتمة المنحدرة بقسوة، وأن يسمع صوت مكابح الترام وقعقعته، أو صفير مركب الدنمارك وهو يدخل الزقاق البحري مبتهجاً لنجاحه في عبور البحر اليوم أيضاً بين فريديريكسهافن وأوسلو.

نظر هاري إلى الورقة التي كانت تحت الشعاع المنبعث من مصباح القراءة الذي كان الضوء الوحيد في الغرفة، وقد كان بإمكانه بالطبع أن يأخذ كل شيء معه إلى هولمنكولفن: القهوة والمذياع المثرثر وعبير الأشجار المنعش المتسلل عبر النافذة المفتوحة، لكنه قرر ألا يتعب نفسه بالتفكير في

سبب اختياره أن يجلس هنا وحيداً بدلاً من أن يجلس هناك وحيداً... ربما لأن عنده فكرة عن الجواب؛ إذ لم يكن وحيداً هناك تماماً، فالحصن الخشبي الأسود بأقفاله الثلاثة على الباب والرشاشات أمام جميع النوافذ لا يمكنها أن تطرد الوحوش، فالأشباح تسكن في الزوايا المظلمة وتراقبه بتجاويف عيونها الفارغة. اهتز هاتفه في جيبه فأخرجه وشاهد النص الذي ظهر على الشاشة المضيئة وقد كان من أوليغ، ولم تكن هناك حروف وإنما فقط أرقام: 665625 ، فابتسم هاري، إذ إن الرقم بعيد جداً عن الرقم العالمي الأسطوري الذي سجله ستيفن كروغمان في لعبة تتريس عام 1999 وهو 1 , 648 , 905 نقطة، لكن أوليغ قد حطم أفضل نتائج هاري بأشواط في لعبة الحاسوب القديمة نوعاً ما، وقد كان شتال أون يزعم أنه يوجد حد تنتقل فيه الأرقام المسجلة في لعبة تتريس من كونها مثيرة إلى كونها محزنة، وأن هاري وأوليغ قد تجاوزا ذلك الحد، لكن لا يوجد أحد آخر يعلم الحد الآخر الذي تجاوزاه وهو خط الموت والعودة، فأوليغ على كرسيه بجانب سرير هاري، وهاري يعاني الحمى بعد أن حارب الضرر الذي سببته رصاصات أوليغ، وأوليغ يبكي لأن جسمه يرتجف من الانقطاع المفاجئ للمخدرات. لم يكن هناك الكثير من الكلام، لكن كانت لدى هاري ذكرى غامضة وكلاهما يمسكان بيدي بعضهما بشدة مؤلمة، وستبقى هذه الصورة للرجلين وهما متشبثان ببعضهما كيلا يفلتا دائماً في مخيلته.

كتب هاري في رسالة الرد: سوف أعود. أجاب الرقم بثلاث كلمات كانت كافية ليعرف أن الشخص الآخر موجود هناك، حتى لو كانت المرة القادمة التي سيلتقيان فيها بعد أسابيع. وضع هاري السماعة في أذنه، وبحث عن الموسيقى التي أرسلها أوليغ بدون أي تعليق، وكانت لفرقة ديسمبريستس. لكن هاري وليس أوليغ كان من يفضل الأنواع الأقوى. استمع هاري إلى عزف قيثارة فندر المنفردة مع التغريد الدافئ والنقي، وانحنى إلى الورقة التالية التي كتبها الطالب بعد الارتفاع المفاجئ في معدل الجريمة في السبعينيات من القرن العشرين، حيث استقر الرقم على مستوى جديد أعلى يصل إلى ما يقارب خمسين جريمة سنوياً في النروج، أي جريمة واحدة في الأسبوع تقريباً.

ولاحظ هاري أن الهواء قد أصبح خانقاً مما دفعه لفتح نافذة.

وذكر الطالب أن معدل تفسير الجرائم كان يقارب خمساً وتسعين بالمئة، ووصل إلى نتيجة مفادها أنه لا بد من وجود ما يقارب خمسين جريمة قتل غير محلولة في السنوات العشرين الأخيرة، وخمس وسبعين خلال

السنوات الثلاثين الأخيرة.

- ثمان وخمسون.

قفز هاري من كرسيه، فقد وصل الصوت إلى عقله قبل أن تصل رائحة العطر، فقد شرح له الطبيب أن سنوات التدخين والإفراط في احتساء الشراب قد خرّبت حاسة الشم لديه؛ أو بعبارة أكثر دقة خلايا الشم لديه، لكن هذا لم يكن السبب الذي جعله يستغرق دقيقة في تمييز الرائحة، فهي رائحة عطر يدعى أفيون تصنعه شركة إيف سان لوران، وانتزع سماعة الأذن.

كانت تضع مساحيق التجميل، وقد ارتدت فستاناً أحمر بسيطاً، وهي حافية القدمين وقالت:

- ثمان وخمسون خلال السنوات الثلاثين الأخيرة. لكن إحصائيات كريبوس لا تتضمن المواطنين النروجيين المقتولين خارج البلاد، لذلك يجب أن تستخدم إحصائيات النروج فيصبح الرقم اثنتين وسبعين؛ مما يعني أن معدل حل الجرائم في النروج أعلى، وهذا ما يجعل رئيس الشرطة يستخدم الرقم في دعايته بشكل منتظم.

دفع هاري كرسيه وقال:

- كيف دخلت إلى هنا؟

جلست سيلج غرافسينغ على حافة المكتب وقالت:

- لدي مفاتيح، فأنا ممثلة الصف. لكن الفكرة هي أن معظم الجرائم خارج البلاد على شكل اعتداء، أي يمكننا أن نفترض أن المجرم لا يعرف الضحية.

وهنا وثّق هاري أن ركبتيها وفخذيها كانت مسمرّة بالشمس، حيث ارتفع أسفل الفستان مما يعني أنها كانت في عطلة، وتابعت:

- ومعدل حل هذا النوع من الجرائم في النروج أقل من أي بلد يجب أن نقارن أنفسنا به. في الحقيقة، إنه منخفض بشكل مخيف.

وأمالت رأسها إلى إحدى كتفيها مما جعل شعرها الأشقر الرطب يتدلى على وجهها.

قال هاري:

- حقاً؟!

- نعم. وفي الواقع، لا يوجد إلا أربعة محققين في النروج لديهم نسبة مئة بالمئة في تفسير الجرائم، وأنت واحد منهم...

قال هاري:

- لست متأكداً أن هذا صحيح.

ابتسمت له وأغمضت عينيها كما لو أن شمس الظهيرة كانت مسلطة عليهما، وأرخت قدميها العاريتين كما لو أنها تجلس على رصيف الميناء وهي تمعن النظر في عينيه، وكأنها تعتقد أن بإمكانها أن تسحب العينين من تجويفيهما.

سألها هاري:

- ماذا تفعلين هنا في هذا الوقت المتأخر؟

- كنت أقوم ببعض التمارين في غرفة اللياقة البدنية.

وأشارت إلى حقيبة الظهر على الأرض، وثنت ذراعها اليمنى فظهرت عضلتا ذراعها البارزتان، فتذكر أن مدرب القتال قد ذكر شيئاً عن إطاحتها بعدد من الشباب أرضاً.

- أتقومين بالتمارين وحدك في هذا الوقت المتأخر؟

- عليّ أن أتعلم قدر الإمكان. لكن، ألا يمكنك أن تريني كيفية الإطاحة بالمشتبه به أرضاً؟

نظر إلى ساعته وقال:

- أخبريني... ألا يجب أن تكوني...؟

- نائمة؟ لا يمكنني أن أنام يا هاري، فأنا أفكر بـ...

نظر إليها، فزمّت شفتيها الحمراوين المتألقتين ووضعت إصبعها عليهما فشعر بتعاظم بعض السخط، فقال:

- جيد أنك تستخدمين عقلك يا سيلج. ثابري على ذلك وأنا سوف أكمل...

وأشار إلى كومة الأوراق.

- لم تسألني بماذا كنت أفكر يا هاري.

- هناك ثلاثة أشياء يا سيلج: أنا محاضر بالنسبة لك ولست شخصاً مناسباً للاعتراف، ولا يجب أن تكوني في هذا الجناح من دون موعد، وبالنسبة لك أنا هول ولست هاري. هل هذا مفهوم؟

كان يعلم أن صوته أكثر صرامة من الضروري. وعندما رفع نظره مرة ثانية وجد أن عينيها توسعتا واستدارتا بسبب عدم التصديق، وخفضت إصبعها عن شفتيها، وزال نتوء الشفتين أيضاً، وعندما بدأت بالكلام مجدداً كان صوتها بالكاد أعلى من الهمس:

- كنت أفكر بك يا هاري.

ثم ضحكت ضحكة صاخبة:

- أقترح أن نتوقف هنا يا سيلج.
- لكنني أحبك يا هاري.

وضحكت أكثر، ففكر: هل هي ثملة؟ أو ربما قادمة من حفلة مباشرة؟

- سيلج، لا...
- هاري... أعلم أن لديك التزامات، وأعلم أن هناك قواعد للمحاضرين والطلاب، لكنني أعلم ما يمكننا أن نقوم به. بإمكاننا أن نذهب إلى شيكاغو حيث قمتَ بدورة القتل المتسلسل، فيمكنني أن أتقدم إليها ويمكنك...
- توقفي!

سمع هاري صدى صرخته عبر الممر، وتقوست كما لو أنه يريد أن يضربها.

- الآن سأرافقك إلى الباب يا سيلج.

رمشت عيناها بدهشة وقالت:

- ما الأمر يا هاري؟ فأنا ثاني الفتيات الأكثر جاذبية في السنة، وكان بإمكاني أن أحصل على من أريد في هذا المكان؛ بمن فيهم المحاضرون، لكنني حبست نفسي لأجلك.
- تعالي.
- هل تريد أن تعرف ماذا لدي تحت ثوبي يا هاري؟

ووضعت قدمها العارية على المكتب ثم باعدت فخذيها، لكن هاري كان سريعاً في ضرب قدمها على المكتب، فلم تتح لها الفرصة في أن تبدي ردة فعل.

- لا أحد يضع قدميه على مكتبي إلا أنا. وشكراً، لا أريد أن أعرف.

انهارت سيلج وأخفت وجهها في كفيها، ثم مسحت بهما رأسها وكأنها تريد أن تنسلّ إلى مخبأ تحت ذراعيها الملفوفتين وبكت وتنهدت بهدوء، فتركها هاري تجلس هكذا حتى خف بكاؤها، وأوشك أن يضع يده على كتفها لكنه غير رأيه بعد ذلك وقال:

- اسمعي يا سيلج، لا أدري إن كنت تتعاطين شيئاً، فهذا قد يحصل لأي منا، لكنني أقترح أن تذهبي الآن من كأن شيئاً لم يكن، ولن يلفظ أحدنا كلمة عن هذا أبداً.
- هل أنت خائف من أن يكتشف أحد أمرنا يا هاري؟
- لا يوجد أمر بيننا، واسمعيني فأنا أعطيك فرصة هنا.

- هل تفكر بأن أحدهم سيكتشف أنك تعاشر طالبة؟

- أنا لا أعاشر أحداً، وإنما أفكر بما هو خير لك.

خفضت سيلج ذراعها ورفعت رأسها، فأصابت هاري الصدمة، إذ إن مسحوق التجميل تحول إلى دم قاتم، واكتسبت عيناها وميضاً وحشياً، كما جعلته ابتسامتها المفاجئة التي تشبه المفترس الجائع يفكر بحيوان شاهده في أحد البرامج المعنية بالطبيعة.

- أنت تكذب يا هاري، فقد عاشرت تلك العاهرة راكيل من دون أن تفكر بي، وهذا ما لا تقوله أيها الوغد المنافق، لكنك تفكر بي كقطعة لحم بإمكانك أن تعاشرها وستعاشرني.

وانزلقت عن المكتب وتقدمت نحوه خطوة، لكنه جلس منهاراً على كرسيه وقدماه ممددتان أمامه كالعادة، وكان ينظر إليها وكأنه جزء من مشهد عليه أن يمثله، أو أنه مثله وانتهى الأمر. تمددت للأمام بلطف، ووضعت يدها على ركبته، وتلمست بيديها إلى الأعلى فوق حزامه وهي تتمايل عليه ويدها قد اختفت تحت قميصه، وجاء صوتها رخيماً: « لديك عضلات صدر جميلة يا أستاذ ». فأمسكها هاري من يدها، ولوى معصمها وهو يندفع عن الكرسي، فصرخت وهو يضع ذراعها بقوة خلف ظهرها ويدفع رأسها باتجاه الأرض، ثم قام بإدارتها نحو الباب وأمسك بحقيبة ظهرها ودفعها خارج الغرفة نحو الممر.

فتأوهت:

- هاري!

فقال هاري بدون أن يتوقف وهو يدفعها إلى أسفل الدرج:

- هذه القبضة تدعى نصف قبضة نيلسن، أو كما يدعوها الكثيرون قبضة الشرطة، وتعلمها سهل من أجل الامتحان... هذا إن وصلت للامتحان؛ لأنني آمل أن تكوني قد أدركت أنك وضعتني في موقف يتعين علي فيه أن أبلغ عنك.

- هاري!

- ليس لأنني أشعر بأنه تم إزعاجي على وجه الخصوص، بل لأنني أتساءل إن كان لديك التوازن النفسي للعمل في قوات الشرطة يا سيلج، وسأدع السلطات تقيّم ذلك؛ لهذا عليك أن تقنعيهم أن هذه كانت زلة. أيبدو هذا عادلاً بالنسبة لك؟

وفتح الباب الأمامي بيده الحرة، فاستدارت ورمقته بعينيها وهو يدفعها خارجاً، وكانت نظرتها المليئة بالغضب والوحشية تؤكد ما كان هاري

يفكر به منذ فترة عن سيلج غرافسينغ، وهو أنها غير مؤهلة لتعمل في قوات الشرطة.

ظل هاري ينظر إليها وهي تمشي عبر البوابة نحو ساحة قصر نوف حيث كان هناك طالب يدخن ويأخذ استراحة من الطرق الممل للموسيقى في الداخل، وقد وقف متكئاً على أحد أعمدة مصابيح الشارع وهو يلبس سترة الجيش من طراز كوبا 1960 ، ونظر إلى سيلج بعدم مبالاة مدروسة حتى تجاوزته، حيث التفت ونظر إليها.

وقف هاري في الممر وهو يشتم بصوت عال، وشعر بنبضه يتباطأ فأخرج هاتفه واتصل بإحدى جهات الاتصال من القائمة القصيرة جداً، حتى إن بعض الأشخاص يتم اختيارهم بكتابة حرف واحد.

- أرنولد يتكلم.

- إنني هاري. لقد مرت سيلج غرافسينغ للتو على مكتبي، لكنْ هذه المرة كان الوضع غير مقبول.

- حقاً؟ هات ماذا حصل؟

وسرد هاري لزميله النقاط المهمة بعد أن نسّقها.

- هذا سيئ يا هاري، وربما أسوأ مما تتخيل.

- قد تكون تعاطت أحد العقاقير، فقد بدت وكأنها آتية من حفلة، أو أنها تجد مشاكل في التحكم بدوافعها. لكنني أحتاج إلى بعض النصح هنا عما يجب أن أقوم به. أعلم أنه عليّ أن أبلغ عن الأمر لكن...

- أنت لا تفهم. هل ما زلت في الأسفل عند الباب الأمامي؟

تفاجأ هاري وقال:

- نعم، وماذا يعني ذلك؟

- من المؤكد أن الحارس قد ذهب. لكن، هل ترى أحداً آخر؟

- أحداً آخر؟

- أي أحد؟

- حسناً... يوجد شاب في الساحة خارج قصر نوف.

- هل رآها وهي تخرج؟

- نعم.

- ممتاز. اذهب وتحدث إليه واحصل على اسمه وعنوانه واشغله ريثما آتي لأقلكما.

- ماذا؟

- سأشرح لك لاحقاً.

- هل يفترض بي أن أجلس على المقعد الخلفي لدراجتك؟
- عليّ أن أعترف أن لدي سيارة هنا في مكان ما، وسأكون عندك في غضون عشرين دقيقة.

تمتم بيورن هولم:
- صباح... الخير؟
ونظر إلى ساعة يده لكنه كان يشك في أنه لا يزال في أرض الأحلام.
- أكنت نائماً؟
قال بيورن وهو ينحني نحو اللوح الأمامي ويضغط بالهاتف إلى أذنه وكأن ذلك يجعلها أكثر قرباً:
- لا... لا.
قالت كاترين برات:
- كنت أريد فقط أن أخبرك أنني حصلت على قطعة من العلكة الملصقة في أسفل مقعد أنطون ميتيت، وأنا أظن أنها تعود للمجرم، لكنها بالطبع محاولة بعيدة المنال.
قال بيورن:
- نعم.
- هل تقصد أن هذا إضاعة للوقت؟
اعتقد بيورن أن صوتها بدا خائباً وأجاب:
- أنت المحققة.
لكنه ندم لأنه لم يقل شيئاً مشجعاً أكثر. وخلال الصمت الذي ساد بعد ذلك، كان يتساءل عن مكان وجودها: فهل كانت في البيت؟ وهل كانت أيضاً في السرير؟
تنهدت قائلة:
- حسناً، على أي حال، لقد حصل شيء غريب وأنا في غرفة الأدلة.
قال بيورن وقد لاحظ أنه يبالغ في إظهار الحماسة:
- ماذا؟
- أعتقد أنني سمعت أحداً آخر هناك. قد أكون مخطئة، لكن في طريقي إلى الخارج بدا وكأن أحدهم قد أزاح أحد صناديق الأدلة على الرف، فتأكدت من البطاقة الملصقة...
فكر بيورن هولم أنها مستلقية فصوتها فيه رقة خاملة.
- فكانت قضية رينيه كالسنس.

أغلق هاري الباب الثقيل فاختفى ضوء الصباح الرقيق خلفه، ومشى عبر الظلام في المنزل الخشبي نحو المطبخ، واسترخى على كرسي، وفك أزرار قميصه، وكل ذلك استغرق وقتاً.

بدا الشاب الذي يرتدي سترة الجيش فزعاً نوعاً ما عندما ذهب هاري إليه وطلب منه أن ينتظر حتى وصول شرطي زميل، فقال وهو يقدم السيجارة التي يدخنها لهاري:

- إنه تبغ عادي كما تعلم.

وعندما وصل أرنولد، أخذا شهادة الطالب الموقّعة، ثم ركبا السيارة من نوع فيات المغطاة بالغبار وغير محددة المعالم، وانطلقا مباشرة نحو كريمتكنيسك حيث كان الأشخاص لا يزالون يعملون بسبب آخر جريمة قتل. وهناك خلع هاري ثيابه، وبينما أخذ أحدهم ثيابه للفحص، قام اثنان من ضباط الشرطة الذكور بتتبع أعضائه التناسلية ويديه بالضوء والورق اللاصق، ثم أعطياه أنبوباً بلاستيكياً فارغاً.

- ابذل أقصى جهدك يا هول إذا كانت هناك مساحة كافية. الحمام في آخر الممر. فكر بشيء جميل.

- نعم.

شعر هاري بالضحكة المكتومة أكثر من سماعه لها وهو يتركهم.

فكر بشيء جميل.

لمس هاري نسخة من التقرير الموجود على طاولة المطبخ، فقد طلب من هاغن أن يرسلها إليه سراً وبتروٍّ، لكن معظمها يحتوي على مصطلحات طبية باللاتينية. ورغم ذلك، فهم بعضها بما يكفي ليعلم أن رودولف أساييف قد مات بالطريقة الغامضة نفسها التي قد عاش بها والتي لا يمكن تفسيرها، ولعدم وجود أي شيء يدل على فعل إجرامي اضطروا إلى أن يتوصلوا إلى قرار، وهو أن موته كان نتيجة اعتلال دماغي أي سكتة دماغية أو هذا النوع من الأشياء التي تحدث.

ونظراً إلى كونه محققاً، كان بإمكان هاري أن يخبرهم أن هذا النوع من الأشياء لا يحدث عادة، فشاهد الادعاء « يصدف » أن يموت. ماذا قال أرنولد بهذا الشأن؟ في أربع وتسعين بالمئة من القضايا كان السبب هو الجريمة، إذا كان أحدهم سيخسر ما يكفي نتيجة شهادة الشاهد.

وكان التناقض بالطبع أن هاري نفسه لديه ما يخسره إذا أدلى أساييف بشهادته، بل الكثير ليخسره؛ فلماذا يهتم؟ ولم لا يظهر الامتنان

وينحني ويتابع حياته فقط؟ كان هناك جواب بسيط لذلك فنظامه فيه عجز.

وألقى التقرير إلى نهاية الطاولة الطويلة المصنوعة من خشب السنديان، وقرر أن يمزقه صباحاً فهو الآن بحاجة لبعض النوم.

فكر بشيء جميل.

نهض هاري وخلع ثيابه في طريقه إلى الحمام، ووقف تحت مرشّ الاستحمام وأداره إلى السخونة الحارقة، فشعر بجلده يخزه ويحرقه كعقاب له.

فكر بشيء جميل.

جفف نفسه واستلقى تحت غطاء السرير الأبيض النظيف على سريرهما المزدوج، وأغمض عينيه وحاول أن يسرع العملية، لكن الأفكار كانت أسرع إليه من النوم.

لقد فكر بها.

عندما كان واقفاً في حجرة الحمام وعيناه مغمضتان مركزاً على شيء جميل ليفكر به انتقل تفكيره إلى سيلج غرافسينغ؛ إلى بشرتها الناعمة التي غيرت الشمس لونها وشفتيها ونَفَسها الحارق على وجهه، والغضب الجامح في عينيها، والجسم الملفوف بالعضلات والانثناءات واللحم الراسخ وكل جمال الشباب الجائر.

تباً!

تذكّر يدها على حزامه وعلى معدته، وجسدها وهو يقترب ليلتقي جسده، ونصف قبضة نيلسن، ورأسها الذي اقترب من الأرض، وأنينها المحتج، وظهرها المتقوس مع الجزء السفلي من جسمها الذي ارتفع نحوه... هيفاء كأنثى الغزال.

تباً... تباً!

جلس على السرير، وكانت راكيل تبتسم إليه بدفء من الصورة الموجودة على الطاولة الصغيرة قرب السرير وهي دافئة وذكية وعارفة... لكن، هل كانت تعلم فعلاً؟ هل كانت ستهرب وهي تصرخ لو سُمح لها بالدخول إلى ذهنه لمدة خمس ثوان لترى من هو على حقيقته؟ أم إننا جميعاً مرضى بالدرجة نفسها؟ هل الاختلاف فقط بمن يكشف ما يجول بذهنه ومن لا يفعل؟

لقد فكر بها، وفكر أنه فعل تماماً ما كانت تريده هناك على المكتب، فقد رمى بكومة أعمال الطلاب، وجعلها تطير تاركاً الأوراق ترفرف

في أرجاء الغرفة مثل الفراشات الباهتة التي تلتصق بالبشرة. فقد كانت الأوراق خشنة وعليها حروف صغيرة سوداء أصبحت تصنيفاً للجرائم: الجنس، والشراب، وجرائم العشق، والعداوات العائلية، وجرائم الشرف، والجشع... لقد فكر بها عندما كان في الحمام وملأ الأنبوب إلى حافته.

21

تثاءبت بتي لون ورمشت عيناها ونظرت من نافذة الترام، فقد بدأت شمس الصباح بعملها بإزالة الغشاوة التي تغطي حديقة فروغنر. كانت ملاعب التنس الندية خاوية إلا من رجل مسنّ نحيل يقف وهو ضائع في تفكيره في ملعب تنس صخري لم يضعوا الشبكات فيه بعد للموسم الجديد، وكان ينظر إلى الترام ورجلاه النحيلتان بارزتان من السروال القصير القديم الذي يرتديه، ويلبس قميصاً رسمياً أزرق مزرراً بشكل خاطئ، ويجر مضرب التنس على الأرض، فاعتقدت بتي أنه كان ينتظر صديقاً له لا يأتي ربما لأن التخطيط للقاء كان في مثل هذا الوقت من السنة الماضية، وهو لم يعد على قيد الحياة، وكانت تعلم كيف يشعر.

ولمحت بعينيها المنليث عندما مروا ببوابة الحديقة الرئيسة حيث توقف الترام.

في الحقيقة كان لديها شريك زارته في الليلة الماضية بعد أن أتت كاترين لأخذ مفتاح غرفة الأدلة، ولهذا كانت تستقل الترام إلى طرف المدينة هذا. كان رجلاً عادياً كما كانت تصنفه، وليس من النوع الذي تحلم به وإنما من النوع الذي نادراً ما تحتاج إليه. وكان أولاده عند زوجته السابقة. فالآن لديها الوقت والفرصة للقائه أكثر لأن ابنها الصغير كان يزور أم زوجها في ستينكجر، ورغم ذلك لاحظت بتي أنها كانت تحد من اللقاءات. فبشكل أساسي، كان من الهام لها أن تتأكد من وجوده كخيار أكثر من قضاء الوقت معاً. ورغم أنه لم يكن قادراً على استبدال جاك فإن ذلك لا يهم، فهي لا تريد أن تحل محلّ زوجته السابقة، وإنما تريد شيئاً آخر لا يكون فيه أي التزام لها ولا يكلفها الكثير إذا أُخذ منها.

نظرت بتي من النافذة إلى الترام الذي كان يمر بجانبهم من الطريق المعاكس. وعبر الصمت استطاعت أن تسمع صوت الموسيقى المنخفض الصادر من سماعتي الفتاة التي تجلس بجانبها، فلاحظت أنها ضرب من موسيقى صاخبة مزعجة من التسعينيات... من الزمن الذي كانت فيه أكثر فتيات كلية الشرطة هدوءاً؛ حيث كانت شاحبة ولديها ميل محرج للاحمرار إذا نظر أي شخص تجاهها، رغم أن من ينظرون إليها كانوا قلة لحسن الحظ، وأن أولئك الذين يفعلون ذلك ينسونها فوراً، فقد كان لدى بتي لون ذلك النوع من الوجه والشخصية اللذين يجعلانها مجرد لا شيء، أو سمكة في

حوض ماء، أو أي إنسانة عادية لكنها كانت تتذكر كل واحد منهم.

ولهذا السبب كان باستطاعتها أن تنظر إلى الوجوه بالقرب منها في الترام، وأن تتذكر أين ومتى رأتهم قبل ذلك. فقد يكون ذلك في اليوم السابق على الترام نفسه، أو ربما في باحة المدرسة منذ عشرين سنة، أو ربما في تغطية كاميرات المراقبة لسرقة مصرف، أو قد يكون ذلك في مصعد محل ستين آند ستروم حيث كانت تذهب لشراء ملابسها. ولم يكن مهماً إن كبروا بالعمر أو وضعوا مساحيق التجميل أو نمت لحاهم أو تغيرت قصّات شعرهم أو قاموا بحقن السيليكون أو البوتكس، فقد بدا أن الوجه الحقيقي يلمع من خلالها كشيء ثابت وفريد مثل رمز حمض نووي مؤلف من أحد عشر رقماً، وقد كانت هذه نعمة ونقمة، فقد كان بعض الأخصائيين النفسيين يريدون أن يصنفوها على أنها متلازمة أسبرجر، وصنفها آخرون على أنها تلف دماغي ثانوي يعوض عنه التلفيف المغزلي؛ وهو مركز الدماغ المسؤول عن تمييز الوجوه، بينما فضل مستشارون حكماء آخرون ألا يعطوها أي اسم مطلقاً، واكتفوا بذكر أن دماغها يخزن المعالم الفريدة لكل شخص كما يخزن الحاسوب أرقام رموز الحمض النووي للتعرف على الشخص لاحقاً.

ولهذا السبب لم يكن غريباً أن يعمل دماغ بتي لون محدثاً دويّاً لكي يتعرف على وجه الرجل في الترام الآخر، لكن الغريب أنها لم تستطع أن تتعرف عليه مباشرة.

لم يكن يفصلهما إلا متر ونصف المتر، وكان انتباهها مركزاً عليه لأن وجهه كان موجهاً نحوها وهو يكتب على بخار الماء المتكثِّف على النافذة. لقد رأته من قبل، لكن الاسم أو أرقام رمز الحمض النووي التي تربط الوجه بالاسم قد اختفت... ربما كان ذلك بسبب الانعكاس على النافذة أو الخيال الذي يغطي عينيه.

كانت على وشك الاستسلام عندما تمايل الترام ليتحرك وسقط الضوء من اتجاه آخر، ورفع نظره ليلتقي نظرها، فسرت صدمة كهربائية في بتي لون؛ إذ إن نظرته تشبه نظرة أحد الزواحف؛ وهي النظرة الباردة لمجرم تعرفه.

إنه فالنتين غجيرتسين.

وعرفت أيضاً لماذا لم تستطع التعرف عليه فوراً وكيف نجح في إخفاء نفسه.

نهضت بتي لون من مقعدها وحاولت الخروج، لكن الفتاة التي

كانت تجلس بجانبها كانت مغمضة العينين وتهز رأسها، فوكزتها بتي، ورفعت الفتاة نظرها بانزعاج، فتكلمت بتي:

- أريد أن أخرج.

رفعت الفتاة حاجبها الرقيق لكنها لم تتحرك، فسحبت بتي السماعتين من أذنيها.

- أنا من الشرطة وأريد أن أنزل.

قالت الفتاة:

- إنه يتحرك.

- أبعدي مؤخرتك اللعينة الآن!

التفت الركاب الآخرون إلى بتي لون لكنها لم تحمر خجلاً، فهي لم تعد تلك الفتاة الهادئة؛ إذ إن بتي لون تلك لم تعد موجودة رغم أن بنيتها لا تزال صغيرة، وبشرتها لا تزال شاحبة لدرجة الشفافية، وشعرها لا يزال باهتاً وجافاً مثل المعكرونة غير المطبوخة.

- أوقف الترام! الشرطة! توقف!

وشقت طريقها إلى السائق والمخرج وسمعت صوت المكابح. وصلت إلى هناك وأظهرت هويتها للسائق، وانتظرت بنفاد صبر حتى توقف الترام بارتجاج نهائي، فاندفع الركاب إلى الأمام وتعلقوا بالأحزمة عندما فتح الباب، وخرجت بتي بقفزة واحدة وركضت على طول الطريق الذي يفصل الشارع وهي تشعر بالندى على العشب من خلال قماش حذائها. وكان الترام الآخر يتحرك، فقد كانت تسمع الأزيز المنخفض للترام على السكة يتعالى وهي تركض بأسرع ما يمكن. لم يكن هناك ما يجعلها تظن أن فالنتين كان مسلحاً، ولا يمكنه الهرب من ترام مزدحم وهي تلوح ببطاقة الشرطة وتصرخ أنه قيد القبض، لكن حبذا لو تلحق بالترام؛ فالركض ليس سلاحها الأقوى كما قال لها الطبيب الذي كان يظن أنها تعاني من متلازمة أسبرجر، فالأشخاص مثلها يعانون من عدم التناسق الجسدي.

انزلقت على العشب الرطب، لكنها استطاعت أن تبقى على قدميها لبضعة أمتار حتى لحقت بمؤخر الترام وضربته بيدها وصرخت ولوحت ببطاقتها وهي تأمل أن يراها السائق من المرآة، وقد يكون رآها كواحدة من المشاة التي قد أطالت النوم فأخذت تلوح ببطاقتها الشهرية باستماتة، وارتفعت أصوات أزيز السكة كلحن موسيقي إلى أن تركها الترام واقفة.

وقفت بتي تراقب الترام وهو يختفي إلى ماجورستين، ثم التفتت ورأت أن الترام الذي كانت تستقله كان يتوجه نحو ساحة فروغنر،

فأخرجت هاتفها وهي تشتم بصوت منخفض، وعبرت الشارع واتكأت على سياج ملاعب التنس السلكي ونقرت الرقم.

- هولم يتكلم.
- أنا أتكلم. لقد رأيت فالنتين للتو.
- هل أنت متأكدة؟
- بيورن...
- عفواً... أين؟
- في الترام الذي يمر من حديقة فروغنر نحو ماجورستين. هل أنت في العمل؟
- نعم.
- إنه الترام رقم 12 . حاول أن تتبين وجهته واقطع طريقه، فيجب ألا يستطيع الهروب.
- جيد. سأستعلم عن المواقف، وأرسل أوصاف فالنتين لكل سيارات دوريات الشرطة.
- هذا لا ينفع.
- ما هو الذي لا ينفع؟
- الأوصاف، فقد تغير.
- ماذا تقصدين؟
- خضع لعمليات تجميل غيرته جذرياً بشكل كاف ليتمكن من التحرك من دون أن يتم التعرف عليه في أوسلو مثلاً. أخبرني أين يتوقف الترام وسأنطلق إلى هناك لكي أشير إليه.
- وصلت الرسالة.

أعادت بتي الهاتف إلى جيبها، ولم تلحظ انقطاع نفسها حتى الآن، وتقدمت أمامها ساعة ازدحام السير الصباحية ببطء وكأن شيئاً لم يحصل؛ وكأن الكشف عن مجرم لم يكن له أي فرق بطريقة أو بأخرى.

- ما الذي حدث لهم؟

اتكأت على السياج، والتفتت إلى الصوت ذي الصرير، فنظر إليها العجوز بعينيه المتسائلتين وكرر سؤاله:

- أين هم جميعاً؟

وعندما رأت بتي الألم هناك، اضطرت أن تبلع ريقها بسرعة لتتخلص من الكتلة في حنجرتها، فقال لها وهو يحاول أرجحة مضرب التنس بتردد:

- هل تعتقدين... أنهم في الملعب الآخر؟

هزت بتي رأسها ببطء، فقال:

- نعم... من المحتمل أن يكونوا هناك، لذلك يجب عليّ ألا أكون هنا، فهم في الملعب الآخر، وهم ينتظرونني هناك.

نظرت بتي إلى ظهره الضيق وهو يتمايل ماشياً نحو البوابة، ثم أسرعت نحو ماجورستين، ورغم أن ذهنها كان يعمل بسرعة ليتساءل عن المكان الذي يتوجه إليه فالنتين ومن أين أتى وكيف أن إلقاء القبض عليه قد يكون قريباً، فإنها لم تستطع أن تتخلص من صدى همس العجوز:

إنهم ينتظرونني هناك.

نظرت ميا هارتفيغسن إلى هاري هول وقد صالبت ذراعيها وأدارت كتفها بعيداً عنه تقريباً. وحول أخصائية الأمراض كانت هناك أحواض بلاستيكية زرقاء تحتوي على أجزاء جسم مقطوعة. كان الطلاب قد غادروا الغرفة في معهد الطب الشرعي الموجود في الطابق الأرضي في ريكشوبيتالت، وقد تقدمت هذه العصفة من الماضي مع تقرير علم الأمراض الخاص بأساييف تحت ذراعه.

ولم تكن الإشارة الجسدية له بالانصراف بسبب كره ميا هارتفيغسن لهول، وإنما لأنه أثار القلاقل، فعندما كان هول يعمل كمحقق كان دائماً يعتزم القيام بعمل إضافي ومواعيد صارمة وفرص متزايدة للتشهير بهم لارتكاب أخطاء لا يُعتبرون مسؤولين عنها.

قالت ميا:

- لقد قمنا بتشريح جثة رودولف أساييف تشريحاً شاملاً.

قال هاري:

- ليس شاملاً بما يكفي.

ووضع التقرير على إحدى الطاولات المعدنية اللامعة حيث كان الطلاب للتو يقطعون لحماً بشرياً يعود لذراع عضلية مقطوعة من الكتف ومتدلية من تحت الغطاء، فقرأ هاري أحرف الوشم الباهت على العضد: شاب صغير على الموت... حسناً، قد يكون أحد راكبي دراجات لوس لوبوس؛ وهي عصابة منافسة كان أساييف يعتزم القضاء عليها.

- وما الذي يجعلك تعتقد أنه لم يكن شاملاً بما يكفي يا هول؟

- أولاً، لم تستطيعوا إظهار أي سبب للموت؟

- أحياناً ببساطة لا يكون في الجثة أي دليل، وأنت تعلم ذلك، لكن هذا لا يعني بالضرورة أنه لا يوجد سبب طبيعي تماماً.

- وأكثر الأسباب طبيعيّة في هذه الحالة أنه قُتل.

- أعلم أنه شاهد ادعاء محتمل، لكن تشريح الجثة يتبع روتيناً ثابتاً معيناً لا يتأثر بظروف كهذه، فنحن نجد ما نجده ولا شيء آخر، فعلم الأمراض ليس علماً حدسياً.

قال هول وهو يجلس على مكتبها:

- في ما يتعلق بالعلم فإنه يقوم على اختبار الفرضيات، أليس كذلك؟ تضع نظرية وتختبرها لتعرف إن كانت صحيحة أم خاطئة، أليس كذلك؟

هزت ميا هارتفيغسن رأسها غير موافقة، ليس لأنه غير محق وإنما لأنه لم يعجبها الاتجاه الذي اتخذته المحادثة.

تابع هول بابتسامة بريئة جعلته يبدو كطفل يحاول إقناع أمه بأن يحصل على قنبلة ذرية في الكريسمس:

- نظريتي أن شخصاً ما قتل أساييف، وهو يعلم تماماً طريقة عملك وما يحتاج إليه ليضمن ألا تكتشفي شيئاً.

نقلت ميا قدميها وأدارت كتفها الأخرى نحوه:

- مما يعني؟

- مما يعني: ما هي الطريقة التي كنت ستعملين بها يا ميا؟

- أنا؟

- تعرفين كل الخدع، فكيف تمكنت من خداع نفسك؟

- هل أنا مشتبه بي؟

- حتى إشعار آخر.

منعت نفسها من إظهار أي ردة فعل عندما رأته يبتسم، لكنها سألت:

- وما هو سلاح الجريمة؟

قال هول:

- حقن بإبرة.

- ولماذا هذا؟

- شيء يتعلق بالتخدير.

- فهمت. لكن، بإمكاننا الكشف عن أثر جميع أدوية التخدير تقريباً؛ خاصة إذا كان وصولنا سريعاً كما حصل في هذه القضية، والخيار الوحيد الذي أراه هو أن...

- نعم؟

ابتسم وكأنه حصل على ما يريده كرجل مستفِز؛ وهو النوع الذي لا

تعرف إن كنت تريد تقبيله أو صفعه.

- حقنة هواء.

- وما هي؟

- أقدم وأفضل خدعة في الكتب حتى الآن، حيث تقوم بملء الحقنة بالهواء الكافي لتشكيل فقاعات هواء في الوعاء الدموي وسده، فإذا انسد لفترة طويلة كافية يمتنع وصول الدم إلى الأجزاء الحيوية من الجسم مثل القلب والدماغ مما يؤدي إلى الموت، ويحصل هذا بسرعة ومن دون أي بقايا كيميائية؛ فالجلطة الدموية تتشكل داخل الجسم من دون أي تدخل خارجي، وتغلق القضية.

- لكن، يمكن رؤية أثر حقن الإبرة في الجسم.

- إلا إذا كانت الإبرة المستخدمة رفيعة جداً، فعندها يجب فحص كل سنتيمتر من الجلد للكشف عن أثرها.

وابتهج هول كطفل فتح هديته وهو يظن أنها قنبلة ذرية... كانت ميا سعيدة.

- إذاً، عليك أن تفحصي...

وجاء الرد كصفعة:

- لقد قمنا بفحص كل مليمتر من الجلد؛ حتى إننا فحصنا حقن الأوردة لأنه من الممكن حقن الهواء هناك أيضاً كما تعلم، ولم يكن هناك حتى لدغ من البعوض في أي مكان.

وشاهدت لمعان الانفعال يخفت في عينيه فأردفت:

- عفواً يا هول، لكننا كنا على دراية بأن الموت كان مشبوهاً.

وأكدت على كلمة «كنا».

- الآن عليّ أن أحضر للمحاضرة القادمة لذلك ربما...

قال هول:

- ماذا لو كان في مكان غير الجلد؟

- ماذا؟

- ماذا لو حقن الإبرة في مكان آخر كالفتحات مثل الفم والشرج وفتحات الأنف والأذنين؟

- فكرة مثيرة، لكن الأوعية الدموية الملائمة قليلة في الأنف والأذنين، كما أن الشرج يمكن أن يكون محتملاً، لكن احتمال عزل الأعضاء الحيوية في هذه المناطق قليل، بالإضافة إلى أنه عليك أن تجد طريقك بشكل جيد جداً حتى تصل إلى وريد لا منفذ له، أما الفم فهو معقول إذ توجد

أوردة ذات طريق سريع للدماغ ويؤدي إلى الموت الأكيد السريع، لكننا نتفحص الفم دائماً وهو مليء بالأغشية المخاطية حيث يسبب أي حقن تورماً من السهل رؤيته.

نظرت إليه فشعرت بأن ذهنه لا يزال يتحرك بحثاً عن حل، لكنه أعطى إيماءة استسلام.

- جيد أني رأيتك مرة ثانية يا هول. مرّ علي إن كنت تود أن تحاول مرة أخرى.

استدارت ومشت إلى أحد الأحواض ودفعت ذراعاً رمادية شاحبة بأصابع ممدودة في الكحول، وسمعت هاري يتمتم: محاولة... أخرى، فتنهدت بثقل؛ فهو رجل مزعج جداً.

قال هول:

- من الممكن أن يكون قد جرب حقنة أخرى.

- أين بالتحديد؟

- قلتِ بطريق قصير إلى الدماغ. من الخلف، أي إنه قد يكون أخفى الحقنة من الخلف.

- خلف ماذا...؟

توقفت ونظرت إلى المكان الذي كان يشير إليه ثم أغمضت عينيها وتنهدت مرة ثانية، فقال هاري:

- عفواً، لكن إحصائيات مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الأف بي آي تظهر أن نسبة الجريمة في حالات إجراء تشريح جثة للشهود يرتفع من ثمان وسبعين بالمئة إلى أربع وتسعين بالمئة عند إعادة تشريح الجثة.

هزت ميا هارتفيغسن رأسها، فهاري هول يعني المشاكل والعمل الإضافي والفرصة المتزايدة للتشهير بهم لارتكاب أخطاء لم يصنعوها بأنفسهم.

قالت بتي لون:

- هنا.

وتوقفت سيارة الأجرة عند الرصيف. كان الترام عند موقف بوابة مقهى ويلهافنز وأمامه سيارة شرطة واثنتان خلفه، وكان بيورن هولم وكاترين برات متكئين على سيارة الأمازون.

دفعت بتي الأجرة واندفعت خارجة.

- حسناً؟

- يوجد ثلاثة ضباط في الترام، ولم يُسمح لأحد بالمغادرة؛ إذ كنا

ننتظرك.

- رقم هذا الترام هو 11 وأنا قلت إن رقمه 12 .

- لقد غير رقمه بعد تقاطع ماجورستين، ولكنه الترام نفسه.

أسرعت بتي إلى الباب الأمامي وطرقت بقوة ورفعت بطاقتها الشخصية، ففُتح الباب بصوت صرير، وصعدت ثم أومأت إلى الشرطي الواقف هناك بزيه الرسمي ويحمل مسدساً من نوع هكلر أند كوخ بي 30 إل، فقالت وهي تمشي عبر الترام المزدحم:

- اتبعني.

وأمعنت النظر في كل الوجوه وهي تشق طريقها إلى وسط العربة، فشعرت بقلبها يدق أسرع عندما اقتربت، ورأت العبث على بخار الماء المتكاثف على النافذة، فأشارت إلى الضابط قبل أن تخاطب الرجل على المقعد:

- عفواً... نعم أنت.

- أنا... لم أقصد ذلك لكنني نسيت بطاقة التنقل في المنزل ولن أكرر ذلك.

أغمضت بتي عينيها، وأخذت تشتم بصوت خافت، وأشارت إلى الضابط أن يتبعها باستمرار، وعندما وصلت إلى نهاية العربة من دون أي نجاح طلبت من السائق أن يفتح الباب الخلفي ونزلت، فقالت كاترين:

- ماذا الآن؟

- لقد ذهب. استجوبوا الركاب لنرى إن رأوه، فخلال ساعة سينسون هذا إن لم يكونوا قد نسوه أصلاً. وللتذكير، فهو رجل في الأربعين من العمر، طوله متر وثمانون، وعيناه زرقاوان، لكن عينيه الآن منحرفتان قليلاً، وشعره بني قصير، وعظام وجنتيه بارزة، وشفتاه رقيقتان، وانتبهوا كيلا يلمس أحد النافذة التي كان يكتب عليها، بل خذوا البصمات والتقطوا الصور. بيورن؟

- نعم؟

- اقصد جميع المواقف بين هذا المكان وحديقة فروغنر، وتحدث إلى الناس الذين يعملون في المحلات مجاورة، واسألهم إن كانوا يعرفون أحداً بهذه الأوصاف، فعندما يستقل الشخص الترام في الصباح الباكر يكون ذلك جزءاً من روتينه؛ كالذهاب إلى العمل أو المدرسة أو النادي أو أي مقهى اعتيادي.

قالت كاترين:

- إذاً، لدينا فرص أخرى لنقوم بذلك.

- نعم، لكن انتبه يا بيورن، وتأكد أن الناس الذين تتحدث إليهم لا يمكنهم أن يحذروه. أما أنت يا كاترين فانظري إن كان باستطاعتنا أن نستعير بعض الضباط ليستقلوا الترام في الصباح الباكر، واجعلي اثنين من الضباط يستقلون الترام من هنا إلى حديقة فروغنر في ما تبقى من اليوم في حال عاد فالنتين من الطريق نفسه.

وبينما انضم بيورن وكاترين إلى ضباط الشرطة وقسموا المهام، كانت بتي تنظر إلى نافذة الترام فوجدت أن الخطوط التي كان يرسمها عليها قد تلاشت، لكن كان هناك نمط متكرر أشبه بأشكال زخرفية فيها كل خط عمودي تتبعه دائرة، وبعد صف واحد يتكرر النمط مما يشكل قالباً مربعاً.

لم يكن ذلك مهماً بالضرورة، لكن كان هاري يقول: «قد لا يكون مهماً أو ذا صلة، لكن كل شيء يدل على شيء ما، فعندما نبدأ البحث في الضوء بإمكاننا أن نجد شيئاً ما».

أخرجت بتي جوالها، والتقطت صورة للنافذة فتذكرت شيئاً.

- كاترين، تعالي إلى هنا!

سمعتها كاترين وتركت مهمة ملء بيان التعليمات إلى بيورن.

- كيف جرت الأمور ليلة أمس؟

قالت كاترين:

- على ما يرام، فقد أخذت العلكة للاختبار هذا الصباح، وسجلتها مع رقم ملف قضية اعتداء جنسي موضوع على الرف. ورغم أنهم يعطون الأولوية لجرائم الشرطة فقد وعدوني بالنظر فيها بأسرع وقت ممكن.

هزت بتي رأسها مفكرة، وربتت بيدها على وجهها وقالت:

- وكم يستغرق أسرع وقت ممكن؟ لا يمكننا أن نترك ما يحتمل أن يكون الحمض النووي لمجرم إلى آخر الطابور فقط لنحصل على الثناء لأنفسنا.

وضعت كاترين يدها على وركها، ونظرت إلى بيورن وهو يومئ للضباط، ثم قالت وهي تكذب:

- أعرف إحدى السيدات هناك، سأتصل بها وأدفع بالأمر قدماً.

نظرت بتي إليها، ثم ترددت وهزت رأسها.

قال شتال أون:

- وهل أنت متأكدة من أنك لم تكوني فقط تتوهمين أنه فالنتين غجيرتسين؟

كان واقفاً بالقرب من النافذة يراقب الشارع المزدحم تحت المكتب، وينظر إلى الناس المسرعين هنا وهناك، وإلى الأشخاص الذين يمكن أن يكونوا فالنتين غجيرتسين، وتابع:

- الخداع البصري أمر شائع لدى من يعاني من قلة النوم. ما هي كمية النوم التي حصلت عليها في الساعات الثماني والأربعين الماضية؟

- سأعدها.

وكانت إجابتها بطريقة تؤكد لشتال أنها غير مضطرة إلى ذلك، وتابعت:

- لقد اتصلت لأنه رسم شيئاً على نافذة الترام. هل تلقيت رسالتي؟

قال أون:

- نعم.

فقد كان في بداية جلسة علاج عندما ظهرت رسالة بتي من درج مفتوح في المكتب:

انظر إلى الصورة. الأمر مستعجل. سأتصل.

وقد اعتراه شعور منحرف بالمتعة وهو ينظر مباشرة إلى وجه باول ستافنيس المندهش ويقول له إن لديه مكالمة عليه أن يتلقاها قطعاً، وشاهد أن المغزى من كلامه قد وصل، وهو أنها أهم من تذمرك اللعين.

- لقد أخبرتني مرة أنه بإمكانكم كعلماء نفس أن تحللوا خربشة المعتلين اجتماعياً، وأن تستنتجوا شيئاً ما عن ما وراء الوعي لديهم.

قال شتال:

- حسناً، ما قلته ربما هو أن جامعة غرناطة قد طورت طريقة لدراسة اضطرابات الشخصية النفسية المرضية من خلال الفن، لكن عندها يقومون بإخبار الأفراد بما عليهم أن يرسموه، وهذه تبدو كالكتابة أكثر من كونها رسوماً.

- حقاً؟

- على الأقل يمكنني أن أرى حروفاً تشبه الخطوط والدوائر، وهي لها أهمية أكثر من الرسوم.

- من أي ناحية؟

- في الصباح الباكر في الترام حيث تكون لا تزال نصف نائم، ما يتحكم بكتابتك هو ما وراء الوعي. والمسألة في ما وراء الوعي هي أنه يحب التعامل مع الرموز والألغاز، وهي أحياناً تكون غير مفهومة، وفي حالات أخرى تكون بسيطة وصريحة وحتى تافهة. كانت عندي مريضة تمشي

خائفة من أن تُغتصب، وكان يتكرر لديها حلم بأن فوهة بندقية دبابة تدخل عبر نافذة غرفة النوم وتوقظها وتتوقف في أسفل سريرها وتتدلى من طرف الفوهة رسالة مكتوب عليها: ب + ن + 15 . وقد يبدو غريباً أنها هي نفسها لم تستطع تفسير الرموز البسيطة الطفولية، لكن الدماغ غالباً ما يخفي الأفكار الحقيقية لأسباب مثل الراحة والذنب والرعب...

- وماذا تعني الحروف التي تشبه الخطوط والدوائر؟

- قد تعني أن الترام ممل له. لا تبالغي في تقدير قدراتي يا بتي، فقد دخلت مجال علم النفس لأنه كان خياراً جيداً لمن كانت لديهم درجة من الغباء لا تسمح لهم بأن يصبحوا أطباء أو مهندسين؛ لذلك دعيني أفكر وسأعود إليك لاحقاً فعندي مريض الآن.

- حسناً.

أنهى أون الاتصال ونظر إلى الشارع مرة ثانية، فقد كانت هناك صالة وشم في الطرف الآخر على بعد مئة متر عن بوغستادفين، وقد مر الترام رقم 11 من بوغستادفين، وكان لدى فالنتين وشم يميزه؛ إلا إذا كان قد أزاله أو غيره في صالة وشم، فالصورة يمكن أن تتغير جذرياً بإضافة بضعة خطوط بسيطة، مثل إضافة نصف دائرة إلى خط عمودي للحصول على الحرف D بالإنكليزية، أو وضع خط مائل عبر O لتشكيل Ø ، وتنفس أون على النافذة.

وخلفه سمع صوت سعال منزعجاً، فرسم خطاً عمودياً ودائرة على الزجاج كما رآها في صورة الرسالة.

- أرفض أن أدفع الأجر كاملاً إن...

قال أون بعد أن أضاف نصف دائرة وخطاً مائلاً وقرأها DØ أي « مت » بالإنكليزية ومحاها:

- أتعلم ماذا يا بول؟ هذه الجلسة مجانية.

22

كان ريكو هيريم يعلم أنه سيموت، وكان دائماً يعلم ذلك، لكن الجديد أنه عرف أنه سيموت خلال الساعات الست والثلاثين القادمة.

كرر الطبيب التايلندي: مرض الجمرة الخبيثة، وقالها بلهجة أميركية، فلا بد أن ذا العينين الضيقتين قد درس الطب هناك وتأهل للعمل في هذه العيادة الخاصة التي ربما تستقبل فقط المرضى النازحين والسياح.

- أنا آسف.

تنفس ريكو في قناع الأوكسجين، فقد قال الطبيب إن لديه ستاً وثلاثين ساعة، وسأله إن كان يريدهم أن يتصلوا بأي من الأقرباء المقربين؛ فبإمكانهم أن يصلوا إلى تايلاند إذا أخذوا طائرة مباشرة، أو إن كان يريد رجل دين؟

واستطاع الطبيب أن يرى من تعابير ريكو المرتبكة أنه يحتاج إلى شرح إضافي.

- الجمرة الخبيثة مرض تسببه البكتيريا. إنها في رئتيك فقد تكون استنشقتها منذ عدة أيام.

لم يفهم ريكو حتى الآن.

- لو أصابت الجهاز الهضمي أو الجلد لكان بوسعنا أن ننقذك، لكن في الرئتين...

البكتيريا؟! هل سيموت بسبب البكتيريا التي استنشقها؟ وأين يمكن أن يكون قد حصل هذا؟

وأعاد الطبيب الفكرة كالصدى.

- ألديك فكرة أين حدث هذا؟ فالشرطة ستستعلم لتمنع تعرض الأشخاص الآخرين للبكتيريا.

أغمض ريكو هيريم عينيه.

- أرجوك يا سيد هيريم أن تحاول أن تعود بذاكرتك، فقد يكون بإمكانك أن تنقذ حياة أناس آخرين...

أناس آخرين لكن ليس نفسه، فأمامه ست وثلاثون ساعة.

- سيد هيريم؟

أراد أن يومئ برأسه ليظهر له أنه سمعه لكنه لم يستطع، وانفتح الباب فطرقت عدة أحذية متقدمة إلى الداخل، وجاء صوت منخفض لامرأة منقطعة النفس:

- كاري فارستاد من السفارة النرويجية. أتينا بأسرع ما يمكن. أهو...؟
- توقف دمه عن الدوران، وسيصاب بسكتة دماغية الآن.

أين؟ هل هو في الطعام الذي أكله عندما توقفت سيارة الأجرة أمام المطعم القذر في جانب الطريق بين بانكوك وباتايا؟ أو من الحفرة النتنة في الأرض التي يسمونها مرحاضاً؟ أو من الفندق؟ ألا تنتقل البكتيريا عادة عبر تكييف الهواء؟ لكن الطبيب قال إن الأعراض الأولية هي أعراض الزكام نفسها، وقد حدث ذلك معه خلال رحلة الطيران، ولكن لو أن البكتيريا كانت في هواء الطائرة لأصيب الركاب الآخرون بالمرض أيضاً، وسمع صوت المرأة منخفضاً أكثر وباللغة النروجية هذه المرة:

- يا إلهي... الجمرة الخبيثة. كنت أظنها موجودة فقط كسلاح بيولوجي.

فتحدث رجل:

- على الإطلاق. بحثت عنها في غوغل في طريقي إلى هنا، فبكتيريا باسيلوس أنتراسيس قد تبقى في طور السبات لسنوات، وهي مزعجة بشدة، وتنتشر بتشكيل الأبواغ وهي الأبواغ نفسها التي تم إرسالها بريدياً للأميركيين. هل تتذكرون؟ منذ ما يقارب عشر سنوات.

- هل تعتقد أنه تلقى رسالة تحتوي على الجمرة الخبيثة؟
- قد تكون انتقلت إليه من أي مكان، إلا أن السيناريو الشائع هو الاتصال القريب بالمواشي، لكن من المحتمل ألا نكتشف ذلك.

لكن ريكو عرف بوضوح مفاجئ، ووضع يده على قناع الأوكسجين.

- هل بحثتم عن أقربائه؟
- نعم.
- وماذا بعد؟
- قالوا إنهم لا يكترثو بمصيره.
- صحيح؟
- انظر، إنه يتحرك.

استطاع ريكو أن يزيح القناع وحاول أن يتكلم، لكن كل ما تلفظ به كان همساً أجشّ، فحاول مرة ثانية، ورأى أن المرأة لها شعر متموج أشقر، وكانت تنظر إليه بمزيج من الاهتمام والاحتقار.

- يا دكتور هل هذا المرض...؟
- لا. إنه غير معد بين البشر.

غير معد. إذاً، هو مصاب به فقط.

اقترب وجهها منه، ورغم أنه يحتضر أو بالأحرى لأنه كان يحتضر، استنشق ريكو هيريم عطرها بنهم كما كان يستنشق الهواء في ذلك اليوم في مخزن السمك. ومن القفاز الصوفي انبعثت رائحة الصوف الرطب، ونكهة الطباشير البودرة من الرجل الذي يضع وشاحاً على فمه وأنفه من دون أن يغطي وجهه، فالأبواغ الصغيرة تطير في الهواء. تذكّر جملة الطبيب: كان بإمكاننا إنقاذك، لكن في الرئتين...

وحاول جاهداً أن يتكلم، وبصعوبة كبيرة لفظ الكلمات، وكانت ثلاث كلمات لمعت في ذهنه وكانت آخر كلماته، ثم غطى ظلام شديد ريكو هيريم مثل ستارة تسقط بعد أداء معذب محزن استمر لمدة اثنتين وأربعين ساعة.

تساقطت الأمطار الشديدة القاسية على سطح السيارة وكأنها تحاول الدخول، وارتعشت كاري فارستاد بطريقة غير إرادية؛ فجلدها كان مغطى دائماً بطبقة من العرق لكنهم قالوا إنه سيتحسن عندما ينتهي الفصل الماطر في وقت ما في نوفمبر. كانت تتوق لأن تكون في بيتها في شقة السفارة، فهي تكره هذه الرحلات إلى باتايا، وهذه لم تكن أولى رحلاتها، لكنها لم تختر مسار مهنتها للعمل بالفتات البشري وإنما العكس، فقد كانت تتخيل حفلات رسمية مع أشخاص أذكياء ممتعين ومحادثات رفيعة المستوى عن السياسة والثقافة، كما كانت تتوقع تطوراً شخصياً وفهماً أكبر للقضايا الكبيرة بدلاً من الالتباس الذي يلف القضايا الصغيرة مثل كيفية الحصول على محام جيد لمفترس جنسي نروجي، وربما جعله يرحّل ويرسل إلى سجن نروجي بمعايير فندق بمستوى ثلاث نجوم.

وتوقف المطر فجأة كما بدأ فجأة، وانطلقوا عبر سحب البخار المتشكلة فوق الأسفلت الساخن، فسألت سكرتير السفارة:

- ماذا قلت إن هيريم قد قال؟

أجاب:

- فالنتين.

- لا، الباقي.

- لم يكن واضحاً جداً. قال كلمة طويلة أو ربما كلمتين مثل شيء يتعلق بمخزن.

- مخزن؟

- شيء من هذا القبيل.

ونظرت كاري إلى صفوف أشجار المطاط المزروعة على طول الشارع. كانت تريد أن تذهب إلى البيت، أي بيتها في بلدها.

23

ركض هاري في الممر التابع لمدرسة الشرطة ماراً أمام لوحة فرانس وايدربيرغ.

كانت واقفة في مدخل صالة الألعاب الرياضية وهي جاهزة للقتال في لباس رياضي ضيق، ويداها متشابكتان وهي تتكئ على عارضة الباب، فتبعته بناظريها. كان هاري على وشك أن يومئ برأسه لكن شخصاً ما صرخ: «سيلج!» فدخلت.

وفي الطابق الأول مد هاري رأسه من الباب ليرى أرنولد.

- كيف كانت المحاضرة؟

قال أرنولد وهو يتابع تدليك قدمه المتأذية:

- ليست سيئة، لكنهم افتقدوا إلى أمثلتك الرهيبة. فأمثلتي لم تكن ذات صلة بما يُدعى العالم الواقعي.

فابتسم هاري:

- على أي حال، شكراً لتغطيتك مكاني.

- لا مشكلة. لكن، ما الأمر الضروري لهذه الدرجة؟

- كان علي أن أصعد إلى وحدة الأمراض، فقد وافقت أخصائية الأمراض على أن تخرج جثة رودولف أساييف وأن تعيد تشريحها، وقد استخدمتُ إحصائياتكم في مكتب التحقيقات الفيدرالي الأميركي الأف بي آي عن الشهود الموتى.

- أنا سعيد لأنني كنت مفيداً. على كلّ حال، لديك زائر آخر.

- ليس...

- لا، ليست الآنسة غرافسينغ، ولا أيًّا من زملائك السابقين. قلت له إنه يمكنه الانتظار في مكتبك.

- من...؟

- إنه شخص تعرفه حسب ما أعتقد، وقد قدمت له بعض القهوة.

التقت عينا هاري نظرة أرنولد، فهز رأسه بسرعة وغادر.

لم يكن الرجل الجالس على الكرسي في مكتب هاري قد تغير كثيراً، وإنما اكتست عظامه لحماً أكثر، وظهرت لمسة رمادية حول الصدغين، لكنه لا تزال لديه أطراف صبيانية تلائم لقب «مبتدئ»، ويلبس بذلة تبدو مستعارة، ولديه نظرة حادة وسريعة البديهة يمكنها أن تقرأ صفحة في مستند خلال أربع ثوانٍ تامة، وأن يستشهد بكل كلمة عند الضرورة في

محكمة القانون. باختصار، كان جوهان كروهن يمثل الرد على القانون بالنسبة لبتي لون فهو المحامي الذي يفوز بالقضايا حتى لو كان خصمه القانون النرويجي.

قال الرجل بصوته الشاب:

- هاري هول.

ونهض ومد يده، ثم قال بالإنكليزية:

- لقد مضى وقت طويل منذ التقينا.

قال هاري وهو يصافحه ويشد بإصبعه من التيتانيوم على راحة يد كروهن:

- ليس وقتاً طويلاً بما يكفي، فأنت دائماً تجلب الأخبار السيئة يا كروهن. قهوة، أليس كذلك؟

شد كروهن على يده بقوة؛ فالوزن الزائد له لا بد أن يكون عضلاً، وابتسم بإدراك:

- قهوتك جيدة، وأخباري سيئة كالعادة.

- آه؟

- ليس من عادتي أن أظهر شخصياً، لكنني أردت أن أحادثك على انفراد قبل أن أكتب أي شيء. إن الأمر يتعلق بطالبتك سيلج غرافسينغ.

كرر هاري:

- طالبتي!

- أليس الوضع كذلك؟

- بطريقة ما، أنت تجعلها تبدو وكأنها خاصة بي شخصياً.

قال كروهن وهو يغضّن شفتيه بابتسامة:

- سأبذل جهدي كي أكون دقيقاً قدر الإمكان. لقد أتت مباشرة إلي بدلاً من الذهاب إلى الشرطة خشية أن يدعم بعضكم بعضاً.

- من؟

- الشرطة.

- أنا لم...

- لقد وظفتك الشرطة لسنوات، وأنت جزء من النظام؛ نظراً إلى كونك موظفاً في مدرسة الشرطة. الفكرة أنها خائفة من أن يحاول أفراد الشرطة أن يثنوها عن التبليغ عن الاعتداء الجنسي الذي تعرّضت له، وأن يضر ذلك بوظيفتها على المدى الطويل إذا عارضتهم.

- عمّ تتكلم يا كروهن؟

- ألم أعبر عن الفكرة بوضوح حتى الآن؟ لقد قمتَ بالاعتداء جنسياً على سيلج غرافسينغ هنا في هذا المكتب ليلة أمس قبل منتصف الليل بقليل.

وراقب كروهن هاري خلال الصمت الذي تلا ذلك وقال:

- لن أستخدم هذا ضدك يا هول، لكن غياب عنصر المفاجأة الظاهر فصيح ويعزز مصداقية موكلتي.

- وهل تحتاج إلى تعزيز؟

جمع كروهن رؤوس أصابعه قائلاً:

- أتمنى أن تدرك جدّية الأمر يا هول، فمجرد حقيقة الإبلاغ عن هذا الاعتداء وكشفه للعامة سيقلب حياتك رأساً على عقب.

حاول هاري أن يتخيله بثوب المحاماة في المحاكمة، وإصبع الاتهام تشير لهاري في قفص الاتهام، وسيلج تمسح دمعتها بجرأة، وتعابير السخط المتفاجئة من مساعدي القضاة، والمقدمة الباردة من قاعة العامة، وصرير قلم رصاص رسام المحكمة الذي لا يتوقف على دفتره.

- السبب الوحيد الذي يجعلني أجلس هنا بدلاً من شرطيين معهما القيود ليقوداك عبر الممرات أمام زملائك وطلابك هو أن هذا الاتجاه سيكلف موكلتي ثمناً أيضاً.

- والثمن هو؟

- أنا متأكد من أنك تعرفه؛ فسيُنظر إليها دائماً على أنها المرأة التي أودت بزميل لهم إلى السجن. سيقولون إنها اشتكت عليك، وهذا شيء يستهجن في دوائر الشرطة كما فهمت.

- لقد شاهدت عدداً كبيراً من الأفلام يا كروهن، فرجال الشرطة يحبون أن يروا قضايا الاعتداء الجنسي محلولة مهما يكن المشتبه به.

- كما أن المحاكمة ستكون إرهاقاً لفتاة شابة بالطبع؛ خاصة مع اقتراب الامتحانات الهامة، وقد ضاع الكثير من الأدلة الشرعية والبيولوجية لأنها لم تجرؤ على الذهاب إلى الشرطة، واضطرت أن تفكر قبل أن تلجأ إليّ؛ وهذا يعني أن المحاكمة قد تطول أكثر من المعتاد.

- وما الأدلة التي بحوزتك؟

- كدمات وعلامات خدوش وثوب ممزق، ولو طلبت أن يفتش المكتب تفتيشاً دقيقاً فأنا متأكد من أننا سنجد قطعاً من الثوب نفسه.

- لو؟

- نعم، فأنا لا أجلب فقط الأخبار السيئة يا هاري.

- آه؟
- عندي خيار بديل أقدمه لك.
- أعتقد أنه خيار سيّئ.
- أنت رجل ذكي يا هول، فأنت تعلم أننا لا نملك دليلاً واحداً، فهذه قضية اعتداء جنسي عادية، أليس كذلك؟ ستكون كلمة شخص ضد آخر، وسينتهي بنا المطاف بخاسرَين؛ فالضحية يشتبه بأن أخلاقها خليعة وأنها تقدم اتهامات خاطئة، أما الرجل الذي تمت تبرئته فالجميع سيعتقدون أنه فر بخفة. ووفقاً لهذا الاحتمال الذي يكون فيه الوضع خاسراً للطرفين، قدّمت لي سيلج غرافسينغ أمنية أو اقتراحاً لم أتردد في دعمه، ودعني للحظة أخرج من دوري كمحام لخصمك يا هول لأنصحك أن تدعمه أيضاً، لأن البديل هو أن تبلغ عنك، فهي واضحة بهذا الشأن.
- آه؟
- نعم، وبصفتها إنسانة مهنتها الحفاظ على القانون والنظام، فهي ترى أن واجبها المدني يملي عليها أن تضمن عقاب المغتصب. لكن، لحسن حظك في حالتك هذه ليس بالضرورة على يد قاضٍ.
- إذاً، عندها مبادئ نوعاً ما؟
- لو كنت مكانك لخففت من السخرية وأظهرت القليل من الامتنان يا هول. فقد كان بإمكاني أن أنصحها بأن تبلغ عنك للشرطة.
- ماذا تريدان أنتما الاثنان يا كروهن؟
- باختصار، أن تستقيل من منصبك في مدرسة الشرطة، وألا تعمل ثانية هناك أو تتصل بالشرطة بأي طريقة؛ تاركاً سيلج تكمل دراستها هنا بسلام بدون تدخل منك، وتطبيق الشيء نفسه عندما تمارس عملاً جديداً. وأي كلمة سلبية منك عنها ستجعل الاتفاق لاغياً وباطلاً، وسيتم التبليغ عن الاعتداء.

وضع هاري مرفقيه على الطاولة واضعاً رأسه بين كفيه، وبدأ بتدليك جبهته، فقال كروهن:

- سأقيم اتفاقاً على شكل تسوية تكون استقالتك فيه مقابل سكوتها، والسرية شرط مسبق يجب أن يلتزم به كلا الطرفين. لكن، سيكون من الصعب عليك أن تضرها إن خرقت شرط السرية فقرارها هذا سيقابله الناس بتفهم تعاطفي.
- بينما سيُنظر إليّ كمذنب لأني مضيت في هذه التسوية.
- انظر إلى الأمر على أنه حصر للضرر يا هول، فمن السهل على

رجل بخلفيتك أن يجد عملاً كمحقق تأمين على سبيل المثال. وصدقني، إنهم يدفعون أجوراً أفضل من مدرسة الشرطة.

- أصدقك.

فتح كروهن غطاء هاتفه وقال:

- جيد، ما هي مخططاتك للأيام القليلة القادمة؟

- في واقع الأمر يمكنني أن أقوم بهذا يوم غد.

- جيد، في مكتبي عند الساعة الثانية. أبإمكانك تذكر العنوان من المرة السابقة؟

هز هاري رأسه.

- ممتاز. أتمنى لك يوماً رائعاً.

قفز كروهن عن كرسيه، فظن هاري أنه يقوم بتمارين الضغط ورفع الأثقال ورفع الركبة.

نظر هاري إلى ساعته بعد أن غادر، فقد كان يوم الخميس، وكانت راكيل قادمة قبل يوم هذا الأسبوع، وستهبط الطائرة عند الساعة 17:30 ، وقد عرض أن يُقلّها من المطار وقبلت بامتنان بعد أن قالت جملتها المعتادة مرتين: «لا، ليس من الضروري». فهو يعلم أنها تحب ثلاثة أرباع الساعة التي تقضيها في السيارة في طريقها إلى البيت؛ بما في ذلك الهدوء والأحاديث التي تشكل مقدمة لأمسية رائعة تشرح فيها بصوتها المتحمس ما يعنيه فعلاً أن الدول فقط يمكن أن تكون أطرافاً في النظام الأساسي لمحكمة العدل الدولية في لاهاي، وتتحدث عن القوى القانونية للأمم المتحدة أو فقدانها وهما يمران بالريف، أو يتحدثان عن أوليغ وعن وضعه وكيف يتحسن يوماً بعد يوم، وكيف أن أوليغ القديم قد عاد، وعن خططه التي قام بها لدراسة القانون، وعن مدرسة الشرطة وكيف أنهم كانوا محظوظين، وكيف أن السعادة هشّة.

تحدثا عن كل شيء خطر بذهنيهما من دون أن يحوما حول الموضوع... تقريباً عن كل شيء، ولم يذكر هاري أبداً كم هو خائف من قطع وعود لا يمكنه الوفاء بها، وخائف من ألا يكون الشخص الذي كان يريده ويجب أن يكونه بالنسبة لهما، وخائف لأنه لا يعلم إن كان بإمكانهما أن يكونا الشيء نفسه بالنسبة له، ولأنه لا يعرف كيف يمكن لشخص ما أن يجعله سعيداً.

وكانت حقيقة وجوده معها ومع أوليغ ظرفاً استثنائياً تقريباً، أو شيئاً لا يستطيع تصديقه، فهو حلم رائع بشكل مريب؛ فقد كان دائماً يتوقع أن

يستيقظ منه.

فرك هاري وجهه، فربما كانت اليقظة قد اقتربت الآن. اقترب ضوء النهار اللاذع القاسي، واقترب الواقع حيث يعود كل شيء إلى ما كان عليه من قبل؛ بارداً وقاسياً ووحيداً، فارتعش هاري.

نظرت كاترين برات إلى ساعة يدها، وكانت الساعة تشير إلى التاسعة وعشر دقائق. في الخارج، كان من الممكن أن يكون المساء ربيعياً معتدلاً فجأة، بينما كان مساء شتوياً رطباً وبارداً في الطابق السفلي. نظرت إلى بيورن هولم وهو يحك سالفيه الأحمرين، وشاهدت شتال أون وهو يدون بسرعة على دفتر، وبتي لون وهي تكظم تثاؤبها. كانوا جميعهم جالسين حول حاسوب يشاهدون صورة نافذة الترام التي التقطتها بتي، وتكلموا عن الرسوم قليلاً، وتوصلوا إلى نتيجة، وهي أنه مهما كان معناها فمن غير المحتمل أن تساعدهم في القبض على فالنتين.

ثم حدثتهم كاترين عن شعورها بأن شخصاً آخر كان موجوداً في غرفة الأدلة.

قال بيورن:

- لا بد أنه شخص يعمل هناك، لكن بالطبع غريب أنه لم يشعل الضوء.

قالت كاترين:

- من السهل نسخ المفتاح.

قالت بتي:

- قد لا تكون حروفاً وإنما هي أرقام.

التفتوا إليها فوجدوها لا تزال تحدق في الحاسوب.

- الرقم واحد والرقم صفر، وليس I و O ، مثل الشيفرات الثنائية. أليس الرقم واحد يعني نعم، والرقم صفر يعني لا يا كاترين؟

قالت كاترين:

- أنا لست مبرمجة، ولكن نعم هذا صحيح. والرقم واحد يعني تشغيل والرقم صفر يعني إطفاء أيضاً.

فقالت بتي:

- رقم واحد يعني القيام بعمل، بينما رقم صفر يعني عدم القيام بأي شيء، أي افعل لا تفعل... افعل لا تفعل... واحد صفر... صفاً بعد صف.

قال بيورن:

- مثل تويجات زهرة أقحوان عين الثور.

وجلسوا في صمت لا يسمع فيه إلا صوت مروحة الحاسوب، فقال أون:

- تنتهي المصفوفة بالصفر، أي لا تفعل.

قالت بتي:

- لو أنه انتهى لاضطر إلى أن ينزل في موقفه.

قالت كاترين:

- أحياناً القاتل المتسلسل يتوقف عن القتل فقط، ويختفي حتى لا يراه أحد مرة ثانية.

قالت بتي:

- وهذا استثناء، فسواء أكان صفراً أو غير صفر، من يعتقد أن قاتل الشرطة ينوي أن يتوقف؟ شتال؟

- كاترين على حق. فهذا يحصل، لكنني أظن أن هذا القاتل سيستمر.

كانت كاترين تخشى أن ذلك قريب من إفشاء ما كانت تفكر به. فقد كانت تخشى العكس، أي إنهم كانوا قريبين جداً، وإنه سيتوقف ويختفي عن النظر، وإن ذلك يستحق المخاطرة. نعم، كانت تعتقد أنها في أسوأ سيناريو مستعدة للتضحية بأحد زملائها للقبض على فالنتين. ورغم أنه تفكير مريض فهو موجود على أي حال، فموت شخص آخر في الشرطة يمكن تحمله، لكن لا يمكن تحمل ترك فالنتين يهرب، وتلفظت بالكلمات بصوت منخفض: مرة أخرى أيها اللعين. اضرب مرة أخرى.

رن هاتف كاترين الجوال، فرأت من الرقم أن المتصل وحدة الأمراض.

- مرحباً. لقد فحصنا قطعة العلكة من قضية الاعتداء الجنسي.

- نعم؟

وشعرت كاترين بالدم يتدفق أسرع، فلتذهب كل النظريات الصغيرة أدراج الرياح؛ إذ إن هذا دليل واقعي.

- للأسف لم نستطع أن نجد أي حمض نووي.

كان ذلك بمثابة إلقاء دلو من الماء البارد كالثلج عليك.

- ماذا؟! لكن... لكن يجب أن تكون مليئة باللعاب.

- هكذا تجري الأمور أحياناً. بالطبع بإمكاننا إعادة فحصها، لكن مع جرائم الشرطة هذه...

أنهت كاترين المحادثة الهاتفية، وقالت بصوت منخفض:

- لم يجدوا أي شيء في العلكة.

هز بيورن وبتي رأسيهما، وشعرت كاترين أنها لاحظت شيئاً من الارتياح يبدو على بتي، ثم سمعوا طرقاً على الباب، فصرخت بتي:

- نعم؟

نظرت كاترين إلى الباب الحديدي، وفجأة تأكدت أنه هو؛ الرجل الطويل الأشقر قد غير رأيه وأتى لكي ينقذهم من هذا البؤس.

فتحوا الباب الحديدي فشتمت كاترين، فقد كان غونار هاغن:

- كيف تجري الأمور؟

مدت بتي ذراعيها إلى أعلى رأسها قائلة:

- لم نجد فالنتين في الترام رقم 11 ولا 12 هذا اليوم، ولم يعطنا الاستجواب أي شيء هام، ولدينا ضباط في الترام مساء، لكن أملنا أكبر بالصباح الباكر يوم غد.

- لقد كنت أجيب عن استفسارات من وحدة التحقيق عن فائدة وجود الضباط في الترام، فهم يتساءلون عمّا يجري، وإن كانت لذلك أي علاقة بجرائم الشرطة.

قالت بتي:

- الشائعات تنتشر بسرعة.

فقال هاغن:

- بسرعة كبيرة، فهذا سيصل إلى مسمعَي بيلمان.

نظرت كاترين إلى الشاشة. إن الأنماط نقطة قوتها، فهي التي جعلتهم يتعقبون أثر رجل الثلج في تلك المرة؛ لذلك إن الرقم واحد والرقم صفر رقمان مزدوجان، فهل يمكن أن يعني ذلك الرقم عشرة؟ أهما رقمان يجتمعان عدة مرات... عدة مرات... عدة...

- لهذا السبب عليّ أن أخبره عن فالنتين هذا المساء.

سألت بتي:

- وماذا يعني ذلك لمجموعتنا؟

- ظهور فالنتين في الترام ليس خطأنا. إذ يبدو أنه كان يجب علينا أن نتصرف، لكن مجموعتنا أتمت مهمتها، وأثبتت أن فالنتين على قيد الحياة، وهذا قدم لنا مشتبهاً به رئيساً من الممكن أن يظهر في المنزل في بيرغ إن لم نقبض عليه، والآن سيتسلم ضباط آخرون القضية يا جماعة.

قالت كاترين:

- ما رأيكم بعدة عشرات؟

أجاب هاغن بصوت رقيق:

- عفواً، ماذا قلت؟

- قال شتال إنك تكتب ما يجول في ما وراء الوعي عندك. وقد كتب فالنتين الكثير من الرقم عشرة، مرة تلو الأخرى، وعبارة « العديد من » باللغة الإنكليزية تقرأ « بولي » كما في بوليس أي الشرطة، وهذا يعني أنه يخطط لقتل ضباط شرطة آخرين.

سأل هاغن ملتفتاً إلى شتال:

- عمَّ تثرثر؟

رفع شتال أون كتفيه وقال:

- إننا نحاول أن نفسر رسوماته على نافذة الترام. والرسم الذي قرأته أنا يوحي أنه كان يكتب كلمة « مت » ، لكن ماذا لو كان يقصد استخدام الرقم واحد والرقم صفر؟ فالعقل البشري متاهة رباعية الأبعاد يكون الجميع فيها، لكن لا يعرف أحد منهم الطريق.

بينما كانت كاترين تمشي عبر شوارع أوسلو في طريقها إلى الشقة في غرانرلوكا لم تكن تعير انتباهاً للحياة حولها؛ لم تهتم بالضحكات والناس المتحمسين والمسرعين للاحتفال بفصل الربيع القصير وعطلة نهاية الأسبوع القصيرة والحياة قبل أن تنتهي.

عرفت الآن لماذا كانوا مهووسين بالشيفرة الحمقاء، لأنهم كانوا يأملون بشدة أن تتسق الأمور لتعطي معنى، ولكن الأهم من ذلك أنه لم يكن لديهم شيء آخر يتابعونه، لذلك كانوا وكأنهم ينفخون في الرماد.

وكانت نظرتها مثبتة على الرصيف أمامها وهي تطرق بكعب حذائها الأسفلت في الوقت المناسب للتعويذة التي كانت ترددها: « مرة أخرى أيها اللعين. اضرب مرة أخرى » .

أمسك هاري شعرها الطويل بيده، وقد كان أسود ولامعاً وكثيفاً، وكأنه يمسك بحبل ملفوف وسحبه نحوه مميلاً رأسها للخلف، ثم نظر إلى ظهرها المحدب النحيل يتموج فيه عمودها الفقري كأفعى تحت بشرتها المتعرقة المتلألئة. تأوهت كهدير منخفض صادر من أعماق صدرها؛ كصوت محبط وغاضب. أحياناً، كانت علاقتهما هادئة وكسولة كجر الأرجل في رقصة سلو. وفي أحيان أخرى مثل التعارك، كما هي الليلة؛ مثلما يحصل عندما تحاول إطفاء النار بالبنزين؛ إذ إن الأمر يتفاقم ويصبح الحريق خارجاً عن السيطرة، وغالباً كان يفكر أن هذا لن ينتهي جيداً.

كان ثوبها ملقى على الأرض بجانب السرير ولونه أحمر. كانت جذابة جداً بالأحمر، وكانت عارية القدمين، بل لم تكن عارية القدمين. انحنى هاري عليها وشمّ عطرها، فتأوهت:

- لا تتوقف.

إنه عطر الأفيون، وقد أخبرته راكيل أن هذه الرائحة اللاذعة هي تعرق لحاء شجرة عربية، أو بالأحرى ليس تعرقاً وإنما هي دموع أميرة هاربة إلى بلاد العرب بسبب حب ممنوع، ورغم أن حياة الأميرة انتهت بحزن، فقد قامت شركة إيف سان لوران بدفع ثروة للحصول على لتر من دموعها.

- لا تتوقف. استمر...

وأخذت يده وضغطتها على عنقها، فضغط بها بحذر، وشعر بالأوعية الدموية والعضلات المشدودة في عنقها النحيل.

- أقوى! أقو...

وانقطع صوتها وهو يقوم بما تطلبه، فقد أوقف الآن جريان الأوكسجين إلى دماغها وكان هذا مبتغاها. كان يفعل هذا الشيء ويشعر بالإثارة لأنه كان يعلم أن ذلك يجعلها تحت سيطرته، وأنه يستطيع أن يفعل ما يرغب به. نظر إلى ثوبها الأحمر، وشعر أن الشعور يشتد داخله حتى إنه لم يعد قادراً على كبحه، فأغمض عينيه وتخيلها وقد تغير لون شعرها فرأى من هي، فقد غارت عيناها، وكان عنقها مغطى بالكدمات التي أصبحت مرئية بينما انطفأ ضوء مصباح الضابط الشرعي.

أفلتها هاري وسحب يده، لكن راكيل كانت هناك، وقد تشنجت وهي ترتجف كغزال قبل لحظة من ارتطامه بالأرض، ثم سكنت، وارتخت جبهتها فوق الفراش، وخرجت تنهيدة من فمها، وبقيت كذلك راكعة.

انسحب هاري، فأنّت والتفتت ونظرت إليه باتهام.

قبّلها هاري بسرعة من عنقها وانسل من السرير وهو يبحث عن سرواله الذي اشترته له من محل بول سميث في أحد المطارات، فوجد علبة السجائر من ماركة الجمل في بنطاله من جينز رانجلر المعلق على الكرسي. نزل الدرج إلى غرفة الجلوس، وجلس على كرسي، وأخذ ينظر من النافذة حيث كان الليل في أحلك أوقاته، لكنه لم يكن مظلماً جداً بعد لكي يمنعه من رؤية هولمينكولن ريدج، فأشعل سيجارته، وفوراً بعد ذلك سمع وقع قدميها خلفه، وشعر بيدها تداعب شعره وعنقه.

- هل هناك ما يزعجك؟

- لا.

فجلست على طرف الكرسي، وضمته، وداعبت عنقه بأنفها، وبشرتها لا تزال دافئة وتفوح منها رائحة راكيل ودموع الأميرة على أميرها.

قال لها:

- الأفيون. يا له من اسم لعطر!

- ألا يعجبك؟

ونفخ هاري الدخان إلى السقف قائلاً:

- بلى. لكنه... قوي جداً.

رفعت رأسها ونظرت إليه قائلة:

- وأنت تقول ذلك لي الآن؟

- لم أفكر به من قبل، ولا حتى الآن أيضاً.

- أهي الكحول؟

- ماذا؟

- أقصد الكحول في العطر. هل...؟

هز رأسه معلناً عدم الموافقة، فقالت:

- لكن يوجد شيء ما. أنا أعرف يا هاري. أنت منزعج وقلق. انظر إلى طريقة تدخينك، فأنت تمصها وكأنها آخر قطرة ماء في العالم.

ابتسم هاري، وداعب ظهرها، فقبّلته قبلة خفيفة على وجنته وقالت:

- إذاً، إن لم يكن الزهد في الكحول هو السبب، فهذا بسبب النوع الآخر.

- النوع الآخر؟

- الشرطة.

فقال:

- آه، هذا.

- إنها جرائم الشرطة... أليس كذلك؟

- أتت بتي إلى هنا لتقنعني، وقالت إنها تحدثت إليك أولاً.

هزّت راكيل رأسها، فأكمل هاري:

- وأنك أعطيتها إذناً بأن ذلك حسن بالنسبة لك.

- قلت إن ذلك يعود لك.

- هل نسيت وعدي لك؟

- لا. لكن، لا يمكنني أن أجبرك على أن تفي بالوعد يا هاري.

- وماذا لو قلت نعم وانضممت إلى التحقيق؟

- عندها تكون قد خالفت وعدك.

- والنتائج؟

- بالنسبة لك ولي ولأوليغ؟ فرصة أكبر بأنه يمكن أن يُقضى علينا على أي حال. أما بالنسبة للتحقيق في جرائم الضباط الثلاثة، ففرصة أكبر للنجاح.

- الأمر الأول مؤكد يا راكيل، أما الآخر فمشكوك به بشكل كبير.

- ربما، لكنك تعرف جيداً أنه قد يقضى علينا على أي حال سواء أكنت تعمل مع الشرطة أو لا، فهناك العديد من المخاطر، وأحدها أنك ستبدأ بالشعور باليأس الشديد لأنك لم تستطع أن تفعل ما تشعر أنك خلقت لأجله؛ فقد سمعت عن أناس تدهورت علاقاتهم قبل وقت صيد الخريف بقليل.

- تقصدين الأيل وليس الطيور التي لا ريش لها.

- نعم، يجب أن يقال هذا في حقها.

واستنشق هاري الهواء، وانخفض صوتاهما وهدآ وكأنهما يناقشان أمور التسوق، فبهذه الطريقة كانا يتحدثان حسب اعتقاده وهكذا كان شأنها. سحبها إليه وهمس في أذنها:

- أريد أن أحافظ عليك يا راكيل. أريد أن أحافظ على هذا.

- نعم؟

- نعم، هذا جيد، وهذا أفضل ما عرفته، فأنت تعلمين ما الذي يتحكم بتصرّفاتي، كما تذكرين تشخيص شتال: شخصية مدمنة إلى حد الوسواس القهري. وسواء أكان الأمر يتعلق بالصيد أو بأمر آخر فإنه لا يهم طالما أن ذهني يبدأ بالطنين في العادة نفسها. فحالما أفتح الباب سأكون هناك يا راكيل، وأنا لا أريد أن أكون هناك. أريد أن أكون هنا. أنا في طريقي إلى هناك الآن بمجرد التكلم عن ذلك، وأنا لا أقوم بذلك من أجلك ومن أجل أوليغ فحسب، بل من أجلي أنا.

داعبت راكيل شعره وقالت:

- هناك، هناك. دعنا نتحدث عن شيء آخر إذاً.

- نعم. إذاً، قالوا إن أوليغ سيخرج باكراً، أليس كذلك؟

- نعم، فلم تعد هناك أي أعراض تراجع، ويبدو أن لديه دافعاً أكثر من أي وقت مضى. هاري؟

- نعم.

- أخبرني بما حدث تلك الليلة.

واستمرت يدها في مداعبته.
- أي ليلة؟
- كما تعلم، الليلة التي عالجك فيها الطبيب.
- آه، لقد أخبرك، أليس كذلك؟
- قلت لي إن أحد المتعاملين مع أساييف قد أطلق عليك النار.
- نوعاً ما هذا صحيح، فأوليغ أحدهم.
- أنا كنت أفضل الرواية القديمة التي تقول إن أوليغ ظهر في مسرح الجريمة بعد ذلك، ورأى سوء إصابتك فركض في أكرسلفا إلى أن وصل إلى قسم الطوارئ أ.ي.
- لكنك لم تصدقي ذلك حقاً، أليس كذلك؟
- أخبرني أنه دخل فجأة، وأجبر طبيباً تحت تهديد السلاح على أن يذهب معه.
- وقد سامح الطبيب أوليغ عندما رأى حالتي.
هزّت راكيل رأسها:
- كان بوده أن يخبرني بالباقي أيضاً، لكنه يقول إنه لا يذكر الكثير عن تلك الشهور.
- للهيرويين هذا التأثير.
- لكنني أعتقد أنك قد تملأ لي الفراغات الآن. ما رأيك؟
استنشق هاري وانتظر ثانية، ثم أخرج الدخان وقال:
- أفضل أن أقول أقل ما يمكن.
شدت شعره إلى الخلف وقالت:
- صدقتك في ذلك الوقت لأنني كنت أريد أن أصدقك. يا الله يا هاري، أطلق أوليغ عليك النار لذا يجب أن يكون في السجن.
فهز رأسه رافضاً.
- كان حادثاً يا راكيل. كل ذلك أصبح خلفنا الآن، وطالما أن الشرطة لم تجد مسدس أوديسا لا يمكن أن يربط أوليغ بجريمة قتل غاستو هانسن أو أي شخص آخر.
- ماذا تقصد؟ لقد تمت تبرئته من تلك الجريمة. هل تقول إن له علاقة بها في النهاية؟
- لا يا راكيل.
- إذاً، ما الفكرة التي تعنيها يا هاري؟
- هل أنت متأكدة من أنك تريدين أن تعرفي يا راكيل؟ حقاً؟

نظرت إليه بقسوة ومن دون أن تجيب، فانتظر هاري وهو ينظر من النافذة، ورأى خيال الأخدود الذي يحيط بهذه المدينة الهادئة والآمنة التي لا يحدث فيها شيء، حيث تم بناء المدينة قرب حافة بركان خامد، وهذا يعتمد على طريقة نظرك إليها ويعتمد على ما تعلمه.

همست في الظلام:

- لا.

وأخذت يده ووضعتها على وجنتها.

فكر هاري أنه من السهل أن تحيا حياة جهل سعيدة، فهي مجرد مسألة كتمان: كتمان وجود أو عدم وجود مسدس أوديسا مقفل عليه في الخزانة، وكتمان أمر ثلاث جرائم لا تقع مسؤولية ارتكابها عليك، وكتمان صورة طالبة مرفوضة يملأها الكره بثوبها الأحمر المرفوع عند خصرها، أليس كذلك؟

وسحق هاري عقب سيجارته ليطفئها.

- أتذهب إلى النوم؟

في الثالثة من بعد منتصف الليل استيقظ هاري بشكل مفاجئ، فقد حلم بها مرة ثانية. إذ دخل غرفة فوجدها هناك مستلقية على فراش فاحش على الأرض وهي تقص ثوبها الأحمر الذي تلبسه بمقص كبير، وبجانبها جهاز تلفاز محمول يعرضها ويعرض ما تفعله مع تأخير لمدة ثانيتين. نظر هاري حوله لكنه لم يستطع أن يرى أي كاميرا في أي مكان، ثم وضعت مدية لامعة على فخذها البيضاء وهمست:

- لا تفعل ذلك.

تلمس هاري المكان خلفه فوجد مقبض الباب الذي أغلق عليه، لكنه كان مقفلاً، ثم اكتشف أنه كان عارياً وأنه كان يتجه نحوها.

- لا تفعل ذلك.

وبدا ذلك كصدى من التلفاز بعد تأخير لمدة ثانيتين، فقال:

- عليّ فقط أن أحضر المفتاح.

لكن صوته بدا وكأنه يتحدث تحت الماء، وكان يعلم أنها لم تسمعه، فقام بخطوة أخرى نحوها، ثم أخرجت يدها ممسكة بمسدس موجه إليه، وكان مسدساً لامعاً موصولاً بحبل يصل إلى داخلها مثل الحبل السري، فقالت:

- لا تفعل ذلك.

لكنه كان قد ركع أمامها وهو منحن للأمام، وشعر بالمسدس بارداً

وساحراً على جبهته، فهمس:

- افعلي ذلك.

24

حين توقفت سيارة بيورن هولم الفولفو أمام منتزه فروغنر وسيارة الشرطة عند البوابة الرئيسة كانت ملاعب التنس فارغة.

قفزت بتي من السيارة بنشاط على الرغم من أنها لم تكد تنام لحظات؛ إذ من الصعب النوم على سرير غريب... نعم، لا تزال تنظر إليه على أنه غريب. فعلى الرغم من أنها تعرف جسده إلاّ أن عقله وعاداته وتفكيره لا تزال مجهولة بالنسبة لها، وكانت تتساءل إن كان لديها الصبر الكافي أو الاهتمام لاستكشافها. لذا، في كل صباح تستيقظ فيه في سريره تسأل نفسها السؤال نفسه: هل ستستمرين؟

استقام شرطيان بملابس عادية متكئين على السيارة واقتربا لملاقاتها، ورأت شرطيين يرتديان ثياب الشرطة يجلسان على المقعدين الأماميين للسيارة، ورجلاً آخر على المقعد الخلفي.

سألت وهي تشعر بقلبها ينبض بسرعة كبيرة:

- أهذا هو؟

أجاب أحد الرجلين:

- نعم... رسمة رائعة... إنها صورة طبقة الأصل.

- والقطار؟

- لقد تركناه، فقد كان ممتلئاً كله، لكننا أخذنا وصف امرأة حيث كان هناك الكثير من الدراما.

- حقاً؟

- لقد حاول الهرب حين أظهرنا بطاقات تعريفنا وقلنا إن عليه مرافقتنا، إذ قفز إلى الممر وأمسك بعربة طفل لإعاقة طريقنا وصرخ لإيقاف القطار.

- عربة طفل!

- نعم... لم تصدقي ذلك... أليس كذلك؟ يا للمجرم اللعين!!

- أظن أنه ارتكب جرائم أسوأ.

- أقصد أنه أمسك بعربة طفل في القطار خلال ساعة الازدحام الصباحية.

- لكنكم اعتقلتموه، أليس كذلك؟

- بدأت والدة الطفل بالصراخ وتمسكت بذراعه حتى تمكنّا من الإمساك به.

وأراها الشرطي براجم أصابع يده اليمنى وأكمل:

- لا داعي لإخراج المسدس حين يمكن لهذه أن تأتي بنتيجة.

- جيد.

وانحنت بتي ونظرت إلى مؤخر السيارة، لكنها لم تتمكن سوى من رؤية ظل تحت انعكاس صورتها في شمس الصباح.

- أيمكن لأحد أن يفتح النافذة؟

وحاولت التنفس بهدوء بينما انزلق زجاج النافذة بهدوء.

تعرفت عليه على الفور. لم يكن ينظر إليها وإنما ينظر مباشرة للأمام إلى صباح أوسلو بعينين شبه مغمضتين كما لو أنه في حلم لا يرغب بالاستيقاظ منه.

سألت:

- هل فتشتموه؟

- ليس معه أي سلاح.

- أقصد هل فتشتموه بحثاً عن المخدرات؟ أو تحققتم من جيوبه؟

- لا... ولم نفعل ذلك؟

- لأن هذا هو كريس ريدي المعروف باسم أديداس، والمدان عدة مرات بتهمة بيع المخدرات. لقد حاول الهرب مما يعني أن معه شيئاً ما... فتشوه.

استقامت بتي لون وقفلت عائدة إلى سيارة الأمازون.

وسمعت الشرطي بالملابس العادية يقول لبيورن لهولم الذي انضم إليهم:

- كنت أظنها تعمل على بصمات الأصابع وليس على التعرف على مدمني المخدرات.

- إنها تتعرف على كل من في أرشيف شرطة أوسلو... في المرة القادمة انتبه جيداً.

حين ركب بيورن هولم السيارة ونظر إليها علمت بتي أنها تبدو كبقرة عجوز مشاكسة وهي تشبك ذراعيها وتحدق للأمام بغضب.

قال بيورن:

- سنقبض عليه يوم الأحد.

- لنأمل ذلك. أكل شيء جاهز في بيرغسليا؟

- قام أفراد وحدة دلتا بالاستكشاف، وحددوا مواقعهم، وقالوا إن الأمر بسيط لكونه محاطاً بالغابة، كما أنهم في المنزل المجاور أيضاً.

- وهل تم إعلام كل من شارك في التحقيق بالجريمة الأصلية؟
- نعم. سيكون الجميع بالقرب من الهاتف طوال اليوم، وسيبلغوننا في حال تلقوا مكالمة.
- وهذا ينطبق عليك أيضاً يا بيورن.
- وعليك أيضاً. بالمناسبة، لماذا لم يعمل هاري على تلك القضية؟ لقد كان محققاً في فرقة مكافحة الجرائم في ذلك الحين.
- ممممم... لقد كان متوعكاً.
- أتعنين أنه كان مفرطاً في الشرب؟
- وماذا ستفعل كاترين؟
- لقد أخذت موقعها في غابة بيرغ بإطلالة جيدة على المنزل.
- أريد اتصالاً دائماً معها طوال فترة بقائها هناك.
- سأخبرها بذلك.

نظرت بتي إلى ساعة يدها... 9 : 16 . انطلقا بالسيارة إلى بوابة توماس هيفتيس وزقاق بيغدوي، ليس لأنه كان الطريق الأقصر إلى مركز الشرطة، وإنما لأنه الأجمل ولأنه يقتل الوقت. نظرت بتي إلى ساعة يدها مجدداً... 9 : 22 ... يوم الهجوم هو يوم الأحد.

كان قلبها لا يزال ينبض بسرعة.

أبقى جوهان كروهن هاري منتظراً في قاعة الاستقبال لأربع دقائق بعد موعد المقابلة قبل أن يخرج ويعطي بعض الرسائل التافهة لموظف الاستقبال، ويوجه انتباهه للشخصين الجالسين هناك.
- هول!

وتفحص وجه رجل الشرطة ليتعرف على مزاجه وسلوكه قبل أن يمد يده:
- لقد أحضرت محاميك الخاص... أليس كذلك؟
- هذا زميلي أرنولد فولكستاد، وقد طلبت منه القدوم معي لكي يكون هناك شاهد على ما نقوله ونتفق عليه.
- حكمة... حكمة رائعة... تفضلا.

وبينما كان يسير نظر إلى ساعة يده الصغيرة جداً والأنثوية ففهم هاري تلميحه: أنا محام مشغول وليس لدي الكثير من الوقت لهذا الأمر السخيف. كان المكتب كبيراً وتفوح منه رائحة الجلد الذي افترض هاري أنه جاء من المجلدات التاريخية التي تملأ الرفوف، ثم تعرف على رائحة عطر...

كانت سيلج غرافسينغ تجلس على كرسي ملتفتة إليهما جزئياً وإلى مكتب جوهان كروهن الضخم جزئياً.

سأل هاري وهو يمرر يده على طاولة المكتب قبل أن يجلس:

- صنف مهدد بالانقراض؟

أجاب كروهن وهو يجلس على الكرسي وراء المكتب:

- خشب الساج العادي.

قال هاري:

- كان عادياً البارحة لكنه مهدد بالانقراض اليوم.

وهز رأسه لسيلج غرافسينغ التي ردت بإغماض عينيها ببطء، ثم فتحهما مجدداً كما لو أنه ليس بإمكانها تحريك رأسها. كان شعرها مربوطاً بتسريحة ذيل حصان مشدود مما جعل عينيها أصغر من المعتاد، كما كانت ترتدي بذلة قد تشير بسهولة إلى أنها كانت تعمل في المكتب... كانت تبدو هادئة.

قال جوهان كروهن وهو يجلس بوضعيته المعتادة ويضغط برؤوس أصابعه على بعضها.

- أيمكننا البدء بالعمل؟ لقد شهدت سيلج غرافسينغ أنه تم الاعتداء عليها جنسياً في مكتبك قرابة منتصف الليلة المذكورة، والدليل المتوفر حتى الآن علامات خدوش وكدمات وثوب ممزق. وقد قمنا بتصوير جميع هذه الأدلة، حيث يمكن استخدامها كدليل في المحكمة.

وألقى كروهن نظرة سريعة على سيلج ليتأكد من أنها صامدة قبل أن يكمل.

- وعلى الرغم من أن الفحص الطبي في مركز الاعتداءات الجنسية لم يظهر أي جروح أو كدمات لكنه نادراً ما يفعل ذلك، فحتى في الهجمات الوحشية نحن لا نتكلم سوى عن خمس عشرة إلى ثلاثين بالمائة من القضايا. وليست هناك أي دلائل على وجود المني، حيث إنك تتمتع بوعي كافٍ لذا قذفت في الخارج أو بدقة أكبر على معدة الآنسة غرافسينغ قبل أن تطلب منها أن ترتدي ملابسها وتجرها إلى الباب وترميها خارجاً. وللأسف، لم تكن الآنسة غرافسينغ تتمتع بالوعي الكافي كما فعلت لتحتفظ ببعض المني كدليل، وإنما جلست تبكي في الحمام لساعات، وبذلت قصارى جهدها لتغسل جميع الأدلة على تدنسها. وهذا أمر غير مفاجئ وإنما هو عادي ومتوقع من فتاة شابة.

واستعاد صوت كروهن بعض الارتعاش الساخط الذي افترض هاري أنه

ليس حقيقياً وإنما مفتعل لإظهار مدى قوة قضيته في المحكمة.

- لكن الموظفين في مركز الاعتداءات الجنسية مطالبون بوصف الحالة النفسية للضحية ببضعة أسطر. نحن نتكلم هنا عن محترفين لديهم خبرة طويلة بسلوك ضحايا الاعتداءات الجنسية، وبالتالي هذا الوصف سيساعدنا كثيراً في المحكمة. صدقني... في هذه القضية سيساعد الفحص النفسي على دعم شهادة موكلتي بقوة.

ولاحت ابتسامة اعتذار على وجه المحامي.

- لكن، قبل مراجعة الأدلة بتفاصيل أكبر أخبرني إن كنت قد فكرت بعرضي يا هول. إن كنت قد توصلت إلى أن قبول عرضي هو الطريق الصحيح - وآمل أنك قررت ذلك لأجل مصلحة الجميع - فالعقد المكتوب جاهزٌ لديّ، وسيبقى سرياً بكل تأكيد.

ومد كروهن يده وناول هاري مجلداً جلدياً أسود وهو ينظر ببلاغة إلى أرنولد فولكستاد الذي هز رأسه ببطء.

فتح هاري الملف ونظر إلى الورقة.

- مممم... أستقيل من مدرسة الشرطة، وأتخلى عن أي عمل في الشرطة أو مع الشرطة، ولا أتكلم تحت أي ظرف مع أو عن سيلج غرافسينغ. أظن أنه جاهز للتوقيع.

- إنه ليس معقداً للغاية. إن كنت قد قمت بالتفكير في وضعك وتوصلت للحل الصحيح...

هز هاري رأسه ونظر إلى سيلج غرافسينغ التي كانت تجلس هناك وتحدق به بوجهها الشاحب وملامحها الجامدة.

سعل أرنولد فولكستاد بهدوء، فحوّل كروهن اهتمامه له بنظرة ودودة وهو يعدل ساعة يده بطريقة مدروسة، فناوله أرنولد مجلداً أصفر.

سأل كروهن وهو يتناوله رافعاً حاجبه:

- ما هذا؟

قال فولكستاد:

- اقتراحنا للاتفاق، وسترى أننا نقترح أن تتوقف سيلج غرافسينغ عن دراستها في مدرسة الشرطة مباشرة، ولا تتقدم بطلب تحت أي ظرف للعمل في الشرطة أو بأي عمل له علاقة بالشرطة.

- أنت تمزح...

- وأن لا تحاول تحت أي ظرف أن تتصل بهاري هول مجدداً.

- هذا محال.

- وبالمقابل، سنمتنع عن مقاضاتها على هذا الاتهام الكاذب ومحاولة الابتزاز لموظف في مدرسة الشرطة.

رد كروهن:

- في هذه الحالة سنلتقي في المحكمة. وحتى لو كنتما ستعانيان بالنتيجة فإنني أتطلع لمقاضاتكما.

هز فولكستاد كتفيه:

- في تلك الحالة، أخشى أنك ستصاب بخيبة الأمل يا كروهن.

- لنرَ من الذي سيصاب بخيبة الأمل.

ووقف كروهن على قدميه وأغلق أزرار سترته مما يوحي بأنه سيستقبل موكله التالي. وحين التقت عيناه عيني هاري تردد.

- ماذا تقصدان؟

رد فولكستاد:

- إن كنت لا تمانع، أقترح عليك قراءة الملفات وراء الاتفاق المقترح.

فتح كروهن الملف مجدداً وقلب الصفحات وقرأ.

- كما يمكنك أن ترى، إن موكلتك قد حضرت محاضرات في مدرسة الشرطة حول الاعتداء الجنسي حيث هناك وصف لردة الفعل النفسية المعتادة لضحايا الاعتداء الجنسي.

- هذا لا يعني...

- أيمكنني أن أطلب منك أن تؤجل اعتراضاتك حتى النهاية وأن تقلب الصفحة يا كروهن؟ هنا ستجد شهادة موقعة وغير رسمية حتى الآن من طالب كان يقف خارج المدخل الأمامي حيث رأى الآنسة غرافسينغ تغادر مدرسة الشرطة في الوقت المذكور نفسه، ويذكر فيها أنها بدت غاضبة لا خائفة، وأنها كانت بلباسها الكامل وغير متأذية. كما أنه يقر بأنه تفحصها عن كثب، وهو إطراء لك بالطبع يا غرافسينغ...

بقيت جالسة بسكون كما كانت من قبل، لكن وجنتيها احمرتا وعينيها استمرتا بالرمش من دون توقف.

- وكما يمكنك أن ترى، إن هاري هول قد توجه إليه مباشرة خلال أقل من دقيقة أي ثلاثين ثانية من مرور الآنسة غرافسينغ من أمامه، وبقي معه حتى وصلت وأخذت هاري إلى كريمتكنيسك. ذلك موجود على الصفحة التالية.

قرأها كروهن وتراجع على كرسيه.

- يفيد التقرير أنه ليس لدى هاري أي من الأشياء التي قد تتوقعها

من رجل قد قام بالاعتداء الجنسي للتو. لا آثار للجلد تحت أظافره، ولا إفرازات مهبلية، ولا شعر عانة من أشخاص آخرين على يديه أو أعضائه التناسلية، وهذا يثبت كذبة الآنسة غرافسينغ حول الخدوش والاعتداء. وبالإضافة إلى ذلك، ليست هناك أي علامات على جسد هول تشير إلى أنها كانت تتعارك معه. الدليل الوحيد على تواصلهما شعرتان على ملابسه؛ لكن ذلك أمر متوقع بعد أن انحنت عليه... انظر إلى الصفحة الثالثة.

قلب كروهن الصفحة من دون أن يرفع نظره، بينما تراقصت عيناه على الصفحة، وتشكلت شفتاه وكأنه ينطق بشتائم، وهنا علم هاري أن الأسطورة صحيحة: لا أحد في دوائر القضاء النروجية يمكنه قراءة صفحة أسرع من جوهان كروهن.

قال فولكستاد:

- وفي النهاية، إذا نظرت إلى كثافة مني هاري بعد نصف ساعة فقط من الاعتداء المزعوم فسيظهر على أنه أربعة ملم، وكثافة المني في قذف ثانٍ ستعطيك أقل من عشرة بالمائة من هذه النسبة. باختصار... ما لم تكن خصيتا هاري مصنوعتين من شيء مميز فإنه لم يقذف في الوقت الذي تزعمه الآنسة غرافسينغ.

وخلال الصمت المطبق، تمكن هاري من سماع بوق سيارة في الخارج وصراخ ثم ضحك وشتائم... كانت أزمة المرور على حالها.

قال فولكستاد وهو يبتسم:

- الأمر ليس معقداً... لذا، إن أجريت حساباتك...

انطلق صوت مكابح، ثم صوت ضربة، بينما نهضت سيلج غرافسينغ عن كرسيها ليتبعها مباشرة صوت صفق الباب وهي تغادر الغرفة.

جلس كروهن مخفضاً رأسه لبعض الوقت، وحين رفعه نظر إلى هاري:

- أعتذر. كمحامي دفاع عليّ تقبل أن موكلينا يكذبون للحفاظ على ماء وجوههم. لكن هذه... كان من المفترض بي قراءة الوضع على نحو أفضل.

هز هاري كتفيه:

- أنت لا تعرفها... أليس كذلك؟

- لا، لكنني أعرفك... ينبغي أن أعرفك بعد كل هذه السنين يا هول. سأقنعها بالتوقيع على اتفاقك.

- وإن لم توافق؟

- سأشرح لها عواقب الاتهام الزائف، بالإضافة إلى الطرد الرسمي من

مدرسة الشرطة... إنها ليست غبية كما تعلم.

رد هاري وهو ينهض متنهداً:

- أعلم، أعلم.

وفي الخارج عاد ضجيج أزمة المرور.

مشى هاري وأرنولد فولكستاد نحو بوابة كارل جوهانس.

قال هاري:

- شكراً. لكنني ما زلت لا أفهم كيف توقعت كل ذلك بهذه السرعة.

ابتسم أرنولد:

- لدي بعض الخبرة في اضطراب الوسواس القهري.

- عفواً؟

- حين يقوم شخص يعاني من هذا الاضطراب باتخاذ قرار فلا شيء يمكن أن يوقفه. التصرف بالنسبة له أهم من كل العواقب.

- أعرف ما هو اضطراب الوسواس القهري؛ إذ إن لدي زميلاً يعمل طبيباً نفسيًّا، وقد اتهمني أنني أكاد أصاب به. ما أقصده هو كيف عرفت بهذه السرعة أننا بحاجة لشاهد، وأن علينا التوجه إلى كريمتكنيسك؟

ضحك أرنولد فولكستاد:

- لا أدري إن كان بإمكاني إخبارك يا هاري.

- لم لا؟

- ما يمكنني أن أخبرك به هو أنني كنت متورطاً في قضية حيث كان هناك شرطيان على وشك أن يتم الإبلاغ عنهما من قبل شخص ضرباه بشدة، لكنهما تمكنا من التملص من الأمر من خلال القيام بشيء مشابه لما فعلناه للتو. حيث قام أحدهما بإحراق الدليل ضدهما، ولم يتبق ما يكفي ليدينهما، وهكذا فقد نصح محامي الرجل موكله بإسقاط الشكوى لأنه لن يستفيد شيئاً، وقد تخيلت أن الأمر سيتكرر في هذه الحالة.

- إنك تجعل الأمر يبدو كما لو أنني قمت بالاعتداء الجنسي بالفعل يا أرنولد.

ضحك أرنولد:

- آسف... كنت شبه متوقع أن أمراً كهذا سيحصل، فهذه الفتاة قنبلة موقوتة. كان من المفترض أن ترسب في الاختبار النفسي قبل أن تحصل على مقعد دراسي.

مشيا عبر إيغورتورغيت بينما تراقصت الصور في مخيلة هاري... ابتسامة من حبيبة ضاحكة في مايو حين كان شاباً، وجندي في اتحاد الرعاية الاجتماعية في مناسبة الكريسمس... مدينة مليئة بالذكريات.

- ومن كان هذان الشرطيان؟

- أحدهما شخص مرموق.

- ألهذا لن تخبرني؟ وهل كنت جزءاً من الأمر؟ أضميرك يشعر بالذنب؟

هز أرنولد فولكستاد كتفيه قائلاً:

- أي شخص لا يجرؤ على تحمل حكم العدالة ينبغي أن يعاني من الشعور بالذنب.

- مممم... شرطي لديه سوابق في العنف وميول لحرق الأدلة... ليس هناك الكثيرون منهم. نحن لا نتكلم عن شرطي باسم ترولس بيرنتسين، أليس كذلك؟

لم يجب أرنولد فولكستاد، لكن الطريقة التي جفل بها كانت أكثر من كافية لإخبار هاري بما يريد معرفته.

- ظل مايكل بيلمان. هو من تعنيه بشخص مرموق، أليس كذلك؟

وبصق هاري على الأسفلت.

- أيمكننا الحديث عن موضوع آخر يا هاري؟

- نعم، لنقم بذلك... ما رأيك بتناول الغداء لدى شرودر؟

- شرودر؟ هل يقدمون... الغداء؟

- لديهم برغر وخبز.

قال هاري للنادلة التي وضعت للتو قطعتي برغر محروقتين ومغطاتين بشريحتي بصل باهتتي اللون أمامهما:

- يبدو هذا مألوفاً يا ريتا.

- لا شيء يتغير هنا كما تعلم.

وابتسمت وغادرت مبتعدة.

قال هاري وهو ينظر للخلف:

- ترولس بيرنتسن... نعم.

كان هو وأرنولد بمفردهما في الغرفة المربعة التي بدت ضبابية على الرغم من قانون منع الدخان الصادر منذ سنوات.

- أظن أنه كان يعمل كحارق ضمن الشرطة لسنوات عديدة.

- حقاً! وماذا عن بيلمان؟
وتفحص فولكستاد قطعة اللحم أمامهما بارتياب.
- كان مسؤولاً عن قسم المخدرات في ذلك الوقت. وأعلم أنه قام ببعض الاتفاقيات مع رودولف أساييف الذي كان يبيع مادة شبيهة بالهيرويين تدعى الفيولين. لقد ضمن بيلمان لأساييف الهيمنة على السوق في أوسلو مقابل ضمان بأن تتضاءل مظاهر تجارة المخدرات والمدمنين في الشوارع، وبالطبع الوفيات بسبب الجرعات المفرطة؛ مما جعل بيلمان يبدو بصورة جيدة.
- أهي جيدة لدرجة أنه وضع يده على وظيفة رئيس الشرطة؟
مضغ هاري أول قضمة من البرغر وهز كتفيه ليوحي بـ «ربما».
- ولماذا لم تكشف عما تعرفه، فتلك ضربة عادلة؟
ابتلع هاري، ثم مسح فمه بمنديل ورقي:
- لم يكن لدي أي دليل، كما أنني لم أعد شرطياً. لم يكن ذلك من شأني حينها، وهو الآن ليس من شأني يا أرنولد.
- لا... أفترض ذلك.
والتقط فولكستاد قطعة البرغر بشوكته ورفعها ليتفحصها:
- لكن، إن لم يكن هذا من شأنك وأنت لم تعد شرطياً فلماذا أرسل قسم التشريح تقرير ما بعد الوفاة حول رودولف أساييف إليك؟
- مممم... هل رأيته؟
- فقط لأنني أحضر بريدك أيضاً حين أكون عند صناديق البريد، ولأنني شخص فضولي بالطبع.
- كيف وجدتها؟
- لم أتذوقها بعد.
- هيا... لن تعضك.
- وكذلك الأمر بالنسبة لك يا هاري.
ابتسم هاري:
- لقد بحثوا في العين ووجدوا ما كنا نبحث عنه... وجدوا ثقب إبرة صغيراً في الوعاء الدموي الكبير. لا بد أن أحداً ما قد حقن فقاعات هواء في زاوية العين حين كان أساييف في غيبوبة لينتج عن ذلك عمى فوري تتبعه جلطة دموية لا يمكن تتبعها.
كشر فولكستاد ووضع شوكته:
- لم أعد أرغب بتناول هذه... أتقول إن أساييف قد مات مقتولاً؟

- لا... لا يزال من المستحيل تحديد سبب الوفاة، لكن العلامة تثبت ما قد يكون السبب. لكن اللغز يكمن في كيفية تمكن أحد ما من دخول الغرفة في المشفى، بينما أصر الشرطي المناوب أنه لم ير أحداً يمر خلال الفترة التي ينبغي أن يكون قد تم فيها الحقن... لا طبيب ولا أي أحد آخر.

- لغز الغرفة المقفلة.

- أو شيء أبسط؛ كأن يغادر الشرطي موقعه أو ينام من دون أن يعترف بذلك لسبب يمكن تفهمه، أو أنه متورط في الجريمة على نحو مباشر أو غير مباشر.

- لو ابتعد أو نام فهذا يعني أن الجريمة تعتمد على المصادفة؛ وهو أمر لا نصدقه.

- لا بالطبع يا أرنولد، لكن قد يتم إغراؤه للابتعاد عن مكانه أو تخديره.

- أو رشوته... ينبغي أن تستدعي ذلك الشرطي للاستجواب.

هز هاري رأسه.

- لم لا؟

- أولاً، أنا لم أعد شرطياً. وثانياً، الشرطي ميت. إنه الشرطي الذي تم قتله في السيارة خارج درامن.

وأومأ هاري لنفسه ثم رفع كوب القهوة واحتسى رشفة.

- تباً... وثالثاً؟

أشار هاري إلى ريتا من أجل الفاتورة:

- هل قلت إن هناك ثالثاً؟

- لقد قلت ثانياً كما لو أنك في منتصف القائمة.

- من الآن فصاعداً سأنتبه لنبرة صوتي.

أمال أرنولد رأسه، فرأى هاري السؤال في عيني زميله... إن كنت لن تعمل على هذه القضية فلم تخبرني بها؟

- هيا تناول طعامك... لدي محاضرة.

انحدرت الشمس عبر السماء الباهتة لتهبط في الأفق وتلون الغيوم باللون البرتقالي.

جلس ترولس بيرنتسين في سيارته شبه منصت لمذياع الشرطة، وهو ينتظر الظلام ليهبط، وينتظر الأنوار في المنزل فوقه لتضاء، وينتظر أن

يراها... مجرد لمحة عابرة تكفي.

كان هناك شيء يغلي يمكنه سماعه في أسلوب التواصل... شيء ما يحصل إلى جانب الحالة الطبيعية الروتينية المعتادة؛ حيث كانت تصدر تقارير قصيرة وكثيفة كما لو أنهم مأمورون بعدم استخدام المذياع أكثر من الضرورة. لم يكن الأمر متعلقاً في ما يقال وإنما في ما لا يقال... الجمل المتفرقة حول التنقل والمراقبة لكن من دون ذكر العناوين أو الأوقات أو أسماء الأفراد. كان الناس يقولون إن موجة الشرطة هي رابع أكثر الإذاعات المحلية شيوعاً في أوسلو؛ لكن ذلك كان قبل أن يتم تشفيرها، إلا أنهم يتكلمون هذا المساء كما لو أنهم خائفون من الكشف عن شيء ما.

ها هم مجدداً... ورفع ترولس الصوت.

- صفر واحد... دلتا اثنان صفر... كل شيء هادئ.

دلتا... قوة النخبة... عملية مسلحة.

رفع ترولس منظاره وركز على نافذة غرفة الجلوس. أصبح من الصعب رؤيتها في المنزل الجديد؛ فالشرفة أمام غرفة الجلوس تعيق مجال الرؤية. في المنزل القديم كان قادراً على الوقوف بين الأشجار والنظر إلى داخل الغرفة مباشرة، ورؤيتها وهي تجلس على الأريكة وقدماها الحافيتان تحتها، وهي تداعب خصلات شعرها الشقراء بعيداً عن وجهها كما لو كانت تعلم أن أحداً ما يراقبها... كم هي جميلة.

تحولت السماء فوق خليج أوسلو من البرتقالي إلى الأحمر ثم البنفسجي.

كان الظلام مخيماً حين ركن السيارة بجوار المسجد في أكيبرغفين ومشى إلى مركز الشرطة ممسكاً ببطاقة تعريفه الشخصية في حال رآه الشرطي المناوب، وفتح الباب المؤدي إلى الردهة، ونزل إلى غرفة الأدلة وفتح الباب بنسخة المفتاح التي يحتفظ بها منذ ثلاث سنوات، ثم وضع نظارة الرؤية الليلية. لقد بدأ بفعل ذلك بعد أن قام مرة بإضاءة النور وإثارة شكوك حارس الأمن خلال إحدى عمليات الحرق لأساييف. وبسرعة عثر على الصندوق من التاريخ، وفتح الكيس الذي يحتوي الطلقة بعيار 9 ملم التي أخذها من رأس كالسنس واستبدلها بالطلقة الموجودة في جيب سترته.

كانت الغرابة الوحيدة هي شعوره بأنه ليس وحيداً.

أكانت أولا تشعر بالشيء نفسه حين يراقبها؟ ألهذا كانت ترفع نظرها عن كتابها إلى النافذة كما لو أن هناك شيئاً في الخارج... شيئاً ينتظرها.

كانوا يتكلمون عبر المذياع مجدداً.

كان يعلم ما الذي يتكلمون عنه.
وفهم ما كانوا يخططون له.

كان يوم الهجوم يقترب من نهايته.

طقطق جهاز الإرسال بهدوء.

رفعت كاترين برات منظارها مجدداً وركزت على المنزل في بيرغسليا... إنه مظلم وصامت... كما كان منذ ما يقارب أربعاً وعشرين ساعة.

لا بد أن شيئاً ما سيحصل عما قريب... خلال ثلاث ساعات سيبدأ يوم آخر؛ أي تاريخ خطأ.

ارتعشت، لكن كان من الممكن أن يكون الأمر أسوأ... حوالى تسع درجات خلال النهار ومن دون مطر. لكن بعد غروب الشمس ارتفعت درجة الحرارة وبدأت تشعر بالبرد على الرغم من ملابسها الشتوية والسترة المحشوة التي كانت تؤمن درجة من العزل وفقاً للبائع، أو هل قال إنها كانت من الريش؟ الآن تتمنى لو أن لديها شيئاً يدفئها أكثر؛ كرجل يمكنها الاستكانة إليه لـ...

لم يكن هناك أحد متمركز في المنزل؛ إذ لم يرغبوا بالمخاطرة بأن يراهم أحد وهم يدخلون أو يخرجون. وحتى أثناء الاستكشاف، قاموا بركن السيارة بعيداً، ثم تسللوا حول المنزل في مجموعات من شخصين بملابس غير رسمية.

كان الموقع الذي تتمركز فيه عبارة عن تلة صغيرة في غابة بيرغ وراء مواقع انتشار رجال دلتا. كانت تعرف مواقعهم، لكنها حين تفحصت المواقع بمنظارها لم تتمكن من رؤية شيء. كانت تعلم أن هناك أربعة رجال يغطون كل جانب من المنزل، بالإضافة إلى أحد عشر رجلاً لاقتحام المكان خلال أقل من ثماني ثوانٍ.

نظرت إلى ساعة يدها مجدداً... ساعتان وثمان وخمسون دقيقة.

وفقاً لمعلوماتهم، تمت الجريمة الأصلية في نهاية اليوم، لكن من الصعب تحديد لحظة الوفاة؛ إذ إن الجثة كانت مقطعة لقطع لا يزيد كل منها عن كيلوغرامين. وفي كل الأحوال، إنّ توقيت الجرائم التقليدية يتوافق مع توقيت الجرائم الأصلية. لذا، من المتوقع أن لا شيء قد حصل حتى الآن.

كانت الغيوم تتحرك من الغرب، وكان يُتَوقع طقس جاف، لكن الظلام سيشتد والرؤية ستسوء. ومن ناحية أخرى، قد يصبح الجو أفضل... كان ينبغي عليها إحضار حقيبة نوم معها... اهتز هاتف كاترين المحمول فردت.

كانت بتي هي المتصلة:

- ماذا يحصل؟
- لا شيء سوى الاحتباس الحراري... هناك برغش منتشر هنا.
- أتعنين البعوض؟
- لا... برغش... هناك الكثير منها في بيرغن... هل من مكالمات هاتفية مثيرة للاهتمام؟
- لا... فقط تشيرز دودلز وبيبسي ماكس وغابرييل بيرن. أخبريني، أهو مثير أو مجرد رجل عجوز؟
- مثير. أتشاهدين إن تريتمنت؟
- الموسم الأول الأسطوانة الثالثة.
- لم أكن أعلم أنك بدأت تستسلمين للسمنة ولأسطوانات الأفلام.
- علي العثور على بعض المتعة حين يكون الصغير غائباً.
- أيمكننا التقايض؟
- لا... من الأفضل أن أنهي الاتصال في حال اتصل الأمير... أبقيني على اطلاع.

وضعت كاترين الهاتف بجوار جهاز الإرسال، ورفعت المنظار وتفحصت الطريق أمام المنزل. يمكنه القدوم من أي اتجاه، لكن من غير المرجح أن يعبر السور على جانبي الطريق حيث يمر القطار. لكنه إن أتى من دامبلاسين فبإمكانه المرور عبر الغابة، على أي من الطرق الكثيرة، حيث يمكنه المشي عبر الحدائق المجاورة في بيرغسليا وخاصة مع انتشار الغيوم وهبوط الظلام. لكنه إن شعر بالثقة فما من سبب يمنعه من القدوم على الطريق. كان هناك شخص يركب دراجته صعوداً مترنحاً من جانب لآخر... ربما يكون ثملاً.

تساءلت عما يفعله هاري الليلة.

لا أحد يعرف قط ما يفعله هاري، حتى لو كان جالساً قبالته... هاري الكتوم لا يشبه أحداً... لا يشبه بيورن هولم ذا المشاعر المفضوحة الذي أخبرها البارحة أنه سيستمع للعديد من أسطوانات ميرل هاغارد أثناء انتظاره بجوار الهاتف ويتناول البرغر المصنوعة في المنزل من سكريا، وحين رفعت أنفها قال لها إنه حين ينتهي من هذه القضية سيدعوها لتذوق برغر لحم الغزال الذي تطهوه أمه مع شرائح البطاطا المقلية، ويعرفها على أسرار صوت بيكرزفيلت الذي قد يكون النوع الوحيد من الموسيقى الذي يمتلكه... لا عجب أن الشاب لا يزال وحيداً، وبدا أنه ندم على عرضه حين

رفضته بلباقة.

قاد ترولس بيرنتسين السيارة عبر كفادراتورين كما يفعل كل ليلة تقريباً، وهو يتفحص الطريق ببطء من كل الجهات... بوابة درونينجينز وكيركيغاتا وسكيبرغاتا ونيدر سلوتسغيت وتولبوغاتا... كانت هذه مدينته وستعود لتصبح مدينته مجدداً.

كانوا يثرثرون عبر المذياع بشيفرات يقصدونه هو بها... ترولس بيرنتسين... إنهم يريدون إخفاء الأمر عليه. يظن الحمقى أنهم ينجحون وأنه لم يفهم، لكنهم لم يتمكنوا من خداعه. عدل ترولس بيرنتسين المرآة، وحدق بمسدس الخدمة الموضوع بجواره على سترته على المقعد الأمامي... موجهاً كالمعتاد إلى الطرف الآخر... إنه هو من سيخدعهم.

تجاهلته النساء في الشارع، فقد تعرفن على السيارة وعرفن أنه لن يطلب خدماتهن. صبي متبرج ويرتدي سروالاً ضيقاً دار حول عمود لافتة «ممنوع الوقوف» كراقص استعراضي وقفز إلى ترولس الذي تجاهله.

بدت الظلمة كالحة، فانحنى ترولس نحو الزجاج الأمامي، ونظر للأعلى ليجد الغيوم قادمة من الغرب. توقف عند النور وحدق مجدداً في المقعد... لقد خدعهم مرة تلو الأخرى، وسيخدعهم الآن مجدداً... كانت هذه مدينته ولا يمكن لأحد أن يأتي ويأخذها منه.

وضع المسدس في صندوق القفازات... سلاح الجريمة. كان ذلك منذ زمن، لكنه لا يزال قادراً على رؤية وجهه... رينيه كالسنس... الملامح الصبيانية الأنثوية الضعيفة. ضرب ترولس المقود بقبضة يده... هيا أيها الضوء الأخضر.

كان قد ضربه أولاً بالهراوة.

ثم أخذ مسدسه. وحتى حين كان وجهه ينزف ومهشماً إلى قطع، رأى ترولس نظرة الترجي، وسمع الهمس المتوسل كإطار دراجة مثقوب... بلا معنى ولا فائدة.

كان قد وضع المسدس في أنف الرجل وأطلق النار ليرى ارتعاشه كما لو كان مشهداً في فيلم، ثم أدار السيارة حول الجرف وانطلق بها. وفي منتصف الطريق، مسح الهراوة ورماها في الغابة؛ إذ إن لديه الكثير غيرها في خزانة غرفة نومه... أسلحة... منظار للرؤية الليلية... ستر واقية من الرصاص... وحتى بندقية ماركلين كانوا يظنون أنها لا تزال في غرفة الأدلة.

قاد ترولس سيارته عبر الأنفاق إلى قلب أوسلو. كان السياسيون

اليمينيون يدعون الأنفاق المحفورة حديثاً بشرايين العاصمة الحيوية، بينما رد ممثل عن هيئة البيئة بتسميتها أمعاء المدينة؛ فعلى الرغم من أنها حيوية وهامة لكنها تحوي الكثير من القذارة.

حوَّل طريقه عبر الطرق والمنعطفات التي تحمل لافتات على طريقة أوسلو التقليدية، لذا عليك أن تكون من السكان المحليين لئلا تقع ضحية لدعابات وزارة النقل. وصل إلى شرق أوسلو... إلى الجزء الخاص به من البلدة. كانوا على المذياع لا يزالون يثرثرون، بينما طغى صوت طقطقة على أحد الأصوات... المترو... الحمقى... أيظنون أنه لن يتمكن من فك رموز شيفرتهم الطفولية؟ إنهم في بيرغسليا خارج المنزل الأصفر.

استلقى هاري على ظهره وهو يشاهد دخان السيجارة يتصاعد ببطء إلى سقف غرفة النوم ويتشكل إلى وجوه وأشكال... كان يعرف لمن هذه الوجوه، ويمكنه مناداة أصحابها بأسمائهم واحداً تلو الآخر... إنهم رجال الشرطة المتوفون. نفخ عليهم حتى تلاشوا، فقد كان قد اتخذ قراره... لم يكن يعلم متى اتخذ هذا القرار، لكنه يعلم فقط أنه سيتغير... كل شيء سيتغير.

حاول إقناع نفسه أن هذه ليست مخاطرة، وأنه يبالغ، لكنه كان مدمناً على الشراب لعدة سنوات... وبعد أن يقول ما سيقوله الآن سيتغير كل شيء في علاقته مع المرأة المستلقية بجواره... إنه يمقت ذلك... لاك بعض الكلمات بلسانه... إما الآن وإما أن ينسى الأمر نهائياً.

أخذ نفساً عميقاً لكنها تدخلت.

تمتمت راكيل وهي تستكين إليه:

- أيمكنني أن أسحب نفساً؟

كانت بشرتها متوهجة ومثيرة ودافئة.

ناولها سيجارة الجمل، وشاهدها وهي تمسكها بتلك الطريقة المرتبكة بينما تتحرك وجنتاها وهي تحدق بالسيجارة كما لو كان الأكثر أماناً إبقاء عينها عليها... نظر إلى كل ما لديه.

كل ما لديه ليخسره.

سألها:

- هل أقلك إلى المطار غداً؟

- لست مضطراً لذلك.

- أعرف، لكن محاضراتي غداً في وقت متأخر.

- إذاً، يمكنك أن تقلني.
وقبلته من وجنته.
- بشرطين.
استدارت راكيل على جانبها، ونظرت إليه نظرة مازحة.
- الشرط الأول أن لا تتوقفي عن التدخين كمراهقة في حفلة.
ضحكت ضحكة مكبوتة وردت:
- سأحاول... والشرط الثاني؟
بلع هاري وهو يعرف أنه سينظر إلى هذه اللحظة كآخر لحظات حياته السعيدة.
- أتوقع...
- أو تبأ...
- أفكر في الإخلال بوعد قطعته أولاً لنفسي، لكنني أخشى أنه سيؤثر فيك أيضاً.
أحس بنفسها يتغير في الظلام... يقصر... يتسارع... الخوف.

تثاءبت كاترين ونظرت إلى ساعة يدها... إلى عقرب الثواني المضيء. لم يكن أي من المحققين الذين عملوا على القضية الأصلية قد أبلغوا عن تلقيهم مكالمة هاتفية.

كان ينبغي بها الإحساس بالتوتر يتزايد مع اقتراب الموعد النهائي، لكن ما حصل هو العكس، فقد بدأت بالتخفيف من خيبة أملها بإجبار نفسها على التفكير بإيجابية... بحمام الماء الساخن الذي ستنعم به حين تعود إلى شقتها... بالسرير... بالقهوة في الصباح الباكر... غداً يوم جديد باحتمالات جديدة... هناك دائماً ما هو جديد... ينبغي ذلك.

كان بإمكانها رؤية أنوار السيارات على الطريق رينغ 3 : الحياة في أوسلو ماضية بطريقها بشكل غير مفهوم، والظلام يشتد بعد أن أسدلت الغيوم ستارة أمام القمر. كانت على وشك الالتفاف حين تجمدت... صوت... طقطقة... غصن شجرة... هنا.

حبست أنفاسها وأنصتت، فالموقع الذي كانت متمركزة فيه كان محاطاً بأشجار وشجيرات كثيفة، ومخفياً عن أي من الطرق التي قد يقصدها، لكن لم تكن هناك أي أغصان على الطريق.

طقطقة أخرى أقرب هذه المرة... فتحت كاترين فمها كما لو أن الدم الذي يجري في عروقها بحاجة لمزيد من الأوكسجين.

بحثت كاترين عن جهاز الإرسال لكنها لم تصل إليه.

لا بد أنه يتحرك بسرعة البرق، لكن الأنفاس التي أحست بها على رقبتها كانت هادئة، والصوت الهامس بجوار أذنها متزن ومبتهج.

- ماذا يحصل؟

التفتت إليه كاترين وأطلقت أنفاسها المكبوتة:

- لا شيء.

تناول مايكل بيلمان منظارها وتفحص المنزل في الأسفل.

- تتموضع فرقة دلتا في موقعين ضمن خط السكك الحديدية هناك... أليس كذلك؟

- نعم... كيف...؟

- معي خريطة عن انتشار العناصر، وهكذا تمكنت من العثور على موقع المراقبة هذا... إنه مخفي جيداً. لم أر من قبل بعوضاً في مارس.

ردت كاترين:

- برغش.

رد مايكل الذي كان لا يزال واضعاً المنظار على عينيه:

- مخطئة.

- حسناً... كلانا مصيبان؛ فالبرغش مثل البعوض لكنه أصغر بقليل.

- أنت مخطئة في أنه...

- بعضها صغير للغاية لدرجة أنها لا تمص الدم من البشر وإنما من الحشرات الأخرى.

كانت كاترين تعلم أنها تثرثر بسبب التوتر؛ من دون أن تعرف سبب توترها... ربما لأنه رئيس الشرطة.

أكملت:

- بالطبع، ليس لدى الحشرات...

- ... لا شيء يحدث. هناك سيارة قد توقفت بجوار المنزل وترجل منها شخص واقترب من المنزل.

- وإذا قام البرغش... ماذا تقول؟

انتزعت المنظار منه... سواء أكان رئيس الشرطة أو لا، فهذا موقعها، وهو محق. ففي نور مصباح الشارع رأت شخصاً يسير عبر البوابة ويتوجه إلى الباب الأمامي مرتدياً اللون الأحمر، ويحمل شيئاً لم تميزه. أحست كاترين بفمها يجف... إنه هو... إنها تحصل... إنها تحصل الآن... أمسكت بهاتفها المحمول.

قال هاري:

- وأنا لا أخلف بوعودي بسهولة.

وحدق بالسيجارة التي ناولته إياها وهو يتمنى أن يكون قد تبقى فيها على الأقل سحبة كبيرة؛ إذ إنه بأمس الحاجة لها.

- وأي وعد هو؟

كان صوت راكيل ضئيلاً ويائساً ووحيداً.

- إنه وعد قطعته على نفسي...

وضغط بشفتيه على الفلتر، وسحب نفساً ثم تذوق الدخان... نهاية السيجارة التي تحمل نكهة مختلفة بالكامل عن بدايتها.

- ... أن لا أطلب منك قط أن تتزوجيني.

وفي الصمت الذي تلا ذلك تمكن من سماع الرياح التي تهب بين الأشجار الموسمية كجمهور متحمس ومتفاجئ وهامس.

ثم جاء ردها كرسالة قصيرة من جهاز إرسال لاسلكي.

- كرر.

سعل هاري:

- هل تقبلين بالزواج بي يا راكيل؟

ابتعدت الرياح، ولم يعد يسمع سوى الصمت والهدوء والليل... ووسط كل ذلك هاري وراكيل.

ابتعدت عنه:

- أتهزأ بي؟

أغمض هاري عينيه، وأحس أنه في سقوط حر:

- أنا لا أمزح.

- أمتأكد؟

- ولِمَ أمزح؟ أتريدين أن تكون هذه مزحة؟

- أولاً يا هاري... أنت سيئ جداً في المزاح.

- أوافقك الرأي.

- ثانياً... هناك أوليغ، وينبغي أن أفكر في وضعه. هل فكرت به أنت أيضاً؟

- حين أفكر في زواجنا فأنا أشعر أن أوليغ ميزة رائعة.

- ثالثاً... حتى لو وافقت على الزواج فستكون هناك الكثير من التبعات القانونية... منزلي...

- كنت أفكر بفصل ممتلكاتنا عن بعضنا. وتأكدي من أنني سأقدم لك ثروتي على طبق من فضة. لا يمكنني أن أعدك بالكثير، لكنني أعدك بأن يكون طلاقنا هو الأقل تكلفة في العالم.

ضحكت:

- لكننا سعيدان بوضعنا الحالي... أليس كذلك يا هاري؟

- نعم... لدينا كل شيء لنخسره... ورابعاً؟

- رابعاً... الناس لا يطلبون يد حبيبتهم بهذا الشكل في السرير وهم يدخنون سيجارة.

- حسناً، إن كنت تريدينني أن أجثو على ركبتي فعلي ارتداء سروالي أولاً.

- نعم.

- نعم، أي تريدين أن أرتدي سروالي؟ أو نعم...؟

- نعم أيها الأحمق! أريد الزواج منك.

كانت ردة فعل هاري تلقائية كشرطي، حيث التفت جانباً، وتحقق من ساعة يده، وشاهد الوقت 23 : 11 . الوقت المحدد لوصولهم إلى مسرح الجريمة، ووقت الاعتقال، ووقت إطلاق الرصاصة.

سمع راكيل تتمتم:

- يا إلهي... ما الذي أقوله؟

- تنتهي فترة الخروج من الصدمة خلال خمس ثوانٍ.

واستدار إليها هاري حيث أصبح وجهه بالقرب من وجهها لدرجة أنه لم ير سوى شعاع ضبابي في عينيها الواسعتين.

- انتهى الوقت... وماذا تعني هذه الابتسامة؟

لكن هاري أحس بها بنفسه... الابتسامة التي استمرت بالاتساع على وجهه كبيضة مكسورة حديثاً في المقلاة.

كانت بتي مستلقية وواضعة ساقيها على ذراعي الأريكة وهي تشاهد غابرييل بيرن يتلوى على السرير... كانت تعلم أن السبب هو الأهداب واللكنة الإيرلندية... أهداب مايكل بيلمان. لم تكن لدى الرجل الذي تواعده أي من هذه الأشياء، لكنها لم تكن مشكلتها، فقد كان هناك شيء غريب فيه. بالنسبة للمبتدئين هناك القوة، إذ إنه لم يفهم لماذا لا يمكنه زيارتها إن كانت بمفردها هذا المساء، كما أن هناك خلفيته؛ فقد أخبرها بأشياء اكتشفت تدريجياً أنها لا يمكن أن تكون صحيحة.

ربما لم يكن ذلك غير مألوف؛ إذ إنه يريد تشكيل انطباع جيد فيتجاوز بعض الحدود.

ومن ناحية أخرى، قد يكون هناك شيء خاطئ بها، فقد حاولت البحث عنه على الإنترنت من دون أن تجد شيئاً، لذا بحثت عن غابرييل بيرن، وبينما هي تقرأ باهتمام أنه كان يعمل على تركيب عيون لألعاب الدببة وجدت ما كانت تبحث عنه... الزوجة: إلين باركين (1988 - 1999). للحظة ظنت أن غابرييل كان أرملاً مثلها حتى أدركت أن من توفي هو الزواج وليس الزوجة، وهكذا فلا بد أن غابرييل كان وحيداً لفترة أطول منها بكثير، أو أن ويكيبيديا لا تحدث معلوماتها.

على الشاشة، كانت المريضة تغازل لكن غابرييل لم ينخدع، وإنما ابتسم لها باقتضاب، وثبت عينيه اللطيفتين عليها، وقال شيئاً سخيفاً جعله يبدو كقصيدة ليبتس.

ومض ضوء على الطاولة فتوقف قلبها.

هاتفها المحمول... إنه يرن... قد يكون هو... فالنتين.

رفعت الهاتف ونظرت إلى المتصل وتنهدت.

- نعم يا كاترين؟

- إنه هنا.

علمت بتي من حماسة زميلتها أنها صادقة... لقد حصلوا على الطعم.

- أخبريني...

- إنه يقف على عتبة الباب.

عتبة الباب! هذا يعني أكثر من طعم... إنها سمكة للعشاء... يا إلهي... المنزل بكامله محاصر.

- إنه يقف هناك متردداً.

سمعت النشاط على جهاز الإرسال... أمسكوا به الآن... أمسكوا به الآن. ردت كاترين على دعواتها... لقد تم إصدار الأوامر بالتحرك.

سمعت بتي صوتاً آخر يقول شيئاً... صوتاً مألوفاً لكنها لم تتعرف عليه.

قالت كاترين:

- إنهم يقتحمون المنزل الآن.

- التفاصيل لو سمحت.

- دلتا باللباس الأسود... يا إلهي... ليتك ترين الطريقة التي يركضون بها...

- خففي من المظاهر وأعطيني الفحوى.

- أربعة رجال يركضون عبر الطريق ويعمونه بالنور، أما الآخرون فمتخفون بانتظار أن يتأكدوا من أنه ليس وراءه أي دعم. لقد ألقى بما يحمله...

- أمعه سلاح؟

رنين حاد... تنهدت بتي... جرس الباب.

- ليس لديه وقت، فقد أمسكوا به وطرحوه أرضاً.

- نعم!

- إنهم يفتشونه ويمسكون بشيء.

- أهو سلاح؟

جرس الباب مجدداً... بقوة وإصرار.

- يبدو كجهاز تحكم عن بعد.

- أوه! أهناك قنبلة؟

- لا أدري، لكنهم أمسكوا به ويشيرون إلى أن الوضع تحت السيطرة... انتظري...

- علي أن أفتح الباب... سأتصل بك مجدداً.

قفزت بتي عن الأريكة وتوجهت إلى الباب وهي تتساءل كيف ستشرح له أن هذا غير مقبول، وأنها حين تقول إنها تريد أن تبقى وحدها فهي تعني ما تقوله.

وحين فتحت الباب فكرت كم تغيرت... من الفتاة الهادئة الخجولة المضحية التي تخرجت من كلية الشرطة نفسها التي درس فيها والدها إلى المرأة التي لا تعرف ما تريده فحسب وإنما تفعل ما يتطلبه الأمر لتحقيق ما تريده. كان الطريق طويلاً وشاقاً، لكن المكافأة تستحق كل خطوة قامت بها.

نظرت إلى الرجل مقابلها ليرتد الضوء المنعكس عن وجهه على شبكيتَي عينيها ويتحول إلى إشارات مرئية تصل إلى تلافيف دماغها وتزودها بالبيانات.

وسمعت وراءها صوت غابرييل بيرن المطمئن الذي ظنت أنه يقول: لا تجزعي الآن!

وحينها تعرف دماغها على الوجه أمامها.

أحس هاري بالنشوة تقترب... نشوته... الألم الحلو بينما تتشنج

العضلات في ظهره وبطنه. أغلق الباب على ما يمكن أن يراه، وفتح عينيه ونظر إلى راكيل التي كانت تحدق به بعينين متلألئتين. كانت الأوعية الدموية على جبهتها ناتئة، بينما ارتعش جسدها. كانت تبدو وكأنها تحاول قول شيء ما، وأدرك أنها ليست نظرتها المعتادة، وإنما هي شيء آخر... فالذعر يبدو في عينيها، وهو لا يذكر أنه رآه إلا مرة واحدة... هنا في هذه الغرفة، وأدرك أنها وضعت يديها على معصميه محاولة سحب يديه عن رقبتها.

انتظر من دون أن يدري السبب، لكنه لم يخفف من قبضته، وأحس بالمقاومة في جسدها، ورأى عينيها تبرزان ثم تركها.

وسمع شهيقها وهي تسحب نفساً.

- هاري...

كان صوتها أجشّ ومختلفاً.

- ماذا كنت تفعل؟

نظر إليها، ولم يكن لديه جواب.

سعلت:

- لا ينبغي أن تضغط لفترة طويلة!

- آسف... لقد تجاوزت الحدود.

ثم أحس بالشعور يأتي... ليس النشوة وإنما هو شيء مشابه... ألم في صدره يرتفع إلى حنجرته وينتشر إلى ما وراء عينيه.

استلقى بجوارها ودفن وجهه في الوسادة وأحس بالدموع تأتي، فالتفت جانباً بعيداً عنها، وأخذ نفساً عميقاً وقاوم الدموع... ما الذي يحصل معه بحق الله؟

- هاري؟

لم يجب... لم يستطع.

- هل من خطب يا هاري؟

هز رأسه نافياً وقال:

- مجرد تعب.

أحس بيدها على رقبته وهي تربت عليها بلطف، ثم وضعتها على صدره.

وفكر في ما كان يعرف دائماً أنه سيفكر به في لحظة ما: كيف يمكنه الطلب من شخص يحبه لهذه الدرجة أن يشارك حياته مع شخص مثله.

استلقت كاترين فاتحة فمها، ومنصتة للمحادثات الغاضبة على جهاز الإرسال اللاسلكي، بينما وقف مايكل بيلمان وراءها وهو يشتم. لم يكن الرجل على الدرج يحمل بيده جهاز تحكم عن بعد.

قال صوت متقطع الأنفاس:

- إنها فاتورة.

- وماذا في حقيبته؟

- بيتزا.

- كرر؟

- يبدو أن الشاب عامل توصيل لعين، فهو يقول إنه يعمل في محل بيتزا إكسبريسن وقد تلقى طلباً لهذا العنوان منذ ثلاثة أرباع الساعة.

- حسناً... سنتحقق من الأمر.

انحنى مايكل بيلمان للأمام وأخذ جهاز الإرسال اللاسلكي.

- بيلمان هنا. لقد أرسل القاتل هذا الشاب ليخلي الجو؛ مما يعني أنه في المنطقة، ويمكنه رؤية ما يحصل. أمعنا أية كلاب؟

صمت... صوت طقطقة.

- يو 5 هنا. ما من كلاب. يمكننا إحضارها خلال خمس عشرة دقيقة.

شتم بيلمان مجدداً، ثم ضغط على زر التحدث.

- أحضروها إلى هنا مع طائرة مروحية بأنوار كاشفة وتصوير حراري.

- حسناً. طلبنا الطائرة المروحية، لكنني لا أظن أن فيها تصويراً حرارياً.

أغمض بيلمان عينيه وهمس:

- معتوه.

ثم أجاب:

- بلى، هي مزودة به. إن كان في الغابة فسنجده. استخدموا الفريق بكامله لنشر شبكة شمال الغابة وغربها، لأنه في حال حاول الهروب فسيكون من ذاك الطريق. ما رقم هاتفك المحمول يا يو 5 ؟ ترك بيلمان زر التحدث، وأشار إلى كاترين التي كانت تمسك الهاتف مستعدة وتضغط على الأزرار بينما قالها يو 5 ، ثم ناولت الهاتف لبيلمان.

- يو 5 ؟ فالكيد؟ اسمعني... إننا نفقده، وليس لدينا عناصر كافية للقيام ببحث شامل في الغابة، لذا دعنا نقوم بمحاولة أخيرة. كما أنه يشك في أننا هنا. قد تكون لديه أيضاً قدرة على اختراق تردداتنا اللاسلكية.

صحيح أنه ليس لدينا تصوير حراري، لكنه إن صدق أنه لدينا وأننا ننشر شبكة للغرب والشمال فـ...

أنصت بيلمان.

- تماماً. تمركز مع رجالك في الجانب الشرقي، لكن اترك اثنين في مكانهما في حال جاء إلى المنزل للتحقق.

قطع بيلمان الاتصال وناول كاترين الهاتف.

سألته كاترين:

- ماذا تظن؟

انطفأت الشاشة، وبدا كما لو أن الضوء من الخطوط البيضاء على وجهه ينبض في الظلام.

- أظن أنه تم التلاعب بنا.

26

غادرا أوسلو في الساعة السابعة.

كانت حركة المرور ثابتة وهادئة كما في سيارتهما، حيث كانا صامتين ولا يتكلمان سوى للضرورة.

وفي الطريق عبر كبائن جمع الضرائب تساقط رذاذ المطر الخفيف، حيث بدا كما لو أن مساحتَي الزجاج تمتصانه لا تمسحانه.

أشعل هاري المذياع واستمع لنشرة أخبار أخرى، لكنها لم تكن هناك أيضاً... المادة التي كان من المفترض أن تكون موجودة في كل موقع إلكتروني ومحطة هذا الصباح... الاعتقال في بيرغ... خبر اعتقال مشتبه به في جرائم قتل رجال الشرطة. وبعد الأخبار الرياضية التي كانت عن مباراة النروج مع ألبانيا، صدح صوت بافاروتي وبعض نجوم البوب بأغنية مشتركة فأسرع هاري بإطفاء المذياع.

وعبر التلال المؤدية إلى كاريهوغن وضعت راكيل يدها على يد هاري الموضوعة على عصا التعشيق كالمعتاد. انتظرها هاري لتقول شيئاً.

بعد قليل سيفترقان لأسبوع كامل، لكن راكيل لم تقل شيئاً بعد عن طلبه الزواج منها في الليلة الماضية. ألديها شكوك؟ هي لا تقول عادة أشياء ليست مقتنعة بها. وعند المنعطف إلى لورينسكوغ خطر بباله أنها ربما تظن أن لديه شكوكاً، وأنهما إن تصرفا كما لو أن شيئاً لم يحصل وأغرقاه في بحر من الصمت فإنه سيكون كما لو أنه لم يحصل. وفي أسوأ الأحوال، سيتذكرانه كحلم عبثي... تباً... قد يكون مجرد حلم راوده. في هذه الأيام الضبابية أصبح يتكلم مع الناس عن أشياء يكون مقتنعاً بأنها حصلت ليتلقى نظرات حائرة.

وعند المنعطف إلى ليلستروم كسر حاجز الصمت:

- ماذا عن يونيو؟ الواحد والعشرون يصادف يوم السبت.

نظر إليها، لكنها كانت تنظر إلى الحقول الشاسعة... الصمت... تباً... إنها نادمة... إنها...

- يونيو ممتاز، لكنني متأكدة من أن الواحد والعشرين يصادف يوم الجمعة.

كان بإمكانه سماع الابتسامة في صوتها.

- حفل كبير أم...

- أم أنا وأنت والشهود؟

- ماذا تظنين؟

- يمكنك أن تقرر. لكنني لا أريد أكثر من عشرة أشخاص كحد أقصى. ليس لدينا أطباق تكفي لعدد أكثر. وفي حال تقاسمناهم أي خمسة لكل واحد منا، فيمكنك دعوة كل الأشخاص على قائمة جهات الاتصال في هاتفك.

ضحك... قد يكون ذلك جيداً.

قالت:

- وإن كنت تفكر بأوليغ كشاهد على الزواج فهو مشغول.

- حسناً.

ركن هاري السيارة أمام بوابة المغادرين، وقبل راكيل تاركاً صندوق السيارة مفتوحاً.

وفي طريق العودة، اتصل هاري بأويستن إيكلاند، صديقه وسائق التاكسي، وصديق الطفولة الوحيد الذي بدا صوته على الطرف الآخر منتشياً.

- شاهد! تباً يا هاري، لقد تأثرت... أنت تطلب مني... تباً.

- في الواحد والعشرين من يونيو... ألديك شيء في ذلك التاريخ؟

ضحك أويستن لتتحول الضحكة إلى سعال، ثم تحولت إلى صوت بقبقة زجاجة الشراب:

- إنني متأثر يا هاري لكن جوابي هو لا. ما تحتاج إليه هو شخص بإمكانه الوقوف منتصباً في دار العبادة، والحديث بنبرة واضحة عند تناول الطعام. أما ما أحتاج إليه أنا فامرأة جذابة تجلس إلى الطاولة، وشراب مجاني وانعدام المسؤولية. أعدك بارتداء بذلة أنيقة.

- كاذب.. لم ترتد بذلة قط يا أويستن.

- لهذا بذلاتي أنيقة، لأنها غير مستخدمة كثيراً كبذلات أصدقائك يا هاري. يمكنك الاتصال بي بين الفينة والأخرى.

- أفترض أنه بإمكاني ذلك.

أنهيا الاتصال، وقاد هاري السيارة متوجهاً ببطء في الزحام إلى مركز المدينة وهو يفكر في القائمة القصيرة للمرشحين الباقين ليقوموا بدور الشاهد على الزواج. اتصل برقم بتي لون فتلقى رسالة صوتية بعد خمس ثوانٍ وترك رسالة.

تحرك طابور السيارات كالسلحفاة.

اتصل برقم بيورن هولم.

- أهلاً يا هاري.

- هل بتي في العمل؟
- إنها في إجازة اليوم.
- بتي! إنها لا تأخذ أي إجازات. أتعاني من الزكام؟
- لا أدري. لقد أرسلت رسالة نصية لكاترين في الليلة الماضية. هل سمعت عن بيرغ؟

كذب هاري:

- أوه... لقد نسيت الأمر. ماذا حصل؟
- لم يضرب.
- تباً. سأحاول الاتصال بها في البيت.

أنهى هاري الاتصال واتصل بخطها الأرضي.

بعد أن ترك الهاتف يرن لدقيقتين من دون نجاح نظر إلى ساعة يده. هناك متسع من الوقت قبل محاضرته، وأوبسال في طريقه فانعطف إلى هيلسفير.

كانت بتي قد ورثت منزلها من أمها، وهو يذكر هاري بالمنزل في أوبسال حيث ترعرع... منزل حجري تقليدي منذ الخمسينيات من القرن العشرين، ويبدو كصندوق للطبقة المتوسطة، تمتلئ حديقته بأشجار التفاح.

وباستثناء سيارة جمع القمامة التي تعمل في الطريق متنقلة من حاوية لأخرى كان كل شيء هادئاً، فالجميع في العمل أو المدرسة أو الحضانة. ركن هاري السيارة وتوجه عبر البوابة مجتازاً دراجة طفل موصولة بقفل بالسور، وحاوية قمامة مليئة بالأكياس السوداء، وأرجوحة، ثم قفز على الدرج ليرى زوجاً من الأحذية الرياضية تعرف عليه على الفور، ورن الجرس تحت اللافتة الحجرية التي تحمل اسم بتي وابنها.

انتظر.

رن مجدداً.

في الطابق الأرضي، كانت هناك نافذة مفتوحة على ما افترض أنها واحدة من غرف النوم. ناداها باسمها لكنها لم تسمع ربما بسبب صوت الشاحنة المرتفع وهي تسحق القمامة وتضغطها وتقترب من البيت.

جرب الباب فوجده مفتوحاً، فدخل ونادى في الطابق الأول من دون أن يلقى ردًّا، ولم يعد يحتمل الاضطراب المخيم طوال الوقت.

لماذا لم تأت الأخبار؟

لماذا لم تجب على هاتفها المحمول؟

صعد الدرج وتوجه من غرفة لأخرى.

فارغة... مرتبة.

ركض نازلاً الدرج وتوجه إلى غرفة الجلوس، ووقف عند الباب وحدق. كان يعلم بالضبط لماذا لم يدخل مباشرة، لكنه لم يرغب بالتفكير بصوت مرتفع.

لم يرغب بإخبار نفسه أنه ينظر إلى مسرح جريمة محتمل.

كان هنا من قبل، لكن ما فاجأه أن الغرفة بدت خاوية الآن... ربما بسبب نور الصباح، أو لأن بتي ليست هنا. توقفت نظرته عند الطاولة... هاتف محمول.

سمع صوت أنفاسه وأحس بالراحة. لقد توجهت إلى المتجر وتركت هاتفها المحمول من دون أن تفكر حتى في إقفال الباب، أو ربما إلى الصيدلية لشراء حبوب الأسبرين أو شيء ما... نعم، هذا ما حصل. فكر هاري بالحذاء الرياضي على عتبة الباب. إذاً، تقتني المرأة أكثر من زوج من الأحذية، وإن انتظر بضع دقائق فستعود.

نقل هاري ثقله من قدم لأخرى، وبدت الأريكة مغرية لكنه لم يدخل. وقع نظره على الأرض، فوجد بقعة داكنة حول الطاولة إلى جانب التلفاز.

لا بد أنها تخلصت من السجادة.

مؤخراً.

أحس هاري ببشرته تحكه داخل قميصه كما لو كان يتقلب عارياً على العشب. جثم على الأرض وشم رائحة أمونيا منبعثة من الأرض الخشبية. ما لم يكن مخطئاً، الأمونيا لا تناسب الأرضيات الخشبية. وقف هاري ومشى عبر الردهة إلى المطبخ.

فارغ... مرتب.

فتح الخزانة الطويلة بجوار الثلاجة. كما لو أن المنازل المبنية في تلك الفترة تضم قواعد غير مكتوبة عن أماكن الاحتفاظ بكل شيء: الطعام والمعدات والوثائق الهامة، وفي هذه الحالة مواد التنظيف. في أسفل الخزانة، كان هناك دلو يحوي قطعة قماش مطوية بإتقان على حافته، وعلى الرف الأول هناك ثلاث قطع قماش لمسح الغبار، وعلبة مختومة، وأخرى مفتوحة من أكياس القمامة، وزجاجة من الصابون الأخضر، وعلبة ملمع للأرضيات... انحنى وقرأ اللصاقة.

للأرضيات الخشبية، لا تحوي الأمونيا.

نهض هاري ببطء، ووقف بهدوء منصتاً وهو يشم الهواء.

كان مرهقاً، لكنه حاول التغلب على الأمر، وتذكر كل ما رآه... الانطباع الأول. كان قد ركز في محاضراته مراراً وتكراراً كيف أن الانطباع الأول في مسرح الجريمة هو الأهم والأصح... جمع المعلومات بينما تكون حواسك متنبهة، وقبل أن تعميها الحقائق الجافة لفريق التحقيق.

أغمض هاري عينيه، وحاول سماع ما يخبره به المنزل، والتفاصيل التي تجاهلها والتي ستخبره بما يريد أن يعرفه.

لكن، إن كان المنزل يتكلم فصوته قد اختفى بضجيج سيارة القمامة خارج الباب الأمامي المفتوح، حيث سمع أصوات الرجال، والبوابة وهي تفتح، وضحكاً مبتهجاً كما لو أن شيئاً لم يحدث. ربما لا يكون شيء قد حدث، وقد تعود بتي حالاً وهي تضع وشاحها حول رقبتها وتبتهج بسعادة من المفاجأة، وقد تتفاجأ أكثر حين يسألها إن كانت ترغب في أن تكون شاهدة على زفافه من راكيل وتضحك وتحمر خجلاً كما تفعل دائماً كلما نظر إليها أحد. المرأة التي كانت تسجن نفسها في غرفة الفيديو في مقر الشرطة حيث تجلس لاثنتي عشرة ساعة لتتعرف بدقة شديدة على اللصوص المقنعين الذين تصورهم كاميرات المراقبة في المصارف، والتي أصبحت رئيسة كريمتكنيسك... رئيسة محبوبة.

بدت أفكاره كملاحظات لخطاب في جنازة.

كفى! إنها في طريقها إلى هنا! أخذ نفساً عميقاً وسمع البوابة تصفق وسيارة القمامة تبدأ بالعمل.

ثم خطرت بباله الفكرة... التفاصيل التي لا تتوافق.

حدق بالخزانة... علبة نصف مستعملة من أكياس القمامة البيضاء.

الأكياس في الحاوية في الخارج كانت سوداء.

ركض هاري عبر الردهة، وخرج من الباب نحو البوابة، وركض بأسرع ما يمكنه بينما كان قلبه يركض قبله.

- توقف!

نظر إليه أحد عمال النظافة الذي كان واقفاً وواضعاً إحدى ساقيه على مؤخر الشاحنة التي كانت قد بدأت بالتحرك نحو المنزل التالي، بينما صدر صوت الفكين الفولاذيين كما لو أنهما قادمان من داخل رأس هاري.

- أوقف التقطيع!

وقفز عبر البوابة ليسقط على الإسفلت بكلتا يديه، بينما استجاب له عامل النظافة على الفور، وضرب الزر الأحمر، وطرق على جانب الشاحنة التي توقفت مصدرة صوتاً مزمجراً.

ساد الهدوء.

وحدق عامل النظافة.

مشى هاري ببطء نحوه وهو ينظر إلى المكان نفسه... إلى الفكين الحديديين المفتوحين. كانت تفوح رائحة كريهة، لكنه لم ينتبه لها، إذ لم ير سوى أكياس القمامة شبه المحطمة التي يسيل منها سائل يلطخ المعدن باللون الأحمر.

همس عامل النظافة:

- إنه غير متزن عقلياً.

صرخ السائق الذي أخرج رأسه من السيارة:

- ما الأمر؟

- يبدو أن أحداً ما قد رمى بكلبه. أهو لك؟

لم يجب هاري، وإنما صعد إلى الشاحنة، إلى الفكين شبه المفتوحين.

- هيه! لا يمكنك فعل هذا! إنه خطر...

أبعد هاري يد الرجل، وانزلق على القمامة الحمراء ليضرب مرفقه ووجنته بالأرضية الفولاذية الزلقة ويلاحظ الطعم والرائحة المألوفين لدم مضى على وجوده يوم واحد، ثم كافح ليقف على ركبتيه ومزق كيساً فاتحاً إياه.

خرجت المحتويات وانزلقت على الأرضية المنحدرة.

صرخ عامل النظافة من ورائه:

- يا إلهي!

فتح هاري كيساً ثانياً وثالثاً.

وسمع عامل النظافة يقفز ويتقيأ على الإسفلت.

وفي الكيس الرابع، وجد هاري ما يبحث عنه... كان يمكن للأجزاء الأخرى من جسدها أن تكون لأي شخص، لكن ليس هذا... ليس الشعر الأشقر ولا الوجه الشاحب الذي لن يحمر خجلاً بعد الآن، ولا هاتان العينان اللتان تتعرفان على كل من رأتاه من قبل. كان الوجه مقطعاً لقطع، لكن لم يكن لدى هاري أدنى شك. وضع إصبعه على قرط الأذن المصاغ من زر بذلة.

كان الأمر مؤلماً للغاية... مؤلماً لدرجة لا توصف؛ لدرجة أنه لم يكن قادراً على التنفس، ولدرجة أنه تلوى كنحلة تموت.

وسمع صوتاً يصدر من بين شفتيه كما لو كان من رجل غريب... سمع صراخاً طويلاً تردد في الحي الهادئ.

27

تم دفن بتي لون في مقبرة غامليبين بجوار والدها الذي دفن هناك لأنها المقبرة الأكثر قرباً من مركز الشرطة.

عدل مايكل بيلمان ربطة عنقه وأمسك بيد أولا. كان مستشار العلاقات العامة هو من نصحه بأن تذهب معه، إذ إن وضعه كأعلى ضابط قد أصبح غير مستقر بعد آخر جريمة، مما يعني أنه بحاجة للمساعدة، وقد شرح له المستشار أنه من المهم بالنسبة له كرئيس للشرطة أن يظهر المزيد من الالتزام الشخصي والتعاطف ليبدو أكثر مهنية. كانت أولا تبدو رائعة الجمال بثياب الحداد التي اختارتها بعناية واهتمام، فقد كانت زوجة صالحة ولن ينسى لها هذا أبداً.

أكمل رجل الدين كلامه حول ما أسماه السؤال الأهم حول ما يحصل حين نموت. لكنه بالطبع لم يكن السؤال الأهم، فالسؤال الأهم هو ما حصل قبل أن تموت بتي، ومن الذي قتلها هي وثلاثة رجال شرطة خلال ستة أشهر؟

كان هذان السؤالان هما الأكثر أهمية بالنسبة للصحافة التي أمضت الأيام الأخيرة وهي تعبر عن إجلالها لرئيسة كريمتكنيسك المتألقة، ومنتقدة رئيس الشرطة الجديد وعديم الخبرة.

كان هذان السؤالان هما الأكثر أهمية لمجلس مدينة أوسلو، حيث استدعوه لاجتماع ليقدم تقريراً عن تعامله مع جرائم القتل، وألمحوا إلى أنهم لن يكونوا متساهلين.

كما كانت الأسئلة الأكثر أهمية لمجموعات التحقيق الكبيرة والصغيرة التي أنشأها هاغن من دون إخباره والتي تقبلها بيلمان الآن - إذ إنها وجدت أرضية صلبة لتعمل عليها - تتمحور حول فالنتين غجيرتسين. كانت نقطة ضعفها هي أن نظرية أن هذا الشبح قد يكون وراء جرائم القتل تستند إلى ادعاء شاهدة واحدة كانت حية لكنها الآن في تابوت بجوار المذبح.

وفي التقارير من فريق التحقيق الجنائي ومحققي الشرطة والأطباء الشرعيين، لم تكن هناك تفاصيل كافية لتعطي صورة كاملة عما حصل. لكن كل ما يعرفونه يتطابق مع التقارير القديمة لجريمة القتل في بيرغسليا.

إذاً، إن افترضت أن الباقي متطابق فإن بتي لون قد ماتت بأسوأ طريقة يمكن تخيلها؛ إذ لم يكن هناك أي أثر للتخدير في أي جزء قاموا

بفحصه من الجثة، كما يحوي تقرير الطبيب الشرعي عبارات مثل «نزيف داخلي حاد في العضلات والأنسجة تحت الجلد» و«رد فعل التهابي في الأنسجة» مما يعني أن بتي لون كانت حية؛ ليس فقط أثناء بتر الأجزاء من جسدها، وإنما لبعض الوقت بعد ذلك.

وتشير الأسطح الممزقة إلى أنه تم استخدام منشار أملس وليس منشاراً مسنناً لتقطيع الجسم، وخمن المحققون الجنائيون أنه تم استخدام شفرة مزدوجة، أي شفرة بطول أربعة عشر سنتيمتراً يمكنها قطع العظام. وقد قال بيورن هولم إن هذا النوع هو الذي يستخدمه الصيادون ويدعونه شفرة الأيائل.

ربما يكون قد قطع بتي لون على الطاولة بما أنها مصنوعة من الزجاج ويمكن تنظيفها بالكامل في ما بعد، وقد يكون القاتل قد أحضر معه الأمونيا وأكياس القمامة السوداء بما أنهم لم يعثروا على أي منها في مسرح الجريمة.

كما وجدوا في حاوية القمامة بقايا سجادة مبللة بالدم.

لكنهم لم يجدوا أي بصمات أصابع أو آثار أقدام أو أنسجة أو شعر أو أي مادة تحمل الحمض النووي ولا تعود لأصحاب المنزل.

أو أي دلائل على الاقتحام.

وقد شرحت كاترين برات أن بتي لون كانت قد أنهت المكالمة الهاتفية لأن جرس الباب قد رن.

ويبدو من غير المحتمل أن بتي لون ستسمح لشخص غريب بالدخول طواعية؛ وخاصة في منتصف عملية، مما يعني أن القاتل قد دخل عنوة تحت تهديد السلاح.

كما أن هناك نظرية ثانية، وهي أنه ليس غريباً؛ لأن هناك سلسلة على الباب السميك، وهناك الكثير من علامات الخدوش التي تعني أنها تستخدمها دائماً.

نظر بيلمان إلى الحاضرين... غونار هاغن، وبيورن هولم، وكاترين برات، وسيدة كبيرة مع صبي صغير افترض أنه ابن لون؛ إذ إن الشبه بينهما كبير.

وشبح آخر... هاري هول وراكيل فوك السمراء ذات العينين الداكنتين الجميلتين كعيني أولا... من غير المنطقي أن يتمكن رجل كهاري من وضع يده على امرأة مثلها.

وفي الخلف وقفت إيزابيل سكوين، إذ ينبغي أن يكون هناك من

يمثل مجلس مدينة أوسلو بالطبع لأن وسائل الإعلام ستتكلم عن ذلك. وقبل أن يدخلوا دار العبادة أخذته جانباً متجاهلة أن أولا كانت هناك، وسألته إلى متى ينوي تجاهل مكالماتها الهاتفية، فكرر لها أن الأمر قد انتهى، فنظرت إليه كما تنظر إلى حشرة قبل أن تدوسها، وقالت إنها هي التي تهجره وليس هو من يهجرها، وإنه سيكتشف ذلك عما قريب، وأحس بنظراتها على ظهره بينما كان يمشي نحو أولا ويقدم لها ذراعه.

عدا عن ذلك، كان الحاضرون مجموعة من الأقارب والأصدقاء والزملاء الذين يرتدون بذلات، وقد سمعهم يعزون بعضهم: لم تكن هناك أي علامات على التعذيب، كما أن فقدان الدم يعني أنها ربما كانت فاقدة للوعي.

ولجزء من الثانية، التقت عيناه عيني شخص آخر وابتعدتا كما لو أنه لم يره؛ ترولس بيرنتسين. ما الذي يفعله هنا؟ لم يكن على قائمة الأشخاص الذين ترسل لهم بتي لون بطاقات بمناسبة الكريسمس. ضغطت أولا على يده بخفة، ونظرت إليه بتساؤل فرد عليها بابتسامة سريعة... عند الموت نحن كلنا زملاء.

كانت كاترين مخطئة، إذ إن دموعها لم تنفد.

كانت قد ظنت عدة مرات منذ أن تم العثور على بتي أن الدموع قد جفت من عينيها، لكنها لم تجف، وقد اعتصرتها من جسد مرهق من نوبات طويلة من البكاء.

كانت قد بكت حتى تشنج جسدها وتقيأت، وبكت حتى غطت في النوم من الإرهاق الشديد، وبكت منذ لحظة استيقاظها، وهي الآن تبكي مجدداً.

وخلال الساعات التي نامتها لاحقتها الكوابيس، حيث كانت مستعدة للتضحية بزميل مقابل القبض على فالنتين، وحين كانت تهمس: مرة أخرى أيها الوغد... اضرب مرة أخرى.

وبكت كاترين بصوت مرتفع.

أيقظ البكاء المرتفع ترولس بيرنتسين الذي كان قد غط في النوم بالبذلة الرخيصة التي بدت مهلهلة على كرسي دار العبادة المهترئ الذي كان على وشك السقوط من عليه.

ثبت عينيه على المذبح، بينما سقطت أشعة الشمس على رأسه...

مصباح رأسي... فكّر ترولس في الأمور التي ارتكبها، وتساءل إن كانت ذنوبه تغتفر، ولكنه شكّ في ذلك.

كان هاري يحدق للأمام وهو يفكر بمكان آخر... بمكتب بتي حيث كانا يجلسان ويتناقشان، ولم ينتبه حتى سمع همس راكيل.

- عليك مساعدة غونار والآخرين يا هاري.

انكمش ونظر إليها بدهشة.

أومأت إلى المذبح حيث كان الآخرون قد أخذوا أماكنهم بجوار التابوت: غونار هاغن وبيورن هولم وكاترين برات وشتال أون وشقيق جاك هالفورسن. قال هاغن إن على هاري حمل التابوت إلى جانب حميها الذي كان ثاني أطول الموجودين.

نهض هاري ومشى عبر الممر.

عليك مساعدة غونار والآخرين.

كان الأمر كصدى لما قالته الليلة الماضية.

تبادل هاري إيماءات خفية مع الآخرين ووقف في المكان الفارغ.

قال هاغن بهدوء:

- عندما أصل إلى الرقم ثلاثة.

وعلت أصوات الموسيقى.

فحملوا تابوت بتي لون للخارج إلى النور.

كان جاستيسن مزدحماً بأناس من الجنازة.

وعبر مكبرات الصوت، صدحت أغنية كان هاري قد سمعها هناك من قبل: «حاربت القانون» يؤديها بوبي فولر فور مع التتمة المتفائلة... «وانتصر القانون».

كان قد رافق راكيل إلى قطار المطار، وفي تلك الأثناء كان العديد من زملائه قد احتسوا الشراب إلى درجة الثمالة. وكشخص صاحٍ ومتزن، تمكن هاري من ملاحظة الشرب الجنوني؛ كما لو كانوا في سفينة غارقة حيث كانوا يغنون أن القانون قد انتصر.

أشار هاري إلى الطاولة التي تجلس إليها كاترين برات وحاملو التابوت الآخرون أنه سيعود حالاً، وتوجه إلى دورة المياه وبدأ بالتبول حين ظهر رجل بجواره.

- ما الذي تفعله هنا بالله عليك؟

رد هاري من دون أن ينظر إليه:
- أتبول. وأنت؟ أتحرق؟
- لا تجرب ذلك معي يا هاري.
- لو جربت ذلك لما كنت تمشي الآن كرجل طليق يا بيرنتسين.
تمتم بيرنتسين:
- اهتم بشؤونك الخاصة، إذ يمكنني إلصاق جريمة قتل بك وأنت تعلم ذلك... الروسي في «كام آز يو آر». الجميع في الشرطة يعلمون أنك أنت، لكنني الوحيد القادر على إثبات ذلك، ولهذا لا تجرؤ على التورط معي.
- ما أعرفه يا بيرنتسين هو أن الروسي كان تاجر مخدرات حاول التخلص مني. لكن، إن كنت تظن أن فرصك أفضل فبإمكانك أن تجرب؛ فقد ضربت رجال شرطة من قبل.
- ماذا؟
- أنت وبيلمان. ضربتما الشرطي، أليس كذلك؟
واستطاع هاري سماع صوت تبول بيرنتسين يتوقف.
- هل أنت ثمل مجدداً يا هول؟
قال هاري وهو يرفع سرواله:
- ممم... لا بد أن هذا موسم كارهي رجال الشرطة.
وتوجه إلى المغسلة، ورأى في المرآة أن بيرنتسين لم يكمل تبوله، فغسل هاري يديه وجففهما، ثم توجه إلى الباب حيث سمع بيرنتسين يهمس:
- لا تجرب شيئاً... إنني أحذرك بأنك إن فضحتني فسأفضحك.
عاد هاري إلى الصالة حيث كان بوبي فولر قد أنهى غناءه؛ مما جعل هاري يفكر بشيء: كم أن حياتنا مليئة بالمصادفات؛ إذ تم العثور على بوبي فولر ميتاً في سيارته عام 1966 غارقاً بالوقود، ويظن البعض أن رجال الشرطة هم الذين قتلوه. كان آنذاك بعمر الثالثة والعشرين؛ أي بعمر رينيه كالسنس.
وبدأت أغنية جديدة... سوبرغاز وكوت باي ذا فاز. ابتسم هاري، إذ إن غاز كومبس يغني عن كونه تم القبض عليه من قبل رجال الشرطة الذين يريدونه أن يفشي لهم سراً، وبعد عشرين عاماً يستمع رجال الشرطة للأغنية إجلالاً لأنفسهم... آسف يا غاز.
نظر هاري في أرجاء الغرفة، وفكر بالمحادثة المطولة بينه وبين راكيل

في اليوم السابق حول كل الأشياء التي بإمكان المرء تجنبها والتهرب والتملص منها في الحياة، وما لا يمكنك الهرب منه؛ لأنه الحياة... أي معنى الوجود. أما ما تبقى أي الحب والسلام والسعادة فهي توابع ثانوية. كانت هي من تكلم غالباً، حيث شرحت له أن عليه القيام بذلك؛ فظلال موت بتي كانت طويلة جداً لدرجة أنها غطت اليوم الموعود من يونيو. لكن الشمس قد تشرق... عليه القيام بذلك لأجلهما كليهما ولأجلهم كلهم.

شق هاري طريقه إلى طاولة حاملي التابوت.

نهض هاغن وسحب الكرسي المحجوز له وقال:

- إذاً؟

رد هاري:

- أنا مشترك معكم.

وقف ترولس إلى جانب المبولة شبه مشلول من جراء ما قاله هاري للتو: لا بد أن هذا موسم كارهي رجال الشرطة. أيعرف شيئاً ما؟ هراء! هاري لا يعرف شيئاً. إذ كيف يمكنه ذلك؟ ولو كان يعرف لما ثرثر بذلك كتحذير. لكنه يعرف عن الشرطي في كريبوس الذي ضرباه... لكن، كيف عرف بذلك؟

كان الشاب قد أساء إلى مايكل في دورة المياه، فخشي مايكل من أن يكون أحد ما قد رآه، فوضعا قلنسوة على رأسه في غرفة التدفئة، وضربه ترولس بينما اكتفى مايكل بالمراقبة كالمعتاد، ولم يتدخل حتى كاد ترولس يتجاوز الحدود وطلب منه التوقف... لكنه كان قد تجاوز الحدود، إذ بقي الرجل ممدداً على الأرض حين غادرا.

كان مايكل خائفاً، فالشاب قد تأذى للغاية، وقد يفكر بالإبلاغ عنهما. لذا، قام ترولس بأول عمل له كحارق، حيث استخدما الأضواء الزرقاء ليصلا بسرعة إلى جاستيسن وشقا طريقهما عبر الطابور في المقهى، وطلبا دفع ثمن الشراب الذي تناولاه قبل نصف ساعة. هز الساقي رأسه، وقال إنه من الجيد أن هناك أناساً صالحين، وأعطاه ترولس بقشيشاً سخياً ليضمن أن يتذكرهما الشاب، وتناول الفاتورة التي تعرض وقت الشراء وتاريخه، ثم قاد السيارة مع مايكل إلى كريمتكنيسك حيث كان هناك مبتدئ يعرف ترولس أنه يريد العمل كمحقق، وشرح له أنه من المحتمل أن يقوم أحد ما بإلصاق تهمة هجوم عليهما، وأن عليه التحقق من براءتهما، فقام المبتدئ بإجراء فحص سريع وسطحي لملابسهما، ولم يجد أي آثار للدم أو الحمض

النووي. ثم أوصل ترولس مايكل إلى منزله وعاد إلى غرفة التدفئة في كريبوس، لكنه لم يجد الوغد، إلا أنه كان هناك خط من الدماء يشير إلى أنه تمكن من الزحف للخارج. لذا قد لا تكون هناك أي مشكلة، إلا أن ترولس قام بإزالة أي دليل محتمل، ثم قاد السيارة إلى مبنى هافنيلاغر ورمى الهراوة في البحر.

وفي اليوم التالي، اتصل زميل بمايكل وأخبره أن الشاب قد اتصل به من المشفى وأخبره أنه سيبلغ عنهما، لذا توجه ترولس إلى المشفى، وانتظر حتى أنهى الطبيب عمله، ثم أخبر الشاب أنه ما من دليل، كما أن مهنته ستنتهي في حال نطق بحرف في العمل.

ولم يسمعا أو يريا شيئاً بعد ذلك من الشاب في كريبوس بفضله هو... ترولس بيرنتسين. تباً لمايكل بيلمان، فقد أنقذ ترولس الوغد؛ على الأقل حتى الآن. حالياً يعلم هاري عن الأمر بسطحية، لكنه قد يكون خطراً... خطراً للغاية.

نظر ترولس بيرنتسين إلى نفسه في المرآة... الإرهابي.

لكنه لا يزال في البداية.

خرج للانضمام إلى الآخرين، ليلحق بالجزء الأخير من خطاب مايكل بيلمان.

- ... إن بتي لون من الأشخاص العنيدين الذين نأمل أن يكون باقي رجالنا مثلها. والآن، أصبح من واجبنا أن نثبت ذلك بالطريقة الوحيدة التي يمكننا بها أن نخلد ذكراها كما أرادت هي... بالقبض عليه.

حدق ترولس بصديق طفولته، بينما رفع الجميع كؤوسهم إلى السقف كمحاربين يرفعون رماحهم عندما يأمرهم القائد، ورأى وجوههم تتوهج بجدية وإصرار، ورأى بيلمان يومئ كما لو أنه يوافقهم، ورأى أنه تأثر باللحظة وبكلماته وبما وراء هذه الكلمات... القوة التي يتمتعون بها فوق الآخرين في الغرفة.

عاد ترولس إلى القاعة بجوار دورات المياه، ووقف بجوار آلة الألعاب وضغط على عملة معدنية في ثقب الهاتف، ورفع السماعة واتصل برقم مركز الهاتف.

- الشرطة.

- عندي معلومة من شخص مجهول حول الرصاصة في قضية رينيه كالسنس. إذ إنني أعلم من أي مسدس تم إطلاقها... إطلـ...

حاول ترولس الكلام بوضوح وهو يعلم أن المحادثة يتم تسجيلها ثم

إعادة الاستماع لها في ما بعد، لكن لسانه لم يطاوع دماغه.

- إذاً، عليك أن تتحدّث مع المحققين في فرقة مكافحة الجرائم أو كريبوس، لكنهم جميعاً في الجنازة اليوم.

رد ترولس وهو يسمع صوته مرتفعاً بشكل غير ضروري:

- أعلم، لكنني أريد فقط أن أعطيك معلومة.

- أتعلم؟

- نعم... اسمعني...

- يمكنني أن أرى أنك تتصل من مقهى جاستيسن، ولا بد أن تجدهم هناك.

حدق ترولس في الهاتف، وأدرك أنه ثمل وأنه ارتكب خطأ فادحاً، وأنه في حال تم تتبع ذلك فبإمكانهم استدعاء العناصر الموجودين هناك وتشغيل التسجيل والسؤال إن كان بإمكان أحد التعرف على الصوت؛ وستكون هذه مخاطرة كبيرة.

قال ترولس:

- كنت أمزح... آسف، لقد تناولنا الكثير من الشراب هنا.

وأنهى الاتصال، وغادر عبر الغرفة من دون النظر إلى أي من الجانبين. لكنه حين فتح الباب الأمامي وأحس بالهواء البارد والمطر توقف والتفت، ورأى مايكل وهو يضع يده على كتف زميل له، ورأى مجموعة تقف حول هاري هول بينهم امرأة. استدار بيرنتسين وشاهد المطر.

موقوف... مطرود.

أحس بيد على كتفه فاستدار ليرى وجهاً مشوشاً كما لو كان ينظر عبر الماء... أكان ثملاً إلى هذه الدرجة؟

قال صاحب الصوت اللطيف بينما ضغطت اليد على كتفه:

- لا بأس... كلنا نشعر بالحزن اليوم.

كانت ردة فعل ترولس تلقائية، إذ أبعد عنه اليد ومشى في الظلام وهو يشعر بالمطر يبلل كتفَي سترته. تباً لهم... تباً لهم جميعاً!

28

قام أحد ما بإلصاق ورقة على الباب المعدني الرمادي كُتب عليها: غرفة التدفئة.

في الداخل، رأى غونار هاغن حين نظر إلى ساعته أنها السابعة صباحاً، وتأكد من أن أربعتهم موجودون، أما الشخص الخامس فلن يأتي، وسيبقى مقعدها شاغراً؛ حيث جلس العضو الجديد على مقعد أحضروه من غرف المؤتمرات في مركز الشرطة.

تفحص غونار هاغن كل واحد منهم على حدة.

بدا بيورن هولم كما لو كان اليوم السابق أسوأ يوم في حياته، وكذلك بدت كاترين برات، بينما كان شتال أون يرتدي بذلة وربطة عنق. وتفحص غونار هاغن العضو الجديد بدقة؛ فقد غادر رئيس فرقة مكافحة الجرائم جاستيسن قبل هاري هول، وكان هاري حينها لا يزال يحتسي القهوة والمشروبات الغازية. لكن مظهره الآن وهو جالس بشكل منزلق على كرسيه بذقن غير حليق، وعينين مغمضتين لا يؤكد أنه لم يتناول أي مشروب كحولي. ما تحتاج إليه هذه المجموعة هو هاري هول المحقق، لكنهم ليسوا بحاجة لهاري هول المدمن على الكحول.

نظر هاغن إلى اللوح حيث كانوا قد قدموا لهاري ملخصاً عن القضية حتى اللحظة، وكانت أسماء الضحايا ومسارح الجرائم مرسومة ومدوّنة على خط زمني مع اسم فالنتين غجيرتسين وأسهم تؤدي إلى جرائم القتل السابقة مع التواريخ.

قال هاغن:

- إذاً، ماريدال وتريفان ودرامن والجريمة الأخيرة في منزل الضحية. أربعة محققين من فرق التحقيق في جرائم القتل غير المحلولة؛ وبالتواريخ نفسها و - في ثلاث منها - في مسارح الجريمة نفسها. ثلاث من جرائم القتل الأصلية كانت بدافع جنسي، وعلى الرغم من وجود فارق زمني بينها لكنها مرتبطة ببعضها؛ باستثناء أنه في درامن كان الضحية رجلاً - رينيه كالسنس - وما من دلائل على أي اعتداء جنسي. كاترين؟

- إذا افترضنا أن فالنتين غجيرتسين كان وراء الجرائم الأصلية الأربع وجرائم القتل اللاحقة الأربع فكالسنس يشكل استثناء مثيراً للاهتمام؛ فقد كان غير سويّ، وقد وصف الأشخاص الذين تحدثت معهم أنا وبيورن في النادي في درامن كالسنس بأنه فاسق؛ فقد كان يعرض خدماته في النادي

مقابل المال كلما سنحت له الفرصة؛ إذ كان مستعداً لفعل أي شيء مقابل المال.

قال بيورن هولم:

- أي إن سلوكه ومجال عمله يزيدان من مخاطر تعرضه للقتل.

رد هاغن:

- بالضبط. لكن ذلك يرجّح احتمال أن يكون الجاني غير سويّ أيضاً أو طبيعياً. شتال؟

سعل شتال أون:

- لدى الأشخاص مثل فالنتين غجيرتسين علاقة معقدة مع ميولهم الجنسية. إذ إن ما يدفعهم هو الحاجة للسيطرة والسادية والرغبة بتجاوز الحدود أكثر من الضحية نفسها. لكن، قد تكون جريمة قتل رينيه كالسنس متعلقة أيضاً بالغيرة؛ إذ لم تكن هناك أي دلائل على الاعتداء الجنسي أو الغضب، وهو الوحيد الذي تم ضربه بأداة مثلمة كالشرطي.

ساد الصمت بينما نظر الجميع إلى هاري هول الذي كان يجلس بوضعية شبه منبطحة على كرسيه، مغمضاً عينيه، وواضعاً يديه على معدته. ظنت كاترين برات للحظة أنه قد غط بالنوم حتى سعل.

- هل وجد أحد صلة بين فالنتين وكالسنس؟

ردت كاترين:

- ليس بعد. ما من اتصالات هاتفية، ولا سجل لبطاقة الائتمان في النادي أو في درامن، ولا توجد أي آثار إلكترونية تظهر أن فالنتين كان على مقربة من رينيه كالسنس. ولم يذكر أي أحد كان يعرف رينيه أنه قد سمع بفالنتين أو رأى أحداً يشبهه؛ لكن ذلك لا يعني أنهما...

- لا بالطبع، لكنني أتساءل فحسب.

خيم الهدوء في غرفة التدفئة بينما حدق الجميع بهاري.

فتح إحدى عينيه:

- ماذا؟

لم يجب أحد.

- لن أقف وأقوم بالأعاجيب.

قالت كاترين:

- لا لا لا. لكن، يكفينا أن ترشد هؤلاء الأربعة العميان.

- ولا يمكنني فعل ذلك أيضاً.

قال بيورن هولم:

- ظننت أنه من المفترض بالقائد جعل أتباعه يظنون أن كل شيء ممكن.

ابتسم هاري وهو يعدل جلسته على المقعد:

- القائد! هل أخبرتهم بمنصبي يا هاغن؟

سعل غونار هاغن:

- لم تعد لدى هاري أي سلطة كرجل شرطة. لذا، تمت الاستعانة به كاستشاري فحسب مثل شتال؛ مما يعني على سبيل المثال أنه لا يمكنه التقدم بطلب مذكرة تفتيش أو حمل السلاح أو القيام بالاعتقال، كما يعني أنه لا يمكنه قيادة عملية للشرطة. ومن المهم أيضاً أن نلتزم بهذه القواعد، إذ تخيلوا أننا قبضنا على فالنتين ولدينا مجموعة كبيرة من الأدلة لكن محامي الدفاع اكتشف أننا لم نلتزم بالقانون.

قال شتال أون وهو يحشو غليونه:

- هؤلاء الاستشاريون... لقد سمعت أنهم يتقاضون أجوراً ساعية تجعل الأطباء النفسيين يبدون كالحمقى. لذا، دعونا نستغل وقتنا هنا، وقل شيئاً مفيداً يا هاري.

هز هاري كتفيه.

قال شتال أون بابتسامة خبيثة وهو يضع الغليون في فمه:

- آه، نسيت أننا قد قلنا أكثر الأشياء المفيدة التي توصلنا إليها، وقد وصلنا إلى مرحلة من الجمود منذ فترة.

نظر هاري إلى يديه وأخذ نفساً عميقاً.

- لا أدري إن كان ما سأقوله مفيداً؛ فالفكرة لم تكتمل بعد. لكن، إليكم ما كنت أفكر به...

ورفع نظره ليجد أربعة أزواج من العيون مسلطة عليه.

- أفهم أن فالنتين مشتبه به، لكن المشكلة هي أنه لا يمكننا العثور عليه، لذا من الأفضل أن نبحث عن مشتبه به آخر.

لم تصدق كاترين برات أذنيها:

- ماذا؟! علينا الاشتباه بشخص لا نظن أنه ارتكب ذلك؟

- لا نظن. إننا نشتبه به مع درجة عالية من احتمال كوننا مخطئين. وإذا حسبنا هذا الاحتمال مقابل الموارد التي استنفدناها فإن علينا أن نؤكد شبهاتنا أو ننفيها. نحن نعتقد أن هناك حياة على القمر أكثر منه على الكوكب غليس 58 الذي يبعد المسافة نفسها عن الشمس حيث لا يغلي الماء ولا يتجمد، ومع ذلك فنحن نتحقق من القمر أولاً.

قال بيورن هولم:

- قاعدة هاري هول الرابعة. ابدأ البحث في النور... أو هل كانت القاعدة الخامسة؟

سعل هاغن:

- إننا مفوضون للعثور على فالنتين. أما القضايا الأخرى فتقع على كاهل وحدة التحقيق الكبرى، ولن يسمح لنا بيلمان بأي شيء آخر.

- مع احترامي الشديد، لا يهمني بيلمان. لست أذكى من أي واحد منكم، لكنني جديد؛ وهذا يمنحنا الفرصة للنظر إلى القضية من زاوية جديدة.

ضحكت كاترين:

- حقاً! أنت لا تعني العكس، أليس كذلك؟

- لا، لكن دعينا نفترض أنني أعني ذلك. دعينا نبدأ من البداية مجدداً... الدافع. من الذي يرغب بقتل رجال الشرطة الذين فشلوا بحل القضايا غير المحلولة؟ لأن هذا ما سيحدد الحل هنا، أليس كذلك؟ هيا، أخبروني.

شبك هاري ذراعيه وانزلق على مقعده وأغمض عينيه منتظراً.

كان بيورن هولم أول من كسر حاجز الصمت:

- أقارب الضحايا.

تدخلت كاترين:

- ضحايا الاعتداءات الجنسية الذين لم يصدقهم رجال الشرطة أو لم يتم التحقيق بقضاياهم. وهكذا يقوم القاتل بمعاقبة رجال الشرطة على عدم حلهم جرائم قتل أخرى ارتكبت بدافع الجنس.

قال هاغن:

- لم يتم الاعتداء جنسياً على رينيه كالسنس. وفي حال كنت أظن أن قضيتي لم يتم التحقيق فيها على نحو ملائم فسأقوم بقتل رجال الشرطة الذين عملوا على قضيتي فحسب وليس على كل القضايا.

- اترك الخيارات تأتي، ثم يمكننا الاختيار من بينها في ما بعد.

- شتال؟

قال أون:

- أولئك الذين تمت إدانتهم ظلماً فقاموا بإمضاء فترة عقوبتهم، وتشوهت سمعتهم، وفقدوا وظائفهم واحترامهم لذواتهم واحترامهم للآخرين أيضاً. الأسود التي فقدت كبرياءها هي الأكثر خطورة؛ فهي لا تشعر بأي

مسؤولية وإنما بالكراهية والمرارة. وهؤلاء مستعدون للمخاطرة للانتقام لأنفسهم بما أن حياتهم مدمرة بكل الأحوال. وكالحيوانات في القطيع، سيشعرون أنه ليس لديهم الكثير ليخسروه، كما أن إلحاق الأذى والتسبب بالمعاناة لأولئك الذين ألحقوا بهم الأذى وتسببوا بمعاناتهم هما ما يدفعهم للاستمرار بالحياة.

قال بيورن هولم:

- إذاً، إرهابي منتقم.

قال هاري:

- جيد. علينا الآن التحقق من جميع قضايا الاعتداءات الجنسية التي لم يعترف فيها المتهم، ولم تكن واضحة، وقام فيها المتهم بإمضاء فترة عقوبته وخرج من السجن.

قالت كاترين:

- وقد لا يكون المتهم هو القاتل، فقد يكون لا يزال في السجن أو انتحر يائساً، بينما قطع الأب أو الحبيبة أو الأخ على نفسه وعداً بالأخذ بالثأر.

قال هاري:

- الحب... جيد.

قاطعه بيورن هولم:

- من المؤكد أنك لا تعني ذلك.

- ولِمَ لا؟

- الحب! لا أظن أن حمام الدم هذا له أي علاقة بالحب.

رد هاري وهو يسترخي على مقعده ويغمض عينيه:

- لكنني أظن ذلك.

نهض بيورن محمر الوجه:

- قاتل متسلسل مضطرب نفسياً يقوم بدافع الحب بـ...

وتهدج صوته وهو يومئ إلى المقعد الشاغر:

- ... بهذا؟

رد هاري وهو يفتح عيناً واحدة:

- انظر إلى نفسك.

- ماذا؟

- انظر إلى نفسك ومشاعرك. إنك غاضب بسبب الكراهية، وتريد رؤية الوغد مشنوقاً وميتاً وهو يعاني، أليس كذلك؟ لأنك مثلنا أحببت المرأة التي

كانت تجلس هنا؛ مما يعني أن أصل كراهيتك هو الحب يا بيورن. إنه الحب وليس الكراهية ما يجعلك مستعداً للقيام بأي شيء يتطلبه الأمر وتجاوز كل الحدود لتضع يدك على المذنب. اجلس!

جلس بيورن ووقف هاري.

- هذا ما فاجأني في ما يتعلق بجرائم القتل هذه... الحدود التي تجاوزها القاتل لأجل إعادة الجرائم الأصلية، والمخاطرة التي كان مستعداً للقيام بها. حين أفكر بكل العمل الذي قام به لا أعود متأكداً إن كانت الكراهية أو التعطش للدم ما يقف وراء كل ذلك. فالقتلة المتعطشون للدماء يقتلون المومسات والأطفال والأهداف السهلة الأخرى. فمن يكره من دون حب لا يكون متطرفاً لهذه الدرجة في جهوده. أظن أن علينا البحث عن شخص يحب أكثر مما يكره. لذا، إن السؤال هو: مما نعرفه عن فالنتين غجيرتسين، هل لديه القدرة على الحب لهذه الدرجة؟

قال غونار هاغن:

- ربما. لا نعرف كل شيء عن فالنتين غجيرتسين.

- ممم. متى موعد جريمة القتل غير المحلولة التالية؟

قالت كاترين:

- هناك فجوة هنا. في شهر مايو حصلت جريمة قبل تسع عشرة سنة.

- هذا يعني أن التاريخ المتوقع بعد أكثر من شهر.

- نعم ولم يكن هناك أي عنصر جنسي، وإنما بدت كضغينة عائلية. لذا، قمت بدراسة قضية شخص مفقود تبدو كجريمة قتل، حيث اختفت فتاة في أوسلو وتم الإبلاغ عن اختفائها حين لم يرها أحد لأكثر من أسبوعين. والسبب في عدم الإبلاغ عن ذلك في وقت أبكر هو أنها أرسلت رسائل نصية للعديد من الأصدقاء تخبرهم فيها أنها في رحلة زهيدة الثمن إلى الشمس حيث تحتاج لبعض الخصوصية، وقد أجاب بعض الأصدقاء على رسالتها، لكنهم لم يتلقوا أي جواب، لذا توصلوا إلى أنها تريد الابتعاد لفترة؛ بما في ذلك عن المكالمات الهاتفية. وحين تم الإبلاغ عن اختفائها قام رجال الشرطة بالتحقق من جميع الخطوط الجوية، لكنها لم تكن على أي منها؛ أي إنها اختفت من دون أثر.

سأل بيورن هولم:

- الهاتف؟

- كانت آخر إشارة تلقتها المحطة في مركز مدينة أوسلو، ثم توقفت

الإشارة؛ فقد تكون البطارية قد فرغت.

قال هاري:

- ممم. الرسالة... تركت رسالة مفادها أنها مريضة...

هز كل من بيورن وكاترين رأسيهما ببطء.

تنهد شتال أون:

- أيمكنكم توضيح الفكرة؟

ردت كاترين:

- يقصد أن الأمر ذاته قد حصل مع بتي، فقد تلقيت منها رسالة تقول فيها إنها مريضة.

قال هاغن:

- بالطبع.

أومأ هاري ببطء:

- ربما يكون قد تحقق من آخر مكالماتها ثم أرسل رسالة قصيرة لتأخير البحث عنها.

أضاف بيورن:

- مما يعني أن العثور على أدلة في مسرح الجريمة يصبح أكثر صعوبة.

- متى تم إرسال الرسالة؟

قالت كاترين:

- في الخامس والعشرين من مارس.

قال بيورن:

- أي اليوم.

فرك هاري ذقنه:

- ممم. لدينا جريمة قتل محتملة بدافع جنسي وتاريخ لكن بدون موقع. من المحققون الذين عملوا على القضية؟

- لم يتم القيام بأي تحقيق، إذ بقيت قضية شخص مفقود ولم تتم ترقيتها إلى جريمة قتل. لكن في النهاية تم إرسالها إلى فرقة مكافحة الجرائم ووضعها على قائمة أحد المحققين وهو أنت.

قطب هاري حاجبيه:

- أنا؟ أتذكر عادة قضاياي.

- كان ذلك مباشرة بعد قضية رجل الثلج، حيث توجهت إلى هونغ كونغ ولم تعاود الظهور، فأصبحت أنت على قائمة الأشخاص المفقودين.

هز هاري كتفيه:

- جيد. تحقق يا بيورن من وحدة الأشخاص المفقودين في ما بعد لمعرفة ما لديهم حول هذه القضية، ونبههم إلى إمكانية تعرّضهم للخطر؛ فربما يقوم شخص ما بقرع جرس باب أحدهم، أو ربما يتلقى أحدهم مكالمات هاتفية غامضة خلال اليوم... مفهوم؟ أظن أن علينا تتبع هذا الخيط على الرغم من أنه ليست لدينا جثة أو مسرح جريمة.

وصفق هاري بيديه:

- إذاً، من الذي يحضر القهوة هنا؟

قالت كاترين بصوت أجش وعميق وهي تجلس على مقعدها وتمد ساقيها وتغمض عينيها وتفرك ذقنها:

- ممم... أظن أنه الاستشاري الجديد.

بوز هاري شفتيه وهز رأسه ثم قفز، ولأول مرة منذ أن وجدوا بتي علا صوت الضحك في غرفة التدفئة.

بدا ثقل المناسبة مخيماً في قاعة المدينة.

جلس مايكل بيلمان إلى طرف الطاولة، بينما جلس الرئيس في الأعلى. كان مايكل يعرف أسماء معظم المستشارين، فقد كان ذلك واحداً من الأشياء الأولى التي قام بها كرئيس للشرطة... حفظ الوجوه والأسماء... حيث كان رئيس الشرطة السابق قد أخبره أنه لا يمكنه لعب الشطرنج من دون معرفة الأحجار، وأن عليه معرفة صلاحيات كل واحد منهم.

كانت نصيحة بنية طيبة من رئيس سابق. لكن، لماذا يجلس رئيس الشرطة السابق هذا الآن في هذه الغرفة؟ هل تم جلبه للحصول على نوع من الاستشارة؟ مهما كانت خبرته بالشطرنج فمن غير المرجح أن يكون قد لعب بحجر كالشقراء الطويلة التي تجلس على بعد مقعدين من الرئيس... المرأة التي يتحدث إليها الآن... الملكة... مستشارة الشؤون الاجتماعية... إيزابيل سكوين. كان في صوتها نبرة متعالية وباردة كشخص يعلم أن هناك من يهتم بأدق التفاصيل.

- بانزعاج متزايد رأينا كيف تبدو شرطة أوسلو غير قادرة على إيقاف جرائم القتل هذه وحدها، وقد قامت وسائل الإعلام بالضغط بشكل كبير للقيام بشيء جذري، كما أن ما يهمنا أكثر هو أن سكان المدينة قد نفد صبرهم. ولا يمكننا السماح بانعدام الثقة المتزايد هذا في مؤسساتنا؛ أي الشرطة ومجلس المدينة. وبما أن هذا من ضمن اختصاصي فقد بدأت

جلسة الاستماع غير الرسمية هذه ليطلع المجلس على حل رئيس الشرطة الذي نفترض أنه موجود، وبالتالي ليقوم بتقييم البدائل.

كان مايكل بيلمان يتعرق مع أنه يكره التعرق وهو يرتدي البذلة، وقد حاول من دون جدوى أن تلتقي نظراته نظرات سلفه... ما الذي يفعله هنا!؟

ترنم صوت إيزابيل سكوين:

- وأعتقد أنه ينبغي أن نكون منفتحين ومبادرين قدر الإمكان في ما يتعلق بالبدائل. نحن نتفهم بالطبع أن هذه قضية صعبة للغاية لرئيس شرطة شاب وحديث التعيين، لكنْ من المؤسف أن وضعاً يتطلب المعرفة والخبرة في الإجراءات قد يظهر في بداية استلامك لمنصبك. كان من الأفضل لو أن هذه القضية ظهرت أثناء فترة تولي رئيس الشرطة السابق لمنصبه؛ بالنظر إلى خبرته الطويلة وإنجازاته الكثيرة، وأنا متأكدة من أن كل من في الغرفة يتمنى ذلك؛ بمن فيهم رئيسا الشرطة.

تساءل مايكل بيلمان إن كان قد سمع ما ظن أنه سمعه، هل تقصد...؟ هل هي على وشك...؟

- أليس هذا صحيحاً يا بيلمان؟

سعل مايكل بيلمان.

فقالت إيزابيل سكوين وهي تضع نظارة من نوع برادا على حافة أنفها وتنظر إلى ورقة أمامها:

- اعذرني على المقاطعة يا بيلمان. كنت أقرأ عن تفاصيل اللقاء السابق حول هذه القضية، حيث قلت «يمكنني أن أؤكد للمجلس أنه سيكون هناك حل سريع».

وخلعت نظارتها وأكملت:

- ولتوفير الوقت عليك وعلينا يمكنك تجنب التكرار، وإخبارنا بما تنوي فعله الآن بشكل مختلف ومثمر أكثر مما كنت تفعل مسبقاً.

حرّك بيلمان كتفيه آملاً أن يرتخي قميصه... يا للعرق اللعين! يا للساقطة اللعينة!

عند الساعة الثامنة مساءً أحس هاري بالتعب وهو يفتح باب مدرسة الشرطة، إذ إنه غير معتاد على التركيز لفترات طويلة، كما أنهم لم يصلوا لأي نتيجة بعد. فقد راجعوا التقارير، وفكروا بالأفكار التي طرحوها عشرات المرات من قبل، وضاعوا في دوامات، واصطدموا بطرق مسدودة وهم يأملون

أن تنفتح هذه الطرق عاجلاً أو آجلاً.

أومأ المحقق السابق لعامل النظافة وركض صاعداً السلم.

كان متعباً، لكنه حذر ومبتهج ومستعد للمزيد.

سمع أحداً ينادي باسمه وهو يمر بمكتب أرنولد، فالتفت ومد رأسه، ورأى زميله وهو يلف أصابعه وراء شعره الأشعث.

- فقط أردت أن أعرف شعورك وأنت شرطي حقيقي مجدداً.

- جيد. علي تصحيح أوراق آخر اختبار في التحقيق الجنائي.

قال أرنولد وهو يربت على كومة من الأوراق أمامه:

- لا تقلق بشأنها... إنها هنا. فقط تأكد من أنك ستقبض على المجرم.

- حسناً يا أرنولد، شكراً لك.

- بالمناسبة، لقد تعرضنا للسرقة.

- السرقة؟!

- في النادي الرياضي، حيث تم فتح خزائن المعدات، لكن لم يتم أخذ سوى هراوتين.

- أوه تباً... الباب الأمامي؟

- ما من دلائل على الاقتحام هناك، لذا نفترض أن من قام بالأمر شخص من هنا، أو أن شخصاً يعمل هنا سمح لهم بالدخول أو أعارهم بطاقة دخوله.

- أما من سبيل لمعرفة ذلك؟

هز أرنولد كتفيه:

- ليس لدينا هنا الكثير مما يستحق السرقة؛ لذا لم ننفق أي تمويل على إجراءات دخول معقدة أو كاميرات مراقبة أو حراسة أمنية على مدار أربع وعشرين ساعة.

- قد لا تكون لدينا أسلحة أو مخدرات أو خزنة، لكن بالطبع لدينا أشياء أكثر قيمة من الهراوات.

ابتسم أرنولد:

- من الأفضل أن تتحقق من أن جهاز حاسوبك لا يزال هناك.

مشى هاري إلى مكتبه، ورأى أن أحداً لم يلمسه، وجلس وهو يتساءل عما سيفعله؛ فقد كان قد خصص المساء لتصحيح أوراق الاختبار، وكجواب على تساؤلاته بدأ الهاتف بالاهتزاز.

- كاترين؟

بدت متحمسة:

- لدي شيء ما. أتذكر حين أخبرتك أنني وبتي تكلمنا مع إرجا المرأة التي كانت تؤجر القبو لفالنتين؟

- أهي المرأة التي أعطته حجة الغياب الزائفة؟

- نعم. لقد قالت إنها وجدت بعض الصور في القبو... صور لاغتصاب واعتداء، وقد تعرفت في إحدى الصور على حذائه وورق الجدران في غرفة النوم.

- ممم. أتقصدين...

- قد لا يكون ذلك محتملاً لكنه قد يكون مسرح الجريمة. وقد اتصلت بالمالك الجديد وأخبرني أنهم مقيمون مع عائلة بالقرب من المنزل ريثما يتم تجديد المنزل، لكنهم لا يمانعون أن نستعير المفاتيح ونقوم بحملة استكشاف هناك.

- أظن أننا اتفقنا أننا لا نبحث عن فالنتين الآن.

- أظن أننا اتفقنا على البحث في الضوء.

- كاترين النابغة. فينديرين قريبة نوعاً ما. ألديك العنوان؟

وحصل عليه هاري.

- إنه يبعد مسافة قصيرة سيراً على الأقدام. سأتوجه إلى هناك مباشرة. هل ستأتين؟

- نعم، لكنني كنت متوترة للغاية لدرجة أنني نسيت أن آكل.

- حسناً، تعالي حين تنهين طعامك.

في الثامنة وخمس وأربعين دقيقة مشى هاري عبر الطريق الحجري إلى المنزل الفارغ. وبالقرب من الجدار، كانت هناك أحواض فخارية ولفافات من النايلون وألواح خشبية ناتئة من تحت الغطاء. نزل السلم الحجري كما أرشده المالك، وفتح باب شقة القبو لتهاجمه مباشرة رائحة الصمغ والطلاء بالإضافة إلى رائحة أخرى أخبره بها المالك وقال إنها أحد الأسباب التي دفعتهم للقيام ببعض أعمال التجديد؛ فهم لم يعرفوا من أين أتت، وهي منتشرة في أنحاء المنزل. وحين طلبوا مساعدة العاملين في مكافحة الحشرات قيل لهم إن مثل هذه الرائحة القوية لا بد أنها قادمة من جيفة أكثر من حيوان، وقد يضطرون لإزالة الأرضية وفتح الجدران حتى يعرفوا مصدرها.

أشعل هاري الضوء ليجد على أرض الردهة قطعة بلاستيكية شفافة

مغطاة بعلامات رمادية من حذاء ثقيل، وصناديق خشبية مليئة بالمعدات والمطارق والعتلات والحفارات الملطخة بالطلاء، كما تمت إزالة بعض الألواح من الجدار، فأصبح من الممكن الرؤية عبرها. وبالإضافة إلى الردهة، كانت الشقة مكونة من مطبخ صغير وحمام وغرفة جلوس مع ستارة تخفي غرفة النوم. ومن الواضح أن عمليات التجديد لم تصل إلى غرفة النوم بعد، وقد تم استخدامها لحفظ الأثاث من الغرف الأخرى. ولحماية الأثاث من الغبار، تم استبدال ملاءات السرير بستارة سميكة من النايلون ذكرت هاري بمسارح الجرائم المعزولة وغرفة التخزين الباردة والمسالخ.

تنشق رائحة التحلل وتوصل إلى النتيجة نفسها التي توصل لها قسم مكافحة الحشرات: هذه الرائحة ليست ناتجة عن جيفة واحدة.

كان السرير محشوراً في الزاوية لترك بعض المسافة لباقي الأثاث، وكانت الغرفة مليئة حيث يصعب تشكيل انطباع عن كيفية تنفيذ الاعتداء وتصوير الفتاة. كانت كاترين قد قالت إنها ستزور إرجا في حال كان بإمكانها إعطاؤهم المزيد من المعلومات. لكن، إن كان فالنتين هو قاتل رجال الشرطة فهاري يعرف شيئاً واحداً: لم يترك أي دليل يشير إليه. تفحص هاري الغرفة من الأرض إلى السقف، ومن السقف إلى الأرض حتى رأى انعاكسه على زجاج النافذة وهو ينظر إلى الظلام في الحديقة. في الغرفة شيء يبعث على رهاب الأماكن المغلقة. لكنها إن كانت حقاً مسرح جريمة فهي لا تتحدث معه، وقد يكون سبب ذلك أنه مر الكثير من الوقت وحدثت الكثير من الأمور هنا، ولم يتبق سوى ورق الجدران والرائحة.

جال هاري بنظره حتى السقف وثبته هناك... رهاب الأماكن المغلقة. لماذا يبدو الأمر هكذا هنا وليس في غرفة الجلوس؟ مد طوله الكامل البالغ متراً واثنين وتسعين سنتيمتراً بالإضافة إلى طول ذراعه إلى السقف فتمكن من لمسه برؤوس أصابعه... ألواح الجص. عاد إلى غرفة الجلوس وفعل الشيء نفسه لكنه لم يتمكن من لمس السقف.

إذاً، فقد تم خفض سقف غرفة النوم على غرار ما كان الناس يفعلونه في السبعينيات لخفض تكاليف التدفئة، وفي الفراغ بين السقف القديم والجديد ستكون هناك مساحة لإخفاء شيء ما.

توجه هاري إلى الردهة، وأخذ عتلة من صندوق المعدات وقفل عائداً إلى غرفة النوم، وتجمد حين نظرت عيناه إلى النافذة، وهو يعلم أن عينيه قد استجابتا تلقائياً لحركة في الخارج. توقف بسكون لثانيتين وهو يحدق

وينصت من دون أن يجد شيئاً.

ركز هاري على السقف مجدداً، لكنه لم يجد أي مكان لإدخال العتلة؛ غير أنّ الأمر سهل مع ألواح الجص، فكل ما يحتاج إليه هو قطع قسم كبير ثم إعادة القطعة واستخدام مادة لملء الفراغ وطلي كامل السقف. يمكن القيام بذلك خلال نصف يوم في حال كنت ماهراً.

وقف هاري على كرسي ووجه العتلة إلى السقف. لقد كان هاغن محقاً: في حال قام محقق من دون بذلة زرقاء ومذكرة تفتيش بكسر السقف من دون إذن المالك فستتجاهل المحكمة أي دليل قد يتم الكشف عنه.

ركز هاري يده وضرب لتخترق العتلة السقف مصدرة صوتاً خفيفاً، بينما تساقط مسحوق أبيض على وجهه.

ولم يكن هاري محققاً حتى وإنما كان استشارياً مدنياً وليس جزءاً من التحقيق. إنه مجرد فرد يمكن تحميله المسؤولية واتهامه بالتخريب، لكن هاري مستعد لدفع الثمن.

أغمض عينيه وثنى العتلة للخلف وشعر بقطع الجص تتساقط على كتفيه وجبهته، ثم فاحت الرائحة النتنة أشد بكثير. ضرب بالعتلة مجدداً لتكبر الفجوة، ثم بحث عن شيء يضعه على الكرسي ليتمكن من إدخال رأسه في الفتحة.

كانت هناك مجدداً... حركة بجوار النافذة. قفز هاري وركض إلى النافذة وهو يظلل عينيه لإبعاد الضوء، وانحنى على الزجاج لكنه لم ير في الظلام سوى ظلال أشجار التفاح حيث كانت بعض الأغصان تتأرجح. هل اشتدت الرياح؟

استدار هاري إلى الغرفة، ووجد صندوق إيكيا بلاستيكياً كبيراً وضعه على الكرسي. وكان على وشك الصعود حين سمع صوتاً من الردهة... طقة. وقف منتظراً وهو ينصت، لكن لم يصدر أي صوت آخر. تجاهل هاري الأمر، فهذه مجرد طقطقة منزل خشبي قديم حين تهب الرياح. توازن على الصندوق البلاستيكي وتمدد بحذر شديد، ثم وضع راحتي يديه على السقف ومد رأسه عبر التجويف في ألواح الجص.

كانت الرائحة شديدة لدرجة أن عينيه امتلأتا بالدموع واضطر للتركيز على حبس أنفاسه. لم يكن قد شم مثل هذه الرائحة سوى مرة واحدة من قبل، حين وجدوا جثة ملفوفة بالبلاستيك لسنتين في قبو مظلم وحفروا ثقوباً فيها. لا... هذا ليس حيواناً قارضاً. كان الظلام كالحاً في الأعلى، كما

أن رأسه يحجب النور، لكن بإمكانه أن يلمح شيئاً ملقىً أمامه. انتظر بؤبؤي عينيه ليدورا ببطء لاستغلال النور المتوفر، ثم رآه... إنه مثقاب... لا... منشار. لكن هناك شيئاً آخر في الخلف... شيئاً لم يتمكن من رؤيته لكنه أحس بوجوده... أحس بحنجرته تنقبض وسمع صوت خطوات تحته.

حاول إرجاع رأسه، لكن بدا له كما لو أن الفتحة قد أصبحت صغيرة وبدأت تضيق حول رقبته لتنغلق وتقتله، ثم أحس بالذعر يزداد فأقحم أصابعه بين حنجرته والسقف المحطم، وكسر بعض القطع وأخرج رأسه.

توقفت الخطوات.

تسارع نبض هاري وانتظر حتى استعاد هدوءه، وأخذ الولاعة من جيبه ووضع يده عبر الفتحة وأشعل الولاعة، وكان على وشك إدخال رأسه مجدداً حين لاحظ شيئاً؛ الستارة البلاستيكية التي تفصل بين الغرفتين... هناك شيء ما وراءها... شخص... شخص ما يراقبه من وراء الستارة.

سعل هاري:

- كاترين؟

لا جواب.

بحثت عيناه عن العتلة التي تركها على الأرض ووجدها، ثم خطا بهدوء قدر المستطاع ووضع قدماً على الأرض، وسمع الستارة تتحرك جانباً، وأدرك أنه لن يكون لديه الوقت الكافي للوصول إليها. بدا الصوت مبتهجاً.

- إذاً، لقد التقينا مجدداً.

نظر للأعلى، وفي الضوء الباهت احتاج لبضع ثوانٍ حتى تعرف على الوجه فشتم في سره. بحث ذهنه عن سيناريوهات منطقية لما يمكن أن يحدث في الثواني القليلة المقبلة، وفكر في السؤال: ما الذي سيحدث الآن؟ لكنه لم يجد جواباً.

29

كانت تحمل على كتفها حقيبة تركتها تنزلق وتصطدم بالأرض مصدرة صوتاً قوياً.

سألها هاري بصوت مبحوح:

- ماذا تفعلين هنا؟

- كنت أقوم ببعض التمارين في الفنون العسكرية.

- هذا ليس جواباً يا سيلج.

ردت سيلج غرافسينغ وهي تخطو للأمام مرتدية سترة رياضية رقيقة وسروالاً أسود ضيقاً ومنتعلة حذاء رياضياً، وهي تربط شعرها بتسريحة ذيل حصان مع ابتسامة ماكرة:

- بلى. لقد أنهيت تدريبي ورأيتك تغادر الكلية فتبعتك.

- لماذا؟

هزت كتفيها:

- لأمنحك فرصة أخرى.

- فرصة لماذا؟

- لفعل ما تريده.

- وماذا أريد؟

- لا أظن أنني بحاجة لقول ذلك؟

وأمالت رأسها:

- لقد رأيت ذلك على وجهك في مكتب كروهن، فأنت لا تستطيع إخفاء مشاعرك يا هاري. أنت ترغب في القيام بعلاقة معي.

أومأ هاري إلى الحقيبة:

- ما هذا؟ أهي معدات النينجا مع سيف من الخيزران؟

كان صوته أجشّ بسبب جفاف فمه.

حدقت سيلج غرافسينغ في أرجاء الغرفة:

- شيء مشابه، كما أن لدينا سريراً هنا.

أمسكت بحقيبتها ودخلت، وسحبت كرسياً، ثم وضعت الحقيبة على السرير وحاولت إبعاد أريكة كبيرة كانت في الطريق لكنها لم تتحرك، ثم انحنت للأمام وأمسكت بظهر الأريكة وسحبت. نظر هاري إلى مؤخرتها حيث كانت عضلات فخذها مشدودة، وسمع تأوهها المنخفض.

- ألن تساعدني؟

تباً... تباً... تباً.

وشاهد ذيل الحصان الأشقر وهو يتراقص على ظهرها كمقبض لعين. توقفت عن الحركة، ووقفت بسكون كما لو أنها لاحظت شيئاً ما... لاحظته... لاحظت ما يفكر به.

همست:

- هكذا؟ أتريدني هكذا؟

لم يجبها، لكنه شعر كما لو أنه تلقى لكمة في المعدة وبدأ الألم ينتشر إلى خاصرته، وبدأ رأسه بالدوران لتتصاعد فيه فقاعات وتنفجر مصدرة أصواتاً تتعالى أكثر فأكثر. خطا خطوة للأمام ثم توقف.

أدارت رأسها، لكنها أخفضت عينيها للأسفل ونظرت إلى الأرض.

همست:

- ماذا تنتظر؟ هل... هل تريدني أن أقاوم؟

ابتلع هاري لعابه؛ فهو لم يكن رجلاً آلياً وإنما يعرف ما يفعله. هذا ما كان عليه. هذا هو. وحتى إن كان يتكلم مع نفسه بصوت مرتفع الآن فسيفعل ذلك. ألا يريد ذلك؟

سمع نفسه يقول:

- نعم.

اقترب منها، ووضع يداً على تقوس ظهرها الصغير، ولمس البشرة العارية المتعرقة، ثم أدخل إصبعين تحت مطاط السروال، وأصبح كل ما عليه فعله هو أن يسحبه للأسفل. كانت إحدى يديها على ظهر الكرسي والأخرى على السرير، بينما تركت الحقيبة مفتوحة.

همست:

- سأحاول... سأحاول.

سحب هاري نفساً عميقاً ومرتعشاً.

ولاحظ حركة سريعة، حيث لم يكن لديه الوقت الكافي ليتصرف.

سألت أولا وهي تعلق معطف مايكل في الخزانة:

- ماذا حدث؟

سألها وهو يفرك وجهه براحتي يديه:

- ما الذي ينبغي أن يحدث؟

- هيا.

وقادته إلى غرفة الجلوس، وأجلسته على الأريكة، ووقفت وراءه

ووضعت أصابعها على كتفيه ورقبته حتى وجدت برؤوس أصابعها العضلة المنحرفة وضغطت عليها فتأوه.

- إذاً؟

تنهد:

- إيزابيل سكوين. لقد اقترحت أن يقوم رئيس الشرطة السابق بمساعدتي حتى يتم حل القضية.

- حسناً، وما الخطأ في ذلك؟ لقد قلت بنفسك إنك بحاجة للمزيد من الموارد.

- هذا يعني عملياً أنه سيكون رئيس الشرطة الفعلي وسأعمل تحت إمرته... إنه دليل على عدم الثقة، وهو أمر لا أقبله. بالتأكيد يمكنك رؤية ذلك.

- لكن الأمر مؤقت فحسب، أليس كذلك؟

- وفي ما بعد؟ حين يتم حل القضية وهو يتولى القيادة؟ هل سيقول لي المجلس انتهى الأمر وستعود إلى منصبك الآن؟ أوه!

- آسفة. حاول الاسترخاء يا عزيزي.

- إنه انتقامها بالطبع كما تعلمين. المرأة التي هجرتها... آه!

- أوه يا عزيزي... هل ضغطت على المنطقة التي تؤلمك مجدداً.

أبعد مايكل يديها عنه:

- أسوأ ما في الأمر أنه ما من شيء يمكنني فعله، فهي بارعة في هذه اللعبة أما أنا فمجرد مبتدئ. لو كان لدي بعض الوقت لبناء بعض التحالفات لرأت من الذي سيطعن بظهر من.

ردت أولا:

- يمكنك استخدام التحالفات التي لديك.

- جميع التحالفات الهامة في صفها... سياسيون عديمو الخبرة لا يأبهون بالنتائج مثلنا. بالنسبة لهم، كل شيء متعلق بالانتخابات وكيف ستبدو الأمور بالنسبة للناخبين الأغبياء.

أخفض مايكل رأسه، بينما بدأت يداها بالعمل مجدداً بهدوء أشد وهي تدلكه وتربت على شعره. وبينما كانت أفكاره على وشك الابتعاد، ضغط على المكابح وعاد لما قالته... استخدم التحالفات التي لديك.

قام هاري تلقائياً بترك سيلج والالتفاف إلى حيث كانت الستارة البلاستيكية مرفوعة من أحد الجانبين، وحدق بضوء أبيض. رفع هاري يده

فوق عينيه.

قال صوت مألوف بينما انخفض المصباح:

- آسفة. لقد اشتريت مصباحاً في طريقي، ولم أظن أن لديك...

تنهد هاري:

- يا الله يا كاترين. لقد أخفتني... أقصد أخفتنا.

- أوه نعم. أليست هذه هي الطالبة... التي رأيتها في كلية الشرطة؟

- لقد تركت الدراسة هناك.

كان صوت سيلج غير متأثر على الإطلاق وبدت ضجرة.

- أوه، إذاً ماذا تفعلان...؟

قال هاري بسرعة وهو يشير إلى الفجوة في السقف:

- نحرك الأثاث محاولين إيجاد شيء أكثر ثباتاً لنقف عليه.

قالت كاترين:

- هناك سلم في الخارج.

- حقاً؟ سأحضره.

وانطلق هاري عبر غرفة الجلوس... تباً! تباً!

كان السلم مستنداً على الجدار بين علب الطلاء.

كان الصمت مخيماً حين عاد وأبعد الكرسي ووضع السلم المعدني تحت الفتحة. ما من دليل على أنهما تكلمتا... امرأتان شبكت كل منهما ذراعيها على صدرها ووجهها خالٍ من التعابير.

سألت كاترين:

- ما هذه الرائحة النتنة؟

رد هاري وهو يصعد السلم:

- ناوليني المصباح.

وكسر قطعة من ألواح الجص، وأقحم المصباح داخلها ثم رأسه، ورأى المنشار الأخضر الذي كانت شفرته مكسورة. أمسكه بإصبعين وناوله لكاترين:

- انتبهي! فقد تكون هناك بصمات.

أضاء المصباح في الداخل مجدداً، وحدق حتى وجد الجثة مستلقية على جانبها ومحشورة بين السقف الجديد والقديم. كان هاري يفكر في أنه يستحق أن يكون هنا وهو يتنشق الرائحة النتنة للموت واللحم المتحلل... لا، بل يستحق أن يكون الجثة المتحللة... يا له من رجل مريض! رجل منحرف! ولو لم تفاجئه كاترين لكان الآن بحاجة للمساعدة، فقد كان على وشك القيام بذلك، أليس كذلك؟ أو إنه توقف؟ أو إن فكرة أنه قد يكون

توقف من أصنع أفكاره للقضاء على شكوكه؟

سألت كاترين:

- أيمكنك رؤية شيء ما؟

رد هاري:

- نعم، بالطبع.
- هل سنحتاج لفريق التحقيق الجنائي؟
- ذلك متوقف على...
- على ماذا؟
- على ما إذا كانت فرقة مكافحة الجرائم ترغب بالتحقيق في هذا.

30

قال هاري وهو يطفئ السيجارة بحافة النافذة المفتوحة المطلة على سبورفيسغاتا ثم يعود إلى مقعده:

- الموضوع محرج قليلاً.

كان شتال أون قد أخبره أن بإمكانه القدوم قبل المريض الأول في الساعة الثامنة حين اتصل به هاري في السادسة وأخبره أنه في ورطة مجدداً.

رد شتال:

- لقد جئت إلى هنا من قبل للحديث عن أمور محرجة.

كان شتال الطبيب النفسي الذي يتوجه إليه أفراد فرقة مكافحة الجرائم حين تسوء الأمور. ليس لأن لديهم رقم هاتفه فحسب، وإنما لأن شتال أون كان واحداً من القليلين الذين يمكن الاعتماد عليهم في إبقاء الأمر سرياً.

- نعم، لكن ذلك كان متعلقاً بالشراب، أما الآن... فالوضع مختلف.

- حقاً؟

- ألا تظن ذلك؟

- أظن أنه بما أن أول شيء فعلته هو الاتصال بي فأنت تظن أن الأمر مشابه.

تنهد هاري وانحنى للأمام على مقعده وأسند جبهته على يديه:

- ربما. كنت دائماً أظن أنني أختار أسوأ الأوقات لأعكف على الشراب. ولطالما استسلمت حين يكون من الضروري أن أكون متيقظاً للغاية، كما لو كان هناك عفريت بداخلي أراد أن يغرق كل شيء في بحر من النسيان... أرادني أن أغرق في بحر من النسيان.

أخفى شتال تثاؤبه وقال:

- هذا ما تفعله العفاريت.

- في هذه الحالة قام هذا العفريت بعمل رائع، فقد كنت على وشك الاعتداء على فتاة.

توقف شتال عن التثاؤب:

- ماذا قلت؟ متى كان ذلك؟

- الليلة الماضية. الفتاة طالبة سابقة في كلية الشرطة ظهرت فجأة بينما كنت أفتش الشقة التي عاش فيها فالنتين.

أزال شتال نظارته:

- أوه، وهل وجدت شيئاً؟

- وجدت منشاراً بشفرة مكسورة لا بد أنها بقيت هناك لسنوات. بالطبع قد يكون عمال البناء قد نسوه هناك حين قاموا بخفض السقف، لكنهم يتحققون من الحواف المسننة مقابل ما وجدوه في بيرغسليا.

- هل من شيء آخر؟

- نعم... حيوان غرير ميت.

- غرير؟

- نعم. يبدو كما لو أنه كان يقضي السبات الشتوي هناك.

- هههههه. ظهر لدينا غرير مرة لكنه لحسن الحظ بقي في الحديقة. إن عضته مخيفة. وهل مات خلال السبات الشتوي؟

ابتسم هاري:

- إن كنت مهتماً فبإمكاني التحقيق في القضية.

هز شتال رأسه ووضع نظارته على عينيه:

- آسف. إذاً، وصلت الفتاة وأحسست بالرغبة بالاعتداء عليها. أهكذا جرى الأمر؟

رفع هاري ذراعيه فوق رأسه:

- لقد تقدمت للتو بطلب يد المرأة التي أحبها أكثر من أي أحد آخر في العالم، ولا أريد أكثر من أن نمضي حياة سعيدة معاً. ومباشرة بعد أن فكرت في الأمر قفز العفريت و... و...

وأخفض ذراعيه مجدداً.

- لماذا توقفت؟

- لأنني أجلس هنا وأبتكر عفريتاً وأعرف ما ستقوله. إنني أتهرب من أي مسؤولية.

- ألست كذلك؟

- بالطبع. إنه الشخص نفسه لكن بزي جديد. كنت أظن أن اسمه جيم بيم أو الأم التي توفيت صغيرة أو ضغط العمل أو التستوستيرون أو الشراب، وقد يكون كل ذلك صحيحاً، لكنك حين تعريه من ثيابه فسيصبح اسمه هاري هول.

- وأنت تقول إن هاري هول كان على وشك الاعتداء جنسياً على تلك الفتاة في الليلة الماضية.

- كنت أحلم بالأمر منذ وقت طويل.

- الاعتداء الجنسي؟ عموماً؟
- لا... هذه الفتاة... لقد طلبت مني ذلك.
- أطلبت أن تعتدي عليها؟ إذاً، هذا ليس اعتداء أليس كذلك؟
- في المرة الأولى طلبت مني معاشرتها وحاولت إثارتي، لكنني لم أستطع فهي طالبة في كلية الشرطة، ثم بدأت أتخيل أنني أقوم بعلاقة معها وهي تقاوم. لم أكن أظن أنني هكذا... لست كذلك. ما الذي يحصل لي يا شتال؟
- إذاً، كانت لديك الميول والفرصة، لكنك اخترت الرفض.
- قام أحد ما بمقاطعتنا... أكان ذلك اعتداءً؟ لا أعرف. لكنها دعتني للمشاركة في المسرحية وكنت مستعداً لأداء دوري يا شتال... كنت مستعداً للغاية.
- نعم، لكنني ما زلت لا أرى الأمر اعتداء.
- ربما لا يكون كذلك من الناحية القانونية، لكن...
- لكن ماذا؟
- لكننا لو أكملنا وطلبت مني التوقف فلا أدري إن كنت سأتوقف أو لا.
- ألا تدري؟
هز هاري كتفيه:
- ألديك تشخيص يا دكتور؟
نظر شتال إلى ساعة يده:
- أريدك أن تخبرني بالمزيد، لكن المريض ينتظرني الآن.
- ليس لدي أي وقت لتلقي العلاج يا شتال فهناك مجرم علينا القبض عليه.
- في هذه الحالة عليك تخطي الأمر. لقد أتيت إلي لأنك تشعر بشيء لا يمكنك تحديده، وذلك لأن الشعور يحاول التخفي كشيء ليس عليه، ولأنك فعلياً لا تريد الشعور به. إنه الإنكار الكلاسيكي كما يحصل حين يرفض المرء تقبل أنه غير سويّ.
- لكنني لا أنكر أنني معتدٍ محتمل! إنني أسألك بصراحة.
- أنت لست كذلك يا هاري؛ فالمرء لا يصبح معتدياً بين عشية وضحاها. أظن أن الأمر واحد من اثنين أو ربما كلاهما. الأول أنك ربما تشعر بشكل من العدوانية تجاه الفتاة وتحاول السيطرة على الأمر أو تريد أن تعاشرها كعقاب لها. هل أنا قريب من الواقع؟

- ممم ربما. وما هو الأمر الآخر؟

- راكيل.

- عفواً؟

- ما أنت خائف منه ليس الاعتداء ولا هذه الفتاة، وإنما أن لا تكون مخلصاً لراكيل.

- شتال! أنت...

- على رسلك. لقد جئت إلي لأنك بحاجة لمن يخبرك بما قد أدركته أنت ويقوله لك بصوت واضح وصريح لأنك غير قادر على قول ذلك لنفسك، فأنت لا تريد أن تبدو كذلك.

- كيف؟

- لا تريد أن تبدو أمامها خائفاً من الالتزام؛ ففكرة الزواج قد قادتك إلى حافة الذعر.

- أوه، ما هذا؟

- وبما أنه بإمكاني أن أدعي أنني أعرفك قليلاً بعد كل هذه السنوات، أظن أن الأمر في حالتك يتعلق بالخوف من تحمل المسؤولية عن الأشخاص الآخرين؛ إذ إن لديك تجارب سيئة...

شهق هاري وأحس بشيء ينتفخ في صدره كورم سرطاني.

- ... لقد بدأت باحتساء الشراب حين كان العالم من حولك معتمداً عليك. ولأنك لم تستطع تحمل المسؤولية أردت أشياء تنسيك الأمر؛ كما يكون الحال حين ينهار منزل ورقي ويشتد الضغط لدرجة أنك لا تعود قادراً على الاحتمال، وبدلاً من المقاومة تنهار. وأظن أن هذا ما تفعله الآن. فأنت تريد أن تخذل راكيل بأسرع وقت ممكن لأنك مقتنع أن ذلك سيحدث بكل الأحوال، ولا تحتمل العذاب المطول، ولهذا تقوم بأسلوب دفاعي بهدم المنزل اللعين. إنك ترى علاقتك براكيل بهذا الشكل.

أراد هاري قول شيء ما، لكن الكتلة وصلت إلى حنجرته وسدت الطريق على الكلمات، فقام بلفظ واحدة فقط.

- هدام.

- أسلوبك الأساسي بناء يا هاري، لكنك خائف فحسب من أن تشعر بالكثير من الألم... أنت أو هي.

- تريد أن تقول إنني جبان أليس كذلك؟

نظر شتال إلى هاري، وسحب نفساً كما لو أنه كان على وشك تصحيح ما قاله، ثم بدا كما لو أنه غير رأيه.

- نعم، أنت جبان لأنني أظنك تريد ذلك. أنت تريد راكيل وتريد أن تكون معها وأن ترتبطا معاً وتعيشا معاً. هذا ما هو عليه الأمر يا هاري في تلك الفرص النادرة حيث تقطع على نفسك وعداً. ماذا كانت كلمات تلك الأغنية؟

دمدم هاري بشيء ما عن عدم التراجع أو الاستسلام.

- هذه هي يا هاري. هذا أنت.

ردد هاري بهدوء:

- هذا أنا.

- فكر بالأمر. يمكننا الحديث مجدداً بعد الاجتماع في غرفة التدفئة هذا المساء.

هز هاري رأسه ونهض.

في الممر، جلس رجل وهو يحرك رجليه بنفاد صبر ويتعرق في ملابسه الرياضية. نظر إلى ساعة يده وحدق بهاري.

مشى هاري عبر سبورفيسغاتا. لم يكن قد نام طوال الليل، ولم يتناول طعام الفطور، لذا توجه إلى المقهى مباشرة قبل بوغستادفين وطلب كوب قهوة سريعة التحضير واحتساه، ثم طلب كوباً آخر، ثم سمع ضحكاً خافتاً وراءه لكنه لم يلتفت وشرب الكوب الثاني ببطء، وأمسك بصحيفة ملقاة هناك ورأى الصفحة الأمامية، ثم قلب الصفحات.

كان روجر غيندم يتوقع أنه في ضوء جرائم قتل رجال الشرطة سيقوم مجلس المدينة بتعديل لرئاسة مركز الشرطة.

بعد أن دخل باول ستافنيس عاد شتال إلى مقعده وراء طاولة المكتب، بينما توجه ستافنيس إلى الزاوية ليغير ملابسه بقميص جاف. استغل شتال الفرصة ليتثاءب ويفتح الدرج العلوي ويضع هاتفه المحمول ليتمكن من رؤيته بسهولة، ثم رفع نظره ونظر إلى رقبة مريضه العارية. بعد أن بدأ ستافنيس بقيادة الدراجة إلى الجلسات، أصبح من الروتين الثابت أن يغير قميصه في المكتب مديراً ظهره دائماً دون أي تغيير سوى أن النافذة التي كان هاري يدخن بجوارها لا تزال مفتوحة. سقط الضوء بطريقة مكنت شتال أون من رؤية صدر باول ستافنيس العاري في الانعكاس على الزجاج.

لبس ستافنيس قميصه بسرعة والتفت.

- أصبحت مواعيدك...

- أحتاج لتنظيمها. أوافقك الرأي، ولن يتكرر ذلك مجدداً.

رفع ستافنيس ناظريه:

- هل من خطب ما؟

- لا على الإطلاق، فقط استيقظت اليوم أبكر من المعتاد. أيمكنك ترك النافذة مفتوحة ليبقى هناك بعض الهواء؟

- هناك الكثير من الهواء هنا.

- كما تريد.

كان ستافنيس على وشك إغلاق النافذة، ثم أعاد فتحها ووقف محدقاً بها، ثم التفت ببطء إلى شتال لتظهر ابتسامة بسيطة على وجهه.

- أتجد أنه من الصعب التنفس يا أون؟

كان شتال أون مدركاً للألم الذي بدأ يشعر به في صدره وذراعيه كأعراض واضحة لنوبة قلبية، لكنها لم تكن نوبة قلبية وإنما هي ناتجة عن خوف شديد وواضح.

أجبر شتال أون نفسه على الكلام بهدوء وبنبرة منخفضة.

- تكلمنا في المرة الماضية عن سماعك لأغنية دارك سايد أوف ذا مون، ودخول والدك الغرفة، وإطفاء مكبر الصوت، وكيف أنك شاهدت الضوء الأحمر يخفت حين ماتت الفتاة التي كنت تفكر بها.

قال باول ستافنيس منزعجاً:

- قلت إنها صمتت ولم أقل إنها ماتت. الأمر مختلف.

قال شتال أون وهو يمد يده بحذر إلى الهاتف في الدرج:

- نعم. هل تمنيت لو أنها تكلمت؟

- لا أدري. إنك تتعرق. هل أنت على ما يرام يا دكتور؟

مجدداً هذه النبرة الساخرة والابتسامة الصغيرة الكريهة.

- أنا بخير، شكراً لك.

وضع شتال أصابعه على الهاتف. كان عليه دفع المريض للحديث لئلا يسمعه وهو يضغط الأزرار.

- لم نتكلم عن زواجك. ماذا يمكنك أن تخبرني عن زوجتك؟

- ليس الكثير. لماذا تريد الحديث عنها؟

- إنها من أقاربك المقربين. ويبدو أنك تكره الأشخاص المقربين منك، وقد استخدمت كلمة «يمقت».

- إذاً، كنت تصغي إلي؟

ضحكة مقتضبة.

- أنا أمقت الناس لأن معظمهم ضعفاء وأغبياء ويعتمدون على حظهم. ثلاثة صفر. أخبرني، هل تمكنت من معالجة س؟
- ماذا؟
- الشرطي غير السوي الذي أساء إلى شرطي آخر. هل تعافى؟
- ليس تماماً.

ضغط شتال على الأزرار وهو يشتم أصابعه الثخينة التي بدت كما لو أنها تورمت أكثر من التوتر.

- إذاً، إن كنت تظن أنني مثله فلماذا تظن أن بإمكانك معالجتي؟
- كان س مصاباً بالفصام وكان يسمع أصواتاً.
- وأنت تظن أن وضعي أفضل؟

ضحك المريض بمرارة، بينما ضغط شتال على الأزرار محاولاً الكتابة، فيما استمر المريض بالكلام محاولاً إخفاء الطقطقة بمسح حذائه بالأرض. حرف واحد... حرف آخر... أصابع لعينة... انتهى، ثم أدرك أن المريض قد توقف عن الكلام... المريض باول ستافنيس. من أين حصل على هذا الاسم. يمكنك دائماً العثور على اسم جديد أو التخلص من الاسم القديم، لكن الأمر ليس بهذه السهولة بالنسبة للوشم وخاصة إن كان كبيراً ويغطي صدرك كاملاً.

- أعلم سبب تعرّقك. لقد رأيت الانعكاس على زجاج النافذة حين كنت أغير ملابسي أليس كذلك؟

أحس شتال أون بالألم في صدره كما لو أن قلبه لم يعد يدري إن كان عليه النبض بسرعة أو التوقف عن النبض، وتمنى أن تكون التعابير التي تظهر على وجهه غير مفهومة كما يريدها.

قال بصوت مرتفع ليطغى على صوت الطقة وهو يضغط على زر الإرسال:

- ماذا؟

رفع المريض قميصه إلى حنجرته.

وظهر وجه صارخ صامت يحدق بأون من صدر الرجل.

وجه عفريت.

قال هاري وهو يضع الهاتف على أذنه ويحتسي كوب القهوة الثاني:

- إذاً؟

رد بيورن هولم:

- وجدنا بصمات أصابع فالنتين غجيرتسين على المنشار، كما أن سطح التقطيع متطابق. إنها الشفرة نفسها المستخدمة في بيرغسليا.

- إذاً، فالنتين غجيرتسين هو رجل المنشار.

- يبدو الأمر كذلك. ما يفاجئني هو أن يقوم فالنتين غجيرتسين بإخفاء سلاح الجريمة في المنزل بدلاً من التخلص منه.

- كان يخطط لاستخدامه مجدداً.

أحس هاري بهاتفه المحمول يهتز... رسالة نصية. نظر إلى الشاشة ووجد أن المرسل ش أي شتال أون فقرأها وأعاد قراءتها مرة أخرى.

فالنتين هنا... النجدة.

- أرسل يا بيورن سيارة دورية إلى عيادة شتال في سبورفيسغاتا ففالنتين هناك.

- ألو؟ هاري؟ ألو؟

لكن هاري كان يركض.

قال المريض:

- أن يتم كشفك أمر سيئ، لكن أحياناً يكون الأمر أسوأ لمن يقوم بكشفك.

قال شتال:

- كشف ماذا؟ إنه وشم وليس جريمة. الكثير من الناس لديهم وشوم كهذه.

رد المريض وهو ينزل قميصه:

- حقاً! ألهذا بدوت كما لو أنك ستسقط فاقداً وعيك حين رأيته؟

- لا أفهم ما الذي تعنيه. لنتكلم عن أبيك.

ضحك المريض بصوت مرتفع:

- أتعرف ماذا يا أون؟ حين جئت إلى هنا لأول مرة لم أستطع أن أحدد إن كنت فخوراً أو محبطاً لأنك لم تستطع التعرف علي.

- التعرف عليك؟

- لقد التقينا من قبل؛ فقد تمت إدانتي بتهمة اعتداء جنسي، وكانت مهمتك أن تحدد إن كنت سليم العقل أو لا. لا بد أنك قمت بهذا بمئات القضايا لدرجة أن الأمر لم يستغرق معك سوى خمس وأربعين دقيقة، لكنك جعلتني أتمنى لو أنني تركت انطباعاً أقوى لديك.

حدق به شتال. هل قام حقاً بتقييم نفسي للشخص الجالس أمامه؟ من المستحيل أن يتذكرهم جميعهم، لكنه على الأقل يتذكر وجوههم.

تفحصه شتال... الندبتان الصغيرتان تحت ذقنه. كان قد ظن أن مريضه قام بشد لوجهه، لكن بتي قالت إن فالنتين غجيرتسين قد خضع لعمليات تجميل جذرية.

- لكنك تركت انطباعاً قوياً لدي يا أون. أتفهمني؟ إذ إنك لم تهتم بالتفاصيل، وإنما استمررت بالبحث والسؤال عن الأمور الصحيحة والأمور السيئة كمدلك بارع يعرف أين يجد العقدة. لقد وضعت يدك على الجرح يا أون ولهذا عدت إليك على أمل أن تجده مجدداً... ذلك الغليان اللعين وتفقأه وتخرج القذارة مني. أيمكنك فعل ذلك؟ أو إن صبرك قد نفد يا أون؟

سعل شتال:

- لا يمكنني فعل ذلك إن كذبت علي يا باول.

- لكنني لا أكذب يا أون... فقط في ما يتعلق بعملي وزوجتي كذبت، أمّا ما تبقى فكله صحيح. آه، نسيت والاسم أيضاً.

بسط الرجل راحة يده وابتسم.

- ولماذا تخبرني بهذا الآن يا باول؟

- لست مضطراً لمناداتي بهذا الاسم. يمكنك القول فالنتين إن أحببت.

- فال ماذا؟

ضحك المريض:

- آسف، لكنك ممثل فاشل يا أون. أنت تعرف من أنا. لقد عرفت لحظة رأيت الوشم منعكساً على زجاج النافذة.

- وماذا ينبغي أن أعرف؟

- أنني فالنتين غجيرتسين الذي تبحثون عنه كلكم.

- كلنا؟! نبحث؟

- أنسيت أنني جلست هنا أستمع لمكالمتك الهاتفية مع شرطي حول رسومات فالنتين غجيرتسين على نافذة القطار، وقد تذمرت وحصلت على جلسة مجانية. أتذكر؟

أغمض شتال أون عينيه لبضع ثوانٍ مخبراً نفساً أن هاري سيصل قريباً؛ إذ لا يمكن أن يكون قد ابتعد كثيراً.

- بالمناسبة، لهذا بدأت بركوب الدراجة بدلاً من ركوب القطار إلى الجلسات؛ لأن القطار سيكون تحت المراقبة.

- لكنك استمررت بالقدوم.

هز فالنتين كتفيه ووضع يداً في حقيبته:

- من المستحيل التعرف على شخص يعتمر خوذة ويضع نظارة أليس كذلك؟ كما أنك لم تشتبه بشيء، فقد كنت تظن أنني باول ستافنيس. وأنا بحاجة لهذه الجلسات يا أون، وأشعر بالأسف الشديد لأنها ستتوقف...

شهق أون وهو يرى يد فالنتين غجيرتسين تخرج من الحقيبة ويتلألأ الفولاذ في الضوء.

قال فالنتين:

- أتعرف أن هذه اسمها سكين النجاة؟ أي إن الاسم مغلوط في حالتك. لكنها مرنة وهذا ما يخدع معظم الناس، فهم يظنونها مخيفة. أتعلم ماذا؟

وابتسم مجدداً ابتسامته البغيضة.

- إنهم محقون. فحين تنزلق السكين على الحنجرة تقطع الجلد ثم

تمزق... الغشاء الرقيق حول الوعاء الدموي. وإذا كان الشريان الرئيس تحت الضغط فسيكون المنظر ساحراً. لكنْ لا تخف، إذ إنك لن تلاحظه. أعدك.

دار ذهن شتال في دوامة، وتمنى لو أصيب بنوبة قلبية.

- لكن، بقي شيء واحد يا شتال. أتمانع أن أناديك باسم شتال؟ ما هو التشخيص؟

- تشـ... تشخـ...

- تشخـ... يص. ما هي مشكلتي يا شتال؟

- لا... لا أدري... أنا...

كانت الحركة التالية سريعة جداً لدرجة أن شتال أون ما كان قادراً على رفع إصبع حتى لو حاول. اختفى فالنتين من أمامه، وسمع صوته مجدداً من ورائه قرب أذنه.

- بالطبع تعرف يا شتال، فقد تعاملت مع أشخاص مثلي طوال حياتك المهنية. ليس مثلي تماماً لكنهم أشخاص مشابهون.

لم يعد شتال قادراً على رؤية السكين، وإنما شعر بها على ذقنه المرتعش وهو يتنفس بصعوبة من أنفه. بدا منافياً للطبيعة أن أي إنسان قادر على التحرك بسرعة؛ فهو لا يريد الموت وإنما يريد العيش. لم يكن هناك أي مكان لأي أفكار أخرى.

- ليس... ليس هناك أي خطب لديك يا باول.

- فالنتين. أظهر بعض الاحترام. أنا واقف هنا على أهبة الاستعداد لسفك دمك، وأنت تقول إنه ما من خطب لدي؟

وضحك في أذن أون.

- هيا. ما هو التشخيص؟

- جنون شديد وهذيان.

رفعا رأسيهما ونظرا إلى الباب حيث أتى الصوت.

- انتهى الوقت. ادفع وأنت خارج يا فالنتين.

وخطا الشخص الطويل عريض المنكبين الذي كان يملأ الباب إلى الداخل وهو يجر شيئاً وراءه. استغرق الأمر بعض الوقت حتى أدرك شتال ما هو... الثقالة من فوق الأريكة في غرفة الانتظار.

همس فالنتين بينما أحس شتال بالسكين تضغط على جلده:

- ابق بعيداً أيها الشرطي.

- سيارات الدورية في طريقها إلى هنا يا فالنتين. انتهى الأمر. دع الطبيب وشأنه الآن.

أومأ فالنتين إلى النافذة المفتوحة المطلة على الشارع:

- لا أسمع صفارات الإنذار. ارحل وإلا فسأقتل الطبيب مباشرة.

- لا أظن ذلك، فبدونه لن يكون هناك أي شيء تحتمي به.

أحس شتال بذراعيه تلتويان للخلف فاضطر للوقوف بينما قال فالنتين:

- في هذه الحالة سآخذ الطبيب معي.

قال هاري هول:

- خذني بدلاً عنه.

- ولم قد أفعل ذلك؟

- إنني رهينة أفضل، فهناك فرصة في أن يشعر بالذعر ويغمى عليه، لكنك لن تقلق بشأن أي خدع قد أقوم بها حين تأخذني.

صمت. من النافذة تمكنا من سماع صوت خافت ربما من صفارة بعيدة وربما لا. خف الضغط من النصل، ثم شعر شتال بوخزة وسمع صوت شيء يقطع ويقع على الأرض... ربطة العنق.

همس الصوت في أذنه:

- حركة واحدة وســ... حسناً أيها الشرطي، لكن اترك الثقالة أولاً، ثم قف ووجهك إلى الحائط وساقاك متباعدتان و...

رد هاري:

- أعرف التتمة.

وترك الثقالة والتفت ووضع راحتي يديه على الجدار وباعد بين ساقيه.

أحس شتال بالضغط على ذراعه يذهب، ثم رأى في اللحظة التالية فالنتين يقف وراء هاري ويدفع ذراعيه إلى أعلى ظهره ويضع السكين على حنجرته.

- فلنذهب أيها الوسيم.

ثم خرجا من الباب.

وأخيراً تمكن شتال أول من تنفس الصعداء.

ومن النافذة علت أصوات صفارات الإنذار.

رأى هاري التعابير المذعورة على وجه موظفة الاستقبال حين مر هو وفالنتين بجوارها من دون أن ينبسا بكلمة. وعلى الدرج حاول هاري أن يمشي ببطء أكبر لكنه أحس فجأة بألم وخزة في خاصرته.

- ستدخل هذه السكين أعمق إلى كليتك إن حاولت فعل شيء ما.

سرّع هاري خطاه ولم يشعر بالدم، إذ كان بدرجة حرارة بشرته نفسها؛ لكنه عرف أنه يسيل تحت قميصه.

وحين وصلا إلى الطابق الأرضي ركل فالنتين الباب ودفع هاري عبره لكن السكين لم تفارقه أبداً.

وقفا في سبورفيسفاتا وسمع هاري صفارات الإنذار. مر بجوارهما رجل يضع نظارة شمسية ومعه كلب من دون أن ينظر إليهما، بينما نقرت العصا البيضاء على الأرض كآلة موسيقية.

قال فالنتين وهو يشير إلى لافتة «ممنوع الوقوف» قُيِّدت بعمودها دراجة جبلية:

- قف هنا.

وقف هاري إلى جانب العمود، وأصبح قميصه لزجاً بينما تزايد الألم في خاصرته وانتشر إلى ظهره. سمع صوت مفاتيح وطقطقة قفل دراجة بينما اقتربت صفارات الإنذار، ثم اختفت السكين. لكن قبل أن يتمكن هاري من التصرف والقفز بعيداً سحب فالنتين رأسه للخلف ووضع شيئاً حول رقبته. وقد تطاير الغضب من عينيه حين ارتطم رأسه بالعمود وشهق بحثاً عن الهواء. طقطقت المفاتيح مجدداً ثم خف الضغط، ورفع هاري رأسه ووضع إصبعين بين حنجرته وما كان يشدّها إلى العمود... تباً.

تأرجح فالنتين أمامه على دراجته ووضع النظارة، ثم حياه واعتمر الخوذة وضغط على الدواستين.

شاهد هاري الحقيبة السوداء تختفي في الشارع... لا يمكن أن تكون صفارات الإنذار أبعد من مبنيين. مر به راكب دراجة يعتمر خوذة ويحمل حقيبة سوداء، ثم آخر بدون خوذة لكن مع حقيبة سوداء، وآخر. تباً! تباً! تباً! بدت صفارات الإنذار كما لو أنها تصدح في رأسه فأغمض هاري عينيه وفكر بالأحجية اليونانية القديمة حين يقترب شيء ما من على بعد كيلومتر... نصف كيلومتر... ثلث كيلومتر... ربع... عشر... وهل من الصحيح أن تسلسل الأرقام لا ينتهي وأنها لن تصل؟

سأل بيورن هولم غير مصدق:

- إذاً، هل وقفت هناك فحسب مقيداً إلى عمود بواسطة قفل دراجة حول رقبتك؟

رد هاري وهو ينظر إلى كوب القهوة الفارغ:

- لافتة ممنوع الوقوف.

قالت كاترين:

- يا لسخرية القدر!

- لقد اضطروا لإرسال شخص لإحضار قطاعة أقفال.

فتح باب غرفة التدفئة ودخل غونار هاغن:

- لقد سمعت الأخبار للتو. ماذا يحصل؟

- سيارات الدوريات في المنطقة تبحث عنه؛ حيث تم إيقاف جميع راكبي الدراجات وتفتيشهم.

قال هاري:

- لا بد أنه تخلص من دراجته واستقل سيارة أجرة أو وسيلة نقل عامة، ففالنتين ليس غبياً.

رمى رئيس فرقة مكافحة الجرائم نفسه على كرسي:

- هل ترك أي أدلة؟

صمت.

نظر بدهشة إلى جدار الوجوه الاتهامية:

- ماذا هناك؟

سعل هاري:

- أنت تجلس على مقعد بتي.

قفز هاغن:

- حقاً؟

- لقد ترك سترته، وقد سلمها بيورن إلى كريمتكنيسك.

قال بيورن:

- عرق وشعر وسجق. أظن أننا سنتمكن خلال يوم واحد من التأكيد أن باول ستافنيس وفالنتين غجيرتسين شخص واحد.

سأل هاغن:

- هل هناك شيء آخر في السترة؟

- ما من محفظة أو هاتف محمول أو مفكرة تظهر خططه للجرائم المستقبلية. فقط هذه.

تناول هاغن تلقائياً ما أعطاه إياه هاري ونظر إليه... كيس صغير من النايلون غير مفتوح يحوي ثلاثة أعواد لتنظيف الأذن.

- ماذا سيفعل بهذه؟

رد هاري:

- يقتل أحداً ما.

قال بيورن هولم:

- إنها لتنظيف الأذنين، لكنها في الواقع لحك الأذنين، صحيح؟ فحين تحكك بشرتك تحكها أكثر فأكثر فتنتج المزيد من الإفرازات، وفجأة تحتاج للمزيد من أعواد تنظيف الأذن... هيرويين الأذنين.

قال هاري:

- أو للتبرج.

- ماذا؟ أتعني أنه يضع مساحيق التجميل؟

- قد يكون ما يضعه قناعاً، فقد قام بجراحة تجميلية. أنت كنت قريباً منه يا شتال.

- لم أفكر في الأمر، لكن قد تكون محقاً.

تدخلت كاترين:

- لست بحاجة للكثير من المسكارا والكحل لتحقيق فرق.

- عظيم. هل وجدتم شيئاً متعلقاً باسم باول ستافنيس؟

ردت كاترين:

- ليس الكثير. ما من أحد باسم باول ستافنيس في السجل الوطني بتاريخ الميلاد نفسه الذي أعطاه لأون. هناك شخصان فقط يحملان الاسم نفسه وتلاحقهما الشرطة خارج أوسلو. أما الزوجان العجوزان اللذان يعيشان في العنوان الذي أعطاه لأون فلم يسمعا بأي شخص باسم باول ستافنيس أو فالنتين غجيرتسين.

- لا نقوم عادة بالتحقق من التفاصيل التي يقدمها مرضانا.

قال هاري:

- الفنادق ونزل المسافرين والفقراء ومنازل الإيجار. جميعها تسجل نزلاءها في قاعدة بيانات الآن.

دارت كاترين على كرسيها وبدأت تنقر على لوحة المفاتيح:

- سأرى.

سأل هاغن بنبرة مرتابة:

- هل مثل هذا النوع من المعلومات موجود على الإنترنت؟

رد هاري:

- لا، لكن كاترين تستخدم محركي بحث ستتمنى لو أنهما غير موجودين.

- لماذا؟

قال بيورن هولم وهو يحدق من وراء كاترين التي تضغط بأصابعها على المفاتيح مصدرة أصواتاً كصراصير تهرب على طاولة زجاجية.

- لأنها تستطيع الوصول إلى مستوى من الرموز التي تعني أن أفضل برامج الحماية في العالم عديمة الفائدة.

سأل هاغن:

- كيف يمكن ذلك؟

- لأنها الرموز نفسها التي تستخدمها برامج الحماية؛ أي إن محركات البحث هي الحماية.

- يا للهول! ما من باول ستافنيس في أي مكان.

قال هاغن:

- لا بد أنه يعيش في مكان ما. هل يستأجر شقة باسم باول ستافنيس؟ أيمكنك التحقق من الأمر؟

- معظم أصحاب المنازل يتحققون من المستأجرين هذه الأيام ويبحثون عنهم على الإنترنت ويتحققون من قوائم الضرائب، وفالنتين يعرف أنهم سيرتابون في حال لم يجدوا أي شيء في أي مكان.

قال هاري:

- فندق.

ونهض ووقف بجوار اللوح حيث كانوا قد كتبوا ما بدا لهاغن من النظرة الأولى كرسم بياني للأسهم والارتباطات الحرة والأدلة حتى تعرف على أسماء ضحايا جرائم القتل، وقد تمت الإشارة إلى أحدهم بالحرف ب فقط.

قالت كاترين:

- لقد ذكرت الفندق مسبقاً يا حبيبي.

- ثلاثة أعواد لتنظيف الأذن. لا يمكنك شراء كيس كهذا من متجر، وإنما تجدينه في حمام الفندق مع علب شامبو صغيرة. حاولي مجدداً يا كاترين لكن باسم جوداس جوهانسن هذه المرة.

انتهى البحث خلال أقل من خمس عشرة ثانية.

- لا شيء.
- تباً.
قال هاري وهو يتفحص كيس النايلون:
- لم ننته بعد. ما من اسم صانع على هذا، لكن أعواد تنظيف الأذن تكون في العادة بلاستيكية أما هذه فخشبية، لذا ينبغي أن نتمكن من تتبع المزودين وفنادق أوسلو التي تشتري منهم.
قالت كاترين بينما عاودت أصابعها العمل:
- مزودو الفنادق.
نهض شتال وقال:
- أنا سأغادر.
قال هاري:
- سأرافقك للخارج.
خارج مركز الشرطة قال شتال وهو ينظر إلى منتزه بوتس الذي يستحم بنور الربيع البارد:
- لن تجده.
- أتقصد لن نجده؟
تنهد شتال:
- ربما، لكنني لا أشعر أنني أقدم الكثير من الإسهامات.
- إسهامات؟! لقد أوصلتنا إلى فالنتين بمفردك.
- لقد هرب.
- لقد اقتربنا منه. لماذا تظن أننا لن نقبض عليه؟
- لقد رأيته بنفسك. ماذا تظن؟
هز هاري رأسه:
- قال إنه جاء إليك لأنك قمت بتقييم نفسي له وتوصلت إلى نتيجة أنه سليم العقل من الناحية القانونية أليس كذلك؟
- نعم. لكن كما تعلم، يمكن إدانة الأشخاص الذين لديهم اضطرابات نفسية شديدة.
- ما كنت تبحث عنه هو الفصام الشديد أو الذهان في وقت ارتكاب الجريمة، أليس كذلك؟
- نعم.
- لكن، قد يكون لديه هوس اكتئابي أو اعتلال في الشخصية. أي ربما يعاني من الذهان ثنائي القطب.

- المصطلح الصحيح هو الانطوائية.

وتناول شتال السيجارة التي ناوله إياها هاري.

أشعل هاري السيجارتين.

- من الجيد أنه جاء إليك على الرغم من أنه يعلم أنك تعمل لصالح الشرطة. لكن، هل سيستمر بعد أن أدرك أنك مشترك في مطاردته؟

سحب شتال نفساً وهز كتفيه:

- لا بد أنني طبيب نفسي رائع حتى يقوم بمثل هذه المخاطرة.

- هل من اقتراحات أخرى؟

- حسناً... ربما يبحث عن الإثارة. فالكثير من القتلة المتسلسلين قاموا بزيارة المحققين بذرائع مختلفة ليبقوا على مقربة من المطاردة، وليستمتعوا بتجربة الانتصار في خداع الشرطة.

- خلع فالنتين قميصه على الرغم من أنه يعلم أنك تعرف بأمر وشمه، وهذه مخاطرة شديدة في حال كنت مطارداً من أجل ارتكابك جريمة قتل.

- ماذا تقصد؟

- نعم، ماذا أقصد؟

- تقصد أن لديه رغبة في اللاوعي في أن يتم القبض عليه. فقد أراد مني أن أتعرف عليه، وحين فشلت قام بمساعدتي باللاوعي بإظهار وشمه.

- وحين حقق هدفه قام بمحاولة يائسة للهرب، أهذا ما تعنيه؟

- لقد طغى الوعي. يمكن لهذا أن يسلط ضوءاً جديداً على جرائم قتل رجال الشرطة يا هاري. جرائم قتل فالنتين أفعال قسرية يريدها أن تتوقف في اللاوعي، ويريد أن يتلقى عقابه أو أن يتمكن أحد ما من إيقاف العفريت في داخله. لكن حين فشل رجال الشرطة في القبض عليه في جرائم القتل الأصلية، قام بما يفعله الكثير من القتلة المتسلسلين وزاد عامل المخاطرة وذلك باستهداف رجال الشرطة الذين لم يتمكنوا من القبض عليه أول مرة؛ لأنه يعلم أنه في حال قتل رجال الشرطة لن تكون هناك حدود للموارد. وفي النهاية، أظهر وشمه لشخص يعلم أنه مشترك في التحقيق. أظن أنك محق يا هاري.

- مممم. لا أظن أن الفضل يعود لي. ماذا عن تفسير مبسط؟ فالنتين ليس حذراً كما يفترض لأنه ليس خائفاً بالقدر الذي نظنه.

- لا أفهم.

سحب هاري نفساً من سيجارته ونفث الدخان من أنفه وهو يسحبه.

كانت تلك خدعة تعلمها من عازف موسيقي ألماني أبيض في هونغ كونغ:

اسحب النفس وانفث الدخان في الوقت نفسه، وهكذا يمكنك تدخين سيجارتك لضعف المدة.

قال هاري:

- اذهب إلى البيت وارتح فقد كان اليوم شاقاً.

- شكراً، لكنني الطبيب النفسي هنا يا هاري.

- وضع قاتل سكيناً على رقبتك! آسف يا دكتور، لكنك لن تتمكن من التفكير بعقلانية هكذا، فالكوابيس ستتزايد... صدقني. لقد كنت هناك، لذا خذها نصيحة من زميل. هذا أمر.

- أمر؟ هل أصبحت القائد الآن يا هاري؟

- هل كان لديك أي شك في ذلك؟

وبحث هاري في جيبه وأخرج هاتفه:

- نعم.

ألقى السيجارة نصف المدخنة على الأرض:

- لقد وجدوا شيئاً.

شاهد أون هاري وهو يمشي عبر الباب، ثم نظر إلى السيجارة التي يتصاعد منها الدخان على الأسفلت وداسها بحذائه، وزاد من الضغط، ثم أدار قدمه وأحس بالسيجارة تنسحق تحت النعل الجلدي الرفيع، ثم أحس بالحنق يتصاعد فأدار قدمه بقوة أكبر حتى تناثر الفلتر والرماد والورق والتبغ على الأسفلت، ورمى سيجارته وكرر المحاولات وأحس بالراحة والانزعاج في الوقت نفسه. أحس وكأنه يصرخ ويضرب ويضحك ويبكي، وتذوق كل فرق بسيط في السيجارة. إنه حي... إنه حي.

قالت كاترين قبل أن يغلق هاري الباب وراءه:

- فندق كاسباه في بوابة غانج رولفز. غالباً ما تقوم السفارات باستخدام هذا الفندق لموظفيها قبل أن تؤمن لهم مساكن طويلة الأمد. أسعاره معقولة وغرفه صغيرة.

- ممم. لماذا هذا الفندق بالتحديد؟

- إنه الفندق الوحيد الذي يقدم هذه الأعواد الثلاثة، ويقع في الجانب المناسب من المدينة بالقرب من القطار رقم 12 . اتصلت بهم لكن ليس لديهم أي نزلاء باسم ستافنيس أو غجيرتسين أو جوهانسن لكنني أرسلت لهم رسم بتي.

- و؟

- قال موظف الاستقبال إن لديهم نزيلاً يشبهه يدعى سافيتسكي يدعي أنه يعمل في سفارة بيلاروسيا. كان يغادر للعمل مرتدياً بذلة لكنه بدأ الآن بارتداء ملابس رياضية ويقود دراجة.

أمسك هاري السماعة في يده:

- هاغن؟ نريد فرقة دلتا مباشرة.

33

قال ترولس وهو يدير كأس الشراب بين أصابعه:

- إذاً، أهذا ما تريد مني أن أفعله؟

كانا يجلسان في كامبن بيسترو حيث قال مايكل إنه مكان جيد لتناول الطعام في شرق أوسلو، وهو مكان شهير بين الشخصيات المشهورة الذين لديهم خلفيات ثقافية أكثر من المال، والذين يتقاضون أجوراً منخفضة للحفاظ على نمط حياتهم من دون أن يبدوا مثيرين للشفقة.

كان ترولس قد عاش في شرق أوسلو طوال حياته لكنه لم يسمع قط بهذا الاسم.

- ولِمَ علي ذلك؟

قال مايكل وهو يسكب بقية المياه المعدنية في كأسه:

- سألغي إيقافك.

- آه؟

وحدق ترولس بمايكل بارتياب.

- نعم.

رشف ترولس رشفة من كأسه، ثم مرر يده على فمه على الرغم من أن الرغوة قد اختفت منذ زمن.

- إن كان الأمر سهلاً بهذا الشكل فلماذا لم تقم به من قبل؟

أغمض مايكل عينيه وأخذ نفساً.

- إنه ليس سهلاً، لكنني أريد القيام به.

- لماذا؟

- لأنني في ورطة ما لم تساعدني.

ضحك ترولس:

- غريب كم تدور الأيام بسرعة، أليس كذلك يا مايكل؟

نظر مايكل بيلمان في كلا الاتجاهين. كانت الغرفة مليئة، لكنه اختارها لأن رجال الشرطة لا يقصدونها كثيراً، وينبغي أن لا يراه أحد مع ترولس. كان لديه إحساس بأن ترولس يعلم، لكن ماذا؟

- ما جوابك؟ يمكنني سؤال شخص آخر.

قهقه ترولس:

- افعل ما يحلو لك.

تفحص مايكل الغرفة. لم يكن يرغب بإخبار ترولس بضرورة عدم

البقاء صامتاً. لكن... في ما مضى، كان مايكل على الأغلب قادراً على توقع ردة فعل ترولس ودفعه لفعل ما يريده، لكنه تغير الآن وظهر شيء شرير وغير متوقع في أفعال صديق طفولته...

- أريد جواباً. الأمر طارئ.

قال ترولس وهو يحتسي شرابه دفعة واحدة:

- حسناً. إنهاء الإيقاف ممتاز لكنني أريد شيئاً آخر.

- ما هو؟

- أريد سروالَيْن داخليين لأولا.

حدق مايكل بترولس. أهو ثمل؟ أو إن الوحشية في عينيه أصبحت ميزة دائمة؟

ضحك ترولس بصوت مرتفع، وضرب كأسه بالطاولة فالتفت إليه بعض الناس.

بدأ مايكل:

- ســـ... سأرى ما...

- أنا أمزح أيها السافل!

ضحك مايكل ضحكة مقتضبة:

- وأنا أيضاً. هل تقصد أنك...؟

- بالطبع. لقد كنا صديقين منذ طفولتنا، أليس كذلك؟

- بالطبع. ليست لديك أدنى فكرة عن مدى امتناني لك يا ترولس.

مد ترولس يده عبر الطاولة ووضعها بقوة على كتف مايكل.

- بلى، لدي.

فكر مايكل في أنه وضع يده على كتفه بقوة شديدة.

لم يكن هناك أي استكشاف أو دراسة لمخطط الطابق بحثاً عن المخارج أو أماكن الهرب المحتملة أو سيارات شرطة تسد الطرقات حيث توقفت عربات فرقة دلتا، وإنما قام سيفرت فالكيد بإصدار الأوامر، بينما بقي الرجال المدججون بالسلاح هادئين؛ مما يعني أنهم فهموا كل شيء.

كانت المسألة مسألة وقت، كما أن أفضل خطة في العالم ستكون بلا طائل إن هرب العصفور.

كان هاري الجالس في مؤخر السيارة، وهو يعلم أنه ليس لديهم لا ثاني ولا حتى ثالث أفضل خطة في العالم.

كان أول ما سأله فالكيد لهاري هو إن كان يظن أن فالنتين سيكون

مسلحاً، فأجاب هاري أنه تم استخدام مسدس لقتل رينيه كالسنس، كما يظن أنه تم تهديد بتي بمسدس.

نظر إلى الرجال أمامه... رجال شرطة تبرعوا للقيام بالعمليات المسلحة. كان يعرف الأجور التي يتقاضونها على العمل الإضافي والتي لم تكن كثيرة، كما كان يعلم ما يظن دافعو الضرائب أن بإمكانهم طلبه من رجال دلتا والذي كان كثيراً. كم مرة سمع الناس ذوي الإدراك المتأخر وهم ينتقدون رجال دلتا لأنهم لا يعرضون أنفسهم لخطر أكبر وليست لديهم حاسة سادسة تخبرهم بما يحصل وراء باب مغلق أو في طائرة مخطوفة أو على شاطئ مليء بالغابات، ولعدم تصرفهم على نحو صحيح. بالنسبة لعنصر دلتا يقوم بأربع مهمات في السنة، أي حوالى مائة خلال عمله لخمس وعشرين سنة، فإنه إن قام بذلك فهذا يعني أنه سيلاقي حتفه أثناء أدائه لعمله. لكن النقطة الرئيسة هي أنه في حال قتل ضمن خط النار فذلك يضمن فشل العملية ويُعرّض العناصر الآخرين للخطر.

صرخ فالكيد:

- ليس هناك سوى مصعد واحد. اثنان وثلاثة قوما بالصعود به. أربعة وخمسة وستة اصعدوا على الدرج الرئيس. سبعة وثمانية استخدما مخرج الطوارئ. أما أنا وهول فسنغطي المنطقة في الخارج في حال خرج عبر النافذة.

قال هاري:

- ليس معي سلاح.

قال فالكيد وهو يناوله مسدس كلوك 17 :

- خذ.

أمسك هاري المسدس وأحس بثقله وبالتوازن.

لم يكن يفهم قط مهووسي الأسلحة، كما لا يفهم مهووسي السيارات أو الأشخاص الذين يبنون بيوتاً مع أنظمة صوت مصممة ضمنها؛ لكنه لم يجد أي اعتراض حقيقي على حمل المسدس حتى السنة الماضية. فكر هاري بآخر مرة حمل فيها مسدساً... بالأوديسا في الخزانة... لكنه تخلص من الفكرة.

قال فالكيد:

- نحن هنا.

وركن السيارة في شارع هادئ بجوار بوابة مبنى حجري فخم من أربعة طوابق مشابه لجميع المنازل الأخرى في المنطقة. كان هاري يعلم أن

بعض مالكيها قديمو الثراء، بينما أراد بعض محدثي الثراء أن يبدوا قديمي الثروة، كما أن بعض المباني الأخرى سفارات أو بيوت سفراء أو مكاتب إعلانات أو شركات تسجيل أو شركات شحن صغيرة. كانت هناك لافتة نحاسية مخفية على البوابة تؤكد أنهم جاءوا إلى العنوان الصحيح.

رفع فالكيد ساعة يده.

- الاتصال اللاسلكي.

قال العناصر أرقامهم التي كانت الأرقام نفسها المكتوبة على خوذاتهم باللون الأبيض، ثم وضعوا أقنعتهم وشدوا الأحزمة على مسدساتهم الآلية.

- حين أعد عكسياً للرقم واحد سننطلق. خمسة. أربعة...

لم يكن هاري واثقاً إن كان الأمر متعلقاً بالأدرينالين في جسده أو الأدرينالين لدى الرجال الآخرين، لكن كانت هناك رائحة وطعم مميزان.

فتحت الأبواب، ورأى هاري جداراً من الأظهر السوداء تركض عبر البوابة متجاوزة الأمتار العشرة إلى المدخل حيث اختفوا.

خطا هاري وراءهم وهو يعدل سترته الواقية من الرصاص حيث كانت بشرته تحتها مبللة بالعرق. قفز فالكيد من المقعد المجاور للسائق بعد أن أزال المفتاح من فتحة التشغيل. كان هاري قد تذكر حلقة من مسلسل حيث تمكن المجرم من الهرب باستخدام سيارة الشرطة التي كانوا قد تركوا فيها المفتاح. ناول هاري المسدس لفالكيد.

- انتهت مدة ترخيص حملي للسلاح.

- لقد سلمتك إياه على أساس حالة طوارئ وفقاً لقوانين الشرطة في حالات الطوارئ.

قام هاري بحشو المسدس ثم مشى على الحصى. كانت حنجرته تتحرك صعوداً ونزولاً كما لو أنه قد تناول الطعام للتو. لاحظ هاري أن الاسم على سترته السوداء يتطابق مع اسم موظف الاستقبال الذي تكلم معه عبر الهاتف.

لم يكن موظف الاستقبال قادراً على التأكيد إن كان النزيل في غرفته أو في مكان آخر في الفندق، لكنه عرض أن يتحقق من الأمر. إلاّ أن هاري أمره بحزم أن لا يفعل ذلك، بل طلب منه أن يكمل عمله بشكل اعتيادي ويتصرف كما لو أن شيئاً لم يحصل لئلا يتأذى هو أو أي أحد آخر. لكن رؤية سبعة رجال باللون الأسود ومدججين بالسلاح جعلت من الصعب عليه التصرف كما لو أن شيئاً لم يحدث.

قال موظف الاستقبال بلكنة أوروبية شرقية:

- أعطيتهم المفتاح الرئيس، وطلبوا مني الخروج و...
همس فالكيد وهو يشير بإصبعه وراءه:
- قف وراء سيارتنا.
تركهم هاري ومشى حاملاً المسدس حول المبنى إلى حيث وجد حديقة ظليلة من أشجار التفاح تمتد حتى سور المبنى المجاور. كان هناك رجل عجوز يجلس على الشرفة، يقرأ صحيفة بريطانية، أخفض الصحيفة وحدق عبر نظارته، فأشار هاري إلى كلمة «الشرطة» على سترته المضادة للرصاص، ثم وضع إصبعاً على شفته وأومأ بسرعة إلى نافذة الطابق الثالث، فقد كان موظف الاستقبال قد أخبرهم أين تقع غرفة البيلاروسي المزعوم. كانت تقع في نهاية الممر، وتطل النافذة على الجانب الخلفي.
عدل هاري سماعة الأذن منتظراً.
بعد بضع ثوانٍ صدر الصوت... انفجار مكتوم وغير واضح لقنبلة يدوية تبعها صوت تكسر الزجاج.
كان هاري يعلم أن ضغط الهواء لن يكون له تأثير أكبر من هزيمة أولئك الموجودين في الغرفة، لكن الانفجار مع هجوم الرجال سيشل حتى المجرمين عالي التدريب خلال الثواني الثلاث الأولى؛ وهو كل ما تحتاجه فرقة دلتا.
انتظر هاري ثم جاء صوت مكتوم عبر سماعة الأذن... ما كان يتوقعه بالضبط.
- دخلنا الغرفة 406 ، لكن ما من أحد هناك.
لكن ما جاء بعد هذه العبارة جعل هاري يشتم بصوت مرتفع.
- يبدو أنه كان هنا لأخذ أغراضه.

كان هاري واقفاً وقد شبك ذراعيه في الممر خارج الغرفة 406 حين وصل بيورن وكاترين.
سألت كاترين:
- ركلة موفقة. هل ارتطمت بالعارضة.
رد هاري وهو يهز رأسه:
- لقد أخطأنا في مرمى مفتوح.
تبعاه إلى الغرفة.
- لقد جاء إلى هنا مباشرة وأخذ كل أغراضه ورحل.
تساءل بيورن:

- كلها؟
- كلها باستثناء عودين مستخدمين لتنظيف الأذنين وتذكرتي قطار وجدناها في سلة القمامة، بالإضافة إلى بقية تذكرة مباراة كرة قدم أظن أننا ربحنا بها.
سأل بيورن وهو يجول بنظره في أرجاء الغرفة:
- أننا؟
- النروج. المباراة بين النروج وسلوفينيا.
- نعم، لقد ربحنا، فقد سجل ريز هدفاً في الوقت الإضافي.
قالت كاترين وهي تهز رأسها:
- مرضى! كيف يمكنكم أيها الرجال تذكر مثل هذه الأمور. لا أستطيع أن أتذكر حتى إن كان بران قد ربح البطولة أو هبط إلى الدرجة الثانية في السنة الماضية.
اعترض بيورن:
- أنا لست كذلك. أنا لا أذكرها إلا لأننا كنا على وشك التعادل، ثم تلقيت اتصالاً، وحين غادرت قام ريز...
- لكنك تتذكر بكل الأحوال. أنت...
- هيه!
التفتا إلى هاري الذي كان يحدق بالتذكرة.
- أتذكر لماذا يا بيورن؟
- ماذا؟
- الاتصال الذي تلقيته؟
حك بيورن هولم أحد سالفيه:
- لا أذكر. كان ذلك في أول الأمسية...
قال هاري:
- لا تشغل بالك. كان ذلك يوم مقتل إيرلند فينيسلا في ماريدال.
- حقاً؟
- في الأمسية نفسها حين كانت النروج تلعب في ملعب أوليفال. التاريخ هنا على التذكرة في السابعة مساءً.
قالت كاترين:
- آه!
بدت تعابير الألم على وجه بيورن هولم:
- لا تقل ذلك يا هاري. أرجوك لا تقل إن فالنتين كان في المباراة،

لأن ذلك يعني...

أكملت كاترين:

- أنه ليس القاتل ونحن نريده أن يكون هو يا هاري. لذا، قل من فضلك شيئاً مشجعاً.

- حسناً. لماذا لم يضع هذه التذكرة في السلة مع عودَي تنظيف الأذنين وتذكرتَي القطار؟ لماذا وضعها على الطاولة في حين أزال كل شيء آخر من مكانه؟ لماذا وضعها تماماً في مكان يضمن به أننا سنجدها فيه؟

- لقد ترك حجة غيابه.

- لقد تركها لنا لنقف هنا كما نفعل الآن ونبدأ بالشك من دون أن نثق بما نفعله. لكن هذه مجرد بقية تذكرة، ولا يمكن أن تثبت أنه كان هناك بل على العكس. فالغريب ليس أنه كان في مباراة كرة قدم في ملعب حيث لا يذكر المشجعون بعضهم فحسب، بل أيضاً أنه احتفظ بالتذكرة لسبب غير مفهوم.

قالت كاترين:

- تحمل التذكرة رقم مقعد. ربما يمكن للأشخاص الجالسين بجانبه وخلفه تذكر من كان هناك أو إن كان المقعد فارغاً. يمكنني البحث عن رقم المقعد فقد أجد...

- افعلي ذلك، لكننا تعرضنا لهذا مسبقاً مع حجج غياب مزعومة في السينما والمسرح، فبعد ثلاثة أيام أو أربعة لا يعود الناس يذكرون جيرانهم.

- أنت محق.

قال بيورن هولم:

- الدولية.

سأل هاري وهو يتجه إلى الحمام:

- ما بهم؟

- المباريات الدولية تخضع لقواعد الفيفا وأنظمتها. المخربون.

صرخ هاري من وراء باب الحمام:

- بالطبع. أحسنت يا بيورن!

ثم صفق الباب.

صرخت كاترين:

- ماذا؟ ماذا يعني ذلك؟

- كاميرات المراقبة. يطلب الفيفا من منظمي المباريات تصوير المشجعين في حال حدثت أي أحداث شغب؛ وذلك كنتيجة لموجة التخريب

في التسعينيات لمساعدة الشرطة على إيجاد مثيري المشاكل والقبض عليهم. وهكذا، فهم يصورون المدرجات طوال المباراة بكاميرات عالية الدقة ليتمكنوا من تكبير الصورة والتعرف على جميع الوجوه. ونحن لدينا منطقة الجلوس والصف ورقم مقعد فالنتين.

صرخت كاترين:

- لم يجلس! لا يمكن أن يظهر في أي صور لعينة وإلا فسنعود إلى نقطة الصفر.

قال بيورن:

- ربما يكونون قد حذفوا الصور؛ إذ لم تقع أي أحداث شغب خلال المباراة، وأنا متأكد من أن دليل أرشفة البيانات ينص على المدة التي يسمح لهم فيها بإبقاء...

- دليل أرشفة البيانات؟!

- في حال تم تخزين الصور إلكترونياً فكل ما عليهم فعله هو الضغط على «حذف» لتختفي الصور.

- إنّ محاولة إزالة الملفات بشكل دائم كمحاولة إزالة فضلات الكلاب عن حذائك. فهذا صعب للغاية. كيف تظن أننا وجدنا أفلاماً غير مناسبة وغير أخلاقية على أجهزة حواسب قدمها لنا المنحرفون طواعية ظناً منهم أنهم تخلصوا منها؟ صدقني. سأجد فالنتين غجيرتسين إن كان في الملعب في ذلك المساء. متى كان وقت وفاة إيرلند فينيسلا؟

سمعا صوت المياه تتدفق في الحمام.

قال بيورن:

- بين السابعة والثامنة، أي عند بداية المباراة مباشرة بعد أن سجل هينريكسن هدف التعادل. لا بد أن فينيسلا قد سمع هتاف الجمهور في ماريدال، فالمنطقة ليست بعيدة عن أوليفال، أليس كذلك؟

فتح باب الحمام:

- مما يعني أنه كان بإمكانه الوصول إلى المباراة بعد تنفيذه جريمة القتل في ماريدال. وما إن يصل إلى الملعب حتى يتمكن من فعل شيء كي يتمكن الناس حوله من تذكره. حجة غياب.

- لم يكن فالنتين في المباراة. لكن في حال كان هناك فسأشاهد الفيديوهات من البداية إلى النهاية وأكتب التوقيت في حال أبعد مؤخرته عن الكرسي... حجة غياب!

كان الصمت مخيماً على البيوت المنفصلة الكبيرة.

الصمت قبل أن تكسره أصوات سيارات الفولفو والأودي العائدة إلى البيوت بعد العمل لشركة النروج المحدودة.

رن ترولس بيرنتسين على الجرس ونظر حوله.

حديقة مرتبة ومنسقة بعناية. قد يكون لديك الوقت للقيام بذلك إن كنت رئيس شرطة متقاعداً.

فتح الباب. بدا أكبر. العينان الزرقاوان الحادتان نفسهما، لكن البشرة حول رقبته كانت أكثر ترهلاً، وظهره أكثر انحناءً؛ أي إنه لم يعد مثيراً للإعجاب كما كان ترولس يذكر. ربما كان السبب ملابسه العادية وربما هذا ما يحصل عندما تفقد عملك الذي تستمد منه قوتك.

- بيرينيتزين من أورغكريم.

ورفع ترولس بطاقة تعريفه وهو يعلم أنه في حال قام الرجل العجوز بقراءة بيرنتسين فسيظن أن هذا ما سمعه... كذب مع دعم. لكن رئيس الشرطة هز رأسه من دون أن ينظر.

- أظن أنني قد رأيتك من قبل. كيف يمكنني أن أساعدك يا بيرينيتزين؟

لم يعط أي إشارة إلى أنه سيدعو ترلوس للدخول، وهو أمر جيد بالنسبة لترولس فلا أحد يمكنه أن يراهما، كما أن هناك ضجيجاً في المحيط.

- الأمر متعلق بابنك سوندر.

- ما به.

- إننا ندير عملية للقبض على القوادين الألبانيين، ولهذا كنا نراقب التحركات في كفادراتورين ونلتقط الصور، وقد تعرفنا على عدد من السيارات التي رأينا مومسات يستقللنها، وننوي استدعاء المالكين للاستجواب. سنضمن لهم تخفيف الحكم في حال استفدنا من المعلومات التي يقدمونها حول القوادين. وإحدى السيارات التي صورناها تعود ملكيتها لابنك.

رفع رئيس الشرطة حاجبه الكثيف:

- ما هذا؟ سوندر؟ هذا مستحيل.

- ظننت ذلك أيضاً لكنني أردت التشاور معك. إن كنت تظن أن هذا ناتج عن سوء فهم وأن المرأة التي ركبت معه ليست مومساً فسنقطع الصورة.

- سوندر متزوج وسعيد بزواجه، وقد ربيته بنفسي، وهو يعرف الفرق

بين الخطأ والصواب. صدقني.

- بالطبع، لكنني أردت أن أتأكد فحسب أنك ترى الموضوع هكذا أيضاً.

- يا إلهي. لماذا يقوم المرء بشراء... الجنس من الشارع؟ لا. لا. لا.

- يبدو أننا متفقان على أنه ما من طائل من متابعة الأمر. وعلى الرغم من أن لدينا أسباباً تدفعنا للاشتباه في أن المرأة مومس، فقد يكون ابنك قد أعار سيارته لأحد ما، وليست لدينا صورة للسائق.

- إذاً، ليس لديك أي دليل. من الأفضل أن تنسى الأمر.

- شكراً. سنفعل كما طلبت.

أومأ رئيس الشرطة ببطء وهو يتفحص ترولس بعناية.

- بيرينيتزين في أورغكريم. أليس كذلك؟

- نعم.

- شكراً يا بيرينيتزين. إنكم تقومون بعمل جيد.

ابتهج ترولس:

- إننا نبذل أفضل ما لدينا. يوماً طيباً.

قالت كاترين:

- ما الذي ما قلته؟

وحدقت بالشاشة السوداء أمامها. في العالم خارج غرفة التدفئة حيث كان الهواء ثقيلاً كان الوقت مساءً.

- قلت إن هناك احتمالاً كبيراً في أن صور الحشود قد تم حذفها بسبب دليل أرشفة البيانات. وكما ترين كنت محقاً.

- وماذا قلت أنا؟

- قلت إن الملفات كفضلات الكلاب على الحذاء، ومن المستحيل حذفها.

- لم أقل مستحيل.

جلس أعضاء الفريق الأربعة حول حاسب كاترين. حين اتصل هاري بشتال وطلب منه الانضمام إليهم بدا شتال مرتاحاً أكثر من أي شيء آخر.

- لقد قلت إنه من الصعب حذفها. لكن كقاعدة، هناك صورة تعكسها في مكان ما، ويمكن لرجل ذكي يتقن العمل على الحاسب أن يتمكن من إيجادها.

سأل شتال:

- أو امرأة؟
ردت كاترين:
- لا. لا يمكن للنساء فعل ذلك، فهن لا يتذكرن نتائج مباريات كرة القدم، ولا يكترثن لتعلم كيفية استخراج مثل هذه المعلومات على جهاز الحاسب. لهذا أنتم بحاجة لرجل غريب الأطوار؛ فهذا ما كان عليه الأمر منذ العصر الحجري.
- إذاً، لا يمكنك...
- دائماً أشرح لكم أنني لست خبيرة حاسوب يا شتال. بحثت محركات البحث في ملفات الهيئة النروجية لكرة القدم، لكن جميع التسجيلات قد تم حذفها، ولهذا أظن أنني لن أفيدكم بشيء في هذا الخصوص من هذه النقطة فصاعداً.
قال بيورن:
- كنا سنوفر على أنفسنا بعض الوقت لو استمعت إليّ. إذاً ماذا سنفعل الآن؟
- لم أقل إنني لن أفيدكم بأي شيء. فكما ترى لدي بعض الفضائل كالسحر الأنثوي، وسرعة البديهة الذكورية، وعدم الشعور بالخزي مما قد يجعلني من غريبي الأطوار. الشخص الذي أطلعني على محركات البحث هذه عرفني أيضاً على خبير هندي بتقانات المعلومات معروف باسم سايد كات، وقد اتصلت به منذ ساعة في حيدر أباد وأطلعته على القضية.
- ثم...؟
- وها هي التغطية.
وضغطت كاترين على زر الإعادة.
أضاءت الشاشة.
وحدقوا كلهم بها.
قال شتال:
- ها هو. إنه يبدو وحيداً.
كان فالنتين غجيرتسين أو باول ستافنيس المزعوم يجلس أمامهم شابكاً ذراعيه وهو يشاهد المباراة من دون أي اهتمام واضح.
شتم بيورن:
- تباً!
طلب هاري من كاترين تسريع الصورة.
ضغطت على زر وبدأت الحشود حول فالنتين غجيرتسين بالتأرجح

كالساعة، في حين تسارع عداد الوقت على الزاوية السفلى اليمنى، إلا فالنتين غجيرتسين بقي جالساً بهدوء كتمثال عديم الحياة وسط موجة من الحياة.

قال هاري:

- أسرع.

ضغطت كاترين مجدداً، وبدا الناس أنفسهم أكثر نشاطاً وهم ينحنون للأمام والخلف وينهضون ويرمون أذرعهم في الهواء ويغادرون ويعودون حاملين قطعة نقانق أو كوب قهوة، ثم بدت الكثير من المقاعد الفارغة.

ثم امتلأ الملعب مجدداً لتتزايد الحركة بين الحشود. كانت الساعة في الزاوية تركض، بينما تتأرجح الرؤوس ويبدو التوتر. وفجأة، ارتفعت الأيدي في الهواء. لبضع ثوانٍ، بدت الصورة وكأنها تجمدت؛ حيث قفز الناس عن مقاعدهم وهم يهتفون ويقفزون ويعانقون بعضهم باستثناء شخص واحد.

قال بيورن:

- ركلة جزاء لريز في الوقت بدل الضائع.

انتهت المباراة.

أفرغ الناس مقاعدهم، بينما بقي فالنتين جالساً بلا حراك حتى غادر الجميع ثم نهض وغادر.

قال بيورن:

- أظن أنه لا يحب الاصطفاف في طابور.

ثم اسودت الشاشة مجدداً.

قال هاري:

- إذاً، ماذا شاهدتم؟

- لقد شاهدنا مريضي وهو يتابع مباراة كرة قدم. أظن أن علي القول مريضي السابق بما أنه لن يحضر في الجلسة المقبلة. بكل الأحوال، كانت المباراة ممتعة للجميع باستثنائه. وكما أعرف لغة جسده، يمكنني القول بكل ثقة إنه غير مهتم؛ مما يثير السؤال: إذاً، لماذا ذهب إلى مباراة كرة قدم؟

- كما أنه لم يتناول أي طعام أو يذهب إلى دورة المياه أو ينهض عن مقعده طوال المباراة، وإنما جلس هناك كعمود لعين. كم هذا غريب! كما لو أنه يعلم أننا سنتحقق من التسجيلات ولم يرد أن نفوت عشر ثوانٍ من حجة غيابه اللعينة.

قال بيورن:

- لو أجرى مكالمة هاتفية لتمكنا من معرفة الرقم الذي اتصل به، ولحدّدنا الوقت الذي اتصل به وتحققنا منه ضمن المكالمات الصادرة من المحطة التي تغطي ملعب أوليفال و...

قال هاري:

- لكنه لم يتصل.

- لكن لو...

- لكنه لم يتصل يا بيورن. ومهما كان دافع فالنتين لمشاهدة المباراة في أوليفال فقد بقي جالساً هناك أثناء مقتل إيرلند فينيسلا في ماريدال. والفكرة الأخرى هي...

وحدق هاري للأعلى إلى الجدار الحجري الأبيض الأعزل:

- أننا عدنا إلى نقطة الصفر.

34

جلست أورورا على الأرجوحة تشاهد أشعة الشمس المنسابة عبر أوراق أشجار الإجاص. على الأقل بابا قد أكد بعناد أنها أشجار إجاص، لكن أحداً لم ير أي إجاص عليها. كانت أورورا في الثانية عشرة من العمر، وكبيرة قليلاً على الأرجوحة، كما أنها كبيرة كثيراً على تصديق كل ما يقوله لها والدها.

كانت قد عادت إلى البيت من المدرسة وأنهت واجباتها المدرسية ثم خرجت إلى الحديقة بينما توجهت أمها إلى المتجر. لن يأتي أبوها على العشاء فقد بدأ العمل لفترات طويلة مجدداً على الرغم من أنه وعدها ووعد أمها أنه سيعود إلى المنزل كالآباء الآخرين، ولن يقوم بأي عمل للشرطة في المساء، وإنما سيعمل كطبيب نفسي في عيادته فحسب ثم سيعود إلى المنزل. لكنه عاد للعمل مع الشرطة، مع أن أمها وأباها لم يكونا يرغبان بإخبارها بنوع العمل الذي يقوم به.

وجدت الأغنية التي كانت تبحث عنها على جهاز الآي بود... ريهانا تغني أنه إن كان يريدها فعليه القدوم والمشي معها. مدت أورورا ساقيها للحصول على سرعة أكبر. لقد أصبحت ساقاها طويلتين مما جعلها مضطرة لثنيهما تحتها أو رفعهما لئلا ترتطما بالأرض تحت الأرجوحة. قريباً ستصبح طويلة كأمها. أرجعت رأسها للوراء وأحست بثقل شعرها الغزير والطويل المتدلي من رأسها... جميل. أغمضت عينيها من الشمس فوق الأشجار وسمعت ريهانا تغني، ثم سمعت طقطقة منخفضة لغصن شجرة كلما انخفضت الأرجوحة، كما سمعت صوتاً آخر... البوابة تفتح، وهناك صوت خطوات على الطريق الحصوي.

نادت من دون أن تفتح عينيها أو تبعد وجهها عن أشعة الشمس الدافئة:

- ماما.

لكنها لم تتلق أي رد، ثم تذكرت أنها لم تسمع صوت سيارة تتوقف، ولم تسمع صوت بوق سيارة أمها الزرقاء المحموم.

سحبت قدميها على الأرض وأبطأت الأرجوحة حتى توقفت، بينما بقيت عيناها مغمضتين من دون أن ترغب بإيقاف صوت الموسيقى الرائع... الشمس وأحلام اليقظة.

أحست بظل يقع عليها، والبرد ينتشر كما يحدث حين تمر سحابة

أمام الشمس في يوم بارد. فتحت عينيها، ورأت شخصاً يقف أمامها كمظلة في السماء وتحيط برأسه هالة من الشمس. وللحظة رمشت وارتبكت.

قال الصوت:

- مرحباً أيتها الفتاة الصغيرة. ما اسمك؟
- أورورا.

وأغمضت إحدى عينيها لتتمكن من رؤية وجهه بشكل أفضل. ما من شعر طويل أو لحية.

- هل والدك في المنزل؟
- إنه في العمل.
- آه. إذاً، أنت وحدك. أليس كذلك يا أورورا؟

كانت أورورا على وشك الإجابة، لكن شيئاً ما أوقفها... ما هو هذا الشيء؟ لا تدري.

قالت:

- من أنت؟
- أنا شخص بحاجة للحديث مع أبيك، لكن بإمكاني الحديث معك بما أننا بمفردنا. أليس كذلك؟

لم تجب أورورا.

سأل الرجل مشيراً إلى الآي بود:

- ما الموسيقى التي تستمعين لها؟
- ريهانا.

ودفعت الأرجوحة للخلف؛ ليس لتبتعد عن ظل الرجل فحسب وإنما لتراه على نحو أفضل.

- آه. لدي الكثير من أسطواناتها في المنزل. أترغبين باستعارة بعضها؟
- أنا أستمع للأغاني التي ليست موجودة لدي على موقع سبوتيفاي.

وتوصلت أورورا إلى أن الرجل يبدو عادياً وليس فيه أي شيء غريب.

- آه سبوتيفاي.

وجثم الرجل، ليس ليصبح بارتفاعها وإنما أكثر انخفاضاً منها.

- إذاً، يمكنك الاستماع لكل الأغاني التي تريدينها.
- تقريباً، لكنني مشتركة بالموقع المجاني، وهناك الكثير من الإعلانات بين الأغاني.
- وأنت لا تحبين ذلك، أليس كذلك؟
- لا أحب الكلام، فهو يعكر الجو.

- أتعلمين أن هناك تسجيلات فيها كلام وهي من أفضل الأغاني؟
- لا.

وأمالت أورورا رأسها وتساءلت عن سبب تكلم الرجل بهدوء شديد كما لو أنه ليس صوته العادي. إنه الصوت نفسه الذي تتكلم به صديقتها إيميلي حين تطلب شيئاً منها؛ كأن تستعير ملابسها المفضلة، لكن أورورا لا تحب إعارتها لأن الأمر مليء بالفوضى؛ حيث لا تعرف أين أصبحت ملابسها.

- ينبغي عليك الإنصات لبينك فلويد.
- من هو؟

نظر الرجل حوله.

- يمكننا الدخول والعمل على جهاز الحاسب لأريك بينما ننتظر أباك.
- يمكنك تهجئة الاسم لي وسأتذكره.
- من الأفضل أن أريك إياه، كما يمكنني الحصول على كأس من الماء.

نظرت إليه أورورا. بما أنه يجلس الآن منخفضاً عادت الشمس لتشرق على وجهها لكنها لم تدفئها. هذا غريب. انحنت للوراء على الأرجوحة، بينما ابتسم الرجل ورأت شيئاً يلمع بين أسنانه كما لو أن طرف لسانه كان هناك ثم اختفى.

وقف وأمسك الحبال:

- هيا بنا.

نزلت أورورا عن الأرجوحة لتصبح بين ذراعيه، ثم بدأت تمشي نحو المنزل وهي تسمع خطواته وراءها وصوته:

- ستحبين ذلك يا أورورا. أعدك.

إنه لطيف. لكن، سواء أكان لطيفاً أم لا فهي لا تريده أن يدخل المنزل، ومع ذلك استمرت بالمشي. ماذا ستقول لأبيها؟ أنها منعت شخصاً يعرفه من الدخول لتناول كأس من الماء؟! لا... لا يمكنها ذلك. مشت ببطء أكبر لتمنح نفسها وقتاً أطول للتفكير وتجد عذراً لئلا تدخله، لكنها لم تجد أي عذر. ولأنها أبطأت أصبح أقرب منها، حيث أصبح بإمكانها سماع صوت أنفاسه الثقيلة؛ كما لو أن أنفاسه تتقطع بسبب الخطوات القليلة التي خطاها من الأرجوحة. هناك رائحة غريبة منبعثة من فمه ذكرتها برائحة مزيل طلاء الأظافر.

خمس خطوات إلى الدرج... عذراً... هناك خطوتان... الدرج... هيا... لا...

وصلا إلى الباب.

بلعت أورورا:

- أظن أنه مقفل. علينا الانتظار في الخارج.

- حقاً؟

وحدق الرجل من أعلى الدرج كما لو أنه يبحث عن أبيها في مكان ما وراء المفصلات أو عن الجيران، ثم أحست بالحرارة المنبعثة من ذراعه حين مدها فوق كتفها وأمسك بمقبض الباب وأنزله ففتح.

- أوه. إننا محظوظان.

كانت أنفاسه متسارعة وصوته مرتعشاً.

واجهت أورورا الباب وحدقت في الردهة المظلمة. مجرد كوب من الماء والموسيقى مع الكلام الذي لا يهمها على الإطلاق. من بعيد، سمعت صوت جزازة عشب غاضبة ومزمجرة. خطت إلى الداخل.

بدأت:

- علي...

ثم توقفت فجأة، وأحست بيده على كتفها كما لو أنه تجاوز خطاً، وشعرت بحرارة يده حيث اقشعر جسدها، وأحست بقلبها يقفز، ثم سمعت جزازة عشب أخرى؛ لكنها لم تكن جزازة عشب وإنما هي محرك صغير هادر.

- ماما.

صرخت أورورا وهي تفلت من قبضة الرجل وتركض بعيداً عنه، ثم قفزت عن الدرج إلى الحصى وركضت وهي تصرخ:

- علي المساعدة في إحضار الأغراض.

ركضت إلى البوابة، وأنصتت لترى إن كانت هناك خطوات وراءها، لكن طقطقة حذائها على الحصى كانت مرتفعة. وحين وصلت إلى البوابة فتحتها وشاهدت أمها تنزل من السيارة الزرقاء أمام المرأب.

قالت أمها وهي تنظر إليها بابتسامة مازحة:

- أهلا حبيبتي... ما هذه السرعة الخارقة!؟

- هناك شخص يريد بابا. إنه عند الدرج.

- حقاً؟

وناولتها أمها أحد الأكياس من الكرسي الخلفي وصفقت الباب، ثم مشت مع ابنتها عبر البوابة.

لم يكن هناك أحد عند الدرج، لكن الباب الأمامي لا يزال مفتوحاً.

سألت أمها:

- هل دخل؟

- لا أعرف.

دخلتا المنزل، لكن أورورا بقيت في الردهة بالقرب من الباب المفتوح بينما أكملت أمها عبر غرفة الجلوس نحو المطبخ.

سمعت أمها تنادي، ثم عادت إلى الردهة من دون أكياس التسوق.

- ما من أحد هنا يا أورورا.

- لكنه كان هنا... صدقيني!

نظرت إليها أمها بدهشة وضحكت.

- بالطبع يا حبيبتي، ولِمَ لا أصدقك؟

لم تجب أورورا، لكنها لم تدرِ ما تقوله. كيف يمكنها أن تشرح لها شعورها حياله؟

قالت الأم وهي عائدة إلى المطبخ:

- سيأتي مجدداً إن كان الأمر هاماً.

وقفت أورورا في الردهة. كانت تلك الرائحة الحلوة الخفيفة لا تزال هناك.

- أخبرني، أليست لديك حياة؟

رفع أرنولد فولكستاد نظره عن الأوراق، ورأى الرجل الطويل المتكئ على الباب وابتسم.

- لا، أنا أيضاً ليست لدي أي حياة يا هاري.

- تجاوزت الساعة التاسعة وما زلت هنا.

ضحك أرنولد وكدس الأوراق فوق بعضها:

- إنني ذاهب إلى البيت بكل الأحوال، لكنك قد جئت للتو. كم تنوي البقاء هنا؟

خطا هاري خطوة طويلة إلى المقعد ذي المسند الخشبي وجلس عليه:

- ليس لوقت طويل. كما أن لدي امرأة يمكنني قضاء عطلة نهاية الأسبوع معها.

- آه حقاً؟! وأنا لدي زوجة سابقة يمكنني تجنبها في عطلة نهاية الأسبوع.

- حقاً؟! لم أكن أعلم ذلك.

- أو حبيبة سابقة.

- أتوجد قهوة؟ ماذا حصل؟

- نفدت القهوة. لقد ظن أحدنا أن طلب الزواج ينبغي أن يكون الخطوة التالية، ومنذ تلك النقطة بدأت الأمور بالتدهور؛ حيث انسحبت بعد إرسال بطاقات الدعوة، ولهذا تركتني حيث قالت إنه ليس بإمكانها التعايش مع الأمر. هذا أفضل ما حصل معي يا هاري.

- مممم.

فرك هاري عينيه بأصابعه.

وقف أرنولد وتناول سترته من على المشجب على الجدار.

- هل الأمور تسير ببطء في غرفة التدفئة؟

- نعم، لقد أخفقنا اليوم... فالنتين غجيرتسين...

- نعم، ما به؟

- نظن أنه رجل المنشار، لكنه ليس الشخص الذي قتل رجال الشرطة.

- هل أنتم متأكدون؟

- على الأقل ليس بمفرده.

- أيمكن أن يكون هناك العديد من القتلة؟

- إنه اقتراح كاترين. لكن الحقيقة هي أنه في ثمانية وتسعين فاصلة ستة بالمائة من جرائم القتل ذات الدافع الجنسي يكون القاتل منفرداً.

- إذاً...

- لكنها لن تستسلم، حيث أشارت إلى أنه على الأرجح كان هناك رجلان متورطان بجريمة قتل الفتاة في تريفان.

- أهو المكان حيث وجدوا الجثة مقطعة وموزّعة على مسافة عدة كيلومترات؟

- نعم. إنها تظن أن فالنتين ربما يعمل مع أحد ما لإرباك الشرطة.

- أتعني التناوب في القتل وبالتالي ضمان حجة الغياب؟

- نعم، وقد حدث ذلك من قبل. حيث قام مجرمان عنيفان في ميتشيغن بالاتفاق في الستينيات وجعلا الأمر يبدو كقتل متسلسل تقليدي من خلال وضع نمط يتبعانه في كل مرة. كانت جرائم القتل تقليداً لجرائم قام كل منهما بارتكابها من قبل، وقد كانت لدى كل منهما نزعته المريضة الخاصة، مما لفت انتباه مكتب التحقيقات الفيدرالي. لكن، حين أظهر كلاهما أن لديهما حجج غياب لا لبس فيها أثناء ارتكاب العديد من جرائم القتل تم استبعادهما من التحقيقات.

- ذكاء! لكن، لماذا لا تظن أن الشيء نفسه قد حدث هنا؟

- ثمانية وتسعون...

- فاصلة ستة بالمائة. ألا تظن أن هذا التفكير متحجر نوعاً ما؟

- بفضل نسبك المئوية للشهود الذين يموتون لأسباب غير طبيعية اكتشفت أن أساييف لم يمت لأسباب طبيعية.

- لكنك لم تفعل شيئاً بشأن تلك القضية؟

- لا، فهذه القضية أكثر إلحاحاً.

ووضع هاري يده على الجدار وراءه وأغمض عينيه.

- أنا وأنت نفكر بالخط نفسه، لكنني مرهق للغاية، لذا أتيت إليك مباشرة لأطلب منك أن تساعدني في التفكير.

- أنا؟!

- لقد عدنا إلى نقطة الصفر يا أرنولد. وأظن أن لديك في دماغك خلايا يفتقد إليها دماغي.

خلع فولكستاد سترته مجدداً وعلقها بترتيب على ظهر المقعد وجلس.

- هاري؟

- نعم؟
- لا تدري مدى روعة هذا الشعور.
ابتسم هاري بمكر.
- جيد. الدافع.
- الدافع. نعم، هنا عند نقطة الصفر.
- نحن هنا. ما هو الدافع وراء جرائم القتل تلك؟
- سأذهب ورأى إن كان بإمكاني الحصول على بعض القهوة يا هاري.

شرب هاري كوب القهوة الأول، وبدأ باحتساء الكوب الثاني قبل أن يتكلم أرنولد.

- أظن أن جريمة قتل رينيه كالسنس مهمة لأنها تشكل حالة استثنائية؛ إذ إنها مختلفة. إنها مختلفة عن جرائم القتل الأصلية؛ إذ ينقصها الجنس والسادية واستخدام السكين، لكنها مشابهة لجرائم قتل رجال الشرطة من ناحية العنف المُمارس على الرأس والوجه بأداة مثلمة.

قال هاري وهو يضع الكوب جانباً:

- أكمل.

- أذكر جريمة قتل كالسنس جيداً، فقد كنت في سان فرانسيسكو أحضر دورة تدريبية، وكنت مقيماً في فندق يقدم لي صحيفة غيزيت.

- صحيفة غير الأسوياء!

- لقد ذكروا قصة جريمة القتل هذه في النروج على الصفحة الأولى، ودعوها جريمة كراهية ضد رجل غير سويّ. المثير في الموضوع أنه لم تتم الإشارة إلى الكراهية في أي صحيفة نروجية أخرى قرأتها، مما جعلني أتساءل عن السبب الذي يجعل هذه الصحيفة الأميركية تتوصل إلى مثل هذا الاستنتاج السابق لأوانه، فقرأت المقالة كاملة. لقد كتب الصحفي أن جريمة القتل تتميز بكل الصفات الكلاسيكية؛ فقد تم اختيار شخص غير سوي يظهر ميوله بشكل استفزازي، كما تمّ أخذه إلى بقعة نائية حيث تعرض لعنف جنوني مسعور. كان المجرم يملك مسدساً لكنه لم يكتف بأن يطلق الرصاص على كالسنس مباشرة إذ ينبغي تشويه وجهه أولاً. كان عليه التنفيس عن الرهاب من الأشخاص غير الأسوياء من خلال تحطيم الوجه الجذاب، أليس كذلك؟ الجريمة تمت عن سابق إصرار؛ حيث تم التخطيط لها مسبقاً. كانت تلك استنتاجات الصحفي. وهل تعلم ماذا يا هاري؟ لا أظن أنه استنتاج غير منطقي.

- ممم. إن كانت جريمة قتل يقصد بها غير الأسوياء فهي بالتأكيد لا تتطابق مع الجرائم هنا؛ إذ ما من شيء يشير إلى أن أياً من الضحايا الآخرين غير أسوياء... لا الجرائم الأصلية ولا جرائم قتل رجال الشرطة.

- ربما لا. لكن هناك أمراً مثيراً للاهتمام هنا. أنت قلت إن جريمة قتل كالسنس هي القضية الوحيدة التي ربطت بين جميع رجال الشرطة المقتولين، أليس كذلك؟

- مع مثل هذه الدائرة الصغيرة من المحققين، عادة يكون الأشخاص أنفسهم يا أرنولد. لذا، قد لا تكون تلك مصادفة غريبة.

- لكن لدي إحساس أنها مهمة.

- لقد بدأت تتوهم يا أرنولد.

اعتدل الرجل ذو اللحية الحمراء في جلسته مظهراً تعابير تدل على الانزعاج:

- هل قلت شيئاً خاطئاً؟

- لديك إحساس! سأخبرك متى توصلت إلى النقطة التي يصبح فيها إحساسك أساساً للجدال.

- ألأن الكثيرين منا لا يصلون إلى هذه النقطة؟

- تماماً. أكمل، لكن كن واقعياً.

- حسناً. لكن، هل يمكنني القول إن لدي إحساساً توافقني أنت عليه؟

- ربما.

- إذاً، سأجازف وأقترح عليك أن تستثمر كل مواردك لمعرفة من الذي قتل الشرطي غير السوي. أسوأ ما يمكن أن يحدث هو أن تحل قضية ما، وأفضل ما يمكن أن يحدث هو أن تحل جميع القضايا.

أنهى هاري كوبه ونهض:

- حسناً. شكراً يا أرنولد.

- شكراً لك، فرجال الشرطة غير المرخصين مثلي يسعدون حين ينصت لهم أحد ما. بالمناسبة، التقيت سيلج غرافسينغ في ردهة الاستقبال صباح اليوم حيث كانت تسلم بطاقتها. كانت...

- ممثلة الطلاب.

- نعم، وقد سألتني عنك، لكنني لم أقل شيئاً. ثم قالت إنك كاذب، فقد أخبرها رئيسك أنه ليس صحيحاً أنك قد حللت كلّ القضايا التي عملت عليها... غاستو هانسن. هل هذا صحيح؟

- مممم. نوعاً ما.
- نوعاً ما! ماذا يعني ذلك؟
- لقد حققت في القضية ولم أعتقل أحداً. كيف بدت؟

أغمض أرنولد فولكستاد إحدى عينيه ونظر إلى هاري كما لو أنه يوجه سلاحه إليه ويتفحص وجهه.

- من يدري؟ فهي فتاة غريبة... سيلج غرافسينغ. لقد دعتني للتدرب على الرماية في أوكرن. هكذا فجأة، من دون أي مقدمات.
- مممم... وبماذا أجبتها؟
- لقد وضعت اللوم على نظري الضعيف والارتعاش، وهذا أمر صحيح. ينبغي أن يكون الهدف أمامي على بعد نصف متر لأضمن أن أصيبه. وقد تقبلت الأمر، لكنني أتساءل عن سبب ذهابها إلى حقل رماية في حين أنها لم تعد مضطرة للنجاح في اختبار الشرطة.
- حسناً. أحياناً يحب الناس الرماية لأجل الرماية فحسب.
- الأمر عائد إليهم، لكن علي أن أقول إنها بدت بحالة جيدة.

شاهد هاري زميله يعرج وهو يغادر، ثم وجد رقم رئيسة الشرطة في نيدر إيكر، فاتصل بها، ثم جلس يفكر في ما قالته. صحيح أن بيرتل نيلسن لم يكن جزءاً من التحقيق في موت رينيه كالسنس في مقاطعة درامن المجاورة، لكنه كان يعمل حين تلقوا المكالمة التي تخبرهم أن هناك سيارة في النهر بالقرب من إيكرساغا، وتبين في النهاية أنه من غير الواضح لمن تعود الصلاحيات. كما أخبرته أن نيلسن قد اصطدم بالأرض الناعمة حيث وجدوا آثار إطارات.

- إذاً، إنها تظن أن له تأثيراً غير مباشر على التحقيق.

كانت الساعة هي العاشرة تقريباً، وقد غربت الشمس وراء التل الأخضر غرباً حين ركن شتال أون سيارته في المرأب ومشى على الطريق الحصوي نحو منزله. لاحظ أن الضوء مطفأ في المطبخ وغرفة الجلوس، وهذا أمر عادي فهي تأوي للفراش باكراً في الغالب.

أحس بثقل جسمه على مفاصل الركبة. يا الله، كم هو متعب! فقد كان يوماً حافلاً، لكنه كان يأمل أن تكون لا تزال مستيقظة لكي يتكلما قليلاً ويهدأ. لقد فعل كما أوصاه هاري، واتصل بأحد زملائه، وتحدث عن الهجوم بالسكين وكيف أنه كان متأكداً من أنه سيموت. لقد فعل كل ذلك، والآن حان موعد النوم... حيث سيتمكن من النوم.

فتح الباب ورأى سترة أورورا معلقة على المشجب... سترة جديدة أخرى. يا الله، كيف تكبر هذه الطفلة. خلع حذاءه واستقام منصتاً للسكون في المنزل، لكنه لم يتمكن من تحديد ماهيته، غير أن المنزل بدا له أكثر سكوناً من المعتاد، فهناك صوت ناقص لا ينتبه له حين يكون موجوداً.

صعد إلى الطابق العلوي ببطء كدراجة مثقلة تصعد تلاً. عليه استعادة رشاقته البدنية وخسارة عشرة كيلوغرامات تقريباً؛ فذلك جيد لنومه، ولصحته، ولأيام العمل الطويلة، ولطول عمره، وحياته الجنسية، وتقديره لذاته؛ أي إنه جيد. لكنه لم يحاول ذلك.

مر مجهداً أمام غرفة أورورا.

توقف متردداً ثم عاد وفتح الباب.

كان كل ما يريده هو أن يراها نائمة كالعادة، فعما قريب سيبدو ذلك الفعل غير طبيعي، فقد بدأ يشعر أنها تدرك بعض الأشياء الخاصة. ليس الأمر متعلقاً بأنها ترفض البقاء عارية أمامه، وإنما لم تعد تختال في مشيتها بلا اكتراث. وحين لاحظ أن الأمر لم يعد طبيعياً بالنسبة لها لم يعد طبيعياً بالنسبة له، لكنه لا يزال يريد أن يشاهد ابنته وهي نائمة بسلام وهدوء وأمان من كل الأمور التي تعرض لها اليوم.

لكنه لم يفعل. سيراها غداً على الفطور بكل الأحوال.

تنهد وأغلق الباب وتوجه إلى الحمام حيث خلع ملابسه وأخذها إلى غرفة نومهما وعلّقها على كرسي. وكان على وشك التوجه إلى السرير حين تفاجأ بذلك... الصمت. ما هو الشيء الناقص؟ أهو طنين الثلاجة؟ أم همس فتحة التهوية التي يتركانها مفتوحة في العادة؟

لم يفكر في الأمر أكثر، واندس تحت الغطاء حيث رأى شعر إنغريد متدلياً. أراد أن يلمسها ويداعب شعرها وظهرها ويشعر بوجودها قربه، لكن نومها كان خفيفاً للغاية، وتكره أن يوقظها أحد. كان على وشك إغماض عينيه ثم غير رأيه.

- إنغريد؟

لا رد.

- إنغريد؟

صمت.

يمكنه الانتظار. أغمض عينيه مجدداً.

- نعم؟

لاحظ أنها استدارت.

- لا شيء. فقط هذه القضية...
- قل لهم إنك لا تريدها.
- ينبغي أن يحلها أحد ما.

بدا الأمر ككليشة.

- لن يجدوا أحداً أفضل منك.

فتح شتال عينيه، ونظر إليها وربت على وجنتها الدافئة والمثيرة. لا شيء في هذا الوجود أفضل منها.

أغمض شتال أون عينيه، وأتاه النوم وفقدان الوعي والكوابيس الحقيقية.

36

تلألأت شمس الصباح على الأسطح المبللة بعد المطر الغزير.

ضغط مايكل بيلمان على جرس الباب ونظر حوله.

حديقة منسقة بعناية. هكذا تمضي الوقت حين يتقدم بك العمر.

فتح الباب.

- أهلاً يا مايكل!

بدا أكبر سناً. العينان الزرقاوان الحادتان نفسهما، لكنهما أكثر تقدماً في السن.

- تفضل بالدخول.

مسح مايكل حذاءه المبلل عند الباب ودخل. كانت تفوح في المنزل رائحة لا يزال يتذكرها منذ طفولته لكنه غير قادر على تحديدها.

جلسا في غرفة الجلوس.

قال مايكل:

- هل أنت وحيد؟

- زوجتي مع الكبار في السن؛ فهم بحاجة للمساعدة من الجدة الحنون. في الواقع، كنت أفكر بالاتصال بك، إذ إن المجلس لم يتوصل إلى قرار نهائي بعد، لكننا نعرف كلانا ما يريدونه لذا سيكون من الحكمة أن نتكلم عن الأمر... تقسيم العمل وهذه الأمور.

- نعم، ويمكنك تحضير بعض القهوة.

- عفواً؟

ارتفع الحاجبان الكثيفان على جبهة الرجل العجوز.

- إن كنا سنجلس هنا لفترة فسيكون من الجيد أن نتناول كوباً من القهوة.

تفحص الرجل مايكل:

- نعم، نعم بالطبع. تعال يمكننا الجلوس في المطبخ.

تبعه مايكل، ومر عبر غابة من الصور العائلية على الطاولة التي ذكرته بالمتاريس على الشواطئ في أيام العطل. حصن بلا طائل ضد الهجمات الخارجية.

كان المطبخ حديثاً نوعاً ما، ويشبه التسوية بين إصرار الكنة على أقل ما يمكنك طلبه في المطبخ والرغبة الأساسية للمالك بعدم تغيير شيء أكثر من ثلاجة مكسورة.

بينما أخرج الرجل العجوز كيساً من القهوة من الخزانة العليا ذات الباب الزجاجي المخرم وأزال المطاط ووضع القهوة بملعقة صفراء، جلس مايكل بيلمان ووضع آلة التسجيل على الطاولة وضغط زر التشغيل. بدا صوت ترولس رناناً ورقيقاً: «على الرغم من أن لدينا أسباباً تدفعنا للاشتباه في أن المرأة مومس فربما يكون ابنك قد أعار سيارته لأحد ما، وليست لدينا صورة للسائق».

بدا صوت رئيس الشرطة أكثر بعداً، لكن لم تكن هناك أي ضجة في المحيط مما جعل من السهل سماع الكلمات: «إذاً، ليس لديك أي دليل. من الأفضل أن تنسى الأمر».

رأى مايكل القهوة تنسكب من الملعقة حين ارتد الرجل وتجمد مكانه كما لو أن أحداً قد وضع مسدساً على ظهره.

صوت ترولس: «شكراً. سنفعل كما طلبت».

«بيرينيتزين في أورغكريم. أليس كذلك؟».

«نعم».

«شكراً يا بيرينيتزين. إنكم تقومون بعمل جيد».

ضغط مايكل على زر الإيقاف.

استدار رئيس الشرطة السابق ببطء، وبدا وجهه شاحباً حسبما ظن مايكل بيلمان... لون مناسب لشخص ميت. ارتعش فم الرجل عدة مرات.

قال مايكل بيلمان:

- ما تحاول قوله هو ما هذا؟ والجواب هو أن رئيس الشرطة السابق يحاول الضغط على موظف لمنع تعرض ابنه للتحقيق والممارسات القانونية التي يتعرض لها أي مواطن آخر في هذا البلد.

بدا صوت الرجل العجوز كريح صحراوية:

- لم يكن هناك. لقد تحدثت مع سوندر. لقد بقيت سيارته في المرأب منذ يناير بسبب احتراق المحرك. لا يمكن أن يكون هناك.

- أيزعجك ذلك؟ لم تكن حتى بحاجة لمساعدة ابنك. والآن، سيسمع المجلس ووسائل الإعلام كيف حاولت إفساد رجل شرطة.

- ليست هناك صورة للسيارة أو المومس. أليس كذلك؟

- ليس الآن بكل الأحوال فقد أمرت بإتلافها. ومن يدري، قد تكون التقطت قبل شهر يناير؟

وابتسم مايكل رغماً عنه.

عاد اللون إلى وجنتي الرجل مع النبرة المرتفعة في صوته:

- لا تظن أنه بإمكانك النجاة بفعلتك هذه يا بيلمان.

- لا أعرف. كل ما أعرفه هو أن المجلس لن يرغب بتعيين رجل فاسد كرئيس للشرطة.

- ماذا تريد يا بيلمان؟

- من الأفضل أن تسأل أنت نفسك ماذا تريد. أتريد أن تعيش حياة من السلام والهدوء مع سمعة طيبة كرجل شرطة شريف؟ نعم؟ حينها سترى أننا لسنا مختلفين لأن هذا ما أريده بالضبط. أريد القيام بعملي كرئيس للشرطة بهدوء وسلام، وحلّ جرائم قتل رجال الشرطة بدون أن تتدخل مستشارة الشؤون الاجتماعية، كما أريد الاستمتاع بسمعة طيبة كرجل شرطة بارع. إذاً، كيف يمكننا تحقيق ذلك؟

انتظر بيلمان حتى تأكد من أن الرجل العجوز قد استجمع قواه بما فيه الكفاية ليتمكن من متابعة كل التفاصيل.

- أريدك أن تخبر المجلس أنك قد اطلعت على القضية، وأثارت إعجابك الطريقة المهنية التي يتم التعامل بها؛ مما يجعلك لا ترى أي فائدة من التدخل بل على العكس، فأنت تظن أن ذلك سيخفف احتمالات التوصل إلى حل سريع. كما أن عليك انتقاد تقييم مستشارة الشؤون الاجتماعية للقضية؛ إذ ينبغي عليها أن تعلم أن عمل الشرطة يجب أن يكون منهجياً وبعيداً عن هفوات التفكير قصير المدى، ويجب أن تخبرها أنها تتصرف بأسلوب عض الأصابع. كلنا تعرضنا للضغط نتيجة لهذه القضية، لكن المطلوب من كل القادة السياسيين والمهنيين أن لا يفقدوا صوابهم في الحالات الحرجة. وبالتالي، عليك الإصرار على أن يستمر رئيس الشرطة الحالي في أداء عمله من دون أي تدخل، حيث إن هذه الاستراتيجية تتمتع بأكبر فرصة للنجاح وهكذا تقوم بسحب ترشيحك.

تناول بيلمان مغلفاً من جيبه الداخلي ودفعه عبر الطاولة.

- هذا باختصار ما هو مكتوب في هذه الرسالة الشخصية لرئيس مجلس المدينة. كل ما عليك فعله هو أن توقعها وترسلها. وكما ترى، لقد وضعت لك طابعاً. بالمناسبة، يمكنك الاحتفاظ بهذا التسجيل حين أتلقى رداً مرضياً من المجلس في ما يتعلق بهذا القرار.

وأومأ بيلمان إلى غلاية القهوة.

- كيف أصبحت؟ أيمكنني تناول كوب من هذه القهوة؟

احتسى هاري رشفة من القهوة وتفحص مدينته.

كان المقصف في مركز الشرطة في الطابق العلوي، ويطل على إكبرغ والخليج والجزء الحديث من المدينة التي تنبثق في بيورفيكا. أولاً نظر إلى المعالم القديمة. كم كان يجلس هنا خلال استراحة الغداء محاولاً رؤية القضايا من زوايا مختلفة ومن منظور جديد ومختلف بينما تمزقه الرغبة بتناول الشراب وتدخين سيجارة، وهو يقول لنفسه إنه من غير المسموح له دخول الشرفة للتدخين حتى يصل إلى فرضية قابلة للاختبار.

فكر كم أنه يتوق لذلك.

فرضية. واحدة ليست فقط من صنع الخيال وإنما يمكن اختبارها والاستجابة لها.

رفع كوب القهوة ثم وضعه مجدداً. ما من رشفات أخرى حتى يجد ذهنه شيئاً ما... دافعاً. لقد كانوا يضربون رؤوسهم بالجدار منذ أمد، وحان الوقت للبدء من مكان جديد في النور.

تحرك كرسي فرفع هاري نظره... بيورن هولم. وضع القهوة على الطاولة من دون أن يسكبها، وخلع قبعته وجعد شعره الأحمر، بينما شاهده هاري وهو شارد. هل فعل هذا لتهوية رأسه؟ أو لتجنب مظهر الشعر الملتصق بالرأس الذي يخشاه جيلهم لكن أوليغ يحبه؟ نزلت الغرة على جبهته المتعرقة فوق نظارة ذات إطار عريض. إنه غريب الأطوار، وكثير القراءة، وعاشق للألعاب الإلكترونية، والمدرك لذاته الذي يحتفظ بصورة الخاسر كدور خارجي زائف. أهذا ما بدا عليه الرجل الذي يلاحقونه؟ أم إنه فتى ريفي أحمر الوجنتين في المدينة الكبيرة يرتدي سروالاً من الجينز الأزرق الفاتح وينتعل حذاء عملياً، ويحلق شعره لدى أرخص الحلاقين، ومن النوع الذي ينظف السلم حين يحين دوره، ويتمتع بالأدب واللباقة ولم يشتك منه أحد قط؟ فرضيات غير قابلة للاختبار. لا رشفة من القهوة.

قال بيورن هولم وهو يرشف رشفة كبيرة:

- إذاً؟

- إذاً...

لم يكن قد سأل بيورن هولم قط لماذا يتجول الفتى الريفي معتمراً قبعة كبيرة وملونة.

- ... أظن أن علينا التركيز أكثر على قضية رينيه كالسنس ونسيان الدافع. أن ننظر فقط إلى الوقائع الجدلية. لدينا الرصاصة التي قتل بها من عيار تسعة ملم، وهي الأكثر شيوعاً في العالم. من الذي سيستخدمها؟

- الجميع؛ حتى نحن.

- مممم. أتعلم أنه في زمن السلم يتحمل رجال الشرطة المسؤولية عن أربعة بالمائة من جميع جرائم القتل حول العالم؟ وفي العالم الثالث، يزداد هذا الرقم إلى تسعة بالمائة؛ مما يجعلنا نؤدي أكثر مهنة قاتلة.

قال بيورن:

- واو!

قالت كاترين:

- إنه يمزح.

وسحبت كرسياً ووضعت كوباً كبيراً من الشاي الساخن على الطاولة أمامها وأكملت:

- حين يستخدم الناس الإحصائيات فإنهم في اثنين وسبعين بالمائة من القضايا يختلقون هذه النسب من نسج خيالهم.

ضحك هاري.

سأل بيورن:

- أهذا مضحك؟

رد هاري:

- إنها دعابة.

سأل بيورن:

- كيف؟

- اسألها.

نظر بيورن إلى كاترين فابتسمت وحركت الشاي.

قال بيورن وهو يحملق بهاري:

- لم أفهم!

- هذا يثبت الفكرة. لقد اختلقت الاثنين والسبعين بالمائة من نسج خيالها، أليس كذلك؟

هز بيورن رأسه مرتبكاً.

قال هاري:

- إنها مفارقة؛ كاليوناني الذي يقول إن كل اليونانيين يكذبون.

ردت كاترين:

- لكن هذا لا يعني أن ذلك ليس صحيحاً. إذاً، أنت تظن أن القاتل من رجال الشرطة، أليس كذلك يا هاري؟

ابتسم هاري وهو يثني يديه وراء رأسه:

- لم أقل ذلك وإنما قلت...

توقف وأحس بشعره يقف... الشعر القديم الجيد في مؤخر رقبته... الفرضية. حدق بكوب قهوته وأحس برغبة باحتساء رشفة الآن.

ردد:

- الشرطة.

رفع نظره ورأى الآخرين يحدقان به.

- لقد قتل رينيه كالسنس على يد رجل شرطة.

قالت كاترين:

- ماذا؟

- هذه فرضيتنا. كانت الرصاصة من عيار تسعة ملم، واستخدمت بمسدس خدمة من نوع هيكلر آند كوش، كما تم العثور على هراوة شرطة بالقرب من مسرح الجريمة. إنها الجريمة الأصلية الوحيدة التي لها صلة مع كل من جرائم قتل رجال الشرطة؛ حيث تم تحطيم وجوههم، كما أن معظم جرائم القتل الأصلية كانت بدافع جنسي، أما هذه فبدافع الكراهية. لماذا يكره الناس؟

اعترض بيورن:

- لقد عدت إلى الدافع يا هاري.

- بسرعة. لماذا؟

قالت كاترين:

- الغيرة والانتقام من الإذلال، أو الرفض، أو النبذ، أو الاستهزاء، أو الدفاع عن زوجتك أو طفلك أو أخيك أو أختك، أو خياراتك المستقبلية، أو القضاء على كبريائك...

قال هاري:

- توقفي هنا. فرضيتنا تقول إن القاتل له صلة بالشرطة، وهكذا علينا التعمق في قضية كالسنس مجدداً ومعرفة من قتله.

قالت كاترين:

- جيد. لكن، حتى إن كانت هناك بعض الأدلة فلا يزال غير واضح بالنسبة لي لماذا بدأت فجأة بالبحث عن شرطي.

- إن لم يعطني أحدكما فرضية أفضل... خمسة... أربعة...

حدق هاري بهما باستفهام.

تأوه بيورن:

- دعنا لا نتطرق لهذه الفكرة يا هاري.

- ماذا؟

- إن سمع بقية رجال الشرطة أننا نحقق في...

- علينا تقبل ذلك، فنحن الآن في القاع وعلينا البدء من نقطة ما. بأسوأ الأحوال، يمكننا حل قضية قديمة، وبأفضل الأحوال سنجد...

أكملت كاترين الجملة عنه:

- ... الشخص الذي قتل بتي.

عض بيورن على شفته السفلى ثم هز كتفيه وأومأ برأسه ليقول إنه موافق.

- جيد. تحققي يا كاترين من سجلات المسدسات المفقودة أو المسروقة، وتحققي إن كانت لرينيه أي صلة برجال الشرطة. أما أنت يا بيورن فراجع الأدلة الجنائية في ضوء فرضيتنا لنرى إن كنا سنجد أي جديد.

نهض بيورن وكاترين.

شاهدهما هاري وهما يمشيان عبر المقصف باتجاه الباب، ورأى طاولة يشغلها رجال الشرطة الذين يعملون في وحدة التحقيق الكبرى والنظرات التي يتبادلونها. قال أحدهم شيئاً ما فانفجروا ضاحكين.

أغمض هاري عينيه، وأنصت لحواسه باحثاً. ماذا يمكن أن تكون؟ ما الذي حصل؟ كان قد سأل نفسه السؤال عينه الذي سألته كاترين: لماذا من الواضح أنهم يبحثون عن رجل شرطة؟ لأن هناك شيئاً ما. ركز وتجاهل كل شيء حوله، إذ كان يعلم أنه كحلم ينبغي أن يسرع قبل أن يتلاشى. وببطء غرق في أعماق نفسه كغواص في أعماق البحر من دون مصباح، وبدأ يتلمس طريقه في ظلام اللاوعي. ووجد شيئاً قد تكون له علاقة بدعابة كاترين حين حاولت إثبات فكرتها. هل يحاول القاتل إثبات فكرته؟ انزلقت الفكرة من بين أصابعه. وفي تلك اللحظة، ارتفع وعاد إلى النور. فتح عينيه ليعود الصوت... طقطقة الأطباق والثرثرة والضحك... تباً... تباً... تباً. كان على وشك الوصول إلى الفكرة، لكن الأوان قد فات الآن. كان يعلم فقط أن الدعابة تخبره بشيء ما ولها تأثير محفز على شيء عميق داخله لم يكن قادراً على فهمه الآن، لكنه كان يأمل أن يرتفع إلى السطح من تلقاء نفسه. إلا أن ردة الفعل قد منحتهم شيئاً... توجهاً... نقطة بداية... فرضية قابلة للاختبار. احتسى هاري رشفة كبيرة من القهوة، ونهض ومشى باتجاه الشرفة ليدخن سيجارة.

حصل بيورن هولم على صندوقين بلاستيكيين من غرفة الأدلة ووقع

على الاستمارة المرفقة.

أخذ الصندوقين معه إلى كريمتكنيسك في برين، وبدأ بالعمل على الصندوق من جريمة القتل الأصلية.

كان أول ما جعله يتعجب هو الرصاصة التي وجدوها في رأس رينيه؛ فقد تغير شكلها بعد دخولها عبر اللحم والغضاريف والعظام التي تعتبر موادّ طرية. والأمر الثاني الذي أثار تعجبه هو أن الرصاصة لم يتحول لونها إلى اللون الأخضر بعد بقائها لسنوات في هذا الصندوق، ولم يترك الزمن أي علامات واضحة على الرصاص، وإنما بدت جديدة على نحو مثير للريبة.

بحث بين صور مسرح جريمة الرجل المقتول وتوقف عند صورة قريبة تظهر جانب وجهه مع جرح الدخول حيث يبرز عظم الوجنة المكسور. كانت هناك لطخة سوداء على العظم الأبيض اللامع. أخرج نظارته المكبرة فبدت له كتجويف يظهر على السن، لكن الثقوب السوداء لا تظهر على عظام الوجنة. أهي لطخة شحم من السيارة المحطمة؟ أو ورقة شجر فاسدة؟ أو وحل متكتل من النهر؟ أخرج تقرير التشريح.

بحث حتى وجدها.

إنها كمية بسيطة من الطلاء الأسود ملتصقة بالفك، لكن مصدرها غير معروف.

طلاء على الوجنة. عادة لا يكتب الأطباء الشرعيون أكثر مما يمكنهم التأكد منه، وأحياناً أقل.

بحث بيورن عبر الصور حتى وجد السيارة... حمراء... إذاً، ليس طلاء سيارة.

صرخ بيورن من مكانه:

- كيم إيريك.

بعد ست ثوانٍ ظهر رأس عند الباب.

- هل ناديتني؟

- نعم. كنت في فريق التحقيق بجريمة قتل ميتيت في درامن أليس كذلك؟ هل وجدت أي طلاء أسود؟

- طلاء!

- أعني شيئاً قد يأتي من أداة مثلمة إذا ضربت بها هكذا...

وقام بيورن بتحريك قبضته للأعلى والأسفل.

- ... تتمزق البشرة ويتحطم عظم الوجنة ويبرز، ومع ذلك تستمر بالضرب على الطرف الناتئ من العظم بالأداة المثلمة حتى يزول الطلاء عن

الأداة التي تمسكها.

- لا.

- حسناً، شكراً.

رفع بيورن هولم الغطاء عن الصندوق الثاني الذي يحوي أغراض قضية ميتيت، لكنه لاحظ أن الشرطي الشاب لا يزال في مكانه.

قال بيورن من دون أن يرفع نظره:

- ماذا؟

- كان أزرق داكناً.

- ما هو؟

- الطلاء. ولم يكن عظم الوجنة وإنما عظم الفك. لقد قمنا بتحليله، ووجدنا أنه طلاء عادي يستخدم للأدوات المعدنية حيث يلتصق جيداً ويمنع الصدأ.

- هل من اقتراحات لنوع الأداة؟

أحس بيورن بإيريك ينتفخ عند الباب. كان قد دربه شخصياً، والآن يسأل الأستاذ تلميذه إن كانت لديه أي اقتراحات.

- من المستحيل معرفته. يمكن استخدامه على أي شيء.

- حسناً. هذا كل شيء.

- لكن، لدي اقتراح.

أحس بيورن بزميله على وشك الانفجار لكي يخبره.

- ما هو؟

- رافعة السيارة. كل السيارات مزودة برافعة، لكن لم تكن هناك رافعة في صندوق السيارة.

أومأ بيورن، ولم يكن راغباً في تخييب أمل كيم، ولكنه قال:

- السيارة فوكس فاجن شاران من طراز 2010 يا كيم إيريك. وفي حال تحققت منها فستجد أنها من السيارات القليلة التي لا تأتي معها رافعة.

- أوه.

وتغضن وجه الشاب ككرة شاطئ مثقوبة.

- شكراً على المساعدة في كل الأحوال يا كيم إيريك.

سيكون شرطياً جيداً، لكنه يحتاج بالطبع لبضع سنوات.

وبدأ بيورن بفتح صندوق أنطون ميتيت.

كان هناك شيء ما لفت انتباهه.

أعاد الصندوق ومشى نحو المكتب في نهاية الممر، وطرق على الباب المفتوح، ورمش في البداية مرتبكاً نوعاً ما من الرأس اللامع قبل أن يدرك من الذي يجلس هناك: رور ميدتستوين، أكبر شرطي جنائي والأكثر خبرة. في ما سبق، كان ميدتستوين يعاني من فكرة العمل تحت إمرة رئيسة لم تكن شابة فحسب وإنما امرأة، لكن الوضع أصبح أكثر سهولة بالنسبة إليه حين وجد أن بتي لون واحدة من أفضل الأشياء التي حصلت لقسمهم.

كان قد عاد لتوه للعمل بعد إجازة مرضية دامت بضعة أشهر بعد أن لقيت ابنته حتفها في حادث حين كانت عائدة من تسلق الجبال في شرق أوسلو، ووجدوا دراجتها في مستنقع لكنهم لم يتمكنوا من العثور على السائق.

- كيف حالك يا ميدتستوين؟

- كيف حالك يا هولم؟

ودار ميدتستوين في الكرسي الدوار وهز كتفيه وابتسم محاولاً إظهار طاقته؛ لكنها لم تكن هناك، كما أن بيورن بالكاد تعرف على الوجه المنتفخ الذي عاد إلى العمل. يبدو أنه أحد التأثيرات الجانبية المعتادة لمضادات الاكتئاب.

- أكانت هراوات الشرطة سوداء دائماً؟

كشرطي جنائي، كان معتاداً نوعاً ما على الأسئلة الغريبة حول التفاصيل، لذا لم يظهر ميدتستوين أي استغراب.

- بالتأكيد كانت داكنة، لكنها في التسعينيات كانت زرقاء حسبما أذكر. كم هو مزعج.

- ما هو؟

- أننا دائماً نغير اللون حيث لا يمكننا الاستقرار على واحد. في البداية كانت سيارات الدوريات سوداء وبيضاء، ثم أصبحت بيضاء مع خطوط حمراء وزرقاء، والآن ستصبح بيضاء مع خطوط سوداء وصفراء. هذا العبث يضعف من هيبتنا كشريط درامن.

- ما هو شريط درامن؟

- ذهب كيم إيريك إلى مسرح جريمة ميتيت، ووجد أجزاء من شريط الشرطة، وهو يظن أنه من جريمة القتل القديمة. لقد كنا كلانا نعمل على القضية بالطبع، لكنني دائماً أنسى اسم ذلك الشاب غير السوي...

- رينيه كالسنسن.

- لكن الشباب أمثال كيم إيريك لا يذكرون أن شريط الشرطة في

ذلك الحين كان أبيض وأزرق فاتحاً.

وسارع ميدتستوين ليضيف:

- لكن كيم إيريك سيكون بارعاً.

- أظن ذلك أيضاً.

- جيد. إذن نحن متفقان.

اتصل بيورن بكاترين ما إن عاد إلى مكتبه، وطلب منها أن تمر بمحطة الشرطة في الطابق الأول وتقشط بعض الطلاء عن هراواتهم وترسلها لبيرن مع رسالة.

ثم جلس يفكر في أنه ذهب تلقائياً إلى المكتب في نهاية الممر حيث كان يذهب دائماً لتلقي النصائح. كان مستغرقاً في عمله لدرجة أنه نسي أنها لم تعد هناك، وأن رور ميدتستوين أصبح يشغل مكتبها. وللحظة أحس أنه يفهم ميدتستوين، وكيف يمكن لفقدان شخص ما أن يضعف قواك، ويجعل القيام بشيء أمراً مستحيلاً، ويشعرك أنه من غير المجدي النهوض من السرير. تخلص من الفكرة ومن صورة وجه ميدتستوين المنتفخ المدور لأن لديهم شيئاً هنا... إنه يشعر به.

جلس هاري وكاترين وبيورن على سطح دار الأوبرا وهم يشاهدون جزيرتي هوفيدويا وغريشولمين.

كانت تلك فكرة هاري الذي رأى أنهم بحاجة للهواء المنعش، كما أن الأمسية دافئة وغائمة، وقد رحل السياح منذ زمن وأصبح السطح الرخامي بكامله لهم، حتى حيث ينحدر إلى خليج أوسلو الذي يتلألأ بالأنوار من حافة إكبرغ وهافنيلاغر والقارب الدنماركي الراسي عند فيبيتانغن.

قال بيورن:

- لقد راجعت كل جرائم رجال الشرطة ووجدت قطعاً صغيرة من الطلاء على فينيسلا ونيلسن وميتيت. إنه طلاء عادي وشائع الاستخدام، وهو موجود على هراوات الشرطة.

قال هاري:

- جيد يا بيورن.

- كما أن هناك بقايا الشريط الذي وجدوه في مسرح جريمة ميتيت. لا يمكن أن يكون من التحقيق في جريمة قتل كالسنس، إذ لم يكونوا يستخدمون هذا النوع من الشريط حينها.

- كان شريطاً منذ زمن بعيد. اتصل القاتل بميتيت وأخبره أن يأتي إلى ما ظنه ميتيت مسرح جريمة قتل رجل شرطة تم ارتكابها في مسرح

الجريمة القديم. وحين وصل ميتيت إلى هناك ورأى شريط الشرطة لم يشك في الأمر، وقد يكون القاتل قد ارتدى بذلته حينها.

قالت كاترين:

- تباً. لقد أمضيت النهار كله وأنا أتحقق من صلة كالسنس برجال شرطة لكنني لم أجد شيئاً. إلا أنكما وجدتما شيئاً هنا.

ونظرت بحماسة إلى هاري الذي كان يشعل سيجارة.

سأل بيورن:

- إذاً، ماذا سنفعل الآن؟

- الآن سنطلب مسدسات الخدمة ونرى إن كانت متطابقة مع رصاصتنا.

- أي مسدسات؟

- كلها.

نظرا إلى هاري بصمت.

سألت كاترين:

- ماذا تقصد بكلمة «كلها»؟

- جميع مسدسات الخدمة في الشرطة؛ أولاً في أوسلو، ثم في أوستلاند، وفي حال الضرورة في كامل البلاد.

ساد الصمت مجدداً بينما صرخ نورس بحدة في الظلام فوقهم.

قال بيورن:

- هل تمزح؟

تأرجحت السيجارة للأعلى والأسفل بين شفتي هاري وهو يجيب:

- لا.

رد بيورن:

- هذا غير ممكن. انس الأمر. يظن الناس أن الأمر يستغرق خمس دقائق لإجراء اختبار بالستي لأنه يبدو كذلك في الأفلام. وحتى لو كان رجال الشرطة يظنون ذلك فإن الحقيقة أن التحقق من مسدس واحد يحتاج لعمل يوم كامل تقريباً. كلها!؟ في أوسلو وحدها الأمر... كم شرطياً هناك؟

قالت كاترين:

- هناك ألف وثمانمائة واثنان وسبعون.

حدقا بها.

هزت كتفيها:

- اقرآه في التقرير السنوي لشرطة منطقة أوسلو.
استمرا بالتحديق.
- التلفاز لا يعمل ولا يمكنني النوم. حسناً؟
قال بيورن:
- بكل الأحوال، ليست لدينا الموارد الكافية، ولا يمكن القيام بالأمر.
قال هاري وهو ينفث دخان سيجارته في السماء المظلمة:
- الأمر الأهم هو ما قلته للتو عن أن رجال الشرطة أنفسهم يظنون أن الأمر يستغرق خمس دقائق.
- إذاً؟
- من المهم أن يظنوا أنه يمكن القيام بعملية كهذه. ماذا سيحدث حين يكتشف القاتل أنه سيتم التحقق من مسدسه؟
قالت كاترين:
- أيها الشيطان الخبيث.
قال بيورن:
- ماذا؟
- سيبلغ عن فقدان أو سرقة مسدسه بسرعة البرق.
قال هاري:
- ومن هنا ينبغي أن نبدأ البحث، لكنه قد يكون سبقنا بخطوة، لذا سنبدأ بوضع قائمة بجميع مسدسات الخدمة التي تم الإبلاغ عن فقدانها منذ مقتل كالسنس.
قالت كاترين:
- هناك مشكلة.
أجاب هاري:
- نعم. هل سيوافق رئيس الشرطة على أمر يشير بأصابع الاتهام إلى جميع رجاله؟ سيتخيل الصحف وهي تستمتع بيوم رائع.
ورسم هاري مثلثاً في الهواء بإبهاميه وسبابتيه:
رئيس الشرطة يشتبه برجاله.
قالت كاترين:
- لا يبدو الأمر ممكناً.
رد هاري:
- حسناً. قولا ما ترغبان في قوله عن بيلمان، لكنه ليس غبياً، ويعرف من أين تؤكل الكتف. إن كان بإمكاننا إثارة قضية أن القاتل رجل

شرطة ثم القبض عليه سواء أكان بيلمان معنا أو لا، فهو يعلم أنه سيبدو من السيّئ أن يظهر أنّ رئيس الشرطة أجّل التحقيق بكامله بدافع الجبن. لذا، سنشرح له أن التحقيق مع رجاله سيظهر للعالم أن الشرطة لن تترك زاوية من دون أن تبحث فيها؛ مهما كان مستوى الفساد الذي سيفضحه الأمر، وهذا يظهر الشجاعة والقيادة وسرعة البديهة وكل الأمور الجيدة.

قالت كاترين:

- أتظن أن بإمكانك إقناعه من خلال ذلك؟ إن لم تخني ذاكرتي فإن هاري هول يتصدر قائمته للأشخاص المكروهين.

هز هاري رأسه:

- لقد كلفت غونار هاغن بالأمر.

سأل بيورن:

- ومتى سيحدث الأمر؟

- إنه يحدث الآن.

ونظر هاري إلى سيجارته المحترقة. أحس برغبة برميها ورؤية الشرر يتطاير في الظلام وهي تنزلق على المنحدر الرخامي اللامع حتى تسقط في المياه السوداء وتنطفئ بالكامل. لكن، ما الذي يمنعه؟ فكرة أنه يلوث المدينة؟ أو انزعاج من يراه منه لأنه يلوث المدينة؟ أم التصرف نفسه أم العقاب؟ كان الروسي الذي قتله في مقهى كام آز يو آر مجرد أمر بسيط، فقد قام بالأمر دفاعاً عن النفس: الروسي أو هو. لكن جريمة قتل غاستو هانسن غير المحلولة كانت خياره. ومع ذلك، وعلى الرغم من كل الأشباح التي تلاحقه، لم ير الشاب ذا المظهر الوسيم وأسنان مصاصي الدماء... قضية غير محلولة... تباً!

رمى هاري السيجارة، فانزلق التبغ المتوهج إلى الظلام واختفى.

تسلل نور الصباح عبر الستائر من خلف النوافذ الصغيرة للغاية في قاعة مدينة أوسلو حيث سعل الرئيس سعالاً يشير إلى أن الاجتماع قد بدأ.

جلس المستشارون التسعة ذوو المسؤوليات المختلفة حول الطاولة إلى جانب رئيس الشرطة السابق الذي تم استدعاؤه ليقدم تقريراً موجزاً عن كيفية تعامله مع قضية قاتل رجال الشرطة كما تسميها وسائل الإعلام. تم الانتهاء من الرسميات خلال ثوانٍ، بالإضافة إلى دقائق قليلة من إيماءات الموافقة التي لاحظتها السكرتيرة.

ثم انتقل الرئيس إلى موضوع القضية.

رفع رئيس الشرطة السابق نظره، وتلقى إيماءة حماسية وتشجيعية من إيزابيل سكوين ثم بدأ.

- شكراً سيدي الرئيس. لن آخذ اليوم الكثير من وقت المجلس.

وألقى نظرة سريعة على سكوين التي بدت أقل حماسة بشأن هذه البداية غير الواعدة.

- لقد راجعت القضية بناء على طلبكم، ودرست عمل الشرطة وتقدمها والقيادة والاستراتيجيات التي تم تطبيقها وتنفيذها، أو - باستخدام كلمات المستشارة سكوين - الاستراتيجيات التي كان من الممكن تطبيقها لكن لم يتم تنفيذها.

كانت ضحكة إيزابيل سكوين غنية وممتعة لكنها موجزة؛ ربما لأنها اكتشفت أنها الشخص الوحيد الذي يضحك.

- وقد استثمرت جميع مهاراتي المتراكمة خلال السنوات العديدة لعملي كرجل شرطة، وتوصلت إلى نتيجة غير غامضة حول ما ينبغي فعله.

ورأى سكوين تومئ، في حين ذكره البريق في عينيها بحيوان لم يتمكن من تحديده.

- إن حل جريمة واحدة لا يعني بالضرورة أن إدارة الشرطة بارعة، كما أن جريمة غير محلولة لا تعني بالضرورة أن الإدارة سيئة. وحين رأيت ما فعله رجال الشرطة الحاليون بمن فيهم مايكل بيلمان على وجه الخصوص لم أجد أي شيء يمكنني فعله بأسلوب مختلف، أو لا أظن أنه كان بإمكاني القيام به.

لاحظ أن فم سكوين انفتح من الدهشة، وأحس بسعادة سادية فأكمل:

- إن مهارة التحقيق الجنائي تتطور كأي شيء آخر في المجتمع. ومما يمكنني رؤيته، إن بيلمان وعناصره مدركون للطرائق الجديدة والتكنولوجيا المتقدمة، ومتمرسون في استخدامها بطرائق قد لا أتمكن من تنفيذها أنا وأقراني. إنه يتمتع بثقة كاملة من عناصره، كما أنه محفز ممتاز، وقد نظم عمله بأسلوب يقول عنه الزملاء في الدول الإسكندنافية الأخرى إنه نموذجي. لا أدري إن كانت المستشارة سكوين تعلم بالأمر، لكن مايكل بيلمان قد تلقى طلباً للتو لإلقاء محاضرة في مؤتمر للإنتربول في ليون حول الإدارة والتحقيق الجنائي في ما يتعلق بهذه القضية بالذات. لقد أشارت سكوين إلى أن بيلمان لم يكن مناسباً لهذا العمل، لذا ينبغي علي أن أقول إنه صغير ليصبح رئيساً للشرطة، لكنه ليس رجل المستقبل فحسب وإنما رجل الحاضر أيضاً. إنه وباختصار الرجل الذي تحتاجون إليه في هذا الوضع؛ مما يجعلني مجرد عبء فائض. هذا هو استنتاجي الواضح.

استقام رئيس الشرطة السابق، وأزاح ورقتي الملاحظات اللتين كان يحملهما، وأغلق الزر العلوي من سترته الواسعة المختارة بعناية والتي يفضلها المتقاعدون، ودفع مقعده للوراء مصدراً صوتاً كما لو كان بحاجة للمزيد من المساحة ليتمكن من الوقوف، ثم رأى أن فك سكوين قد انفتح بالكامل، وأنها كانت تحملق به غير مصدقة.

انتظر حتى سمع الرئيس يسحب نفساً ليقول شيئاً حتى يتمكن من الانتقال إلى التصرف النهائي أو الضربة القاضية.

- وإن سمحتم لي بالإضافة بما أن هذا الأمر متعلق بكفاءة المجلس وإدارة القضايا الخطرة كجرائم قتل رجال الشرطة، فإنني أيها السيد الرئيس...

بدا حاجبا الرئيس الكثيفان المتقوسان عادة فوق عينين باسمتين منخفضين وبارزين كعريشتين بيضاوين ورماديتين فوق وهج غاضب. انتظر رئيس الشرطة السابق حتى يومئ له الرئيس.

- ... إنني أقدر أن المجلس قد تعرض لضغوط شخصية هائلة بشأن هذه القضية، فهذا نطاق مسؤوليتهم بكل الأحوال، والقضية قد جذبت تغطية إعلامية ضخمة. لكن، حين يرضخ مجلس المدينة للضغوطات ويتصرف بدافع الذعر من خلال محاولة قطع رأس رئيس الشرطة فإن السؤال يصبح أكبر: هل المجلس مناسب لعمله؟ نحن نتفهم بالطبع أن هذه قضية متطلبة للغاية بالنسبة لمجلس مدينة حديث التعيين، ومن سوء الحظ أن تظهر مثل هذه الحالة التي تتطلب الخبرة والإجراءات الروتينية في بداية

فترة عمل المجلس.

رأى الرئيس يصمت وهو يسمع هذه العبارات.

- كان من الأفضل لو أن هذه القضية ظهرت خلال فترة مجلس المدينة السابق؛ بالنظر إلى السنوات الطويلة من الخبرة والإنجازات الكثيرة التي تم تحقيقها.

ومن وجه سكوين الشاحب فجأة عرف أنها تذكرت كلماتها الخاصة عن بيلمان في الاجتماع السابق، وكان عليه الاعتراف بأنه لم يحظ بمثل هذه المتعة منذ زمن بعيد.

- وأنا متأكد من أن جميع من في هذه الغرفة يتمنون ذلك بمن فيهم أعضاء المجلس الحالي.

قال الرئيس:

- شكراً على وضوحك وصراحتك. أفترض أن ذلك يعني أنه ليست لديك أي خطة عمل بديلة.

هز الرجل العجوز رأسه:

- لا، ليست لدي. لكن هناك رجلاً في الخارج قمت باستدعائه ليحل محلي في حال سمحتم بذلك. إنه سيعطيكم ما طلبتموه.

نهض وأومأ باقتضاب ومشى نحو الباب. ظن أنه يشعر بنظرات إيزابيل سكوين تحرق سترته بين كتفيه؛ لكن الأمر لا يهم؛ إذ ليست لديه أي مخططات يمكنها أن تخفقها. كان يعلم أنه سيقوم هذه الليلة باحتساء الشراب مستهزئاً بكلمتين صغيرتين أقحمهما في النص تحويان كل ما يحتاج إليه المجلس. الأولى هي «محاولة» كما في «محاولة قطع رأس رئيس الشرطة»، والثانية «الحالي» كما في «المجلس الحالي».

نهض مايكل بيلمان عن كرسيه حين فتح الباب.

قال الرجل الذي يرتدي السترة:

- دورك.

ومر بجواره متجهاً إلى المصعد من دون أن يلقي عليه نظرة واحدة.

افترض بيلمان أنه مخطئ حين ظن أنه رأى ابتسامة صغيرة على شفتي الرجل.

ثم بلع ريقه، وأخذ نفساً عميقاً، ودخل الغرفة نفسها حيث كانوا قد هاجموه بشدة منذ فترة ليست بعيدة.

كانت الطاولة الطويلة محاطة بتسعة وجوه، ثمانية منها مترقبة

كجمهور عند بداية الفصل الثاني بعد فصل أول ناجح، ووجه شاحب لدرجة أنه للحظة لم يكد يتعرف عليها... الجزارة.

بعد أربع عشرة دقيقة، كان قد أنهى كلامه؛ حيث قدم لهم الخطة، وشرح أن صبر الشرطة قد آتى ثماره، وأن عملهم المنظم قد أدى إلى كشف جديد في التحقيق. كان الكشف الجديد مبهجاً ومؤلماً في آن واحد؛ لأن هناك احتمالاً في أن يكون المذنب من رجال الشرطة، لكن ليس بإمكانهم أن يديروا ظهورهم لهذا الأمر. إن عليهم أن يظهروا للعامة أنهم مستعدون للبحث في كل زاوية مهما كان ما سيجدوه هناك، وألاّ يظهروا أي جبن. كان مستعداً للعاصفة، لكن كل ما يتطلبه الأمر هو إظهار الشجاعة والقيادة الحقيقية وسرعة البديهة؛ ليس فقط في مركز الشرطة، وإنما أيضاً في مجلس المدينة. إنه مستعد للوقوف بفخر في القمة، لكنه بحاجة لثقة المجلس كدعم له.

لاحظ أن لغته أصبحت مغرورة في النهاية أكثر مما بدت عليه حين استخدمها غونار هاغن في غرفة الجلوس في منزله في الليلة الماضية. لكنه يعلم بالطبع أن بعضهم قد جذبته هذه الكلمات؛ فقد ظهرت الحماسة على وجهَي امرأتين؛ وخاصة حين ذكر النقطة الأخيرة التي تشمل أن يتم التحقق من جميع مسدسات الخدمة في البلاد؛ كأمير مع حذاء يبحث عن سندريلا، وأنه مستعد لأن يكون أول من يسلم مسدسه للفحص البالستي.

لكن ما يهم الآن ليس أسلوبه مع النساء وإنما رأي الرئيس الذي كان وجهه خالياً من التعابير.

وضع ترولس بيرنتسين هاتفه في جيبه وأومأ إلى المرأة التايلندية لتحضر له كوب قهوة آخر.

ابتسمت ورحلت.

إن هؤلاء التايلنديين لبقون بعكس النروجيين القلائل الذين يعملون كندل، فقد كانوا كسالى ومتقلبي المزاج ومنزعجين من قيامهم بعمل شريف، وليسوا كهذه العائلة التايلندية التي تدير هذا المطعم الصغير في تورشوف، والتي يسارع أفرادها للعمل إن رفع حاجبه. وحين يدفع ثمن اللفائف أو القهوة يبتسمون ابتسامة عريضة، ويومئون شاكرين. لقد فكر أحياناً في الذهاب إلى تايلنده، لكن ذلك لن يحصل فهو يريد العمل مجدداً.

كان مايكل قد اتصل به للتو وأخبره أن مكيدتهما قد نجحت، وأنه سيتم رفع إيقافه عن العمل عما قريب. لم يحدد تماماً ما الذي يعنيه

بعبارة عما قريب، وإنما كررها فحسب.

جاءت القهوة فاحتسى ترولس رشفة لكنها لم تكن جيدة، إلا أنه توصل إلى نتيجة مفادها أنه لا يحب ما يدعوه الآخرون القهوة الجيدة. هكذا ينبغي أن يكون مذاقها... متقطرة في جهاز تقطير مستخدم جيداً. ينبغي أن تحمل مذاق المصفاة الورقية وحبات البن القديمة المحمصة. لكن، ربما لهذا السبب هو الزبون الوحيد هنا؛ فالناس يشربون قهوتهم في مكان آخر، ثم يأتون إلى هنا في ما بعد لتناول وجبة زهيدة أو لشراء بعض الطعام.

توجهت المرأة التايلندية للجلوس إلى طاولة الزاوية، حيث نظر باقي أفراد عائلتها لما افترض أنها الفاتورة. أصغى إلى طنين لغتهم الغريبة ولم يفهم كلمة منها، لكنه أحبها وأحب الجلوس بالقرب منهم وهو يومئ بلطف حين يبتسمون له ويشعر أنه جزء من هذا المجتمع. ألهذا يأتي إلى هنا؟ رفض ترولس الفكرة، وركز على المشكلة التي لديه مجدداً.

ما قاله مايكل.

عليهم تسليم مسدسات الخدمة.

لقد قال إنه سيتم التحقق منها في ما يتعلق بجرائم قتل رجال الشرطة، وإنه قام هو نفسه بتسليم مسدسه للفحص البالستي هذا الصباح. سيكون على ترولس فعل الشيء ذاته بأسرع ما يمكن رغم أنه موقوف.

ينبغي أن تكون الرصاصة من قضية رينيه كالسنس هي السبب. لقد اكتشفوا أنه ينبغي أن تكون من مسدس شرطة.

لم يكن قلقاً؛ ليس لأنه استبدل الرصاصة فحسب، وإنما لأنه أبلغ عن سرقة مسدسه. بالطبع، كان قد انتظر لفترة - لسنة كاملة - ليتأكد من أن أحداً لن يربط بين المسدس وجريمة قتل كالسنس، ثم كسر باب شقته بعتلة ليبدو الأمر مقنعاً وأبلغ عن السرقة. كان قد ذكر الكثير من الأشياء المسروقة، وحصل على أربعين ألفاً من شركة التأمين بالإضافة إلى مسدس خدمة جديد.

لم تكن تلك هي المشكلة.

فالمشكلة في الرصاصة في صندوق الأدلة. لقد بدت فكرة جيدة في ذلك الوقت، لكنه الآن بحاجة لمايكل بيلمان. إن تم إيقافه فلن يتمكن من رفع إيقاف ترولس، لكن الأوان قد فات على فعل شيء الآن.

موقوف.

ابتسم ترولس للفكرة، ورفع كوب القهوة، ورأى نفسه في الانعكاس

على عدستي النظارة الشمسية التي وضعها على الطاولة أمامه، ثم أدرك أنه يجب عليه الضحك بصوت مرتفع لأن التايلنديين كانوا ينظرون إليه باستغراب.

قال هاري:

- لا أدري إن كان بإمكاني أن أقلك من المطار.

كان يمشي عبر مكان كان ينبغي أن يكون فيه منتزه لكن المجلس أجمع على بناء ملعب رياضي كالسجن عوضاً عن ذلك بسبب حدث دولي سيقام هذا العام؛ لكن لم يحدث الكثير.

كان عليه الضغط بهاتفه على أذنه ليسمعها من فوق ضجيج السيارات.

قالت راكيل:

- لن أسمح لك بأن تقلني، فلديك أشياء أهم تفعلها. في الواقع، كنت أتساءل إن كان علي البقاء هنا خلال عطلة نهاية هذا الأسبوع لأمنحك مساحة أكبر.

- مساحة لماذا؟

- مساحة لتكون المحقق هول. من الجيد أن تتظاهر أنني لن أعرقلك، لكن كلينا نعلم كيف تكون حالتك حين تعمل على قضية ما.

- أريدك هنا، لكن إذا لم ترغبي...

- أريد البقاء معك طوال الوقت يا هاري، لكنني لا أظن أن هاري الذي أرغب بقضاء حياتي معه موجود الآن.

- أحبك حين تكونين صريحة معي.

- هذه هي النقطة بالتحديد. لن نذهب لأي مكان، ولدينا كل الوقت في هذا العالم. هل هذا مفهوم؟

- مفهوم.

- جيد.

- أمتأكد؟ لأنك إن كنت ستكون أكثر سعادة في حال نكدت عليك أكثر فسأفعل ذلك.

ضحكت.

- وأوليغ؟

أخبرته فابتسم عدة مرات وضحك مرة على الأقل.

قال هاري وهو يقف أمام باب شرورد:

- علي الذهاب الآن.
- حسناً. ما نوع هذا الاجتماع؟
- راكيل...
- نعم، أعرف أنه لا ينبغي لي السؤال، لكن الأمر ممل هنا. هاري؟
- نعم؟
- هل تحبني؟
- أحبك.
- يمكنني سماع أصوات السيارات، فهل هذا يعني أنك في مكان عام وقلت لي إنك تحبني بصوت مرتفع.
- نعم.
- هل أدار الناس رؤوسهم؟
- لم أكن أنظر.
- هل سيكون الأمر طفولياً مني لو أنني طلبت منك أن تعيد الأمر مجدداً؟
- نعم.

المزيد من الضحك. يا إلهي... إنه مستعد لفعل أي شيء لسماعه.

- إذاً؟
- أحبك يا راكيل فوك.
- وأنا أحبك يا هاري هول. سأتصل بك غداً.
- سلمي على أوليغ.

أنهيا المكالمة، وفتح هاري الباب ودخل.

كانت سيلج غرافسينغ تجلس وحيدة عند الطاولة بجوار النافذة؛ إلى طاولة هاري المعتادة. كانت التنورة الحمراء والقميص الأحمر يبدوان كدم مقابل الرسوم القديمة الكبيرة لأوسلو على الجدار خلفها. فقط فمها كان أكثر احمراراً.

جلس هاري مقابلها.

- مرحباً.
- مرحباً.

38

قال هاري:

- شكراً لحضورك بهذه السرعة.

قالت سيلج وهي تومئ إلى الكأس الفارغة أمامها:

- لقد أتيت منذ نصف ساعة.

قال هاري وهو ينظر إلى ساعته:

- هل أنا...؟

- لا، لكنني لم أستطع الانتظار.

-هاري؟

رفع هاري رأسه:

- أهلاً ريتا. لا شيء اليوم.

غادرت النادلة.

سألته سيلج:

- هل أنت مشغول؟

كانت تجلس باستقامة على مقعدها مرتدية ثوباً أحمر، وشابكة ذراعيها تحت صدرها، ووجهها يتغير من وجه جميل شبيه بالدمى إلى شيء آخر قبيح. الشيء الوحيد الثابت هو قوة نظرتها؛ فقد شعر هاري أنه ينبغي أن ترى كل تقلب مزاجي أو عاطفي في نظرتها. لا بد أنه أعمى؛ لأن كل ما يمكنه رؤيته هو القوة ولا شيء آخر... الرغبة بما لا يعلم ما هو... لأن الأمر لم يكن متعلقاً بما أرادته لليلة أو لساعة أو لعشر دقائق، فالأمر ليس بهذه البساطة.

- أردت الحديث معك لأنك كنت تناوبين في ريكشوبيتالت.

- لقد تكلمت مع الشرطة عن الأمر.

- عمّ؟

- إن كان أنطون ميتيت قد أخبرني شيئاً قبل مقتله، أو إن كان قد تجادل مع أحد ما، أو كان في علاقة مع أحد ما في المشفى. لكنني أخبرتهم أنها لم تكن جريمة قتل منفصلة ارتكبها زوج غيور، وإنما القاتل هو قاتل رجال الشرطة. أليس كذلك؟ لقد قرأت الكثير عن القتل المتسلسل كما لاحظت الكثير أثناء المحاضرات.

- ليست هناك أي محاضرات حول القتل المتسلسل يا سيلج. كنت أتساءل إن رأيت أحداً يدخل أو يخرج وأنت جالسة هناك... أحداً ما لا

تنطبق عليه الإجراءات الروتينية... أي شيء...

- أتعني شخصاً لا ينبغي أن يكون هناك؟ هذا من محاضراتك.

وابتسمت مظهرة أسناناً بيضاء، اثنتان منهما معقوفتان، بينما انحنى ظهرها أكثر ممّا هو ضروري.

قال هاري:

- إذاً؟

- تظن أن المريض قد قتل وأن ميتيت كان متورطاً، أليس كذلك؟

وأمالت رأسها فتساءل هاري إن كانت تمثل، أو هي بالفعل واثقة من نفسها، أو إنسانة مضطربة تحاول تقليد ما تعتبره سلوكاً طبيعياً لكنها أخطأت في التقدير.

أكملت:

- نعم، أنت تظن ذلك. ولهذا تظن أن ميتيت قد قتل في ما بعد لأنه يعرف الكثير، وأن القاتل قد أخفى الجريمة لتبدو واحدة من جرائم قتل رجال الشرطة.

قال هاري:

- لا. لو أن ما تقولينه صحيح لوجدنا جثته في البحر مع أوزان ثقيلة في جيوبه. رجاء، فكري بانتباه وركزي يا سيلج.

أخذت نفساً عميقاً، وتجنب هاري النظر إلى صدرها المتنهد. حاول جذب نظره، لكنه أخفض رأسه وحك رقبته منتظراً.

قالت في النهاية:

- لا، لم يكن هناك أحد. الروتين نفسه طوال الوقت. لقد جاء ممرض تخدير جديد، لكنه توقف بعد زيارة أو زيارتين.

قال هاري وهو يضع يده في جيبه:

- حسناً. ماذا عن هذا الشخص إلى اليسار؟

وضع ورقة على الطاولة أمامها. كان قد وجد الصورة على الإنترنت في صور غوغل؛ حيث يظهر ترولس بيرنتسين شاباً إلى يسار مايكل بيلمان إلى جانب محطة شرطة ستوفنر.

تفحصت سيلج الصورة:

- لا، لم أره أبداً في المشفى. لكن الشخص إلى اليسار...

قاطعها هاري:

- هل رأيته هناك؟

- لا، لا. فقط كنت أتساءل إن كان...

- نعم، إنه رئيس الشرطة.

مد هاري يده ليستعيد الصورة، لكن سيلج وضعت يدها على يده.

- هاري؟

أحس بالحرارة من راحة يدها الناعمة على يده فانتظر.

- لقد رأيتهما معاً من قبل. ما اسم الرجل الآخر؟

- ترولس بيرنتسين. أين؟

- كانا معاً عند المرتفعات في أوكرن منذ فترة ليست بعيدة.

رد هاري وهو يسحب يده مع الصورة:

- شكراً. إذاً، لن آخذ المزيد من وقتك.

- طالما أن الزمن يمر فقد تأكدت من أن أحصل على أكثر مما يكفيني يا هاري.

لم يجب.

قهقهت ومالت للأمام:

- لم تطلب مني أن آتي إلى هنا لأجل هذا فحسب، أليس كذلك؟

تراقص النور من مصباح الطاولة الصغير في عينيها.

- أتعرف ما الفكرة الغريبة التي خطرت ببالي يا هاري؟ لقد قمت بطردي من الكلية لتتمكن من البقاء معي من دون التعرض لأي مشاكل مع الإدارة. لذا، لِمَ لا تخبرني بما تريده؟

- ما أريده حقاً يا سيلج...

- من المؤسف أن زميلتك قد جاءت في المرة الماضية حين التقينا، حين كنا...

- أن أسألك عن المشفى...

- أنا أعيش في بوابة جوزفين، لكنني أظنك قد بحثت عن ذلك مسبقاً على الإنترنت...

- ما حصل في المرة الماضية كان خطأ فادحاً مني، فقد أفسدت الأمر. لا...

- يستغرق الأمر إحدى عشرة دقيقة وثلاثاً وعشرين ثانية مشياً على الأقدام بالضبط. لقد حسبت الوقت لنفسي وأنا قادمة.

- ... لا يمكنني. لا أريد ذلك. سـ...

- دعنا...

وبدأت بالنهوض.

- سأتزوج هذا الصيف.

وسقطت مجدداً على الكرسي وهي تحدق به.

- ستتزوج!

كان صوتها بالكاد مسموعاً في الغرفة الصاخبة.

- نعم.

تقلص بؤبؤا عينيها كنجم البحر الذي ينكزه أحد ما بعصا.

همست:

- منها؟ من راكيل فوك؟

- نعم، هذا هو اسمها. لكن، سواء أكنت سأتزوج أو لا، وسواء أكنتِ طالبتي أو لا فلن يحدث أي شيء بيننا. لذا، إنني أعتذر عن الوضع الذي حصل بيننا.

- تتزوج...

هز هاري رأسه، وأحس بشيء يهتز في صدره. للحظة ظن أنه قلبه، ثم أدرك أنه الهاتف المحمول في جيب سترته.

أخرجه:

- هاري.

أنصت للصوت، ثم أمسك بالهاتف أمامه ونظر إليه كما لو كان هناك خطأ في الأمر.

قال وهو يضع الهاتف على أذنه:

- أعد ما قلته.

قال بيورن هولم:

- قلت إنني وجدت المسدس. إنه يعود له.

- كم عدد الناس الذين يعلمون بذلك؟

- لا أحد.

- سنرى لكم من الوقت يمكنك إخفاء الأمر.

قطع هاري الاتصال واتصل برقم آخر، ثم قال لسيلج وهو يضع ورقة نقدية تحت الكأس:

- عليّ الرحيل.

ورأى فمها المطلي يفتح، لكنه وقف وغادر قبل أن تتمكن من قول أي شيء.

حين وصل إلى الباب ردت كاترين على الهاتف فكرر ما قاله له بيورن.

قالت:

- أنت تمزح.
- إذاً، لماذا لا تضحكين؟
- لكن... لكن هذا لا يصدق؟
- ربما. لكن، لماذا لا نصدق الأمر؟ اعرفي الخطأ.
وتمكن عبر الهاتف من سماع الأصابع العشر تنقر على لوحة المفاتيح.

مشت أورورا نحو موقف الحافلة مع إيميلي. كان الظلام يهبط، والطقس يبدو وكأن الأمطار ستهطل طوال الوقت، لكن المطر لا يهطل. إنه الطقس الذي يجعل مزاجك سيئاً حسبما فكرت.

قالت ذلك لإيميلي التي أجابتها:

- ممم.

لكن أورورا لاحظت أنها لم تفهم.

قالت أورورا:

- إن كان سيبدأ فسينتهي أليس كذلك؟ في الواقع، من الأفضل أن تمطر فحينها لن تخشي ذلك.

قالت إيميلي:

- أنا أحب المطر.
- وأنا أيضاً، أو على الأقل قليلاً، لكن...
- ماذا حصل أثناء التدريب؟
- ماذا تقصدين بماذا حصل؟
- صرخت آرن عليك لأنك لم تغطي الجناح.
- لقد تأخرت قليلاً. هذا كل ما في الأمر.
- لا، لقد وقفت بلا حراك وأنت تحدقين بالمدرجات. تقول آرن إن الدفاع هو الأساس في كرة اليد، والتغطية هي الأساس في الدفاع؛ مما يعني أن التغطية هي الأساس في كرة اليد.

فكرت أورورا في أن آرن تقول الكثير من الترهات، لكنها لم تقل ذلك بصوت مرتفع؛ فقد كانت تعلم أن إيميلي لن تفهم ذلك أيضاً.

كانت أورورا قد فقدت تركيزها لأنها كانت متأكدة من أنها رأته على المدرج. لم يكن من الصعب التعرف عليه لأن الأشخاص الوحيدين الآخرين هناك هم فريق الصبيان الذين كانوا ينتظرون بنفاد صبر حتى تفرغ الصالة بعد خروج الفتيات. لكنه كان هو، كانت متأكدة... إنه الرجل الذي كان في حديقتهم وسأل عن أبيها وأرادها أن تستمع لفرقة نسيت اسمها

وطلب كأساً من الماء.

لذا، وقفت بسكون، فسجل الآخرون هدفاً، فأوقفت مدربتهم آرن المباراة وصرخت عليها. وكالمعتاد، شعرت بالأسف، وحاولت مقاومة الأمر؛ فهي تكره شعورها بالاستياء حول مثل هذه الأشياء التافهة، لكن بلا جدوى. امتلأت عيناها بالدموع فمسحتها بعصابة اليد، ومسحت جبهتها أيضاً ليبدو الأمر كما لو أنها تجفف العرق فقط. وحين انتهت آرن ورفعت نظرها إلى المدرج ثانية كان قد رحل كالمرة الماضية؛ باستثناء أن الأمر هذه المرة حصل بسرعة كبيرة جعلتها تتساءل إن كانت قد رأته حقاً، أو أن الأمر من نسج خيالها.

قالت إيميلي وهي تقرأ جدول مواعيد الحافلات:

- أوه لا. لن تأتي الحافلة رقم 149 قبل عشرين دقيقة على الأقل. لقد حضرت لنا أمي البيتزا هذا المساء وستبرد في هذا الوقت.

- يا للأسف!

لم تكن أورورا تحب البيتزا أو النوم عند أصدقائها، لكن هذا ما يفعله الجميع. الجميع ينامون عند بعضهم بعضاً كرقص دائري ينبغي أن تشارك فيه أو تصبح منبوذاً. لم تكن أورورا تحب أن تصبح منبوذة بأي حال.

قالت وهي تنظر إلى ساعة يدها:

- مذكور هنا يا إيميلي أن الحافلة رقم 131 ستصل خلال دقيقة، وتذكرت أنني تركت فرشاة أسناني في المنزل. وبما أن الحافلة رقم 131 تمر من أمام منزلنا فسأستقلها، وسأركب الدراجة إلى منزلك في ما بعد.

لاحظت أن إيميلي لم تحب الفكرة... فكرة وقوفها هنا في الظلام فيما المطر يكاد يهطل لتستقل الحافلة وحدها إلى البيت. كما أنها تشتبه في أن أورورا ستبحث عن عذر لئلا تنام عندها.

- مممم... إذاً، لن ننتظرك لتناول البيتزا.

رأت أورورا الحافلة قادمة من وراء المنعطف في آخر الشارع... 131 .

قالت إيميلي:

- يمكننا التشارك بفرشاة أسناني فنحن صديقتان.

فكرت أورورا:

نحن لسنا صديقتين. أنت إيميلي صديقة جميع الفتيات في الصف... إيميلي التي ترتدي دائماً الملابس المناسبة... إيميلي الاسم الأكثر شعبية في النروج... إيميلي التي لا تتخاصم مع أحد؛ لأنك عظيمة ولا تنتقدين أحداً؛

أو على الأقل ليس بوجودهم. أما أنا أورورا فأفعل ما علي فعله ولا شيء أكثر لأبقى معكم كلكم، لأنني لا أتحلى بالشجاعة لأبقى وحيدة. جميعكم تعتبرونني غريبة، لكنني ذكية بما يكفي، وأتمتع بثقة كافية لئلا تتحاملوا علي.

قالت أورورا:

- سأصل إلى منزلك قبلك... أعدك.

كان هاري جالساً في المدرج المتواضع مسنداً رأسه على يديه وهو ينظر إلى المضمار.

كان المطر مخيماً في الجو، ويمكن أن يهطل في أي لحظة، وما من سقف في ملعب فالي هوفين.

كان الملعب الصغير القبيح بكامله له، فالحفلات هنا قليلة ومتباعدة، كما أن موسم التزلج على الجليد لا يزال بعيداً. كان يجلس هنا سابقاً ويشاهد أوليغ وهو يخطو خطواته الأولى ويتطور ببطء إلى متزلج واعد في فئته العمرية. كان يأمل أن يرى أوليغ عما قريب هنا مجدداً، لكي يحسب له وقت دورانه من دون أن يدرك ذلك، ويلاحظ تقدمه، ويشجعه حين تسوء الأمور، ويكذب عن حالة زلاجته ووضعها، ويحافظ على نبرة صوت معتدلة حين تكون الأمور على ما يرام، ولا يسمح لابتهاجه الداخلي أن يظهر. لم يكن هاري يعرف الكثير عن الزلاجات لكنه يعرف الكثير عن هذه الأمور... التحكم الفعال كما يدعوه شتال أو كيفية المواساة. كانت واحدة من أهم المزايا لنمو الطفل، لكن لا يطورها الجميع بالدرجة نفسها. فعلى سبيل المثال، يرى شتال أن هاري بحاجة للمزيد من التحكم، وتنقصه قدرة الشخص العادي على الهروب؛ مما يؤلمه ويجعله راغباً في أن ينسى ويركز تفكيره على مواضيع أفضل. إنه يستخدم الشراب للتعامل مع وظيفته، كما كان والد أوليغ أيضاً مدمناً على الشراب. وقد أخبرته راكيل أن ذلك قد يكون أحد أسباب شعور هاري بالعطف تجاه الصبي فهما يتشاركان نقص التحكم الفعال هذا.

سمع هاري صوت خطوات على الإسمنت. أحد ما قادم عبر الظلام من الجانب الآخر من المضمار. سحب هاري نفساً عميقاً من السيجارة ليرشده الوهج إلى مكان جلوسه.

أرجح الرجل ساقاً فوق السور، ومشى بخطوات رشيقة وخفيفة صاعداً المدرج الإسمنتي.

قال الرجل وهو يتوقف على بعد خطوتين:

- هاري هول.
- مايكل بيلمان.
وبدت البقع البيضاء على وجه بيلمان كما لو أنها تضيء في الظلام.
- هناك أمران يا هاري. من الأفضل أن يكون هذا الأمر مهماً، فقد خططت أنا وزوجتي لقضاء أمسية دافئة معاً.
- والشيء الثاني؟
- أطفئ هذه فدخان السجائر يؤذي الصحة.
- شكراً على اهتمامك.
- أنا مهتم بنفسي وليس بك. أطفئها لو سمحت.
فرك هاري طرف السيجارة بالإسمنت وأعادها إلى العلبة، بينما جلس بيلمان بجواره.
- إنه مكان غير اعتيادي للقاء يا هول.
- هذا هو المكان الوحيد الذي أقصده إلى جانب مقهى شرودر، كما أنه أقل ازدحاماً.
- غير مزدحم على الإطلاق. لقد تساءلت للحظة إن كنت قاتل رجال الشرطة وتحاول جذبي إلى هنا، فنحن لا نزال نعتقد أنه شرطي، أليس كذلك؟
- بالطبع. وقد حددنا المسدس.
- حقاً! كان ذلك في غاية السرعة. لم أعلم حتى أنكم بدأتم بطلب جميع...
- لسنا بحاجة لذلك، فقد تطابقت الرصاصة مع أول مسدس.
- ماذا؟
- مسدسك يا بيلمان. لقد تم فحصه، وتطابقت النتيجة مع الرصاصة في قضية كالسنس.
انفجر بيلمان ضاحكاً، وتردد الصدى في المدرج:
- أهذه دعابة يا هاري؟
- أخشى أنك أنت من سيخبرني يا مايكل.
- بالنسبة لك أنا رئيس الشرطة أو السيد بيلمان يا هاري، ولست مضطراً لإخبارك بشيء. ما الذي يحصل؟
- هذا ما عليك فعله. عليك إخباري يا رئيس الشرطة بيلمان، وإلا فسنضطر لاستدعائك إلى مقابلة رسمية. وأنا متأكد من أن الجميع يفضلون تجنب ذلك. هل نحن متفقان؟

- إلى أين تريد أن تصل يا هاري؟ كيف يمكن أن يحصل هذا؟
- يمكنني رؤية تفسيرين ممكنين. الأول هو أنك من أطلق النار على رينيه كالسنس يا رئيس الشرطة بيلمان.
- أنا... أنا...
شاهد هاري فم مايكل بيلمان يتحرك كما لو كان مخلوقاً بحرياً غريباً.
أكمل هاري عنه:
- لديك حجة غياب.
- حقاً؟
- حين حصلنا على النتيجة أخبرت كاترين برات بالأمر. لقد كنت في باريس ليلة مقتل رينيه كالسنس.
- حقاً؟
- كان اسمك على قائمة المسافرين بالخطوط الجوية الفرنسية من أوسلو إلى باريس، وفي سجل النزلاء في فندق غولدن أوريول في الليلة نفسها. هل التقيت أحداً ما هناك يمكنه تأكيد أنك كنت هناك؟
رمش مايكل بيلمان بصعوبة كما لو أنه يحاول الرؤية بوضوح، ثم أومأ ببطء:
- قضية كالسنس... نعم. في ذلك اليوم توجهت في مقابلة عمل مع الإنتربول، ويمكنني بالتأكيد العثور على بعض الشهود من تلك الرحلة. كما أننا ذهبنا إلى مطعم في ذلك المساء.
- إذاً، يبقى السؤال الضروري هو: أين وضعت مسدسك في ذلك اليوم؟
قال مايكل بيلمان بثقة تامة:
- في المنزل، وأقفلت عليه وبقي المفتاح معي.
- أيمكنك إثبات ذلك؟
- لا أظن. لقد قلت إن هناك تفسيرين ممكنين. أظن أن التفسير الثاني هو أن الشاب الذي قام بالفحص البالستي...
- معظمهم فتيات الآن.
- ارتكب خطأ وخلط بين الرصاصة القاتلة ورصاصة تم إطلاقها من مسدسي، أو حصل شيء مشابه.
- لا. الرصاصة الموجودة في الصندوق في غرفة الأدلة خرجت من مسدسك يا بيلمان.

- ماذا تقصد؟

- بماذا؟

- بقولك «الرصاصة الموجودة في الصندوق في غرفة الأدلة» وليس «الرصاصة الموجودة في رأس كالسنس».

أومأ هاري:

- إذاً نحن متفقان يا بيلمان.

- متفقان على ماذا؟

- الاحتمال الآخر كما أراه هو أن أحداً ما قد قام باستبدال الرصاصة الأصلية الموجودة في غرفة الأدلة برصاصة من مسدسك. هناك أمر واحد لا يمكننا تفسيره في الرصاصة، وهو أنها اصطدمت بشيء أقسى من العظم واللحم.

- وبماذا تظنها ارتطمت؟

- الستارة الفولاذية وراء الهدف الورقي في ميدان إطلاق الرصاص في أوكرن.

- وما الذي يجعلك تظن ذلك؟

- أنا لا أظن ذلك، وإنما أعلم ذلك يا بيلمان. لقد طلبت من الفتيات اللاتي يقمن بالفحص البالستي التوجه إلى هناك وإجراء اختبار بمسدسك. واحزر ماذا؟ بدت رصاصة الاختبار متطابقة بالكامل مع الرصاصة في صندوق الأدلة.

- وما الذي جعلك تفكر بميدان إطلاق الرصاص بالتحديد؟

- أليس ذلك واضحاً؟ هناك يطلق معظم رجال الشرطة الطلقات التي لا يقصدون أن تصيب الناس.

هز مايكل بيلمان رأسه ببطء:

- هناك المزيد. ما هو؟

رد هاري وهو يخرج علبة سجائر الجمل ويقدمها لبيلمان الذي هز رأسه رافضاً:

- حسناً. فكرت بالحارقين الذين أعرفهم في الشرطة، وهل تعلم ماذا؟ لا أستطيع سوى أن أفكر بواحد منهم.

أخرج هاري السيجارة نصف المحترقة وأشعلها، وأخذ نفساً عميقاً وطويلاً:

- ترولس بيرنتسين. وبالصدفة تكلمت مع شاهد رآكما مؤخراً تتدربان في الميدان حيث تسقط الرصاصات في حاوية بعد أن تضرب الصفيحة

الفولاذية. سيكون من السهل للغاية على أي شخص أن يأخذ رصاصة مستعملة بعد رحيلك.

- أتشتبه أن زميلنا المشترك ترولس بيرنتسين قد وضع دليلاً زائفاً لتجريمي يا هاري؟

- ألا تشتبه أنت؟

بدا بيلمان وكأنه على وشك قول شيء ما لكنه غير رأيه وهز كتفيه:

- لا أدري ما الذي يرمي له بيرنتسين يا هول. وبصراحة، لا أظنك تدري أيضاً.

- حسناً. لا أدري مدى صدقك، لكنني أعلم الحقيقة الغريبة عن بيرنتسين، وبيرنتسين يعلم الحقيقة الغريبة عنك أيضاً. أليس كذلك؟

- أشعر أنك ترمي إلى شيء ما، لكن ليست لدي أدنى فكرة عنه يا هول.

- أوه بلى، أنت تعلم. لكن لا يمكن إثبات الكثير حسبما أفترض، لذا دعنا نتجاهل الأمر. ما أرغب بمعرفته هو ما يسعى إليه بيرنتسين.

- عملك يا هول هو التحقيق في جرائم قتل رجال الشرطة، وليس استغلال الوضع للقيام بمطاردة شخصية ضدي أو ضد ترولس بيرنتسين.

- أهذا ما أفعله أنا؟

- من غير الخفي أننا غير متفقين يا هاري، وأفترض أنك ترى ذلك كفرصة للنيل مني.

- ماذا عنك أنت وبيرنتسين؟ هل من خلافات بينكما؟ أنت من قام بإيقافه بتهمة الفساد.

- لا، كان ذلك مجلس التعيين، ونحن على وشك حل سوء التفاهم هذا.

- حقاً؟

- لقد كان الأمر خطئي في الواقع، فالنقود في حسابه المصرفي كانت مني.

- منك؟

- لقد بنى الشرفة في منزلنا، وقد دفعت له نقداً فوضع المبلغ في حسابه، لكنني أردت استعادة نقودي بسبب خطأ في البناء، ولهذا لم يعلن عن المبلغ لمصلحة الضرائب لأنه لم يرد دفع الضرائب على نقود لا تعود ملكيتها له. وقد أرسلت المعلومات لفرقة الاختلاس البارحة.

- خطأ في البناء!

- القاعدة الإسمنتية رطبة وتفوح منها رائحة نتنة. حين علمت فرقة الاختلاس بالمبلغ الغامض من المال كان ترولس يعاني من القلق لئلا يضعني الأمر في وضع حرج إن أفصح عن مصدر النقود، لكننا سوينا الأمر.

رفع بيلمان كمَّي سترته لتلمع ساعته السويسرية في الظلام.

- إن لم تكن لديك أية أسئلة حول الرصاصة من مسدسي، فلدي أشياء أخرى لأقوم بها يا هاري، وأفترض أنك كذلك أيضاً؛ إذ ينبغي عليك التحضير لمحاضراتك مثلاً.

- أنا أمضي كل وقتي على ذلك حالياً.

- كنت تمضي كل وقتك على ذلك.

- مما يعني؟

- علينا الادخار حين نستطيع فعل ذلك. لذا سأقوم بإصدار أوامر فورية كي تتوقف مجموعة هاغن البديلة الصغيرة عن الاستعانة بمستشارين.

- أنا وشتال أون نشكل نصف المجموعة.

- خمسون بالمائة من تكاليف الموظفين. إنني أهنئ نفسي على هذا القرار منذ الآن. لكن، بما أن المجموعة تلاحق الشخص الخطأ فأنا أظن أنني سألغي المشروع بكامله.

- ألديك كل هذا الخوف يا بيلمان؟

- عليك أن تخاف من أي شيء حين تكون الحيوان الأضخم في الغابة يا هاري. وأنا بكل الأحوال...

- ... رئيس الشرطة. أنت بالتأكيد الرئيس.

نهض بيلمان:

- أنا مسرور لأن هذا الأمر قد انتهى، فأنا أعلم أنك حين تبدأ بسحب الزملاء الموثوقين كبيرنتسين فهذا ليس تحقيقاً موضوعياً، وإنما هو ثأر شخصي يقوم به شرطي سابق مدمن على الشراب. وكرئيس للشرطة، من واجبي حماية سمعة الشرطة. لذا، أنت تعرف ما سأجيب به حين يسألونني عن سبب إغلاقنا لقضية الروسي الذي تم إقحام مفتاح زجاجات في شريانه السباتي في مقهى كام آز يو آر، أليس كذلك؟ سأجيب أن علينا أن نرتب أولوياتنا في التحقيقات، وأن القضية لم تغلق بعد وإنما ليست ذات أولوية في الوقت الحالي. ومع أن الجميع في الشرطة يعرفون الشائعات حول المسؤول عن الجريمة فسأتظاهر أنني لم أسمعهم لأنني رئيس الشرطة.

- هل هذا تهديد يا بيلمان؟

- وهل أنا مضطر لتهديد محاضر في كلية الشرطة؟ تصبح على خير

يا هاري.

شاهد هاري بيلمان وهو ينزل المدرج بجانب السور يغلق أزرار سترته. كان يعلم أن عليه إبقاء فمه مغلقاً، فقد كان ينوي الاحتفاظ بهذه البطاقة لحالات الضرورة، لكنه علم الآن أن عليه القيام بكل شيء؛ إذ ليس هناك ما يخسره. انتظر حتى رفع بيلمان إحدى ساقيه فوق السور.

- هل التقيت رينيه كالسنس يا بيلمان؟

تجمد بيلمان في مكانه. كانت كاترين قد قامت ببحث حول بيلمان وكالسنس من دون التوصل إلى نتيجة واحدة. ولو أنهما تشاركا فاتورة مطعم، أو اشتريا تذكرة سينما من على الإنترنت، أو جلسا على مقعدين متقاربين في طائرة أو قطار لكانت قد وجدت ذلك، لكنه تجمد مكانه ووقف تاركاً كلاً من ساقيه على أحد جانبي السور.

- لماذا هذا السؤال الغبي يا هاري؟

أخذ هاري نفساً من سيجارته:

- من المعروف أن رينيه كالسنس كان يبيع خدماته للرجال كلما سنحت له الفرصة، وأنت تشاهد الكثير من الأفلام الخلاعية على الإنترنت.

لم يتحرك بيلمان، لكن هاري لم يتمكن من رؤية التعابير على وجهه في الظلام، وإنما رأى البقع البيضاء تتلألأ كساعته.

قال هاري وهو يتفحص وهج السيجارة:

- كان كالسنس معروفاً بكونه ساخراً وطماعاً من دون أي رادع أخلاقي. تخيل لو أن رجلاً متزوجاً وذا منصب اجتماعي بارز قد تم ابتزازه من قبل شخص كرينيه. ربما تكون لديه بعض الصور المخزية. سيبدو ذلك كدافع مناسب لجريمة القتل أليس كذلك؟ لكن، ربما يكون رينيه قد تكلم عن الرجل المتزوج، وبالتالي فقد يأتي شخص في ما بعد ويظهر أن هناك دافعاً. لذا، يطلب الرجل المتزوج من شخص ما أن يرتكب جرائم القتل بدلاً عنه... من شخص يعرفه جيداً... شخص يسيطر عليه... شخص يثق به. ويتم ارتكاب الجريمة في وقت تكون فيه لدى الرجل المتزوج حجة غياب ممتازة، كتناول الطعام في باريس على سبيل المثال. لكن، بعد مرور زمن يتخاصم صديقا الطفولة، ويتم إيقاف الشخص الذي يقوم بالتنفيذ عن عمله، ويرفض الرجل المتزوج أن يدعمه؛ فهو مضطر للقيام بذلك لكونه مديراً. لذا، يأخذ الرجل الذي يقوم بالتنفيذ رصاصة من مسدس الرجل المتزوج ويضعها في صندوق الأدلة؛ إما لمجرد الانتقام أو للضغط على الرجل المتزوج ليعيده إلى وظيفته. أترى؟ ليس من السهل بالنسبة لشخص لا

يتقن فن الحرق أن يستبدل رصاصته. وهل تعلم أيضاً أن ترولس بيرنتسين قد أبلغ عن فقدانه مسدس الخدمة بعد سنة من مقتل كالسنس؟ وقد وجدت اسمه على قائمة حصلت عليها من كاترين برات قبل ساعتين. ما رأيك بهذا يا رئيس الشرطة؟

تنشق هاري، وأغمض عينيه لئلا يؤثر الوهج على رؤيته الليلية.

- شكراً يا هاري. شكراً على جعلي أحسم قراري حول إنهاء عمل المجموعة؛ فهذا أول ما سأفعله غداً صباحاً.

- هل يعني ذلك أنك تدعي أنك لم تلتق رينيه كالسنس؟

- لا تجرب تقنيات الاستجواب هذه علي يا هاري؛ فأنا من أحضرها إلى النروج من الإنتربول. يمكن لأي شخص أن يجد بالصدفة صوراً خليعة على الإنترنت؛ فهي موجودة في كل مكان. ولسنا بحاجة لمجموعات من المحققين الذين يستخدمون مثل هذه الأمور كأدلة في تحقيق خطير.

- لكنك لم تجدها بالصدفة يا بيلمان، وإنما دفعت ثمن الأفلام ببطاقة ائتمانك وقمت بتحميلها على جهازك.

- أنت لا تنصت. إنك تشعر بالفضول لدرجة أنك لا تفهم. حين تقوم بتحميل صور لجريمة قتل فهذا لا يعني أنك قاتل. وإذا كانت هناك امرأة مهووسة بفكرة الاعتداء عليها فهذا لا يعني أنها تريد أن يعتدى عليها!

ونقل بيلمان ساقه الأخرى للطرف الثاني وعدل سترته.

- نصيحة أخيرة يا هاري. لا تلاحقني؛ إن كنت تعلم مصلحتك ومصلحة امرأتك.

شاهد هاري ظهر بيلمان يختفي في الظلام، وسمع خطواته الثقيلة وهي ترسل صدى في أرجاء المدرج. رمى السيجارة وداسها بقوة محاولاً سحقها على الإسمنت.

39

وجد هاري سيارة أويستن إيكلاند المرسيدس في موقف سيارات الأجرة شمال محطة أوسلو المركزية. كانت سيارات الأجرة مركونة على شكل دائرة، وبدت كقطار شحن يشكل جناحاً دفاعياً ضد مصلحة الضرائب والمنافسين وأي أحد قد يأتي ليأخذ ما يعتبره السائقون لهم قانونياً.

جلس هاري على المقعد الأمامي:

- أمشغول الليلة؟

رد أويستن:

- لم أرفع قدمي عن دواسة البنزين لثانية.

وزم شفتيه حول لفافة رقيقة ونفث الدخان في المرآة، حيث كان بإمكانه رؤية الطابور الذي وراءه يتزايد.

سأل هاري وهو يخرج علبة سجائر الجمل:

- كم مرة خلال الليل يركب معك راكب يدفع لك؟

- مرات كثيرة؛ لدرجة أنني أفكر في تغيير عداد سيارة الأجرة. هيه، ألا يمكنك القراءة؟

وأشار أويستن إلى عبارة ممنوع التدخين على صندوق القفازات.

- أنا بحاجة لبعض النصائح يا أويستن.

- رأيي هو لا. إياك أن تتزوج. راكيل امرأة لطيفة، لكن الزواج يجلب الهموم أكثر من المتعة. أنصت لرجل جرب الأمر عدة مرات.

- لكنك لم تتزوج قط يا أويستن.

- هذه هي الفكرة بالضبط.

أشعل هاري سيجارة:

- لا أفهم كيف أنني طلبت منك أن تكون الشاهد على زواجي!

- ينبغي أن تكون لدى الشاهد على الزواج مهاراته يا هاري. والزواج بدون أن يستهزئ بك أحد ليس له أي معنى؛ كالدواء المنشط تماماً.

- لكنني لا أريد نصائحك بشأن الزواج.

- إذاً، أنا جاهز.

لسع الدخان حنجرة هاري؛ فالغشاء المخاطي لم يكن معتاداً على علبتي سجائر في اليوم. كان يعلم جيداً أنه لا يمكن لأويستن أن يقدم له أي نصائح حول القضية، أو على الأقل أي نصائح جيدة؛ فمبادئه ومنطقه البسيطة قد شكلت نمط حياة سيئاً لا يمكن أن يغري سوى من لديه

اهتمامات محددة للغاية. كانت دعامات منزله هي الشراب والعزوبية والنساء من أدنى المستويات وذكاء مثيراً للاهتمام - لكنه في تدهور لسوء الحظ - وبعض الكرامة وغريزة البقاء التي أدت على الرغم من كل شيء إلى زيادة قدرته على الضحك في وجه الحياة مما يثير إعجاب هاري.

تنشق هاري:

- أشك في أن شرطياً يقف وراء جميع جرائم قتل رجال الشرطة هذه.

رد أويستن وهو يمسح بعض التبغ عن رأس لسانه:

- إذاً، اقبض عليه. هل قلت جرائم قتل رجال الشرطة؟

- نعم. لكن المشكلة هي أنني إن اعتقلت هذا الرجل فسيورطني معه.

- كيف؟

- سيثبت أنني من قتل الروسي في مقهى كام آز يو آر.

حدق أويستن بهاري بعينين واسعتين في المرآة:

- هل قتلت روسياً؟

- ماذا علي أن أفعل؟ هل أعتقل الرجل وأتورط معه؟ وفي تلك الحالة لن يكون لراكيل زوج ولا لأوليغ أب؟

- أوافقك الرأي.

- توافقني الرأي على ماذا؟

- أوافقك الرأي على استخدامهما كذريعة. من الذكي للغاية أن تكون لديك مثل هذه الذريعة كفاعل خير؛ فحينها ستنام على نحو أفضل. لقد جربت ذلك كثيراً. أتذكر حين كنا نسرق التفاح وهربت وتركت تريسكو يواجه اللوم؟ بالطبع لم يكن بإمكانه الركض بسرعة مع كل الحمل والعوائق، وقد أقنعت نفسي أن تريسكو بحاجة للضرب أكثر مني ليتصلب عموده الفقري؛ أقصد ليتم توجيهه إلى الطريق القويم؛ لأنه كان بحاجة إلى ذلك، أليس كذلك؟ بينما أردت أنا أن أكون قاطع طريق. ما نفع ضربي لسرقتي بعض التفاح الرديء؟

- لن أسمح بتحمل الآخرين اللوم عني يا أويستن.

- لكن، ماذا لو أن هذا الرجل قتل المزيد من رجال الشرطة وأنت تعلم أنه كان بإمكانك إيقافه؟

- هذه هي الفكرة.

ونفث هاري الدخان على لصاقة ممنوع التدخين.

حدق أويستن بزميله:

- لا تفعل هذا يا هاري...
- لا أفعل ماذا؟
- لا...

وأنزل أويستن زجاج النافذة إلى جانبه ورمى ما تبقى من اللفافة.

- لا أريد سماع المزيد عن الأمر. لا تفعل ذلك فحسب.
- حسناً. الخيار الأكثر جبناً هو أن لا أفعل شيئاً، وأن أقنع نفسي أنه ليس لدي أي دليل قاطع - وهو أمر صحيح - وأن أتجاهل الأمر. لكن، هل يمكن للمرء العيش هكذا يا أويستن؟
- بالطبع يمكنه ذلك. لكنك غريب نوعاً ما في هذا الشأن يا هاري. أيمكنك العيش هكذا؟
- ليس بشكل طبيعي. لكن كما قلت سابقاً، لدي بعض الاعتبارات الأخرى الآن.
- ألا يمكن لرجال الشرطة الآخرين اعتقاله؟
- سيستخدم كل ما يعرفه عن الجميع في الشرطة ليفاوض على حكم مخفف، فقد عمل كحارق ومحقق ويعرف كل الخدع. وعلاوة على كل ذلك، إن رئيس الشرطة سينقذه؛ فكلاهما يعرفان الكثير عن بعضهما.

تناول أويستن علبة سجائر هاري:

- أتعلم ماذا يا هاري؟ يبدو لي وكأنك أتيت إلى هنا لتحظى بموافقتي على ارتكاب جريمة قتل. أيعلم أي أحد آخر بما تخطط له؟

هز هاري رأسه بالنفي:

- لا أحد. بمن في ذلك أفراد فريق التحقيق الخاص بي.

أخرج أويستن سيجارة وأشعلها بولاعته:

- هاري.
- نعم.
- أنت الرجل الأكثر توحداً الذي عرفته.

نظر هاري إلى ساعة يده التي تشير إلى منتصف الليل وحدق عبر الزجاج.

- أظن أن الكلمة الأنسب هي الوحيد.
- لا، بل المتوحد؛ فهذا خيارك وأنت غريب الأطوار.
- بكل الأحوال، شكراً على النصيحة.

وفتح هاري باب السيارة.

- أي نصيحة؟
صفق الباب.
صرخ أويستن:
- أي نصيحة لعينة؟ وماذا عن ركوب سيارة أجرة تقلك إلى منزلك أيها السافل البخيل؟

كان المنزل مظلماً وساكناً.
جلس هاري على الأريكة وحدق بالخزانة.
لم يكن قد قال شيئاً عن شكوكه بخصوص ترولس بيرنتسين.
اتصل ببيورن وكاترين وأخبرهما أنه أجرى محادثة مقتضبة مع مايكل بيلمان، وأن لدى رئيس الشرطة حجة غياب في ليلة وقوع الجريمة مما يعني أن هناك خطأ أو أن أحداً ما دس الدليل. لذا، عليهم التكتم حول تطابق الرصاصة في صندوق الأدلة مع مسدس بيلمان وعدم قول كلمة عما تناقشوا حوله.
لم يتفوّه بكلمة حول ترولس بيرنتسين.
ولا كلمة حول ما ينبغي فعله.
هكذا ينبغي أن يتم الأمر؛ ففي مثل هذا النوع من القضايا ينبغي أن تبقى وحيداً.
كان المفتاح مخبأ على رف الأسطوانات المضغوطة.
أغمض هاري عينيه، وحاول منح نفسه الراحة والتوقف عن الإنصات للحوار الدائر في رأسه، لكن بلا طائل، فقد بدأت الأصوات بالصراخ ما إن استرخى... ترولس بيرنتسين مجنون. لم يكن هذا افتراضاً وإنما واقعاً؛ إذ لا يمكن لأي شخص عاقل أن يرتكب سلسلة جرائم تستهدف زملاءه.
لكن الأمر لم يكن فريداً من نوعه، وإنما ينبغي عليك النظر إلى الحوادث في أمريكا حيث يقوم شخص ما بعد طرده أو إذلاله بطريقة ما بالعودة إلى مكان عمله وإطلاق الرصاص على زملائه. لقد قتل ثورنتون ثمانية من رفاقه في مستودع توزيع بعد طرده لسرقته الشراب، وقتل ويسلي نيل هيغدون خمسة بعد صرفه من قبل رئيسه، بينما أطلقت جينيفر سان ماركو ست رصاصات قاتلة على رؤوس زملائها في مكتب البريد بعد طردها بسبب جنونها.
لكن الفرق هنا هو درجة التخطيط، والقدرة على تنفيذ المخططات. إذاً، ما مدى جنون ترولس بيرنتسين؟ أكان مجنوناً بما يكفي لترفض الشرطة

ادعاءه أن هاري هول قد قتل شخصاً؟

لا.

ليس إن كان لديه دليل... دليل لا يمكن اعتباره جنونياً.

ترولس بيرنتسين.

ترك هاري ذهنه يعمل.

كل شيء مناسب، لكن هل المكون الأساسي مناسب؟ الدافع. ما الذي قاله مايكل بيلمان؟ إذا كانت هناك امرأة مهووسة بفكرة الاعتداء فهذا لا يعني أنها تريد أن يعتدى عليها. أي إنه إن كان هناك رجل مهووس بالعنف فهذا لا يعني...

يا الله، فلتتوقف هذه التساؤلات.

لكنها لن تتوقف، ولن تمنحه أي سلام حتى يحل المشكلة، وليست هناك سوى طريقتين لحلها: الطريقة الأولى التي تحرضه عليها كل ذرة من جسده... احتساء الشراب الذي يضاعف ويمحو ويخفي ويخدر، وكانت تلك هي الطريقة السيئة. أما الطريقة الثانية فهي الطريقة النهائية أو الطريقة الضرورية التي تنهي المشكلة... البديل.

قفز هاري على قدميه - لم يكن هناك أي شراب في المنزل منذ أن انتقل إليه - وبدأ يذرع المكان جيئة وذهاباً، ثم توقف ونظر إلى خزانة الزاوية القديمة التي ذكرته بشيء ما... خزانة شراب وقف مرة وحدق بها بهذه الطريقة. ما الذي يمنعه؟ كم مرة من قبل تخلّى عن قراره لأجل مكافأة أقل من هذه؟ ربما هنا تكمن الفكرة بالضبط. في المرات الماضية كان الأمر لأجل تغييرات بسيطة يبررها الغضب الأخلاقي، أما هذه المرة فالأمر... غير نظيف. إنه يسعى لحماية نفسه من خلال تنفيذ الأمر.

لكنه تمكن من سماعه بداخله الآن، وهو يهمس له... أخرجني واستخدمني. استخدمني بالطريقة التي ينبغي استخدامي بها. وهذه المرة سأنهي عملي، ولن أسمح لسترة واقية من الرصاص أن تخدعني.

سيستغرق الأمر نصف ساعة ليقود سيارته من هنا إلى شقة ترولس بيرنتسين في مانغلرود التي تحوي الترسانة الموجودة في غرفته، والتي رآها هاري بعينيه... أسلحة وأصفاداً وأقنعة غاز وهراوات. إذاً، لماذا يؤجل الأمر؟ إنه يعلم ما ينبغي فعله.

لكن، هل كان محقاً؟ هل قام ترولس بيرنتسين حقاً بقتل رينيه كالسنس بناء على أوامر من مايكل بيلمان؟ ما من شك في أن ترولس بيرنتسين مجنون. لكن، هل مايكل بيلمان مجنون أيضاً؟

أم إنها مجرد فكرة وضعها ذهنه بتجميع القطع المتوفرة لديه وإجبارها على التشكل لأنه يريد ويحتاج إلى صورة... أي صورة تمنحه جواباً أو شعوراً بأن النقاط تتجمع؟

أخرج هاري الهاتف من جيبه واختار الحرف أ.

مرت عشر ثوانٍ قبل أن يسمع رداً:

- نعم؟
- مرحباً يا أرنولد. هذا أنا.
- هاري؟
- نعم. هل أنت في العمل؟
- الساعة الآن الواحدة صباحاً يا هاري، وكمعظم الناس الطبيعيين أنا نائم.
- آسف. هل تريد العودة للنوم؟
- بما أنك تسأل، نعم.
- حسناً، لكنك مستيقظ... إنني أتساءل عن مايكل بيلمان. لقد كنت تعمل في كريبوس حين كان هناك. هل لاحظت شيئاً قد يشير إلى أنه ذو ميول غير أخلاقية؟

تبع ذلك صمت طويل أنصت فيه هاري لتنفس أرنولد المنتظم، ومن الأصوات في الخلفية استنتج هاري أن هناك نافذة مفتوحة بالقرب من أرنولد، إذ يمكن سماع الكثير من الأصوات من خارج غرفة النوم. لا بد أنه معتاد على الضجيج الذي لا يزعجه خلال نومه. وفجأة خطرت له الفكرة ليس كانكشاف وإنما كفكرة شاردة؛ وهي أن الأمر هكذا مع قضيتهم. ينبغي عليهم الإنصات للضجة المألوفة التي لا يسمعونها وهكذا فإنها لا توقظهم.

- هل نمت يا أرنولد؟
- لا، على الإطلاق. لكن الفكرة جديدة علي، لذا علي تركها لتتخمر أولاً. إذاً وبالنظر إلى كل شيء في ضوء مختلف... لكن حتى في هذه الحالة لا يمكنني... لكن الأمر واضح...
- ما هو الواضح؟
- إنه بيلمان وكلبه الوفي للغاية.
- ترولس بيرنتسين.
- بالضبط. كلاهما... لكنني يا هاري لا أستطيع رؤيتهما كثنائي إن كنت تفهمني.

- فهمت. آسف على إيقاظك. تصبح على خير.
- تصبح على خير. بالمناسبة...
- ممم؟
- كان هناك شاب في كريبوس. لقد نسيت القصة كلها، لكنني ذهبت إلى الحمام مرة وكان هو وبيلمان يقفان بجوار الأحواض وقد احمر وجهاهما؛ كما لو أن شيئاً ما قد حصل. أذكر أن الفكرة قد خطرت لي حينها لكنني لم أعرها أي اهتمام. لكن الشاب غادر كريبوس مباشرة بعد ذلك.
- ماذا كان اسمه؟
- ليست لدي أدنى فكرة. يمكنني معرفة ذلك لكن ليس الآن.
- شكراً يا أرنولد. نم جيداً.
- شكراً. ما الذي يحصل؟
- ليس الكثير يا أرنولد.

وأنهى هاري الاتصال ووضع الهاتف في جيبه.

وفتح اليد الأخرى.

حدق برف الأسطوانات المضغوطة. كان المفتاح تحت الحرف و.

ردد:

- ليس الكثير.

خلع قميصه في طريقه إلى الحمام. كان يعلم أن ملاءة السرير بيضاء ونظيفة وباردة، وأن الصمت خارج النافذة المفتوحة مطبق، وهواء الليل بارد، وأنه لن يتمكن من النوم للحظة.

في السرير استلقى منصتاً للريح التي تصفر عبر ثقب مفتاح خزانة سوداء قديمة في الزاوية.

تلقت الشرطية المناوبة في مركز الهاتف المركزي رسالة حول اندلاع حريق عند الساعة 4 : 06 صباحاً. حين سمعت صوت رجل الإطفاء المنفعل افترضت تلقائياً أنه حادث ضخم قد يتطلب إيقاف حركة المرور وحماية الممتلكات الشخصية والتعامل مع الإصابات أو الوفيات، لذلك تفاجأت قليلاً حين قال رجل الإطفاء إن الدخان قد أثار جهاز إنذار في مقهى في أوسلو كان مغلقاً خلال الليل، وإن الحريق قد انطفأ قبل أن يصلوا. لكنها استغربت أكثر حين طلب منها رجل الإطفاء أن ترسل بعض رجال الشرطة إلى هناك مباشرة، وأدركت أن ما كانت تظنه في البداية انفعالاً ما هو إلا

الرعب؛ حيث ارتعش الصوت كصوت رجل رأى الكثير في مهنته، لكن لا شيء يساوي ما يحاول قوله.

- هناك فتاة صغيرة لا بد أنه تم تخديرها بشيء ما؛ فهناك الكثير من زجاجات الشراب الفارغة.

- أين أنتم؟

- إنها... إنها متفحمة بالكامل، وقد تم ربطها بأنبوب.

- أين أنتم؟

- حول رقبتها. يبدو وكأنه قفل دراجة. عليكم المجيء فوراً.

- نعم، لكن أين...

- كفادراتورين. يدعى المكان كام آز يو آر. يا إلهي! إنها مجرد فتاة صغيرة...

40

استيقظ شتال أون في تمام الساعة 6 : 28 على صوت رنين. لسبب ما ظن في البداية أنه الهاتف قبل أن يدرك أنها ساعة المنبه. لا بد أن السبب شيء ما في حلمه. لكن، بما أنه لم يعد يثق بتفسير الأحلام ولا العلاج النفسي فلم يحاول تتبع سلسلة أفكاره. ضرب بيده على الساعة وأغمض عينيه ليستمتع بدقيقتين قبل أن يرن المنبه ثانية. كقاعدة، كان ذلك حين يسمع صوت خطوات قدمَي أورورا الحافيتين وهما تضربان الأرض بسرعة في طريقها إلى الحمام لتدخله أولاً.

صمت.

- أين أورورا؟

تمتمت إنغريد بصوت أجش:

- إنها نائمة عند إيميلي.

نهض شتال أون واستحم وحلق ذقنه وتناول وجبة الفطور مع زوجته بصمت مطبق، بينما قرأت هي الصحيفة. كان شتال أون بارعاً بالقراءة بالمقلوب، فألقى نظرة شاملة على قضايا الشرطة لكنه لم يجد أي أخبار وإنما مجرد توقعات جديدة.

سأل شتال:

- ألن تأتي للمنزل قبل الذهاب إلى المدرسة؟

- لقد أخذت معها أغراضها المدرسية.

- أوه صحيح. هل من المستحسن أن تنام لدى صديقتها حين يكون لديها دوام مدرسي في اليوم التالي؟

- لا، فهذا سيئ لها. ينبغي أن تفعل شيئاً حيال ذلك.

- أتعرفين ما يفعله نقص النوم بالدماغ يا إنغريد؟

- قامت الحكومة النروجية بتمويل أبحاثك لست سنوات لكي تعرف بنفسك يا شتال. لذا، سأعتبر أن ذلك إهدار لضرائبي لو كنت أعرف.

كان شتال يشعر دائماً بمزيج من الإعجاب والانزعاج من قدرة إنغريد على البقاء نشيطة في مثل هذه الساعة المبكرة. فقد كانت قادرة على مسح الأرض به قبل الساعة العاشرة، لذا لم يكن يقوم بأي مواجهة كلامية معها قبل منتصف اليوم عادة؛ إذ لم يكن لديه أي أمل بربح أي جولة حتى الساعة السادسة تقريباً.

كان يفكر في الأمر وهو يدور بالسيارة خارج المرأب ويقودها إلى

عيادته في سبورفيسغاتا. لم يكن يدري إن كان بإمكانه العيش مع امرأة من دون أن توبخه بشكل يومي، ولو لم يكن ضليعاً بعلم الوراثة لكان من المحير بالنسبة له كيف تمكنا هما الاثنان من إنجاب طفلة حساسة ولطيفة كأورورا. كانت حركة المرور بطيئة لكنها ليست أبطأ من المعتاد، والعامل الأهم هو توقعها وليس الوقت الذي تستغرقه، فهناك اجتماع في غرفة التدفئة في تمام الساعة الثانية عشرة، وقبل الذهاب إلى الاجتماع لديه ثلاثة مرضى.

أشعل المذياع وأنصت للأخبار، ثم سمع هاتفه يرن في الوقت نفسه.

كان المتصل هاري:

- علينا تأجيل الاجتماع فقد تم ارتكاب جريمة قتل أخرى.
- أهي الفتاة التي يتكلمون عنها في المذياع؟
- نعم. على الأقل نحن متأكدون من أنها فتاة.
- ألا تعرفون من هي؟
- لا. لم يتم الإبلاغ عن فقدان أي فتاة.
- كم عمرها؟
- من المستحيل تحديد ذلك، لكن من حجم الجثة وشكلها أظن أنها ما بين عشر سنوات وأربع عشرة سنة.
- أتظن أن للأمر علاقة بقضيتنا؟
- نعم.
- لماذا؟
- لأنه تم العثور عليها في مسرح جريمة غير محلولة. في مكان يدعى كام آز يو آر، ولأن... هناك قفل دراجة حول عنقها يربطها بأنبوب.
- يا إلهي!

سمع هاري يسعل مجدداً.

- هاري؟
- نعم؟
- هل أنت بخير؟
- لا.
- هل... هل من خطب ما؟
- نعم.
- باستثناء قفل الدراجة؟
- لقد رشها بالكحول قبل أن يشعل عود الثقاب، وترك الزجاجات

الفارغة على الطاولة. ثلاث زجاجات، كلها من النوع نفسه؛ على الرغم من وجود الكثير من الزجاجات الأخرى التي كان بإمكانه أخذها.

- أهي...
- نعم جيم بيم.
- شرابك.

سمع شتال هاري يصرخ على أحد ما بأن لا يلمس شيئاً، ثم أكمل:

- أتريد القدوم ورؤية مسرح الجريمة؟
- لدي بعض المرضى. ربما بعد ذلك.
- حسناً، كما تريد. سنبقى هنا لفترة من الوقت.

أنهيا الاتصال.

حاول شتال التركيز على القيادة، لكنه أحس بأنفاسه تتسارع وصدره يصعد ويهبط. كان يعلم أنه سيكون اليوم أسوأ طبيب نفسي على الإطلاق.

خرج هاري من الباب إلى الشارع المزدحم، حيث يمر الناس والدراجات والسيارات والقطارات بسرعة، ورمش في الضوء بعد كل الظلام، ثم استمع لصخب الحياة الذي لا يحمل أي معنى، بينما كانت هناك خلفه ببضعة أمتار جريمة قتل لا تحمل أي معنى أيضاً، حيث تجلس الفتاة المقتولة على كرسي بقاعدة بلاستيكية ذائبة وقد تحولت إلى جثة متفحمة. لم تكن لديهم أي فكرة عن هويتها، لكن هاري كانت لديه فكرة، إلا أنه لم يجرؤ على التفكير في الأمر. أخذ نفساً عميقاً وفكر بالأمر جيداً، ثم اتصل بكاترين التي كان قد أرسلها إلى غرفة التدفئة لتجلس بجوار الحاسوب.

سألها:

- ألم يبلغ أحد عن فقدان ابنته؟
- لا.
- حسناً. تحققي من المحققين الذين لديهم بنات بعمر يتراوح بين ثماني سنوات وست عشرة سنة، وابدئي بالذين عملوا على قضية كالسنس، واتصلي بكل منهم واسأليه إن كان قد رأى ابنته اليوم، لكن بحذر.
- حسناً.

أنهى هاري المكالمة.

خرج بيورن ووقف بجواره وقال بصوت منخفض وهادئ كما لو أنهما في دار عبادة:

- هاري؟
- نعم؟
- هذا أسوأ شيء رأيته في حياتي.

أومأ هاري. كان مدركاً لبعض الأمور التي رآها بيورن لكنه يعلم أن هذا صحيح.

- من فعل هذا...

ورفع بيورن يديه وأخذ نفساً سريعاً وتنهد بيأس ثم أنزل يديه مجدداً.

- ينبغي قتله.

أطبق هاري قبضته في جيب سترته؛ فقد كان يعرف ذلك أيضاً. ينبغي إطلاق الرصاص عليه باستخدام رصاصة أو ثلاث من مسدس أوديسا الموجود في الخزانة في هولمنكولفن لكن ليس الآن. كان ينبغي فعل ذلك في الليلة الماضية حين قام شرطي سابق جبان بالتوجه إلى سريره لأنه لا يمكنه أن يكون المنفذ طالما أن دافعه غير واضح. أيفعل هذا لأجل الضحايا المحتملين أم لأجل راكيل وأوليغ أم لأجله هو؟ لكن الفتاة في الداخل ما كانت لتسأله عن دافعه؛ لأن الأوان قد فات بالنسبة لها ولوالديها. تباً! تباً! تباً!

نظر إلى ساعة يده.

ترولس بيرنتسين يعرف أن هاري يلاحقه وسيكون على أهبة الاستعداد. لقد دعاه وأغراه بارتكاب الجريمة في مسرح الجريمة السابق، كما أذله باستخدام السم الذي اعتاد عليه... جيم بيم، والقفل الذي سمع عنه نصف رجال الشرطة. لقد تم ربط هاري هول العظيم ككلب بلافتة ممنوع الوقوف في سبورفيسغاتا.

تنشق هاري. بإمكانه كشف كل أوراقه وقول كل شيء عن غاستو وأوليغ والروسي الميت ثم اقتحام شقة ترولس بيرنتسين مع دلتا. وفي حال هرب بيرنتسين، يمكن نشر شبكة من الإنتربول في كل محطات الشرطة الريفية في البلاد أو...

سحب هاري علبة سجائر الجمل ثم أعادها فقد مل التدخين.

... أو يمكنه فعل ما يريده السافل بالضبط.

لم تكتمل أفكار شتال إلا بعد الاستراحة بعد المريض الثاني.

أو فكرتاه، فقد كانت لديه فكرتان.

الأولى أنه لم يبلغ أحد عن اختفاء الفتاة. فتاة بعمر يتراوح بين عشر سنوات وأربع عشرة سنة. كان على والديها أن يفتقداها حين لم تعد في المساء ويبلغا عن اختفائها.

الثانية هي: ما علاقة الضحية بجرائم قتل رجال الشرطة. حتى الآن لم يستهدف القاتل سوى المحققين، لكن من المعروف عن القتلة المتسلسلين أنهم يصعّدون من عنفهم. ماذا يمكنك أن تفعل للمرء أكثر من أن تقتله؟ أن تقتل أبناءه... الطفلة. إذاً، في هذه القضية يبقى السؤال: دور من الآن؟ من الواضح أنه ليس هاري إذ ليس لديه أي أطفال.

هنا بدأ العرق البارد يتصبب من جسد شتال أون من دون سابق إنذار. تناول الهاتف من الدرج المفتوح وبحث عن اسم أورورا واتصل.

رن الهاتف ثماني مرات ثم تم تحويله إلى البريد الصوتي.

لم تجب بالطبع فهي في المدرسة، وبالطبع من غير المسموح لهم استخدام هواتفهم.

ماذا كان اسم عائلة إيميلي؟ لقد سمعها كثيراً، لكن هذا من اختصاص إنغريد. فكر بالاتصال بها، لكنه قرر أن لا يقلقها بلا ضرورة، وبدأ البحث عنه بنفسه من خلال موقع المدرسة. بالتأكيد وجد الكثير من رسائل البريد الإلكتروني من السنة الماضية مع عناوين جميع آباء الأطفال في صف أورورا. بحث فيها على أمل العثور عليه، ولم ينتظر كثيراً حتى وجد توران إينيرسين. نعم، إنها إيميلي إينيرسين. والأفضل من كل ذلك أن رقم الهاتف مدرج تحت الاسم. لاحظ أن أصابعه ترتعش ومن الصعب نقر الزر الصحيح. لا بد أنه لم يتناول ما يكفيه من القهوة.

- توران إينيرسين.

- آه مرحباً، أنا شتال أون والد أورورا. أريد فقط أن أعرف إن كان كل شيء على ما يرام في الليلة الماضية.

صمت طويل.

أضاف:

- في نومها عند إيميلي.

- آه، لكن أورورا لم تأت للنوم عندنا. علمت أنهما كانتا تثرثران حول الموضوع، لكن...

رد شتال بصوت مضطرب:

- لا بد أني أخطأت.

- نعم، فمن غير السهل تذكر من ينام عند من في هذه الأيام.

ضحكت توران إينيرسين لكن صوتها لم يكن مرتاحاً... فهو الأب الذي لا يعرف أين أمضت ابنته ليلتها.

أنهى شتال المكالمة، وكان قميصه مبتلاً بالعرق.

اتصل بإنغريد فرد عليه البريد الصوتي فترك لها رسالة طلب منها أن تتصل به، ثم نهض وانطلق عبر الباب. نظرت إليه المريضة الأخيرة التي كانت امرأة متوسطة العمر تتعالج لأسباب غير مفهومة.

- آسف، لكنني مضطر لإلغاء جلسة اليوم...

كان ينوي قول اسمها لكنه لم يتذكره حتى أصبح في أسفل الدرج، وخرج من الباب وركض في سبورفيسغاتا نحو سيارته.

أحس هاري أنه يضغط على كوب القهوة الورقي بقوة، بينما مرت الحمالة المغطاة أمامه باتجاه سيارة الإسعاف.

عبس وهو ينظر إلى الأشخاص الفضوليين المتجمعين بالقرب من المكان.

اتصلت كاترين وقالت إنه لم يتم حتى الآن الإبلاغ عن اختفاء أحد، كما أن لا أحد في فريق التحقيق في قضية كالسنس لديه ابنة بعمر بين ثماني سنوات وست عشرة سنة. لذا، طلب منها هاري توسيع بحثها ليشمل باقي أفراد الشرطة.

خرج بيورن من المقهى، وخلع القفازين المطاطيين وقبعة الرداء الأبيض.

سأله هاري:

- أما من أخبار بعد من فريق الحمض النووي؟

- لا.

كان أول ما فعله هاري حين وصل إلى مسرح الجريمة أنه أخذ عينة من الأنسجة وأرسلها مباشرة إلى فريق التحقيق الجنائي. يستغرق اختبار الحمض النووي الكامل وقتاً طويلاً، لكن التوصل إلى النتائج المبدئية قد يتم بسرعة، وهذا ما كانوا بحاجة إليه. كان جميع محققي الجرائم ورجال الشرطة الجنائيين ورجال الشرطة العاديين قد سجلوا اختبارات حمضهم النووي في حال قاموا بتلويث مسرح الجريمة. كما قاموا خلال السنوات الأخيرة بتسجيل اختبارات الحمض النووي لرجال الشرطة الذين يصلون أولاً إلى مسرح الجريمة أو الذين يحرسون مسرح الجريمة، وكذلك المدنيين الذين قد يكونون هناك. كانت تلك حسابات احتمال بسيطة تتم من خلال أول ثلاثة أو أربعة أرقام من أصل أحد عشر رقماً، حيث يمكنهم استبعاد أكثر رجال الشرطة صلة بالموضوع، وبخمسة أو ستة أرقام يمكن استبعادهم كلهم باستثناء واحد في حال كان محقاً.

نظر هاري إلى ساعة يده. لم يكن يعلم لماذا، ولم يكن يعلم ما الذي كانوا يحاولون فعله، فكل ما يعلمه هو أنه ليس لديهم الكثير من الوقت. ليس لديه الكثير من الوقت.

ركن شتال أون سيارته أمام بوابة المدرسة وأشعل المصابيح. سمع صدى خطواته يتردد بين الأبنية حول الباحة... صوت طفل وحيد... صوت الوصول المتأخر إلى الصف.... صوت العطلات الصيفية حين يغادر الجميع المدينة... صوت الهجران. فتح الباب الثقيل وركض عبر الممر من دون أن يسمع أي صدى سوى صوت لهاثه. هذا باب صفها أليس كذلك؟ مجموعة أو صف؟ لم يكن يعلم الكثير عن حياتها اليومية، ولم يرها كثيراً خلال الأشهر الستة الماضية. كان يريد معرفة الكثير، ومستعداً لقضاء كل الوقت معها منذ الآن فصاعداً طالما... طالما...

نظر هاري في أرجاء المقهى.

قال الشرطي من ورائه:

- لقد تم ثقب القفل على الباب الخلفي.

هز هاري رأسه. كان قد رأى علامات الخدوش حول القفل.

ثقب القفل عمل سهل على رجال الشرطة لهذا لم ينطلق جهاز الإنذار.

لم ير هاري أي علامات تشير إلى المقاومة؛ كسقوط بعض الأشياء على الأرض، أو تحريك بعض الكراسي والطاولات من مكانها الذي تم وضعها فيه خلال الليل. تم استجواب المالك، لكن هاري قال إنه ليس بحاجة لمقابلته، ولم يقل إنه لا يريد مقابلته. لم يعط أي سبب، لكنه لم يكن يريد المخاطرة بأن يتم التعرف عليه.

جلس هاري على مقعد في المقهى، وتذكر كيف جلس هناك في تلك الليلة مع كأس جيم بيم لم يشربها. هاجمه الروسي من الخلف، وحاول إقحام نصل سكين سيبيرية في شريانه السباتي، لكن إصبع هاري المصنوعة من التيتانيوم قطعت عليه الطريق. وقف المالك وراء المنضدة مشلولاً من شدة الخوف، بينما التقط هاري مفتاح الزجاجة. كانت الأرضية تحتهما قد صبغت بالدم.

قال بيورن:

- لم تظهر لدينا أي أدلة حتى الآن.

أومأ هاري مجدداً. بالطبع، فقد كان المكان كله لبيرنتسين حيث أخذ وقته في ترتيب المكان قبل أن يبللها... ثم جاءته الكلمة من دون أن يرغب في ذلك... ينقعها.

ثم أشعل الولاعة.

صدح صوت أغنية، ورفع بيورن هاتفه إلى أذنه:

- نعم؟... تطابق؟ انتظر لحظة...

أخرج قلم رصاص ودفتر ملاحظاته. فكر هاري أن بيورن يحب الغلاف القديم كثيراً لدرجة أنه يمحي الملاحظات حين يمتلئ الدفتر ويستخدمه مجدداً.

- ما من سجل، لكنه يعمل على التحقيق في جرائم القتل... نعم... أخشى أن لدينا شكوكنا... وما هو اسمه؟

وضع بيورن دفتر الملاحظات على المنضدة مستعداً للكتابة، لكن القلم توقف:

- ماذا قلت اسم الوالد؟

أحس هاري من صوت زميله أن هناك خطباً ما.

حين فتح شتال أون باب غرفة الصف تدافعت الأفكار إلى رأسه: لقد كان أباً سيئاً إذ لم يكن متأكداً إن كان لصف أورورا غرفة خاصة به وإن كانت هذه هي الغرفة.

لم يأت إلى هنا منذ سنتين؛ في يوم افتتاح المدرسة، حين قامت كل الصفوف بعرض رسومات طلابها ونماذجهم المصنوعة من أعواد الثقاب والمجسمات المصنوعة من الجص وأشياء أخرى لم تعجبه. لكنه لو كان أباً أفضل لكانت قد نالت إعجابه.

هدأت الأصوات والتفت الطلاب باتجاهه.

وفي الصمت تفحص الوجوه الصغيرة الناعمة... الوجوه التي ستتغير كثيراً لتظهر عليها علامات الشخصية، وستتصلب وتتحول إلى قناع يصبح في ما بعد مطابقاً لما هم عليه من الداخل. ابنته.

وجدت نظراته وجوهاً رآها في صور الصف وحفلات ذكرى الميلاد وبعض مباريات كرة اليد القليلة وآخر أيام المدرسة. كان بإمكانه تذكر أسماء بعضها. أكمل البحث عن الوجه الوحيد الذي يرغب في رؤيته، بينما تشكل اسمها وتضخم في حنجرته: أورورا. أورورا. أورورا.

وضع بيورن الهاتف في جيبه ووقف بجوار المنضدة مديراً ظهره لهاري من دون حراك، ثم هز رأسه ببطء والتفت. بدا وجهه كما لو كان ينزف... شاحباً وخالياً من الدم.

قال هاري:

- إنه شخص تعرفه جيداً.

هز بيورن رأسه ببطء كشخص يمشي خلال نومه وبلع ريقه وقال:

- هذا غير ممكن...

- أورورا.

حدق جدار من الوجوه بشتال أون. ظهر اسمها على شفتيه كنشيج. ردد:

- أورورا.

وفي طرف مجال نظره رأى المدرِّسة تتجه نحوه.

سأل هاري:

- ما هو غير الممكن؟

رد بيورن:

- ابنته. هذا غير ممكن.

اغرورقت عينا شتال بالدموع، وأحس بيد على كتفه، ثم نهض شخص وتوجه إليه بينما تراقص الشكل كما في مرآة مشوشة. أحس أن الشكل يشبهها... يشبه أورورا. كطبيب نفسي كان يعلم أن هذا هروب العقل كاستراتيجية للتعامل مع ما لا نحتمله، فهكذا يكذب العقل ويجعلنا نرى ما نريد رؤيته. لكنه همس باسمها.

- أورورا.

كان موقناً أن الصوت صوتها.

- هل من خطب ما...؟

كما سمع آخر كلمة من الجملة لكنه لم يكن متأكداً إن كانت هي أو أن عقله هو الذي أضافها.

- ... يا بابا؟

- لماذا هذا غير ممكن؟

قال بيورن وهو يحدق بهاري كما لو أنه لم يكن هناك:

- لأنها...
- نعم؟
- لأنها ميتة مسبقاً.

41

كان صباحاً هادئاً في مقبرة فيستر، ولا يمكن سماع سوى صوت حركة المرور من بعيد في سوركيدالسفين وصوت القطارات التي توصل الناس إلى مركز المدينة.

قال هاري وهو يخطو بين القبور:

- رور ميدتستوين. نعم. لكم سنة بقي معك؟

قال بيورن وهو يحاول الاستمرار:

- لا أحد يعلم. منذ فجر التاريخ.

- وابنته ماتت بحادث سيارة؟

- الصيف الماضي. هذا جنون. لا يمكن أن يكون ذلك قد حصل. لم يحصلوا بعد سوى على الجزء الأول من رمز الحمض النووي، ولا تزال هناك فرصة بنسبة من عشرة إلى خمسة عشر بالمائة أن يكون الحمض النووي لشخص آخر...

كاد يصطدم بهاري الذي توقف فجأة.

قال هاري وهو ينزل على ركبتيه ويقحم أصابعه في الأرض بجوار القبر الذي يحمل اسم فيا ميدتستوين:

- حسناً. ذلك الاحتمال قد تضاءل حتى الصفر.

ورفع يده ونثر تراباً محفوراً مؤخراً بين أصابعه:

- لقد نبش القبر وأخذ الجثة إلى كام آز يو آر وأشعل بها النار.

- تبـ...

سمع هاري الدموع في صوت زميله، فتجنب النظر إليه وتركه بسلام، ثم أغمض عينيه وأنصت. كان هناك عصفور يغرد لحناً بلا معنى للأذن البشرية بينما عصفت الرياح بين الغيوم. صفر قطار متجه غرباً بينما مضى الوقت، لكن هل هناك وجهة ليذهب إليها؟ فتح هاري عينيه مجدداً وسعل.

- من الأفضل أن نطلب منهم نبش القبر والتأكد من ذلك قبل أن نتصل بالأب.

- سأفعل ذلك.

- هذا أفضل يا بيورن، فعلى الأقل لم يتم حرق فتاة صغيرة حية.

- آسف. أنا مرهق فحسب، ورور بحالة سيئة بما يكفي، لذا فقد...

ورفع ذراعيه بيأس.

قال هاري وهو ينهض:

- لا بأس.
- إلى أين أنت ذاهب؟

نظر هاري شمالاً إلى الطريق والمترو حيث كانت الغيوم تتراكض باتجاهه. هنا عاوده الشعور بأنه يعرف شيئاً لا يدركه بعد... شيئاً في أعماقه لكنه يرفض الظهور على السطح.

- علي الاهتمام بشيء ما.
- أين؟
- إنه مجرد شيء كنت قد أجلته كثيراً.
- حسناً. بالمناسبة، هناك شيء كنت أفكر به.

نظر هاري إلى ساعة يده وأومأ.

- حين تكلمت مع بيلمان البارحة ما كان رأيه بالنسبة للرصاصة؟
- لم تكن لديه أدنى فكرة.
- ماذا عنك؟ عادة تكون لديك فرضية على الأقل.
- مممم. علي الذهاب.
- هاري؟
- نعم.

ابتسم بيورن ابتسامة خجولة:

- لا تفعل أي شيء غبي.

اتكأت كاترين برات للخلف على مقعدها ونظرت إلى الشاشة. كان بيورن هولم قد اتصل للتو ليخبرها أنهم قد وجدوا الأب للتو وهو ميدتستوين الذي كان قد حقق في جريمة قتل كالسنس، وأن سبب عدم العثور عليه بين رجال الشرطة الذين لديهم فتيات صغيرات هو أن ابنته ميتة. وبما أن ذلك يعني أنه ليس لدى كاترين عمل مؤقتاً فقد نظرت إلى تاريخ البحث من اليوم السابق حيث لم يتمكنوا من إيجاد أي صلة بين مايكل بيلمان ورينيه كالسنس. حين بحثت عن قائمة الأشخاص الذين لديهم أقوى علاقة مع مايكل بيلمان ظهرت لها ثلاثة أسماء. الأول هو أولا بيلمان، ثم ترولس بيرنتسين، وفي المرتبة الثالثة إيزابيل سكوين. لم يكن من المفاجئ أن تأتي زوجته في المرتبة الأولى، ولا من الغريب أن تأتي رئيسته مستشارة الشؤون الاجتماعية في المرتبة الثالثة.

لكنها تفاجأت بترولس بيرنتسين.

وذلك لسبب بسيط؛ وهو أن هناك مذكرة داخلية موجهة من فرقة الاختلاس لرئيس الشرطة ومسجلة مباشرة في مركز الشرطة. كان هناك مبلغ نقدي رفض ترولس بيرنتسين الإفصاح عنه، وقد طلبوا إذناً للبدء بتحقيق للكشف عن فساد محتمل.

لم تتمكن من العثور على أي رد، لذا افترضت أن بيلمان قد أعطاهم جواباً لفظياً.

لكن ما وجدته غريباً هو أن رئيس الشرطة ورجل الشرطة الفاسد يتصلان ببعضهما، ويتبادلان الرسائل النصية، ويستخدمان بطاقات الائتمان في الأماكن نفسها وفي الوقت نفسه، ويسافران في الوقت نفسه وفي الطائرة نفسها أو القطار ويسجلان في الفندق نفسه وفي التاريخ نفسه، وقد ذهبا إلى ميدان إطلاق النار نفسه أيضاً. وحين طلب منها هاري القيام ببحث شامل حول بيلمان اكتشفت أن بيلمان كان يشاهد أفلاماً خلاعية على الإنترنت. ما طبيعة العلاقة بينهما!؟

جلست كاترين تحدق بالشاشة.

هذا لا يعني شيئاً.

كانت تعلم أن هاري قد التقى بيلمان في الليلة الماضية في فالي هوفين وواجهه باكتشاف رصاصته. وقبل أن يغادر، تمتم هاري شيئاً حول شعوره أنه يعلم من الذي استبدل الرصاصة في غرفة الأدلة. وحين استفسرت لم يرد عليها هاري سوى بكلمة «الظل».

وسعت كاترين بحثها ليشمل المزيد من الماضي.

قرأت عبر النتائج.

لم يفترق بيلمان وبيرنتسين طوال مهنتهما التي بدأت في شرطة ستوفنر بعد أن غادرا كلية الشرطة.

حصلت على قائمة الموظفين الآخرين في تلك الفترة.

مرت عيناها على الشاشة، وتوقفت عند أحد الأسماء، واتصلت برقم يبدأ بـ 55 .

- لم نسمع منك منذ زمن يا آنسة برات. كان من المفترض أن تأتي إلى هنا للفحص الطبي منذ زمن!

أحست بسعادة بالغة لدى سماعها لكنة بيرغن الأصلية مجدداً.

- هانز...

- د. هانز. شكراً جزيلاً.

ابتسمت كاترين وقالت:

- أخبرني بعضهم أنك عدت للعمل.
- وأين أنت في هذه اللحظة؟
- في أوسلو. بالمناسبة، يمكنني أن أرى من قائمة هنا أنك عملت في محطة شرطة ستوفنر في الوقت نفسه مع مايكل بيلمان وترولس بيرنتسين.
- كان ذلك بعد كلية الشرطة مباشرة، وفقط بسبب امرأة يا برات. كابوس مطرقة الباب. هل أخبرتك عنها من قبل؟
- ربما.
- لكن حينما انتهيت منها انتهيت من أوسلو أيضاً.
- هانز! حين عملت مع...
- لا أحد يعمل مع هذين الإنسانين يا كاترين. إما أن تعملي لحسابهما أو ضدهما.
- لقد تم إيقاف ترولس بيرنتسين.
- كان من المفترض إيقافه منذ زمن. هل ضرب أحداً مجدداً؟
- ضرب؟ هل يضرب السجناء؟
- بل أسوأ من ذلك. إنه يضرب رجال الشرطة.

أحست كاترين بشعر ذراعيها يقف.
- حقاً! من؟
- كل من حاول التحرش بزوجة بيلمان، فقد كان بيرنتسين يحبهما كليهما.
- ماذا كان يستخدم؟
- ماذا تقصدين؟
- حين يضربهم.
- كيف لي أن أعرف؟ يستخدم شيئاً صلباً حسبما أفترض. على الأقل، بدا الأمر كذلك حين قام ذلك الشاب الغبي من الشمال بالرقص بالقرب من السيدة بيلمان في عشاء الكريسمس.
- أي شاب من الشمال؟
- كان اسمه... دعيني أتذكر... يبدأ اسمه بالحرف ر... رونار. كان رونار. رونار... دعيني أتذكر... رونار...

بدأت أصابع كاترين بالنقر على لوحة المفاتيح.
- آسف يا كاترين لكن ذلك كان منذ زمن. ربما إن خلعت كنزتك؟
- لكنني وجدت الاسم من دون مساعدتك، فليس هناك سوى رونار واحد في ستوفنر في ذلك الوقت. وداعاً يا هانز...

- انتظري.
- علي الذهاب أيها المريض.

أنهت الاتصال، وضغطت على زر الإدخال وتركت محرك البحث يعمل بينما بدأت تفكر باسم عائلته؛ إذ كان هناك شيء مألوف فيها. أين سمعتها؟ أغمضت عينيها وتمتمت بالاسم، إذ لا يمكن للأمر أن يكون مصادفة. فتحت عينيها ورأت النتيجة. كانت هناك الكثير من النتائج... سجلات طبية، ودخول للمشفى بسبب الإدمان على المخدرات، والمراسلات بين عيادة للعلاج من الإدمان في أوسلو ورئيس الشرطة. عينان زرقاوان بريئتان وصافيتان تنظران إليها. فجأة تذكرت أين كانت قد رأته من قبل.

دخل هاري المنزل، وتوجه إلى رف الأسطوانات المضغوطة من دون أن يخلع حذاءه، وأقحم إصبعه بين أسطوانتين لويتس وسكوت. كان ذلك هو المكان الأكثر أماناً في المنزل؛ إذ لا راكيل ولا أوليغ قد يختاران أسطوانة لتوم ويتس أو مايك سكوت.

أخرج المفتاح النحاسي الصغير المجوف عديم الوزن، لكنه بدا ثقيلاً للغاية في يده لدرجة أنه أحس بيده تهوي إلى الأرض وهو متجه إلى خزانة الزاوية. أقحمه في الثقب وأداره، ثم انتظر حيث كان يعلم أنه ما من طريق للرجوع بعد أن يفتحه؛ إذ إنه سيخلف وعده.

كان عليه استخدام قوته ليفتح باب الخزانة المنتفخ. كان يعلم أن ذلك صوت خشب قديم يخرج من الإطار، لكنه بدا كتنهيدة عميقة جاءت من قلب الظلام؛ كما لو أنه أدرك أنه تحرر أخيراً ليجلب الدمار للأرض.

فاحت منه رائحة المعدن والزيت.

تنشق وأحس كما لو أنه يدخل يده بجحر أفاعٍ. بحثت أصابعه قبل أن تجد الفولاذ البارد. أمسك برأس الثعبان وأخرجه.

كان سلاحاً قبيحاً للغاية. الهندسة الروسية السوفييتية فعالة للغاية؛ إذ يمكنها الضرب بقوة كالكلاشينكوف.

زان هاري المسدس في يده.

علم أنه كان ثقيلاً، لكنه بدا خفيفاً بعد أن اتخذ قراره. تنفس الصعداء فقد تحرر العفريت.

قال شتال وهو يغلق باب غرفة التدفئة وراءه:
- مرحباً. هل أنت وحدك؟

رد بيورن من مقعده وهو يحدق بالهاتف:

- نعم.
جلس شتال على مقعد:
- أين...؟
- على هاري تسوية أمر ما، وكاترين كانت قد رحلت حين وصلت.
- يبدو لي وكأنك قضيت يوماً شاقاً.
ابتسم بيورن بشحوب:
- وأنت أيضاً يا دكتور أون.
مرر شتال يده على قمة رأسه:
- في الواقع، دخلت غرفة الصف وعانقت ابنتي وبكيت بينما شاهدنا الصف بأكمله، وقد ادعت أورورا أن هذا الأمر سيكون وصمة عار لها طوال حياتها. حاولت أن أشرح لها أنه لحسن الحظ معظم الأطفال لديهم قوة كافية ليتحملوا عبء حب ذويهم، وأنه من وجهة نظر علمية ينبغي أن تكون قادرة على البقاء أيضاً. كل ذلك حصل لأنها كانت نائمة عند إيميلي، وهناك اثنتان تدعيان إيميلي في الصف، وقد اتصلت بوالدة إيميلي الخطأ.
- هل تلقيت الرسالة بأننا قد أجلنا اجتماع اليوم؟ فقد عثرنا على جثة فتاة.
- نعم أعرف. يا له من أمر كئيب!
أومأ بيورن ببطء وأشار إلى الهاتف:
- علي أن أتصل بوالدها الآن.
- أنت تخشى ذلك بالطبع.
- بالطبع.
- أنت تتساءل عن سبب معاقبة الأب بهذه الطريقة؟ لماذا عليه أن يفقدها مرتين؟ لماذا لا تكفي مرة واحدة؟
- نوعاً ما.
- الجواب هو لأن القاتل يرى نفسه المنتقم يا بيورن.
رد بيورن وهو ينظر إلى الطبيب النفسي نظرة فارغة:
- آه، حقاً؟!
- أتعرف درسك؟ إنه القاتل المنتقم. فهو ينتقم من أعدائه ويحتفظ بغضبه لأعدائه. لقد فهمت المغزى، أليس كذلك؟
- أنا صبي بسيط من أوستر توتن يبحث عن البراهين و...
انحنى شتال للأمام على مقعده:

- لهذا أنا هنا. القاتل منتقم، وهاري محق. إنه يقتل بدافع الحب وليس بدافع الكراهية أو المنفعة أو المتعة السادية. لقد أخذ منه أحد ما شيئاً يحبه، والآن هو يأخذ من الضحايا ما يحبونه. قد يكون ذلك حياتهم أو أشخاصاً يقدّرونهم أكثر: أطفالهم.

أومأ بيورن:

- كان رور ميدتستوين على استعداد للتضحية بحياته لإنقاذ ابنته.

- إذاً، ما علينا أن نبحث عنه هو شخص فقد شخصاً ما أحبه... إنه ينتقم بدافع الحب؛ لأن ذلك هو الدافع الوحيد القوي بما يكفي هنا يا بيورن. هل تفهم؟

أومأ بيورن:

- أظن ذلك. لكن، علي الاتصال بميدتستوين الآن.

- إذاً، سأتركك بسلام.

انتظر بيورن حتى رحل شتال، ثم اتصل بالرقم الذي كان ينظر إليه منذ فترة حتى أحس أنه انطبع على شبكيتي عينيه. أخذ نفساً عميقاً وهو يعد الرنات ويتساءل كم مرة عليه أن يتركه يرن قبل أن يغلق الخط، ثم سمع صوت زميله فجأة.

- هل هذا أنت يا بيورن؟

- نعم. إذاً، لقد حفظت رقمي؟

- نعم بالطبع.

- حسناً. أخشى أن هناك شيئاً علي إخبارك به.

صمت.

بلع بيورن:

- الأمر متعلق بابنتك...

- بيورن. قبل أن تكمل، لا أدري ما الذي ستقوله، لكن يمكنني من نبرة صوتك أن أحدد أنه أمر جدي، ولا يمكنني احتمال المزيد من المكالمات الهاتفية حول فيا. هذا ما كان عليه الأمر من قبل، إذ لا أحد يستطيع النظر في عيني، والكل يتصلون بي عبر الهاتف لأن ذلك أسهل. رجاء، هل يمكنك الحضور إلى هنا والنظر في عينيّ وأنت تقول ما تريده يا بيورن؟

تفاجأ بيورن، إذ لم يكن قد سمع رور ميدتستوين يتكلم من قبل بهذه الصراحة والانفتاح حول ضعفه.

- بالطبع. أين أنت؟

- لقد مرت تسعة أشهر بالضبط اليوم، لذا أنا في طريقي إلى مكان مقتلها لوضع بعض الزهور والتفكير...

- أخبرني أين يقع هذا المكان وسآتي على الفور.

توقفت كاترين برات عن البحث عن مكان لركن سيارتها. كان من السهل العثور على رقم الهاتف والعنوان على الإنترنت. لكنها بعد أن اتصلت أربع مرات ولم تتلق أي رد طلبت سيارة وقادتها إلى إنداستريغاتا في ماجورستوين إلى شارع باتجاه واحد، حيث يوجد متجر بقالة ومطعم وورشة لإطارات الصور، لكن ما من أماكن فارغة لركن السيارات.

اتخذت كاترين قراراً، وقادت السيارة على الرصيف، وأطفأت المحرك ووضعت ملاحظة على الزجاج الأمامي تذكر فيها أنها شرطية، وكانت تعلم أن ذلك سيردع شرطة المرور الذين يقول هاري عنهم إنهم من يقف بين الحضارة والفوضى العارمة.

عادت إلى الطريق الذي أتت منه نحو السوق الأنيقة في بوغستادسفين، وتوقفت خارج مبنى شقق في بوابة جوزفين حيث قامت مرة أو مرتين خلال دراستها في كلية الشرطة بالقدوم لاحتساء القهوة في وقت متأخر من الليل. كان المبنى يعود لشرطة أوسلو، وتؤجر الغرف للطلاب في الكلية. وجدت كاترين الاسم الذي تبحث عنه على لوحة الأجراس، وضغطت على الجرس وانتظرت وهي تتأمل الواجهة البسيطة من أربعة طوابق، ثم ضغطت مرة أخرى وانتظرت.

- لا أحد في المنزل؟

التفتت وابتسمت ابتسامة تلقائية، وخمنت أن الرجل في العقد الرابع من العمر، وربما يكون في الخمسين. وهو طويل، ومحافظ على شعره، ويرتدي قميصاً صوفياً من نوع ليفايز.

- أنا البواب.

- أنا المحققة كاترين برات من فرقة مكافحة الجرائم. أبحث عن سيلج غرافسينغ.

تفحص بطاقة التعريف الشخصية التي أبرزتها، ثم تفحصها بوقاحة من رأسها حتى أخمص قدميها.

- سيلج غرافسينغ. من الواضح أنها تركت كلية الشرطة، لذا لن تقيم هنا بعد الآن.

- لكنها لا تزال هنا، أليس كذلك؟

- نعم، في الغرفة 412 . أيمكنني إرسال رسالة لها؟

- رجاء. اطلب منها أن تتصل بهذا الرقم. أريد الحديث معها عن رونار غرافسينغ أخيها.

- هل فعل شيئاً خاطئاً؟

- لا. إنه يجلس دائماً في منتصف الغرفة لأنه يظن أن الجدران أشخاص يريدون ضربه حتى الموت.

- يا إلهي!

أخرجت كاترين دفتر ملاحظاتها، وكتبت اسمها ورقم هاتفها:

- يمكنك أن تخبرها أن الأمر متعلق بجرائم قتل رجال الشرطة.

- نعم. يبدو أنها مهووسة بهم.

توقفت كاترين عن الكتابة:

- ماذا تقصد؟

- إنها تستخدمها كورق الجدران. أقصد قصاصات الصحف حول رجال الشرطة المقتولين. أعلم أن الأمر ليس من شأني إذ يمكن للطلاب فعل ما يحلو لهم، لكن هذا غريب نوعاً ما، أليس كذلك؟

نظرت إليه كاترين:

- ما اسمك؟

- ليف رودبيك.

- اسمعني يا ليف. أتظن أن بإمكاني إلقاء نظرة على غرفتها؟ أرغب برؤية القصاصات.

- لماذا؟

- أيمكنني فعل ذلك؟

- لا مشكلة. فقط أريني مذكرة البحث.

- أخشى أنه ليس لدي...

- كنت أمزح. تعالي معي.

بعد دقيقة، كانا في المصعد في طريقهما إلى الطابق الثالث.

- تقول اتفاقية الإيجار إن بإمكاني دخول الغرف طالما أنني أعطي إشعاراً مسبقاً. حالياً، نحن نتحقق من المشعاع الكهربائي لنتخلص من الغبار المتراكم؛ فقد احترق أحدهم في السنة الماضية. وقد حاولنا إعطاءها إشعاراً مسبقاً قبل أن ندخل، لكن سيلج لم تجب على جهاز الاتصال الداخلي. أيبدو لك الأمر جيداً أيتها المحققة برات؟

ابتسم ابتسامة ماكرة وساحرة. لو أنه قام بمناداتها باسمها في نهاية

الجملة لانتهى الأمر بالطبع، لكن يبدو أنه يتمتع ببعض المرح. بحثت عيناها عن خاتم زواج في يده فوجدت الذهب الناعم معتماً. فتح باب المصعد، وتبعته في الممر الضيق حتى توقف أمام أحد الأبواب الزرقاء.

طرق وانتظر، ثم طرق مجدداً وانتظر.

قال وهو يدخل المفتاح في القفل:

- لندخل.

- لقد كنت متعاوناً للغاية يا رودبيك.

- ليف. من دواعي سروري أن أساعد؛ إذ إنني لا أمر بمثل هذه التجربة كل يوم.

فتح لها الباب لكنه وقف في الطريق؛ حيث إنها إذا أرادت الدخول فستضطر للالتصاق به. نظرت إليه نظرة واعظة فتراقصت الضحكة في عينيه وخطا جانباً.

دخلت كاترين. لم تكن الغرف قد تغيرت كثيراً، ولا يزال المطبخ الصغير وباب الحمام في طرف والستارة في الطرف الآخر حيث تذكر كاترين أن وراءها سريراً. لكن أول ما فاجأها هو أنها دخلت غرفة فتاة، ولا يمكن أن تكون فتاة ناضجة تعيش هنا. لا بد أن سيلج غرافسينغ تتوق لشيء ما في الماضي. كانت الأريكة في الزاوية مغطاة بمجموعة متعددة الألوان من ألعاب الدببة والدمى والألعاب المختلفة. كانت ثيابها متناثرة على الطاولة والكراسي، وألوانها مشرقة، وأغلبها باللون الوردي. وعلى الجدران كانت هناك صور لضحايا الأزياء؛ وقد خمنت كاترين أنها صور لفرق الذكور الموسيقية أو قناة ديزني.

الأمر الثاني الذي فاجأها هو قصاصات الصحف البيضاء والسوداء بين الصور الجذابة والمثيرة. مشت في أرجاء الغرفة، لكنها انجذبت للجدار فوق جهاز الحاسب على طاولة المكتب.

اقتربت كاترين، على الرغم من أنها تعرفت على معظم القصاصات؛ إذ إنها القصاصات نفسها الموجودة على جدار غرفة التدفئة.

كانت القصاصات معلقة بدبابيس رسومات، ولا تحمل أي ملاحظات سوى التواريخ المكتوبة بقلم عريض.

رفضت فكرتها الأولى، واختبرت الفكرة الثانية: وهي أنه ليس غريباً بالنسبة لطالبة في كلية الشرطة أن تهتم لهذه الدرجة بمثل هذه الجرائم الخطيرة.

إلى جانب لوحة المفاتيح كانت هناك صحف تم أخذ القصاصات منها.

وبين الأوراق صورة قمة جبل في شمال النروج عرفتها في سفولفارغيتا في لوفوتين. التقطت البطاقة وأدارتها، لكن لم يكن هناك طابع بريدي أو عنوان أو توقيع. كانت قد أعادت البطاقة لمكانها حين أخبرها ذهنها بما كانت عيناها قد سجلتاه في المكان الذي بحثت فيه تلقائياً عن التوقيع... كلمة بحروف كبيرة حيث تنتهي الكتابة... الشرطة. التقطت البطاقة مجدداً من الأطراف وقرأتها من البداية.

(يظنون أن رجال الشرطة قد تم قتلهم لأن أحداً ما يكرههم، لكنهم لم يدركوا بعد أن الأمر معاكس، وأن من يقتلهم يحب الشرطة ويريد القبض على الفوضويين والمدمرين وجميع القوى الهدامة. إنهم لا يدرون أن من يطاردونه لا يريد معاقبة المجرمين فحسب، ولكن أيضاً معاقبة من يتخلون عن مسؤولياتهم ولا يلتزمون بالمعايير بدافع الكسل واللامبالاة... أولئك الذين لا يستحقون أن يحملوا اسم الشرطة).

قالت كاترين من دون أن ترفع عينيها عن الأحرف الطفولية الصغيرة والمرتبة المكتوبة بالحبر الأزرق:

- أتعلم ماذا يا ليف؟ إنني أتمنى بالفعل لو أن معي مذكرة تفتيش.

- حقاً؟

- سأحصل على واحدة، لكنك تعلم كيف يكون الوضع مع مثل هذه الأمور؛ فالحصول عليها قد يستغرق وقتاً، وأخشى أن يختفي ما أريد البحث عنه.

نظرت إليه كاترين فالتقت نظراتها بنظرات ليف رودبيك. كان ينظر إليها بحثاً عن برهان يؤكد أن هذا الأمر هام.

- وهل تعلمين ماذا يا برات؟ لقد تذكرت للتو أن علي النزول إلى القبو؛ فعمال الكهرباء يغيرون الخزائن هناك. أيمكنك تدبر أمرك بمفردك لبعض الوقت؟

ابتسمت له، وحين بادلها الابتسامة لم تستطع تحديد نوع الابتسامة. ردت:

- سأفعل ما بوسعي.

ضغطت كاترين على زر الحاسب ما إن سمعت الباب يغلق وراء رودبيك فأضاءت الشاشة. قامت بالبحث عن ميتيت لكنها لم تجد أي نتيجة، ثم حاولت البحث عن بعض الأسماء الأخرى من التحقيق ومسارح الجرائم القديمة وجرائم قتل رجال الشرطة لكنها لم تجد أي نتيجة.

إذاً، لم تكن سيلج غرافسينغ تستخدم جهاز الحاسب... فتاة ذكية.

سحبت كاترين درج طاولة المكتب فوجدته مقفلاً. هذا غريب. لماذا تقوم فتاة في العقد الثاني من عمرها بقفل درج في غرفتها الخاصة؟

نهضت وتوجهت إلى الستارة وأزاحتها جانباً. كان السرير مثبتاً بالجدار كما تذكره.

كانت هناك صورتان كبيرتان على الجدار فوق السرير الضيق.

لم تكن قد رأت سيلج غرافسينغ سوى مرتين؛ الأولى في كلية الشرطة حين قامت كاترين بزيارة هاري، لكن الشبه بين سيلج الشقراء والشخص الظاهر في الصورة كان كبيراً، لدرجة جعلتها متأكدة.

لم يكن هناك أي شك حول الرجل الظاهر في الصورة.

ولم يكن هناك أي شك حيال الرجل الظاهر في الصورة الأخرى.

لا بد أن سيلج قد وجدت صورة عالية الدقة على الإنترنت وكبرتها ليظهر كل ندب وكل خط وكل المسام في بشرة الوجه المحطم. لكنها كانت وكأنها غير مرئية، وكأنها تلاشت في بريق العينين الزرقاوين والتعابير الحانقة وهو يرى المصور ويخبره أنه لن تكون هناك أي كاميرات في مسرح جريمته... هاري هول. هذه هي الصورة التي كانت الفتيات في الصف الذي أمامها في المدرج يتكلمن عنها.

قسمت كاترين الغرفة إلى مربعات، وبدأت بأعلى اليسار، ثم فحصت الأرض، ونظرت إلى الأعلى مجدداً لتبدأ بالصف التالي كما علمها هاري وتذكرت قاعدته: لا تبحثي عن شيء ما. ابحثي فحسب. إن بحثت عن شيء ما فلن تتكلم معك الأشياء الأخرى... الأشياء التي لم تكن هناك لكن ينبغي أن تكون هناك. سكين الخبز ومفاتيح السيارة وسترة بذلة.

كانت آخر قطعة هي التي ساعدت كاترين على التوصل إلى ما تفعله سيلج غرافسينغ حالياً. بحثت بين جميع الملابس في الخزانة، وفي سلة الغسيل في الحمام الصغير، وعلى المشجب بجانب الباب لكنها لم تجد بذلة التدريب التي كانت سيلج ترتديها في آخر مرة رأتها فيها كاترين مع هاري في شقة القبو حيث كان فالنتين يقيم. كانت ترتدي اللون الأسود بالكامل، حيث تذكر كاترين أنها ذكرتها بجندي بحري في مناورة ليلية.

لقد ذهبت سيلج للركض كما كانت تفعل لتنجح في شروط القبول في كلية الشرطة وتلتحق وتفعل ما يمكنها فعله. لقد قال هاري إن الدافع وراء جرائم القتل هو الحب وليس الكراهية... حب أخ على سبيل المثال.

كان الاسم هو ما أثار ردة الفعل... رونار غرافسينغ، وبعد المزيد من البحث اكتشفت الكثير. كان رونار غرافسينغ قد ادعى في محادثاته مع

رئيس عيادة التخلص من الإدمان أنه تم ضربه من قبل شخص مقنع خلال عمله في محطة شرطة ستوفنر. كان ذلك سبب شهادة الطبيب وتسجيله وتزايد استهلاكه للمخدرات، وقد أكد غرافسينغ أن الجاني هو ترولس بيرنتسين، وأن دافع العنف رقصة حميمية قليلاً مع زوجة مايكل بيلمان في عشاء الكريسمس في مركز الشرطة، لكن رئيس الشرطة رفض قبول الاتهامات المتهورة لمدمن على الكحول، كما دعمه رئيس عيادة التخلص من الإدمان حيث قال إنه لم يرد سوى نقل المعلومات.

سمعت كاترين باب المصعد يفتح على الممر، بينما وقع نظرها على شيء بارز من تحت طاولة المكتب كانت قد فوتته. انحنت فوجدت هراوة سوداء.

فتح الباب.

- هل يقوم عمال الكهرباء بأداء عملهم؟

رد ليف رودبيك:

- نعم. تبدين وكأنك تنوين استخدام هذه.

ضربت كاترين الهراوة براحة يدها:

- غرض مثير للاهتمام أليس كذلك؟

- نعم. لقد قلت الشيء نفسه حين كنت أبدل صنبور المغسلة في الأسبوع الماضي. وقد أخبرتني أنها للتدريب لأجل امتحان، وفي حال ظهر قاتل رجال الشرطة.

أغلق ليف رودبيك الباب وراءه وقال:

- هل وجدت شيئاً؟

- هذه. هل رأيتها وهي تحملها من قبل؟

- عدة مرات... نعم.

دفعت كاترين نفسها للخلف على المقعد:

- حقاً! في أي وقت من اليوم؟

- في الليل بالطبع. حيث تتزين وترتدي حذاء عالي الكعبين وتصفف شعرها وتحمل الهراوة.

وكبت ضحكته.

- لماذا في...

- قالت إنها للحماية من المغتصبين.

- أتأخذ معها هراوة إلى المدينة لهذا السبب. سيكون من الأسهل أن تتجنب المنتزهات.

- لا. إنها تتجه مباشرة إلى المنتزهات.

- ماذا؟

- كانت تذهب إلى منتزه فاترلاند حيث كانت ترغب بالتدرب على القتال بالأيدي.

- كانت تريد من المنحرفين أن يجربوا الأمر، ثم...

- ثم تضربهم بقوة. يا لها من فتاة!

وابتسم ليف رودبيك ونظر إلى كاترين مباشرة.

قالت كاترين وهي تنهض:

- نعم. والآن علي العثور عليها.

- هل أنت مشغولة؟

لو أن كاترين أحست بأي عدم ارتياح من هذا السؤال فإنها لم تدرك الأمر حتى تجاوزته وخرجت من الباب، لكن بينما كانت تنزل الدرج فكرت أنها لم تكن يائسة لهذه الدرجة.

قاد هاري السيارة عبر نفق سفارتدالز حيث تلألأت الأضواء على هيكل السيارة وزجاجها. لم يسرع أكثر مما ينبغي؛ إذ ما من حاجة للوصول أسرع. كان المسدس على المقعد المجاور له، ومخزنه محشوًّا باثنتي عشرة رصاصة ماكاروف من عيار 9 × 18 ، أي إنه أكثر من كافٍ لفعل ما يريد فعله. كان الأمر مقتصراً على أن تكون لديه الشجاعة الكافية.

لديه الشجاعة الكافية.

لم يكن قد أطلق الرصاص على أحد بدم بارد من قبل، لكن الآن أصبح هذا العمل ضرورياً.

وضع قبضته على عجلة القيادة وأنزلها حين خرج من النفق إلى الضوء الباهت والتلال باتجاه تقاطع ريين. أحس بهاتفه المحمول يرن فسحبه بيد واحدة وحدق بالشاشة. كانت راكيل هي المتصلة، لكنها لم تكن تتصل في هذا الوقت عادة؛ إذ كان بينهما اتفاق غير محكي؛ وهو أن تتم مكالماتهما الهاتفية بعد الساعة العاشرة مساءً. لم يكن بإمكانه الحديث معها الآن، فهو متوتر للغاية وستلاحظ ذلك وتسأله، وهو لا يريد الكذب... لا يريد الكذب أكثر.

ترك الهاتف حتى توقف عن الرنين، ثم أطفأه ووضعه بجوار المسدس؛ إذ لم يعد هناك ما يفكر به، فقد انتهى وقت التفكير لأنه إن ترك شكوكه تظهر مجدداً فهذا يعني أنه سيبدأ من نقطة الصفر ليسلك

الطريق الطويل نفسه وينتهي به المطاف حيث هو الآن. لقد اتخذ قراره. إنه يتفهم أنه قد يرغب بالتراجع لكن الأمر مرفوض. تباً! ضرب بيده على العجلة وفكر بأوليغ وراكيل.

انعطف عند المنعطف، واتجه إلى مانغلرود، إلى مبنى الشقق حيث يقطن ترولس بيرنتسين وأحس بالهدوء في النهاية. كان ذلك يحدث دائماً حين يعبر العتبة ولا يعود هناك مجال للتراجع، حيث يبدأ بسقوط حر رائع، ويتوقف التفكير الواعي ويصبح كل شيء تلقائياً وروتينياً. لكن ذلك كان منذ زمن، وقد أحس بالشعور نفسه الآن. لم يكن واثقاً من أن هذا الشعور لا يزال لديه، لكن يبدو أنه ما زال موجوداً.

قاد السيارة ببطء عبر الشوارع، وانحنى للأمام وهو ينظر إلى الغيوم الرمادية التي تبدو كأسطول حربي مفاجئ بأهداف غير معروفة. اتكأ للخلف على المقعد، ورأى الأبنية المرتفعة فوق الأسطح المنخفضة.

لم يكن بحاجة للنظر إلى الأسفل إلى المسدس ليعلم أنه هناك.

لم يكن بحاجة للتفكير بتسلسل الأحداث ليتأكد من أنه سيتذكر.

لم يكن بحاجة لعد ضربات قلبه ليعلم أن نبضه مستقر.

وللحظة أغمض عينيه، وتخيل ما سيحدث، ثم راوده الشعور الذي خالجه عدة مرات من قبل في حياته كشرطي... الخوف... إنه الخوف نفسه الذي يشعر به أحياناً لدى من يطاردهم... خوف القاتل من أفكاره.

رفع ترولس بيرنتسين ردفيه وأعاد رأسه إلى الوسادة وأغمض عينيه وأصدر تنهدات منخفضة حتى أحس بالنشوة تهز جسده بالكامل. بعد ذلك بقي مستلقياً من دون حراك وهو يسبح في عالم أحلام اليقظة. من بعيد، بدأ جهاز إنذار بالصفير فافترض أنه من مرأب السيارات الكبير. وعدا عن هذا الصوت، كان الصمت المطبق سائداً في الخارج. من الغريب حقاً أنه في مكان هادئ حيث يعيش الكثير من البشر فوق بعضهم يعم الهدوء أكثر من أخطر الغابات حيث قد يعني أقل صوت أنك أصبحت فريسة. رفع رأسه والتقت عيناه عيني ميغان فوكس.

همس:

- هل استمتعت أيضاً؟

لكنها لم تجب، إلا أن عينيها لم تجفلا، وابتسامتها لم تذوِ، وبقيت لغة جسدها المغرية كما هي. ميغان فوكس هي الشخص الوحيد في حياته الذي بقي ثابتاً وموثوقاً ومخلصاً.

انحنى على جانب السرير، ثم بحث عن جهاز التحكم عن بعد بمشغل الأسطوانات المضغوطة، ووجهه إلى ميغان التي ارتعشت في اللقطة الثابتة على التلفاز ذي الشاشة المسطحة بحجم خمسين بوصة من نوع بيونير الذي اضطرت الشركة للتوقف عن صنعه لأن سعره باهظ الثمن، وهو جيد للغاية بالنسبة للسعر الذي يطلبونه. كان ترولس قد حصل على آخر قطعة حيث اشتراه بنقود جناها من حرق دليل ضد طيار كان يهرب الهيروويين لأساييف، وقد كان أخذ باقي المبلغ إلى المصرف وإيداعه مباشرة في حسابه المصرفي أكثر تصرف غبي قام به. كان أساييف خطيراً على ترولس، وحين سمع ترولس أن أساييف قد لقي حتفه كان أول ما خطر بباله أنه حر. فقد أصبح سجله نظيفاً، ولن يعود بإمكان أحد النيل منه.

التمعت عينا ميغان فوكس الخضراوان... أخضر زمردي.

كان يفكر منذ فترة بشراء الزمرد لها، فأولا ترتدي اللون الأخضر؛ كالكنزة الخضراء التي خلعتها حين كانت تقرأ على الأريكة. كان قد مر على بائع مجوهرات حدق به من رأسه إلى أخمص قدميه، وسأل عن القيراط والقيمة، فشرح له البائع أن الزمرد النقي باهظ الثمن أكثر من الالماس، لذا من الأفضل له التفكير بشيء آخر. ماذا عن حجر أوبال أنيق إن كان لا بد أن يكون أخضر اللون؟ أو ربما حجر كريم يحتوي على

الكروم، فالكروم هو ما يمنح الزمرد لونه الأخضر.

غادر ترولس المتجر مع وعد لنفسه أنه في المرة القادمة التي يتم الاتصال به من قبل أي شخص للعمل كحارق فسيقترح عليهم سرقة متجر المجوهرات هذا وحرقه... حرفياً... كما تم حرق الفتاة الشابة في كام آز يو آر. كان قد سمع بالأمر عبر مذياع الشرطة وهو يقود السيارة عبر البلدة، وفكر في التوجه إلى هناك ليرى إن كان بإمكانه المساعدة، فقد تم رفع إيقافه في النهاية، حيث قال مايكل إنه لم تبقَ سوى بعض الأمور الروتينية التي ينبغي إجراؤها قبل أن يعود للعمل. انتهت الآن جميع مخططاته لإزعاج مايكل، وسيتمكنان الآن من العودة كصديقيْن مجدداً من دون أي مشاكل، وستعود المياه لمجاريها. نعم، وأخيراً سيتم السماح له بالمشاركة والمساهمة والقبض على قاتل رجال الشرطة المجنون. لو سنحت لترولس الفرصة لقام شخصياً... حدق بالخزانة الصغيرة بجوار السرير حيث يوجد داخلها ما يكفي من الأسلحة للقبض على خمسين مجنوناً.

رن جهاز الاتصال الداخلي.

تنهد ترولس.

لا بد أن أحداً ما يريد شيئاً منه. فوفقاً لخبرته، لا بد أنه واحد من ثلاثة احتمالات:

1) أن يتبرع بالمال لحملة رئيس إفريقي يعتمد في جني ثروته على حملات جمع التبرعات.

2) أن يفتح الباب لعصابة من الشباب الذين سيقولون إنهم نسوا مفتاحهم لكنهم يريدون سرقة غرف المخازن في القبو.

3) بعض الجيران الذين يريدون منه النزول والقيام بعمل كان قد نسي أن يقوم به.

لم يكن أي من هذه الاحتمالات سبباً كافياً لينهض من السرير.

رن الجرس للمرة الثالثة.

بالطبع، قد يكون مايكل راغباً في الحديث عن أمور من الأفضل تجنبها عبر الهاتف؛ ليتأكد من أنهما يغنيان المقطوعة نفسها في حال تم إجراء المزيد من المقابلات حول المال في حسابه المصرفي.

فكر ترولس لبضع دقائق.

ثم رمى ساقيه خارج السرير.

- هذا أرونسن من المبنى ج. أنت تملك سيارة سوزوكي فيتارا فضية صحيح؟

رد ترولس في جهاز الاتصال الداخلي:

- نعم.

كان ينبغي أن تكون أودي Q5 بناقل حركة بست سرعات. كان ينبغي أن تكون أجره لآخر عمل قام به لأساييف... آخر دفعة بعد أن سلمهم ذلك المحقق المزعج هاري هول. وبدلاً من ذلك، حصل على سيارة يابانية يسخر منها الناس... سوزوكي فيتارا.

- أيمكنك سماع صوت جهاز الإنذار؟

سمعه ترولس بشكل أوضح الآن عبر جهاز الاتصال الداخلي.

- أوه تباً. سأرى إن كان بإمكاني إطفاؤه من خلال جهاز التحكم عن بعد.

- لو كنت مكانك لنزلت مباشرة، فقد حطموا نافذة جانبية، وكانوا يسرقون المذياع ومشغل الأقراص المضغوطة حين وصلت. أظن أنهم في مكان قريب ليروا ما الذي سيحصل.

- أوه تباً.

- من دواعي سروري أن أساعدك.

انتعل ترولس حذاءه، وتأكد من أن مفاتيح سيارته معه، ثم خطرت بباله فكرة مفاجئة. لذا، عاد إلى غرفة النوم، وفتح باب الخزانة وأخرج أحد المسدسات من نوع جيريشو 941 ووضعه في حزام سرواله ثم توقف. كان يعلم أن تلفاز البلازما معرض لاحتراق الشاشة في حال إيقافه لوقت طويل، لكنه سيعود عما قريب، ثم أسرع عبر الممر بهدوء.

كان المصعد في طابقه فدخله مباشرة وضغط على زر الطابق الأرضي، ثم أدرك أنه لم يقفل باب البيت، لكنه لم يوقف المصعد؛ إذ لن يستغرق الأمر أكثر من بضع دقائق.

بعد نصف دقيقة، ركض إلى المساء البارد الصافي نحو مرأب السيارات. كان المرأب محاطاً بالشقق، ومع ذلك كان هناك من يسرق السيارات بشكل متكرر. ينبغي وضع المزيد من المصابيح، فالأسفلت الأسود يبتلع كل النور الموجود، مما يجعل من السهل التسلل بين السيارات بعد أن يحل الظلام. كانت لديه مشكلة في النوم بعد أن تم إيقافه، فقد كان لديه النهار كاملاً لينام ويحتلم وينام ويحتلم ويأكل ويحتلم. وفي بعض الليالي، كان يجلس على الشرفة مرتدياً نظارة الرؤية الليلية وهو يحمل بندقية ماركلين على أمل القبض على بعضهم في مرأب السيارات، لكن لسوء الحظ لم يظهر أحد، أو ربما لحسن الحظ. لا ليس لحسن الحظ، لكنه لم يكن

قاتلاً.

بالطبع، كان هناك راكب الدراجة من لوس لوبوس الذي قام بثقب حفرة في رأسه؛ لكن ذلك كان مجرد حادث، وقد أصبح الآن جزءاً من الشرفة في هوينهول.

كما أن هناك الرحلة التي قام بها إلى سجن إيلا، حيث نشر شائعة مفادها أن فالنتين غجيرتسين هو من يقف وراء جرائم القتل في ماريدال وتريفان. لم يقل إنهم متأكدون مائة بالمائة من أنه الفاعل، لكنه لو لم يفعل فهناك أسباب كافية للنذل للحصول على أطول حكم ممكن. لكنه لم يستطع معرفة المجانين الذين قتلوه؛ إن كانوا قد قتلوه هو بالفعل، فالمحادثات على إذاعة الشرطة في الوقت الحالي تشير إلى غير ذلك.

كانت أقرب حالة لترولس من جريمة قتل هي في قضية مقتل الفتى غير السوي المتبرج في درامن؛ لكن هذا الأمر كان مضطراً للقيام به بعد أن طُلب منه ذلك. فقد جاء مايكل إلى ترولس وأخبره عن المكالمة الهاتفية التي تلقاها، حيث ادعى رجل ما أنه يعلم أن مايكل وزميلاً له قد ضربا ذاك الشرطي الذي يعمل في كريبوس وأن لديه دليلاً، وطلب المال لإيقاف الأمر... مائة ألف كرونر يتم تسليمها في مكان مهجور خارج درامن. طلب مايكل من ترولس إنهاء الأمر، لكن ترولس هو الذي تجاوز الحدود هذه المرة وتسبب بالمشاكل. وحين ركب ترولس سيارته ليذهب ويلتقي الشاب، كان يعلم أنه بمفرده... بمفرده بالكامل... هكذا كان دائماً.

تبع اللافتات في طرق مهجورة في الغابة خارج درامن، وتوقف عند منعطف إلى جانب مرتفع ينحدر باتجاه النهر. انتظر خمس دقائق، ثم وصلت السيارة وتوقفت بينما بقي المحرك يعمل، فنفذ ترولس الاتفاق، حيث أخذ المغلف البني إلى السيارة. فتح زجاج نافذة السيارة، وبدا الشاب مرتدياً قبعة صوفية ووشاحاً حريرياً حول القسم المنخفض من وجهه. تساءل ترولس إن كان الرجل متخلفاً: لم يكن من المحتمل أن السيارة مسروقة ولوحة السيارة واضحة تماماً، كما أن مايكل تتبع المحادثة إلى نادٍ في درامن. لا يمكن أن يكون هناك الكثير من الموظفين، لذا لن يكون من الصعب تتبعه.

فتح الشاب المغلف وعد النقود، لكنه أخطأ في العد فبدأ من جديد، ثم قطب جبينه ونظر للأعلى منزعجاً.

- هذا ليس مائة...

جاءته الضربة على فمه، وأحس ترولس بالهراوة تسقط مع تكسر

الأسنان، فيما حطمت الضربة الثانية أنفه... الأمر سهل... غضاريف وعظام رقيقة. الضربة الثالثة أصدرت صوتاً ناعماً، حيث ضربت الجبهة.

ثم دار ترولس وجلس على المقعد المجاور للسائق، وانتظر حتى استعاد الشاب وعيه وأجرى معه المحادثة التالية:

- من...؟
- أحدهم. ما الدليل الذي لديك؟
- أنا... أنا...
- هذا مسدس هيكلر آند كوش، وهو يتوق للكلام، لذا من منكما سيتكلم أولاً؟
- لا...
- هيا إذاً.
- الشاب الذي ضربتماه هو الذي أخبرني. أرجوك. فقط كنت بحاجة...
- هل ذكر اسمينا؟
- ماذا؟ لا.
- إذاً، كيف عرفت من نحن؟
- لم يخبرني سوى بالقصة، ثم تحققت من الأوصاف من شخص في كريبوس وعلمت أنكما المسؤولان عن ذلك.

وحين رأى الشاب وجهه في المرآة أصدر صوتاً كصوت المكنسة الكهربائية بعد إطفائها:

- يا إلهي! لقد حطمت وجهي!
- اخرس واجلس بهدوء. هل يعلم الرجل الذي يدعي أننا ضربناه أنك تبتزنا؟
- هو؟ لا لا...
- هل أنت صديقه؟
- لا. قد تظن ذلك لكن...
- هل يعلم أحد آخر.
- لا! أعدك! فقط دعني أذهب. أعدك أن لا...
- إذاً، لا أحد آخر يعلم أننا هنا الآن.

استمتع ترولس بمنظر تعابير وجه الشاب الفزعة حين فهم مضمون ما قاله ترولس.

- نعم نعم، إنهم يعلمون! الكثير من الناس يعلمون...

وضع ترولس فوهة المسدس على جبهة الرجل وأحس بالمسدس خفيفاً

للغاية:

- لست سيئاً لهذه الدرجة في الكذب، لكنك لست بارعاً أيضاً.

ثم ضغط ترولس على الزناد من دون أن يجد أي صعوبة في اتخاذ قراره؛ لأنه لم يكن لديه أي خيار، وإنما عليه القيام بذلك... إنها غريزة البقاء. كان لدى الرجل شيء ضدهما وسيستخدمه ضدهما عاجلاً أو آجلاً، فهكذا يتصرف أمثاله... بجبن وخنوع لكن بطمع وصبر. فأمثاله يسمحون للآخرين بإذلالهم واضطهادهم، ثم ينتظرون ويهاجمون ما إن تعطيهم ظهرك.

بعد ذلك، مسح المقعد والأماكن التي ترك عليها آثار بصمات، ولف وشاحاً حول يده وهو يطلق المكابح اليدوية، وسار بالسيارة وانعطف بها حول الجرف، ثم استمع للصمت المخيف حين سقطت السيارة وتبع ذلك صوت ارتطام المعدن. نظر إلى السيارة في النهر تحته.

كان قد تخلص من الهراوة بالسرعة والفعالية الممكنتين على مسافة بعيدة في الغابة، حيث فتح النافذة ورماها بين الأشجار. لم يكن من المرجح أن يتم العثور عليها. وحتى لو وُجدت فلن تكون هناك أي بصمات أو حمض نووي يربط بينها وبين القاتل.

أما المسدس فكان شأناً آخر، إذ يمكن الربط بين الرصاصة والمسدس، وبالتالي بين الرصاصة وبينه.

لذا، انتظر حتى قاد السيارة فوق جسر درامن، وأبطأ من قيادته، ورمى المسدس فوق السور إلى حيث يلتقي النهر بالخليج؛ حيث لا يمكن العثور عليه تحت عشرة أمتار أو عشرين متراً من الماء... مياه آسنة... مياه ليست مالحة بالكامل ولا عذبة بالكامل... موت في مناطق هامشية. لكنه كان قد قرأ في مكان ما أن هناك مخلوقات قادرة على البقاء على قيد الحياة في هذه المياه... مخلوقات منحرفة غير قادرة على التعايش مع الحياة المائية العادية التي لديها.

ضغط ترولس على جهاز التحكم عن بعد قبل أن يصل إلى مرأب السيارات، فتوقف جهاز الإنذار عن الدوي. لم يكن هناك أحد في الخارج أو على الشرفات المحيطة به، لكن ترولس ظن أنه سمع تنهداً من المباني: وأخيراً... انتبه أكثر لسيارتك... يمكنك تحديد فترة عمل جهاز الإنذار أيها الأحمق.

كانت هناك نافذة جانبية محطمة، فأدخل ترولس رأسه من خلالها لكنه لم يجد أي دلائل على قيام أحد بالعبث بالمذياع. ما الذي عناه أرونسن بقوله؟ ومن هو أرونسن؟ المبنى ج... يمكن أن يكون أي أحد.

توصل ذهن ترولس إلى نتيجة قبل جزء من الثانية من شعوره بالفولاذ على رقبته. أحس غريزياً أنه فولاذ... فولاذ ماسورة مسدس. علم أنه ما من أرونسن، وما من عصابة من الشباب الذين حاولوا سرقته.

همس الصوت في أذنه:

- لا تلتفت يا بيرنتسين. وعندما أضع يدي على سروالك لا تتحرك...

علم ترولس أنه في خطر، لكنه لم يفهم نوعه، فهناك شيء مألوف في صوت أرونسن.

- أوه... إنك متعرق قليلاً يا بيرنتسين؟ أو إنك تحب هذا؟ لكن هذا ما أسعى إليه... جيريشو؟ ماذا كنت ستفعل بهذا المسدس؟ هل ستطلق الرصاص على وجه أحدهم كما فعلت لرينيه؟

هنا علم ترولس بيرنتسين نوع الخطر المحدق به.

خطر مميت.

وقفت راكيل بجوار نافذة المطبخ وهي تمسك بالهاتف وتحدق بالغسق مجدداً. ربما تكون قد تخيلت لكنها ظنت أنها رأت حركة بين أشجار الصنوبر في الطرف الآخر من الطريق.

لكنها كانت دائماً ترى حركة في الظلام.

هكذا كان جرحها عميقاً. لن تفكر به. خافي، لكن لا تفكري به. دعي جسدك يلعب ألعابه الغبية، لكن تجاهليها كما تتجاهلين طفلاً غير منطقي.

كانت تستحم بالنور المنبعث من المطبخ. لذا، إن كان هناك أحد في الخارج فسيتمكن من تفحصها كما يشاء، لكنها لم تتحرك. عليها التدرب على أن لا تدع الخوف يحدد ما تفعله وأين تقف، فهذا منزلها... بيتها.

كانت الموسيقى تصدح من الطابق الأول حيث كان يشغل إحدى أسطوانات هاري القديمة التي تحبها كثيراً... ليتل كريتشرز.

نظرت إلى الهاتف مجدداً كما لو أنها تحثّه على الرنين. كانت قد اتصلت بهاري مرتين لكن من دون أن تتلقى أي رد. كانا يخططان للأمر كمفاجأة مفرحة، حيث جاءت الأخبار من العيادة في اليوم السابق في موعد أبكر من الموعد الذي تم تحديده... إنهم يعتبرونه جاهزاً. كان أوليغ متشوقاً للغاية، وكانت فكرته أن لا يقولا شيئاً قبل أن يصلا. لنذهب إلى المنزل، وحين يعود هاري سنقفز ونفاجئه.

كانت لدى راكيل شكوكها؛ فهاري لا يحب المفاجآت، لكن أوليغ أصر. ينبغي على هاري تقبل الشعور المفاجئ بالسعادة، وهكذا وافقت على الأمر.

لكنها ندمت الآن على ذلك.

ابتعدت عن النافذة، ووضعت الهاتف على الرف إلى جانب كوب قهوته. عادة، يكون حريصاً بشأن ترتيب كل شيء قبل مغادرة المنزل. لا بد أنه متوتر بشأن جرائم قتل رجال الشرطة. لم يكن يذكر بتي لون في محادثاتهما الليلية، وفي ذلك دلالة مؤكدة على أنه يفكر بها.

التفتت راكيل، فهذه المرة لم يكن الأمر محض خيال... لقد سمعت شيئاً... صوت خطوات على الحصى. عادت إلى النافذة، وحدقت في الظلام الذي بدا لها حالكاً.

تجمدت.

هناك أحد ما هناك. شخص ما قد تحرك للتو من الشجرة التي

يقف بجوارها وبدأ يتجه إلى المنزل... شخص متشح بالسواد. منذ متى هو هناك؟

صرخت راكيل بينما تسارعت دقات قلبها.

- أوليغ! أوليغ!

انخفضت الموسيقى في الطابق العلوي.

- ماذا؟

- انزل إلى هنا فوراً!

- هل أتى؟

فكرت... نعم... إنه قادم.

كان الشخص الذي يقترب أصغر مما ظنته في البداية، وكان يتحرك باتجاه الباب الأمامي. حين اقترب من ضوء المصباح الخارجي رأت أن من يقترب امرأة. لا... فتاة ترتدي بذلة رياضية. بعد ثلاث ثوانٍ رن الجرس.

ترددت راكيل، ثم حدقت بأوليغ الذي وقف في وسط الدرج ونظر إليها بتعابير مستغربة.

قالت راكيل بابتسامة سريعة:

- ليس هاري. سأرى من هذه. عد إلى الأعلى يا أوليغ.

كان مظهر الفتاة الواقفة على الدرج مطمئناً لراكيل؛ إذ بدت خائفة.

- أنت راكيل حبيبة هاري.

ما فاجأ راكيل أن هذا التعريف كان ينبغي أن يربكها. فتاة شابة جميلة بصوت مرتعش تتكلم معها مشيرة إلى زوجها المستقبلي. ربما ينبغي التحقق من كنزة بذلة التدريب الضيقة لترى إن كان هناك نتوء بسيط في البطن.

لكنها لم ترتبك ولم تتحقق، وإنما أومأت كنوع من الرد.

- هذه أنا.

- وأنا سيلج غرافسينغ.

نظرت الفتاة إلى راكيل منتظرة ردة فعل؛ كما لو أنها تظن أن الاسم سيعني شيئاً بالنسبة لها. لاحظت راكيل أن الفتاة تضع يديها وراء ظهرها. كان أحد علماء النفس قد أخبرها من قبل أن الناس الذين يخفون أيديهم لديهم شيء ليخفوه.

ابتسمت راكيل:

- إذاً، كيف يمكنني أن أساعدك يا سيلج؟

- هاري... كان أستاذي.

- أوه حقاً؟

- هناك شيء ينبغي أن أخبرك به عنه وعني.

عبست راكيل:

- حقاً!؟

- أيمكنني الدخول؟

ترددت راكيل. لم تكن تريد أحداً في المنزل سواها هي وأوليغ وهاري حين يعود... ثلاثتهم ولا أحد آخر. وبالطبع، ليس أحداً عليه أن يخبرها شيئاً عن هاري وعنه؛ لكن الأمر حصل بكل الأحوال. تفحصت عيناها بطن الفتاة الشابة.

- لن يستغرق الأمر وقتاً طويلاً سيدة فوك.

سيدة... ما الذي أخبرها به هاري؟ فكرت في الوضع، وسمعت أن أوليغ قد رفع صوت الموسيقى ففتحت الباب.

خطت الفتاة للداخل وانحنت وبدأت بخلع حذائها الرياضي.

قالت راكيل:

- لا داعي لذلك. علينا أن ننهي الأمر بسرعة فأنا مشغولة.

- حسناً.

في ضوء الردهة، رأت راكيل طبقة العرق اللامعة على وجه الفتاة التي تبعت راكيل إلى المطبخ.

- الموسيقى. هل هاري في المنزل؟

أحست راكيل بالأمر الآن... القلق. لقد ربطت الفتاة تلقائياً بين الموسيقى وهاري. ألأنها تعلم أن هذا النوع من الموسيقى هو الذي ينصت له هاري؟ ثم راودتها الفكرة بسرعة، لكن راكيل رفضتها: موسيقى استمع لها هو والفتاة؟

جلست الفتاة إلى الطاولة الكبيرة، ووضعت راحتي يديها على سطحها وربتت على الخشب. نظرت راكيل إلى حركاتها. كانت تربت عليها كما لو أنها تعلم مسبقاً ملمس الخشب القاسي وغير المعالج على بشرتها. كانت نظرتها ثابتة على كوب قهوة هاري. هل...؟

- ماذا تريدين إخباري يا سيلج؟

ابتسمت الفتاة ابتسامة حزينة ومؤلمة من دون أن تبعد عينيها عن الكوب.

- ألم يقل لك شيئاً عني حقاً يا سيدة فوك؟

أغمضت راكيل عينيها للحظة. هذا لا يحصل. إنها تثق به. فتحت

عينيها مجدداً.

- قولي ما تريدين قوله بما أنه لم يقل شيئاً يا سيلج.

- كما تشائين يا سيدة فوك.

كانت نظرات عينيها الزرقاوين غير طبيعية، وبريئة وغير خبيرة كنظرات طفل. وفكرت راكيل... قاسية كنظرات طفل.

قالت سيلج:

- أريد أن أحدثك عن الاغتصاب.

لاحظت راكيل فجأة أنها تعاني من صعوبة في التنفس؛ كما لو أن أحداً ما سحب الهواء من الغرفة وفرغها من الهواء.

- أي اغتصاب؟

بدأ الظلام بالهبوط حين وجد بيورن هولم السيارة أخيراً.

كان قد انعطف عند طريق كليميسترود، وأكمل شرقاً على الطريق بـ 155 ، لكن من الواضح أنه تجاوز لافتة فجيل. كان في طريق العودة بعد أن أدرك أنه قد ذهب بعيداً جداً وأصبح عليه الانعطاف حين رآها. كان الطريق الجانبي أقل ازدحاماً من الطريق الرئيس، وبدا في الظلام كأرض يباب، حيث بدت الغابة الكثيفة على الجانبين كما لو أنها تزحف مقتربة حين رأى الأضواء الخلفية للسيارة بجانب للطريق.

أبطأ سرعته ونظر في المرآة، فلم يجد وراءه سوى الظلام، ولم يجد أمامه سوى أضواء حمراء وحيدة. ركن بيورن سيارته وراء السيارة الأخرى ونزل. نعق طير من مكان ما في الغابة بصوت أجوف كئيب. كان رور ميدتستوين جاثماً في النور المنبعث من أضواء السيارة.

قال رور:

- لقد أتيت.

وضع بيورن يده على حزامه ورفع سرواله. لم يكن يدري ممن اكتسب هذه العادة... أوه بلى، إنه يعلم. كان والده يرفع سرواله دائماً كمقدمة لشيء ثقيل ينبغي قوله أو فعله، وقد بدأ يتصرف كوالده؛ باستثناء أنه نادراً ما يكون لديه شيء ثقيل ليقوله.

قال بيورن:

- إذاً، هنا وقع الحادث.

هز رور رأسه، ثم نظر إلى باقة الأزهار الموضوعة على الأسفلت.

- كانت تتسلق هنا مع أصدقائها، وفي طريق عودتها للبيت توقفت

لتتبول في الغابة وطلبت من الآخرين أن يسبقوها. يظنون أن الأمر حدث حين ركضت عائدة وقفزت على دراجتها بسرعة لتلحق بالآخرين. صحيح؟ كانت من ذلك النوع من الفتيات المتحمسات...

كان يجاهد لإبقاء صوته تحت السيطرة.

- ... وربما عندها انحرفت إلى الطريق بينما كانت دراجتها لا تزال تتمايل، وهكذا...

رفع رور رأسه ليريه من أين جاءت السيارة.

- ... ولم تكن هناك أي آثار مكابح، كما لا يذكر أحد شكل السيارة؛ مع أنها يجب أن تكون قد مرت بأصدقاء فيا مباشرة؛ إلا أنهم كانوا مشغولين بالحديث عن التسلق، كما قالوا إن الكثير من السيارات قد مرت بهم. بعد أن قطعوا مسافة طويلة إلى كليميسترود خطر ببالهم أنه كان ينبغي أن تلحق بهم فيا منذ وقت طويل، وأنه لا بد أن طارئاً قد حصل.

هز بيورن رأسه وسعل. كان يريد الانتهاء من الأمر وتنفيذ المهمة، لكن رور لم يسمح له بقول كلمة واحدة.

- لم يسمحوا لي بالمشاركة في التحقيق يا بيورن لأنني كنت أباها، وإنما وضعوا مبتدئين للعمل على القضية، وحين أدركوا في النهاية أن هذه القضية ليست لعب أطفال، وأن السائق لن يسلم نفسه أو يمنحهم أي أدلة، كان الأوان قد فات؛ فالأدلة قد اضمحلت وذكريات الناس تلاشت.

- رور...

- عمل شرطة سيئ يا بيورن لا أكثر. إننا نمضي حياتنا كلها ونحن نعمل للشرطة، ونمنحهم كل ما لدينا، وحين نفقد أعز ما لدينا لا يبقى لدينا شيء. يا لها من خيانة فظيعة يا بيورن!

شاهد بيورن فكي زميله يتحركان، بينما أرخى وشد وأرخى وشد عضلاته.

- هذا يجعلني أخجل من كوني شرطياً؛ كما هي الحال مع قضية كالسنس. عمل فظيع من البداية وحتى النهاية. لقد تركنا القاتل يفلت من بين أصابعنا، ثم لم تتم محاسبة أحد، ولم يقم أحد بمحاسبة أحد. ثعالب في قن الدجاج يا بيورن.

- الفتاة التي عثرنا عليها محترقة في كام آز يو آر هذا الصباح...

- فوضى... هذا كل ما هو عليه الأمر. ينبغي محاسبة أحد ما. ينبغي...

- كانت فيا.

في الصمت التالي، سمع بيورن الطائر ينعق مجدداً لكن من مكان آخر هذه المرة. لا بد أنه تحرك. هنا خطرت بباله فكرة أنه قد يكون طائراً آخر... قد يكون هناك طائران... طائران من النوع نفسه ينعقان لبعضهما في الغابة.

- اعتداء هاري عليّ.

ونظرت سيلج إلى راكيل بكل هدوء كما لو أنها قد أخبرتها النشرة الجوية.

- هاري اعتدى عليك؟

ابتسمت سيلج ابتسامة بسيطة لا تتعدى كونها اختلاجاً عضلياً بتعابير لم يكن لديها الوقت الكافي لتصل إلى عينيها قبل أن تختفي إلى جانب الثبات واللامبالاة. وبدلاً من أن تتوهج عيناها بالابتسامة اغرورقتا بالدموع.

فكرت راكيل... يا إلهي... إنها لا تكذب. فتحت فمها لتحصل على الأوكسجين فعرفت مائة بالمائة أن الفتاة قد تكون غريبة الأطوار لكنها بالتأكيد لا تكذب.

- كنت واقعة في حب هاري يا سيدة فوك. كنت أظن أننا مناسبان لبعضنا، لذا ذهبت إلى مكتبه بعد أن تبرجت وقد أساء فهمي.

شاهدتها راكيل بينما تلألأت دمعة على رمشها، ثم انحدرت على وجنتها اليافعة الناعمة، ورطبت بشرتها وجعلتها وردية اللون. كانت تعلم أن هناك مناديل مطبخ على الرف وراءها، لكنها لم تحضرها... مستحيل.

قالت راكيل بهدوء شديد:

- هاري لا يسيء فهم أحد، ولا يعتدي على أحد.

فكرت: ترى، كم سيستمر الهدوء والعقلانية؟

ابتسمت سيلج من بين دموعها وقالت:

- أنت مخطئة.

- حقاً؟!

- نعم يا سيدة فوك. الآن، أنت تسيئين فهمي.

- قولي ما تريدين قوله واذهبي.

- هاري...

كرهت راكيل صوت اسمه وهو يخرج من فمها، لدرجة أنها بحثت حولها عن شيء لتسكت هذا الصوت... مقلاة... سكين خبز... شريط لاصق...

أي شيء تقع عليه يدها.

- ... لقد ظن أنني قادمة لأسأله عن الدروس، لكنه أساء فهمي فقد قمت بإغوائه.

- أتعلمين ماذا يا فتاتي؟ إنني أعلم مسبقاً أن هذا ما فعلته، والآن تدعين أنك حصلت على ما تريدينه، ومع ذلك لا يزال الأمر اعتداء بالنسبة لك؟ إذاً، ما الذي حصل؟ هل أنت نادمة على عفتك الزائفة... لا لا لا... ثم أصبحت لا واحدة ظننت في ما بعد أنك كنت تعنينها حقاً، وأنه ينبغي عليه أن يعلم ما كنت تعنينه بالفعل قبل أن يقوم بذلك؟

تمكنت راكيل من سماع كيف أن كلامها بدا فجأة كلازمة يقولها محامي الدفاع في محاكمات الاعتداءات الجنسية... اللازمة التي تكرهها راكيل للغاية، لكن المحامين يفهمونها ويتقبلون أنه ينبغي قولها. لكن الأمر لم يكن مجرد كلام، وإنما كان شعوراً أيضاً... ما كانت لتشعر بأي شيء مختلف.

- لا. ما أريد قوله هو أنه لم يغتصبني.

رمشت راكيل، وفكرت لثانيتين لتتأكد من أنها سمعت جيداً... لم يغتصب.

- لقد هددته بالإبلاغ عنه بتهمة الاعتداء لأنه أراد أن يبلغ عني مجلس الكلية لسلوكي الشائن معه، وكان له الحق الكامل للقيام بذلك، لكنني كنت يائسة. حاولت الإيقاع به من خلال اتهامه بالاعتداء. كنت أريد إخباره أنني تغيرت، وأنني نادمة على ما فعلته. أرجوك أخبريه بذلك أنت... نعم، ما فعلته كان جريمة... فهو اتهام خاطئ... الفقرة 168 من قانون العقوبات... العقوبة المقترحة ثماني سنوات.

- صحيح.

- آه نعم. نسيت أنك كنت محامية.

- كيف عرفت؟

- إنني أعرف الكثير عن حياة هاري؛ إذ يمكنك القول إنني درستها. لقد كان قدوتي الحسنة، وكنت مجرد فتاة غبية. لقد قمت حتى بالتحقيق بجرائم القتل لأجله؛ ظناً مني أن بإمكاني مساعدته... أنا الطالبة التي لا تعرف شيئاً. لقد بدأت بمحاضرة قصيرة لأشرح له كيف تتطابق كل الأمور، فقد كنت أريد إخبار هاري هول كيف يقبض على قاتل رجال الشرطة.

ابتسمت سيلج ابتسامة أخرى وهي تهز رأسها.

أمسكت راكيل بمناديل المطبخ من ورائها وناولتها لسيلج.

- وهل أتيت إلى هنا لتخبريه بذلك؟

هزت سيلج رأسها ببطء.

- كنت أعلم أنه لن يرد على مكالمة هاتفية مني، لذا جئت إلى هنا راكضة لأرى إن كان في المنزل، فوجدت السيارة غير موجودة. كنت على وشك إكمال طريقي حين رأيتك من نافذة المطبخ، وقررت أنه قد يكون من الأفضل أن أخبرك بالأمر وأنا أقف أمامك مباشرة، فذلك سيكون أفضل دليل على أني أعني الأمر، وأنه ليست لدي أي دوافع خفية للمجيء إلى هنا.

قالت راكيل:

- لقد رأيتك تقفين في الخارج.

- نعم. كنت أفكر بالأمر ملياً، ثم ظهر الرجل في الطابق العلوي.

أحست راكيل بغضبها من الفتاة المرتبكة المتيمة قد انتقل إلى هاري. فهو لم ينبس ببنت شفة عن الموضوع، لماذا؟

- من الجيد أنك أتيت يا سيلج. لكن، ينبغي أن ترحلي الآن.

هزت سيلج رأسها ونهضت.

- الفصام منتشر في عائلتي.

- حقاً؟!

- نعم. قد لا أكون طبيعية بالكامل، لكن ذلك جيد أيضاً.

رافقتها راكيل إلى الباب.

- لن تريني مجدداً.

- حظاً موفقاً يا سيلج.

وقفت راكيل على الدرج شابكة ذراعيها وهي تشاهدها تركض عبر الطريق. هل أخفى هاري الأمر لأنه خاف أن لا تصدقه؟ هل سيبقى هناك ظل شك؟

ثم خطرت ببالها الفكرة التالية. هل سيبقى هناك ظل شك؟ لأي مدى يعرفان بعضهما؟ لأي مدى يمكن للمرء أن يعرف الآخر؟

اختفت الفتاة المتشحة بالسواد ذات تسريحة ذيل الحصان الأشقر المتأرجح قبل أن يتلاشى صوت الحذاء على الحصى.

قال بيورن هولم:

- لقد نبش الجثة.

جلس رور ميدتستوين محنياً رأسه، وحك رقبته حيث برز الزغب

القصير كفرشاة. تسلل الظلام من دون أي صوت، بينما جلسا في ضوء مصابيح سيارة ميدتستوين. حين قال ميدتستوين شيئاً في النهاية اضطر بيورن للانحناء للأمام ليسمعه.

- طفلتي الوحيدة. أفترض أنه لم يفعل سوى ما كان من المفترض به فعله.

في البداية، ظن بيورن أنه سمع خطأ، ثم فكر أنه لا بد أن ميدتستوين لم يقل ما يعنيه... لا بد أنه تم حذف أو نقل كلمة من الجملة لكن الجملة صحيحة والصوت طبيعي. بدت كالحقيقة... قاتل رجال الشرطة لم يكن يفعل سوى ما كان من المفترض به فعله.

قال ميدتستوين وهو ينهض على قدميه:

- سأحضر باقي الأزهار.

- حسناً.

وحدق بيورن بالباقة الصغيرة الموضوعة هناك، بينما مشى الرجل الآخر حول السيارة إلى الظلام. سمع صوت غطاء الصندوق يفتح، بينما فكر في ما كان ميدتستوين قد قاله... طفلتي الوحيدة. ذكره ذلك بتأكيده، وبما قاله أون حول كون القاتل منتقماً...

تخيل بيورن فيا ميدتستوين على الكرسي...

سمع بيورن صوت خشخشة قادمة من صندوق السيارة، وفكر أن صندوق الأزهار موضوع تحت شيء معدني.

سمع بيورن هولم صوت خطوات وراءه.

ماذا كانت الكلمات التي استخدمها؟

- لم يفعل سوى ما كان من المفترض به فعله.

حدق هاري بميغان فوكس، حيث كانت ملامحها الجميلة ترتعش لكن نظرتها ثابتة، كما أن ابتسامتها لم تتلاشَ، واستمرت الدعوة التي يقدمها جسدها. أمسك بجهاز التحكم عن بعد وأطفأ التلفاز لتختفي ميغان فوكس، حيث احترق خيال النجمة السينمائية في شاشة البلازما.

رحلت وبقيت هنا.

نظر هاري في أرجاء غرفة نوم ترولس بيرنتسين، ثم توجه إلى الخزانة التي يعلم أن بيرنتسين يحتفظ فيها بذخيرته. نظرياً، يمكن للمرء أن يتسع هناك. أمسك هاري بمسدس الأوديسا مستعداً، ومشى على أطراف أصابعه نحو الخزانة، وعانق الجدار وفتح الباب بيده اليسرى، ورأى النور في

الداخل يُضاء تلقائياً.

لكن شيئاً آخر لم يحصل.

مد هاري رأسه للأمام ثم سحبه بسرعة، لكنه كان قد رأى ما يريده... لا أحد هناك. لذا، وقف عند الممر.

لقد وضع ترولس شيئاً عوضاً عما أخذه هاري في آخر مرة كان فيها هنا... السترة الواقية من الرصاص، وقناع الغاز، وبندقية م ب 5 ، ومسدس مكافحة الشغب. لكن مسدساته لا تزال نفسها حسبما يذكر، باستثناء واحد مختلفٍ من وسط اللوح حيث يوجد رسم مسدس حول أحد المشاجب.

هل اكتشف ترولس بيرنتسين أن هاري كان في طريقه إلى هنا فأخذ مسدساً وهرب من شقته؟ من دون أن يتكبد عناء إقفال باب الشقة أو إطفاء التلفاز؟! إن كان الأمر كذلك فلم لم ينصب له كميناً في الداخل؟

كان هاري قد فتش الشقة بكاملها وتأكد من أنه ما من أحد هناك. جلس على الأريكة الجلدية، ورفع صمام الأمان لمسدس أوديسا مستعداً مع رؤية كاملة لباب غرفة النوم، لكن من دون أن يتمكن من رؤية ثقب المفتاح.

إن كان ترولس هناك، فإن أول شخص يظهر هو الخاسر؛ فالحلبة مجهزة للمبارزة. لذا، انتظر من دون حراك وهو يتنفس بهدوء وعمق وبصبر النمر.

بعد مرور أربعين دقيقة من دون حدوث شيء توجه إلى غرفة النوم.

جلس هاري على السرير. أيتصل ببيرنتسين؟ هذا سيحذره، لكن من الواضح أن هاري يلاحقه.

أخرج هاري هاتفه المحمول وأشعله، ثم اتصل بالرقم الذي حفظه قبل مغادرة هولمينكولن قبل ساعتين.

وبعد أن رن ثلاث مرات من دون أن يرد عليه أحد استسلم.

ثم اتصل بأحد معارفه في شركة الهاتف ليتلقى رداً خلال ثانيتين.

- ماذا تريد يا هول؟

- أريدك أن تتتبع إشارة هاتف لشخص يدعى ترولس بيرنتسين. إنه يحمل خط شرطة، لذا لا بد أنه أحد عملائكم.

- لا يمكننا الاستمرار على هذا النحو.

- هذا عمل رسمي للشرطة.

- إذاً، اتبع الإجراءات واتصل بمحامي الشرطة وأرسل القضية إلى رئيس فرقة مكافحة الجرائم وعاود الاتصال بنا مجدداً حين تحصل على الإذن.

- الأمر طارئ.

- اسمعني. لا يمكنني الاستمرار بإعطائك...

- الأمر متعلق بجرائم قتل رجال الشرطة.

- ينبغي أن لا يستغرق الأمر سوى بضع ثوانٍ للحصول على إذن من الرئيس يا هاري.

شتم هاري في سره.

- آسف يا هاري، لكن الأمر أكثر مما يستحقه عملي. إن اكتشف أحد ما أنني أراقب تحركات رجال الشرطة من دون تصريح... ما المشكلة في الحصول على إذن؟

أنهى هاري المكالمة. كانت لديه مكالمتان لم يرد عليهما، وثلاث رسائل نصية. لا بد أنها وصلته حين كان هاتفه مغلقاً. فتح الرسائل فكانت الأولى من راكيل.

حاولت الاتصال بك. أنا في البيت. سأحضر لك شيئاً لذيذاً إن أخبرتني متى ستأتي. هناك مفاجأة. شخص ما سيهزمك في اللعب.

قرأ هاري الرسالة مجدداً. لقد عادت راكيل للبيت مع أوليغ. كانت أول رغبة راودته أن يقفز إلى سيارته مباشرة ويترك هذه المهمة. لقد ارتكب خطأً، إذ لا ينبغي أن يكون هنا الآن، لكنه يعلم ما هذا... حدس أولي... محاولة للهرب من المحتوم. كانت الرسالة الثانية من رقم لم يعرفه.

أريد الحديث معك. هل أنت في البيت؟ سيلج غ.

حذف الرسالة، لكنه تعرف على رقم الرسالة الثالثة مباشرة.

أظن أنك تبحث عني. لدي حل لمشكلتنا. لاقني في مسرح جريمة غ بأسرع ما يمكن. ترولس.

44

حين عبر هاري مرأب السيارات لاحظ وجود سيارة بنافذة محطمة، بينما تلألأ ضوء مصباح الشارع على شظايا الزجاج على الأسفلت. كانت سيارة سوزوكي فيتارا، وكان بيرنتسين يقود واحدة تشبهها. اتصل هاري برقم الشرطة.

- هذا هاري هول. أرغب بالتحقق من مالك سيارة.
- يمكن لأي أحد التحقق من ذلك عبر الإنترنت يا هول.
- إذاً، يمكنك القيام بذلك لي أليس كذلك؟

سمع تنهيدة فقرأ رقم لوحة السيارة ليأتيه الجواب خلال ثلاث ثوانٍ.

- ترولس بيرنتسين. العنوان...
- هذا يكفي.
- هل لديك شكوى ضده؟
- ماذا؟
- هل هو متورط في شيء ما؟ هل تبدو السيارة وكأنها مسروقة على سبيل المثال؟

صمت.

- ألو؟
- لا. إنها تبدو بحالة جيدة. مجرد سوء تفاهم.
- سوء تفا...

أنهى هاري المكالمة. لماذا لم يذهب ترولس بيرنتسين بسيارته؟ لم يعد أحد يتقاضى مرتب الشرطة يستقل سيارات الأجرة في أوسلو. حاول هاري تخيل شبكة الأنفاق في أوسلو حيث يوجد خط على بعد مائة متر فقط... محطة ريين. لم يكن قد سمع أصوات أي قطارات. لا بد أنها تسير في أنفاق. رمش هاري في الظلام، فقد سمع صوتاً للتو.

طقطقة، بينما وقف الشعر في مؤخر رقبته.

كان يعلم أنه من المستحيل سماعه، لكنه الصوت الوحيد الذي يسمعه. أخرج هاتفه مجدداً واتصل بالحرف ك.

ردت كاترين:

- وأخيراً.
- وأخيراً؟
- ألم تر أنني كنت أحاول الاتصال بك؟

- أوه نعم. تبدين منقطعة الأنفاس.
- كنت أركض يا هاري. سيلج غرافسينغ.
- ماذا عنها؟
- لديها قصاصات صحف عن جرائم قتل رجال الشرطة في أنحاء غرفتها كافة، كما أنها تحتفظ بهراوة لضرب المغتصبين وفقاً للبواب، ولديها أخ مريض نفسياً بعد أن تم ضربه من قبل شرطيين. إنها مجنونة يا هاري... إنها غير طبيعية.
- أين أنت؟
- في منتزه فاترلاند. إنها ليست هنا. أظن أن علينا وضع تحذير بشأنها.
- لا.
- لا؟
- إنها ليست الشخص الذي نبحث عنه.
- ماذا تقصد؟ الدافع والفرصة والحالة العقلية. كل ذلك موجود يا هاري.
- انسي سيلج غرافسينغ. أريدك أن تتحققي لي من إحصائية.
صرخت بشدة:
- إحصائية! إنني أقف هنا بينما يقوم نصف مجرمي فرقة الرذيلة بقذف قذارتهم علي وأنا أبحث عن قاتل رجال الشرطة المحتمل، ثم تريدني أن أتحقق من إحصائية. تباً لك يا هاري هول!
- تحققي من إحصائيات مكتب التحقيقات الفيدرالية حول الشهود الذين ماتوا في الفترة بين الاستدعاء الأولي وبداية المحاكمة.
- ما علاقة هذا بأي شيء؟
- أعطني الرقم فحسب. اتفقنا؟
- لم نتفق!
- إذاً، اعتبريه أمراً يا كاترين برات.
- حسناً، لكن لحظة... من الرئيس هنا؟
- إن كنت تسألين فأنا أشك في أنه أنت.
سمع هاري بعض الشتائم بلكنة بيرغن قبل أن يقطع الاتصال.

كان مايكل بيلمان جالساً على الأريكة ومشعلاً التلفاز. كانت الأخبار قد انتهت والرياضة قد بدأت، لذا جالت نظراته من التلفاز إلى النافذة

حيث ترقد المدينة في مرجل أسود في الأسفل. لم تكن المادة المتعلقة برئيس قاعة المدينة قد استمرت لأكثر من عشر ثوانٍ، حيث قيل إن التعديلات الوزارية في قاعة المدينة من الإجراءات المعيارية، لكنها الآن تعود للعبء الثقيل غير المألوف على هذا المنصب بالذات، لذا سيكون من المنطقي تسليم المنصب لشخص آخر. ستعود إيزابيل سكوين إلى منصبها كسكرتيرة اللجنة للشؤون الاجتماعية، مما سيسمح للمجلس بالاستفادة من مهاراتها هناك. ولم تكن سكوين موجودة للتعليق على القرار كما قالوا.

تلألأت المدينة كجوهرة.

سمع باب إحدى غرف الأطفال يغلق بهدوء، ثم جاءت إليه على الفور وجلست بجواره على الأريكة.

- هل ناموا؟

- نعم. أترغب بمشاهدة التلفاز؟ أو...

ابتسم لكنه لم يتحرك وهو يستمتع باللحظة ويشعر بمدى روعتها... كونه هنا الآن... في القمة... الرجل الخارق مع النساء عند قدميه، وواحدة متعلقة بذراعه، والأخرى محيدة جانباً وقد أصبحت غير مؤذية. كان الأمر نفسه ينطبق على الرجال... أساييف ميت، وترولس عاد لعمله كتابع له، ورئيس الشرطة السابق متواطئ في أخطائهما المشتركة لدرجة أنه سيطيعه في حال احتاج إليه مايكل مجدداً. كما يعلم مايكل أنه يحظى بثقة المجلس؛ حتى لو استغرق وقتاً في القبض على قاتل رجال الشرطة.

لقد مر زمن طويل منذ أحس بهذا الشعور الرائع والمريح. أحس بيديها على يديه، وعرف ما ستفعلانه قبل أن تعرف هي. يمكنها إثارته، لكن ليس كما تفعل الأخريات؛ كتلك المرأة التي تخلص منها. إلا أنه بإمكانها إثارته لدرجة أنه يعلم أن بإمكانه معاشرتها بعد قليل فهذا هو الزواج، وهو أمر جيد، بل إنه أكثر من كافٍ لأن هناك أموراً أكثر أهمية في الحياة.

جذبها إليه، ووضع يده تحت كنزتها الخضراء، وتحسس بشرتها العارية الدافئة كما حين تضع يدك على حلقة موقد منخفضة الحرارة. تنهدت بهدوء وانحنت عليه. لكنه شعر بالراحة حين رن الهاتف اللاسلكي على الطاولة المجاورة للأريكة.

تناوله.

- نعم؟

- مرحباً يا مايكل.

لفظ الصوت اسمه الأول بطريقة حميمة؛ لدرجة أنه أقنع نفسه في البداية أنه يعرفه لكنه بحاجة لبضع ثوانٍ لتحديده.

- أهلاً.

ونهض عن الأريكة، ومشى باتجاه الشرفة بعيداً عن صوت التلفاز وعن أولا بحركة تلقائية اعتاد عليها خلال السنين حرصاً منه عليها وعلى أسراره.

ضحك الصوت في الطرف الآخر:

- أنت لا تعرفني يا مايكل، لذا استرخِ.

- شكراً، فأنا مسترخٍ. أنا في المنزل، لذا سيكون لطفاً منك أن تخبرني بما تريده بسرعة.

- أنا ممرض في ريكشوبيتالت.

كانت تلك فكرة لم تخطر ببال مايكل من قبل؛ على الأقل حسبما يذكر. لكن الأمر بدا كما لو أنه يعلم ما سيأتي، ففتح باب الشرفة ومشى على البلاط البارد من دون أن يبعد الهاتف عن أذنه.

- لقد كنت ممرض رودولف أساييف. أنت تذكره يا مايكل... نعم، بالطبع، فقد عملتما معاً. لقد فتح لي قلبه حين صحا من غيبوبته، وأخبرني بما كنتما تفعلانه.

تلبدت السماء بالغيوم، وهبطت درجة الحرارة، وبدا البلاط بارداً لدرجة تؤذي قدميه عبر الجوربيْن، إلا أن الغدد العرقية لدى مايكل بيلمان كانت تعمل بسرعة.

- بالحديث عن العمل، أظن أن لدينا ما نناقشه أيضاً.

- ماذا تريد؟

- أريد بعض نقودك لأبقى صامتاً.

لا بد أنه الممرض من إنيباك الذي استأجرته إيزابيل للتخلص من أساييف؛ حيث ادعت أنه سيكون مسروراً حين يتقاضى أجره علاقة حميمة معها؛ لكن ذلك على ما يبدو لم يكن كافياً.

- كم تريد؟

حاول بيلمان بسؤاله أن يبدو مهتماً بالعمل، لكنه لاحظ أنه فشل في أن يبدو بارد الأعصاب كما أراد.

- ليس الكثير. أنا رجل بسيط... عشرة آلاف.

- هذا قليل للغاية.

- قليل للغاية؟!

- يبدو المبلغ كدفعة أولى.

- إذاً، يمكننا القول مائة ألف.

- إذاً، لماذا لم تطلب هذا المبلغ؟

- لأنني بحاجة للمال الليلة... الآن، والمصارف مغلقة، ولا يمكنك الحصول على أكثر من عشرة آلاف من جهاز الصراف الآلي.

يائس... خبر جيد. حقاً؟! مشى مايكل إلى حافة الشرفة، ونظر للأسفل إلى مدينته محاولاً التركيز. كانت هذه إحدى الحالات حيث كان في أفضل حالاته، وحيث كان كل شيء على المحك، وحيث يمكن لحركة خاطئة واحدة أن تكون قاضية.

- ما اسمك؟

- يمكنك مناداتي دان كاختصار لدانوفيوس.

- عظيم يا دان. أنت تدرك أنه على الرغم من كوني أتفاوض معك فهذا لا يعني أنني أعترف بأي شيء؟ قد أكون أحاول جرك لشرك ثم أقبض عليك بتهمة الابتزاز.

- السبب الوحيد الذي يدفعك لقول هذا هو أنك خائف من أن أكون صحفياً سمع شائعة ويحاول خداعك لتعترف.

تباً.

- أين؟

- أنا في العمل، لذا ينبغي عليك القدوم إلى هنا، لكن إلى مكان خفي. لاقني في الجناح المقفل، فلا يوجد أحد هناك الآن. في غرفة أساييف خلال ثلاثة أرباع الساعة.

ثلاثة أرباع الساعة. لا بد أنه مستعجل. قد يكون ذلك مجرد إجراء احترازي لئلا يمنح مايكل الوقت لنصب شرك له، لكن مايكل كان يثق بالتفسير البسيط؛ كأن يواجهه ممرض تخدير مدمن على المخدرات نفد منه المخزون فجأة. في حال كان ذلك صحيحاً فهذا سيسهل الأمور، إذ سيكون قادراً على الاحتفاظ بهذه الورقة لمصلحته.

- جيد.

أنهى مايكل المكالمة، وتنشق الرائحة الغريبة الخانقة المنبعثة من الشرفة، ثم توجه إلى غرفة الجلوس وأغلق الباب وراءه.

- علي الخروج.

- الآن؟

وحدقت به أولا بتعابير مجروحة أزعجته.

- الآن.

وفكر بالمسدس الذي أقفل عليه في صندوق السيارة من نوع غلوك 22 . كان قد أهداه إياه زميل أميركي، ولم يستخدمه أو يسجله.

- متى ستعود؟

- لا أعرف. لا تنتظريني.

مشى باتجاه الردهة وهو يشعر بعينيها على ظهره، لكنه لم يتوقف حتى وصل إلى الباب.

- لا، لن أقابلها.

لم تجبه أولا، وإنما أشعلت التلفاز وتظاهرت أنها مهتمة بالنشرة الجوية.

شتمت كاترين وهي تقطر عرقاً في الحرارة الخانقة لغرفة التدفئة، لكنها استمرت بالكتابة.

- أين تختفي؟ أين إحصائيات مكتب التحقيقات الفيدرالي حول الشهود الموتى؟ وما الذي يريده هاري من هذا الشيء؟

نظرت إلى ساعة يدها وتنهدت، ثم اتصلت به.

لم يرد.

تركت له رسالة تقول فيها إنها بحاجة للمزيد من الوقت، فقد تعمقت في الموقع الإلكتروني لمكتب التحقيقات الفيدرالي، لكن هذه الإحصائيات إما أن تكون سرية للغاية، أو إنه أساء الفهم، ثم رمت الهاتف على طاولة المكتب. أحست برغبة بالاتصال بليف رودبيك... لا، ليس هو... ربما معتوه آخر قد يقبل أن يعاشرها الليلة. كان أول شخص يخطر ببالها مفاجئاً لها. من أين أتت هذه الفكرة؟ إنه جذّاب، لكن... لكن، ماذا؟ هل كانت تغذي هذه الفكرة من دون وعي منذ فترة؟

تخلصت من الفكرة، وركزت على الشاشة مجدداً.

ربما لا يكون مكتب التحقيقات الفيدرالي وإنما وكالة الاستخبارات المركزية؟

حاولت البحث بكلمات جديدة... وكالة الاستخبارات المركزية... الشهود... المحاكمات والموت... عودة. علا صوت أزيز جهاز الحاسب، ثم ظهرت أولى النتائج.

فتح الباب وراءها، وأحست بتيار الهواء القادم من الخارج.

قالت من دون أن ترفع نظرها عن الشاشة:

- بيورن؟

ركن هاري سيارته خارج دار العبادة في بوابة هوسمنز، ومشى نحو الرقم 92 .

توقف في الخارج ونظر إلى الواجهة.

كان هناك ضوء خافت في الطابق الثاني، كما لاحظ وجود قضبان على النوافذ الآن. لا بد أن المالك الجديد سئم اللصوص الذين يدخلون من مخرج الطوارئ الخلفي.

كان هاري قد تخيل أن مشاعره ستكون أقوى؛ فهنا تم قتل غاستو وكاد هو يدفع الثمن بحياته.

تحسس الباب الذي كان كما من قبل. فتحه وصعد مباشرة، وفي أسفل الدرج أخرج مسدس أوديسا وأطلق صمام الأمان، وحدق منصتاً وهو يتنشق رائحة الخشب المتشرب للبول والقيء... صمت مطبق.

بدأ بالصعود على الدرج من دون أن يصدر أي صوت وهو يخطو على الصحف المبللة وعلب الحليب والحقن المستخدمة. في الطابق الثاني، توقف عند الباب المعدني الجديد ذي القفلين المزدوجين... لا يمكن سوى للصوص المهتمين بالغاية أن يركزوا اهتمامهم عليه.

لم ير هاري أي سبب ليطرق الباب أو يخفي أي عامل مفاجأة ممكن، لذا حين ضغط على المقبض أحس بالباب يرتد بنوابض قوية، لكنه لم يكن مقفلاً. أمسك مسدس أوديسا بكلتا يديه، وركل الباب الثقيل بقدمه اليمنى.

اندفع للداخل، والتفت لليسار لكي لا يقف كالظل عند الباب، بينما أغلقت النوابض الباب وراءه.

ثم عم السكون كل شيء باستثناء صوت طقطقة منخفض.

رمش هاري بذهول.

باستثناء تلفاز محمول صغير شاشته موضوعة على وضع الانتظار وتظهر أرقامه البيضاء التوقيت الخطأ لم يتغير أي شيء. كان وكر مدمني المخدرات مع الفرشات والقمامة على الأرض هو نفسه. وكانت هناك قطعة من القمامة تجلس على كرسي وتحدق به.

كان ترولس بيرنتسين.

على الأقل كان يظن أنه ترولس بيرنتسين.

كان ترولس بيرنتسين.

45

كان الكرسي موضوعاً في منتصف الغرفة تحت الضوء الوحيد المكون من مصباح معلق من السقف.

فكر هاري أن الضوء والكرسي والتلفاز مع صوت الطقطقة لأداة كهربائية تحتضر تعود لفترة السبعينيات، لكنه لم يكن متأكداً.

وكان الأمر نفسه ينطبق على الجثة على الكرسي.

لأنه لم يكن من السهل تحديد إن كان ترولس بيرنتسين الذي ولد في السبعينيات وتوفي هذه السنة هو الشخص المقيد بالكرسي أم لا. لم يكن للرجل أي وجه، وإنما كان هناك مزيج من الدم الأحمر والدم الجاف الأسود وقطع العظام البيضاء. كان هذا المزيج سيسيل لولا أنه تم تثبيته بشريط لاصق شفاف تم لفّه حول الرأس. برزت إحدى العظام عبر الشريط اللاصق الشفاف. فكر هاري أنه لحم مفروم طازج كما تراه في المتاجر.

أبعد هاري نظره، وحاول حبس أنفاسه ليسمع أفضل وهو يعانق الجدار رافعاً مسدسه، بينما تفحص الغرفة من اليسار لليمين.

حدق بالزاوية المؤدية للمطبخ، ورأى جانب الثلاجة القديمة والرف، لكن قد يكون هناك أحد ما في الظلام.

ما من صوت ولا حركة.

انتظر هاري وفكر. إن كان هذا شركاً قد نصبه له أحد ما لكان من المفترض أن يكون ميتاً الآن.

أخذ نفساً عميقاً، إذ إن لديه ميزة المجيء إلى هنا من قبل، لذا فهو يعلم أنه ما من مكان للاختباء سوى في المطبخ والمرحاض. لكن الأمر السيّئ هو أن عليه أن يدير ظهره لأحد المكانين ليرى المكان الآخر.

اتخذ قراره ومشى نحو المطبخ، ومد رأسه ثم سحبه بسرعة، وانتظر ذهنه ليعالج المعلومات التي تلقاها... موقد... كومة من علب البيتزا... ثلاجة. لا أحد هناك.

توجه إلى المرحاض ووقف عند الباب، ثم ضغط على زر الضوء وعد حتى الرقم سبعة، ومد رأسه ثم سحبه... فارغ.

جلس على الأرض مديراً ظهره إلى الجدار. لم يشعر إلا في تلك اللحظة بتسارع ضربات قلبه.

جلس على ذلك النحو لبضع ثوانٍ حتى استعاد هدوءه، ثم مشى باتجاه الجثة الموضوعة على الكرسي، وجثم وتفحص المزيج الأحمر خلف

اللاصق الشفاف. لا وجه وإنما مجرد فك وجبهة بارزين وقصة شعر رخيصة لم تدع لهاري مجالاً للشك في أنه ترولس بيرنتسين.

كان ذهن هاري قد بدأ بتفهم حقيقة أنه كان مخطئاً؛ فترولس بيرنتسين لم يكن قاتل رجال الشرطة.

ثم جاءت الفكرة التالية مباشرة.

- أيمكن لذلك أن يكون ما يشهده هنا: مقتل المساعد... القاتل الذي يغطي عليه؟ أيمكن لترولس بيرنتسين أن يكون قد عمل مع شخص مريض مثله قام بارتكاب هذه الفظاعة؟ أيمكن أن يكون فالنتين قد جلس عمداً أمام كاميرات التصوير في ملعب أوليفال بينما ارتكب بيرنتسين جريمة القتل في ماريدال؟ وفي حال كان ذلك صحيحاً، كيف كانا يتقاسمان الجرائم بين بعضهما؟ ما هي جرائم القتل التي لدى بيرنتسين حجج غياب لها؟

استقام هاري وجال ببصره في الأرجاء. لماذا تم استدعاؤه إلى هنا؟ كانوا سيجدون الجثة عما قريب، كما أن هناك العديد من الأشياء التي لا تتطابق. لم يكن ترولس بيرنتسين متورطاً على الإطلاق في التحقيق بجريمة قتل غاستو هانسن، وإنما كانت هناك مجموعة تحقيق صغيرة مكونة من بتي وشرطيين جنائيين آخرين لم يقوموا بفعل الكثير بسبب إلقاء القبض على أوليغ لأنه المنفذ المفترض بعد دقائق من وصولهم؛ كما كان الدليل يدعم افتراضهم. الشيء الوحيد...

في الصمت، كان بإمكان هاري أن يسمع صوت الطقطقة المنتظم وغير المتغير كالساعة. استمر بالتفكير.

كان الشخص الوحيد الآخر المهتم بالتحقيق في جريمة القتل التافهة تلك بدافع المخدرات موجوداً هنا في الغرفة... هاري.

وقد تم استدعاؤه - كرجال الشرطة الآخرين - ليموت في مسرح الجريمة غير المحلولة.

بعد ثانية، كان بجوار الباب يضغط على المقبض فوجده كما كان يخشى: لقد نزل بسهولة ومن دون مقاومة، لكنه لم يفتح؛ كباب غرفة في فندق باستثناء عدم وجود بطاقة مفتاح.

تفحص هاري الغرفة مجدداً.

النوافذ السميكة مع القضبان الفولاذية من الداخل والباب الحديدي الذي أغلق من تلقاء نفسه. لقد مشى إلى الشرك كأحمق معتوه وتم إيقاعه فيه.

لم يعلُ صوت الطقطقة وإنما بقي على حاله.

حدق هاري بالتلفاز المحمول والثواني التي تطقطق. لم يكن الوقت خطأ؛ فالأرقام لم تكن تظهر الوقت، إذ إن الساعة لا تعود للوراء.

كان الوقت 00 : 06 : 10 حين وصل، أما الآن فأصبح 00 : 03 : 51 .

إنه عد تنازلي.

مشى هاري وأمسك بالتلفاز وحاول رفعه، لكن من دون جدوى. لا بد أنه تم تثبيته بالأرض. وجّه ركلة قوية لأعلى التلفاز فتشقق الهيكل البلاستيكي من شدّة الضربة. نظر في الداخل، ووجد أنابيب معدنية وأنابيب زجاجية ورصاصاً. لم يكن هاري خبيراً، لكنه كان قد رأى الكثير من أجهزة التلفاز من الداخل ليكون متأكداً من أن هذا التلفاز ممتلئ أكثر ممّا ينبغي، كما كان قد رأى صوراً كافية للقنابل ليتعرف على قنبلة أنبوبية.

قام بتقييم الرصاص لكنه رفض الفكرة على الفور. كان أحد خبراء القنابل في فرقة دلتا قد شرح له أن قطع السلكين الأحمر والأزرق والعودة للمنزل بسلام كان يحدث في ما مضى، أما الآن فقد انتشرت التكنولوجيا الرقمية مع إشارات بالبلوتوث ورموز وتدابير احترازية تحيل المؤقت إلى الرقم صفر في حال عبثت بأي شيء.

ركض هاري ورمى نفسه على الباب، فقد تكون للباب نقطة ضعف.

لكن، ما من فائدة.

ولا من القضبان على النوافذ.

آلمته كتفاه وأضلاعه وهو يقف على قدميه مجدداً، فصرخ على النافذة.

لم يكن الصوت ينتقل من الداخل للخارج ولا من الخارج إلى الداخل.

أخرج هاري هاتفه المحمول واتصل بغرفة العمليات دلتا حيث يمكنهم استخدام المتفجرات. نظر إلى الساعة 00 : 03 : 04 . لن يكون لديهم الوقت الكافي للوصول إلى العنوان. 00 : 02 : 59 . حدق بقائمة جهات الاتصال... راكيل.

راكيل.

اتصل بها وودعها هي وأوليغ، وأخبرهما أنك تحبهما وأن عليهما الاستمرار في هذه الحياة على نحو أفضل مما فعلت. كن معهما في آخر دقيقتين لئلا تموت وحيداً. رافقهما وشاركهما آخر تجربة جنونية، ودعهما يتذوّقان الموت، وامنحهما كابوساً أخيراً يصاحبهما في حياتيهما.

- تباً تباً تباً!

أعاد هاري الهاتف إلى جيبه ونظر حوله. لقد تمت إزالة الأبواب لئلا

يبقى هناك مكان للاختباء.

00 : 02 : 40 .

مشى هاري نحو المطبخ الذي يشكل الجزء القصير من الغرفة على شكل L . لم يكن طويلاً بما فيه الكفاية، ويمكن لقنبلة أنبوبية أن تحطم كل شيء هنا أيضاً.

نظر إلى الثلاجة وفتحها. علبة حليب، وزجاجتا شراب وعلبة من معجون الكبد. للحظة فكر في الخيارات... الشراب أم الذعر؟ قبل أن يختار الذعر ويسحب الرفوف والعلب البلاستيكية التي تساقطت على الأرض وراءه بينما جثم وحشر نفسه في الداخل وتأوه. لم يكن بإمكانه ثني رقبته بما يكفي ليدخل رأسه فحاول مجدداً وهو يشتم أطرافه الطويلة وهو ينظمها بأكثر طريقة ممكنة.

مستحيل!

نظر إلى الساعة على التلفاز 00 : 02 : 06 .

أدخل هاري رأسه ورفع ركبتيه لكن ظهره لم يكن مرناً بما فيه الكفاية. تباً! ضحك بصوت مرتفع. عرض اليوغا المجاني الذي كان قد رفضه حين كان في هونغ كونغ، أسيكون ذلك سبب موته؟

هوديني. تذكر شيئاً حول التنفس والاسترخاء.

زفر وحاول تصفية ذهنه، وركز على الاسترخاء متجاهلاً الثواني وهو يحاول أن يشعر بمدى مرونة عضلاته ومفاصله، وشعر كيف أنه بدأ بضغط نفسه تدريجياً.

هذا ممكن.

نعم، إنه ممكن بالفعل! إنه داخل الثلاجة. الثلاجة مكونة من معادن وطبقة عازلة كافية لحمايته، إلا إن كانت القنبلة الأنبوبية كبيرة.

أمسك بحافة الباب، وألقى نظرة أخيرة على التلفاز قبل أن يحاول إغلاقه. 00 : 01 : 47 .

أراد إغلاقه لكن يده لم تطعه لأن ذهنه رفض إنكار ما رأته عيناه. لكن الجزء العقلاني من دماغه حاول التجاهل؛ لأنه ما من علاقة للأمر بالشيء المهم الوحيد الآن... البقاء... إنقاذ نفسه. يجب عليه التجاهل لأنه لم يكن بإمكانه فعل شيء آخر؛ إذ ليس لديه الوقت ولا التعاطف.

اللحم المفروم على الكرسي.

لقد ظهرت عليه بقعتان بيضاوان كما في بياض العيون.

تحدقان به مباشرة من خلال الشريط اللاصق.

لقد كان السافل على قيد الحياة.

صرخ هاري وخرج من الثلاجة وركض إلى الكرسي تاركاً شاشة التلفاز في مرمى نظره، وسحب الشريط اللاصق عن الوجه لترمش العينان ويسمع تنفساً خفيفاً. لا بد أنه حصل على بعض الهواء من الفتحة حيث ثقبت العظمة اللاصق.

سأل هاري:

- من فعل هذا؟

لم يحصل سوى على التنفس كإجابة، وبدأ اللحم المفروم يتساقط كشمع ذائب.

- من هو؟ من هو قاتل رجال الشرطة؟

لم يسمع سوى التنفس.

نظر هاري إلى الساعة 00 : 01 : 26 . سيستغرق الأمر وقتاً ليحشر نفسه مجدداً.

- هيا يا ترولس! يمكنني القبض عليه.

بدأت فقاعة من الدم تكبر حيث خمن هاري أنه الفم، وحين انفجرت سمع همسة منخفضة.

- كان يرتدي قناعاً ولم يتكلم.

- ما نوع القناع؟

- أخضر.

- أخضر؟

- جراح.

- قناع جراح؟

إيماءة بسيطة، ثم أغمضت العينان مجدداً.

00 : 01 : 05 .

ركض عائداً إلى المطبخ وكان أسرع هذه المرة. أغلق الباب وانطفأ الضوء.

كان يرتجف في الظلام وهو يعد الثواني... تسع وأربعون ثانية.

السافل سيموت بكل الأحوال.

ثمانٍ وأربعون.

من الأفضل أن يقوم شخص آخر بالمهمة.

سبع وأربعون.

قناع أخضر. لقد أعطى ترولس بيرنتسين هاري ما يعرفه من دون أن

يطلب شيئاً بالمقابل؛ مما يعني أنه قد تبقى جزء من الشرطة فيه.

ست وأربعون.

ما من جدوى من التفكير بالأمر؛ إذ ما من مكان له هنا بكل الأحوال.

خمس وأربعون.

كما أنه ما من وقت لتحريره من على الكرسي.

أربع وأربعون.

حتى لو كان يريد ذلك فلم يعد هناك وقت كافٍ.

ثلاث وأربعون.

انتهى الأمر الآن.

اثنتان وأربعون.

تباً.

إحدى وأربعون.

تباً تباً تباً!

أربعون.

ركل هاري باب الثلاجة بقدم واحدة وفتحه وخرج، ثم فتح الدرج تحت الرف وأمسك بسكين وركض إلى الكرسي وقطع الشريط اللاصق عن ذراعي الكرسي.

تجنب النظر إلى التلفاز، لكنه سمع الطقطقة.

- تباً لك يا بيرنتسين!

مشى حول الكرسي وقطع اللاصق من على الظهر وحول قائمتي الكرسي.

وضع ذراعيه حول صدره وتنهد.

لا بد من القول إن السافل ثقيل الوزن.

سحبه هاري وهو يشتم، وجره وهو يشتم من دون أن يسمع الكلمات المنبعثة من فمه، وهو يأمل أن يتمكن من النجاة من الأمر الجنوني والمحتوم هذا.

توجه إلى الثلاجة المفتوحة وأدخل ترولس بيرنتسين عبر الفتحة. سقط الجسد الملطخ بالدماء وخرج مجدداً.

حاول هاري أن يحشره مجدداً لكن من دون فائدة، فسحب بيرنتسين خارج الثلاجة تاركاً آثار دماء على البلاستيك وأفلته ثم جر الثلاجة بعيداً عن الجدار، وسمع المأخذ الكهربائي ينفصل، ثم دفعها من الخلف بين الرف

والموقد وأمسك ببيرنتسين وحشره في الداخل ثم جثم خلفه. استخدم كلتا يديه ليدفعه إلى داخل الثلاجة قدر الإمكان؛ إلى حيث يوجد محرك التبريد ثم استلقى فوقه وهو يتنشق رائحة العرق والدم، ورائحة البول الناجم عن الجلوس على كرسي وأنت تعلم أن موتك قد بات وشيكاً.

كان هاري يأمل أن يكون هناك مكان لكليهما؛ إذ كان ارتفاع الثلاجة وعرضها هما المشكلة وليس العمق.

أما الآن فقد أصبح العمق.

لم يتمكن من إغلاق الباب اللعين وراءهما.

حاول هاري إغلاقه لكن بلا طائل، حيث تبقى أقل من عشرين سنتيمتراً. لكن، ما لم تكن الثلاجة محكمة الإغلاق لن يكون لديهما أمل؛ فموجات الصدمة ستفجر الكبد والطحال، والحرارة ستحرق العينين وسيتحول كل غرض غير ثابت في الغرفة إلى رصاصة؛ كمسدس آلي ينثر الحمم ويمزق كل شيء إلى قطع.

لم يكن بحاجة لاتخاذ قرار، فقد فات الأوان.

مما يعني أيضاً أنه ما من شيء ليخسره.

فتح هاري الباب وقفز خارجاً إلى وراء الثلاجة ودفعها للأمام مجدداً، ورأى من وراء الحافة أن ترولس بيرنتسين قد انزلق إلى الأرض. لم يستطع مقاومة النظر إلى شاشة التلفاز 00 : 00 : 12 . اثنتا عشرة ثانية.

- آسف يا بيرنتسين.

ثم أمسك ببيرنتسين من صدره وسحبه على قدميه وحشره في الثلاجة، ثم وضع يده فوق ترولس وسحب الباب ثم بدأ يهتز. لقد ارتفع المحرك الثقيل كثيراً، مما جعل للحجرة مركز جاذبية مرتفعاً للغاية؛ مما سيساعده حسبما كان يأمل.

تأرجحت الثلاجة للوراء، وتأرجحا فوق الطرف البارز، ثم سقط ترولس على هاري.

لا ينبغي أن يقعا بهذا الشكل!

قاوم هاري وحاول أن يدفع ترولس للخلف إلى الباب.

ثم غيرت الثلاجة رأيها وعادت إلى مكانها، ثم سقطت في الاتجاه الآخر.

ألقى هاري نظرة خاطفة أخيرة على شاشة التلفاز بينما سقطت الثلاجة إلى الأمام.

انقطعت أنفاسه وهما يسقطان على الأرض، وأحس بالذعر لعدم تمكنه

من الحصول على أي أوكسجين، لكن الظلام كان حالكاً.

لقد قام ثقل المحرك والثلاجة بفعل ما كان يأمله. أغلقا الباب على الأرض.

ثم انفجرت القنبلة.

انهار ذهن هاري وتوقف عن التفكير.

رمش هاري في الظلام.

لا بد أنه فقد وعيه لبضع ثوانٍ.

كانت أذناه تطنان ووجهه يحرقه كما لو أن أحداً رمى عليه الأسيد، لكنه كان على قيد الحياة.

حتى الآن.

كان بحاجة للهواء. حشر هاري يديه بينه وبين ترولس، وضغط بظهره على مؤخر الثلاجة ودفع بقدر ما يمكنه، فتأرجحت الثلاجة ووقعت على جانبها.

تدحرج هاري خارجاً ووقف.

بدت الغرفة كأرض يباب قاحلة، وكانت مليئة بالدخان والرماد من دون أن تبدو ملامح أي غرض؛ حتى ما بدا في السابق كثلاجة بدا الآن شيئاً آخر. أما الباب المعدني للصالة فقد خرج من إطاره.

ترك هاري بيرنتسين في مكانه وهو يأمل أن يكون السافل ميتاً، وترنح على الدرج نحو الشارع.

وقف يحدق ببوابة هوسمنز ويرى الصفارات التي تلمع على سيارات الشرطة المقتربة، لكنه لم يسمع سوى الصفير في أذنيه كطابعة من دون ورق، أو ساعة منبه سيطفئها أحد ما عما قريب.

وبينما وقف هناك يحدق بسيارات الشرطة الصامتة، راودته الفكرة نفسها التي راودته حين كان يستمع لقطار الأنفاق في مانغلرود... أنه لا يمكنه أن يسمع... لم يستطع أن يسمع ما كان ينبغي به سماعه، لأنه لم يكن يفكر حتى وصل إلى مانغلرود وفكر في شبكة قطار أنفاق أوسلو ليدرك في النهاية حقيقة الأمر. أدرك ما كان مغموراً بالظلام ولا يريد الظهور على السطح... الغابة. لا يوجد قطار أنفاق في الغابة.

توقف مايكل بيلمان.

أنصت وحدق في الممر الفارغ.

فكر أنه كصحراء لا يوجد فيها ما يلفت نظرك وإنما مجرد نور أبيض مرتعش يطغى على كل الأشكال.

وهذا الصوت... الطنين المرتعش لأنابيب النيون وحرارة الصحراء يبدوان كمقدمة لشيء لن يحدث. إنه مجرد ممر فارغ في مشفى. ربما يكون كل ذلك غامضاً؛ كحل إيزابيل سكوين لمشكلة أساييف، والمكالمة الهاتفية قبل ساعة، وعشرة الآلاف كرون التي خرجت للتو من جهاز الصراف الآلي في مركز المدينة... هذا الممر المهجور مجرد جناح فارغ في المشفى.

ليكن سراباً أو حلماً. وبدأ مايكل يمشي وهو يتحقق في جيب معطفه من أن صمام الأمان على مسدس غلوك 22 مفتوح. أما في الجيب الآخر فكان يحمل حزمة النقود في حال تطلب الأمر ذلك واضطر للدفع. إن كان هناك العديد من الأشخاص على سبيل المثال؛ لكنه لا يظن ذلك فالمبلغ بسيط والسر كبير.

مر بآلة صنع القهوة، وانعطف حول الزاوية، ورأى الممر يستمر بالبياض الناصع نفسه، كما رأى أيضاً الكرسي. لم تتم إزالة الكرسي الذي كان حارس أساييف يجلس عليه.

التفت ليتأكد من أن أحداً لا يتعقبه قبل أن يكمل طريقه.

خطا خطوات طويلة وهادئة بدون أن يصدر صوتاً على الأرض، بينما تحسس الأبواب وهو يمر وتأكد من أنها جميعها مقفلة.

ثم وصل إلى هناك، إلى جانب الباب حيث يوجد الكرسي. راوده حدس مفاجئ دفعه لأن يضع يده اليسرى على المقعد. بارد.

أخذ نفساً عميقاً، وأخرج مسدسه ونظر إلى يده لكنها لم تكن ترتعش.

هذا أفضل في اللحظات الحاسمة.

أعاد المسدس إلى جيبه وضغط على مقبض الباب ففتح.

ما من سبب لإضاعة أي عامل مفاجأة. فتح مايكل بيلمان الباب ودخل.

كانت الغرفة مغمورة بالضوء لكنها فارغة وخاوية باستثناء السرير الذي كان أساييف مستلقياً عليه، والذي تم دفعه إلى منتصف الغرفة،

ويوجد مصباح فوقه. كما توجد أدوات حادة تلمع على عربة معدنية. ربما يكونون قد حولوا الغرفة إلى مسرح عمليات أساسي.

لمح مايكل حركة وراء النافذة الوحيدة فضغط بيده على المسدس وهو يحدق. أهو بحاجة للنظارة؟

وحين ركز نظره أدرك أن ما يراه مجرد انعكاس، وأن الحركة وراءه، لكن الأوان كان قد فات.

أحس بيد على كتفه، وشعر كما لو أن الطعنة المؤلمة في رقبته قد فصلت الاتصال مع يده التي تمسك بالمسدس. وقبل أن يهبط الظلام رأى وجه الرجل بالقرب من وجهه في الانعكاس الأسود من النافذة. كان يرتدي قبعة خضراء وقناعاً أخضر فوق فمه كطبيب جراح... جراح على وشك إجراء عملية جراحية.

كانت كاترين منشغلة للغاية بجهاز الحاسب، فلم تكترث لحقيقة أنها لم تتلق رداً من الشخص الذي دخل، لكنها كررت السؤال حين أغلق الباب وحجب الأصوات من الخارج.

- أين كنت يا بيورن؟

أحست بيد على كتفها ورقبتها، وكان أول ما خطر ببالها أنه ليس مزعجاً أن تشعر بيد دافئة على بشرة رقبتها العارية... يد رجل.

أجابها الصوت من ورائها:

- لقد كنت في مسرح الجريمة لوضع بعض الأزهار.

عبست كاترين متفاجئة.

لم يتم العثور على أي ملفات. حقاً؟! ما من ملفات في أي مكان تظهر الإحصائيات للشهود الرئيسين الميتين؟ ضغطت على اسم هاري في هاتفها، بينما بدأت اليد بتدليك رقبتها، فتنهدت كاترين لتظهر أنها تحب ذلك، وأغمضت عينيها وأحنت رأسها للأمام. سمعت الهاتف يرن في الطرف الآخر.

- مهلاً. أي مسرح جريمة؟

- طريق ريفي... فتاة... تم صدمها بسيارة وهرب الفاعل. لم يتم حلها إطلاقاً.

لم يجب هاري، فأبعدت كاترين الهاتف عن أذنها وكتبت رسالة.

لم يتم العثور على أي ملفات عن الإحصائيات.

ثم ضغطت على زر الإرسال.

قالت كاترين:

- لقد استغرق ذلك وقتاً طويلاً. ماذا فعلت بعد ذلك؟
- ساعدت الشخص الآخر هناك حيث انهار.

كانت كاترين قد انتهت من القيام بما تفعله، وبدا الأمر وكأن الأشياء الأخرى في الغرفة متواصلة مع حواسها... الصوت... اليد... الرائحة. دارت ببطء في كرسيها ونظرت إليه.

سألت:

- من أنت؟
- من أنا؟
- نعم. أنت لست بيورن هولم.
- حقاً؟!
- نعم. بيورن هولم محتد وجريء وصارم ولا يقوم بتدليك يجعلك تشعر بطعم حلو. لذا، ماذا تريد؟

رأت وجهه المستدير الشاحب يحمر، وعينيه الجاحظتين تبرزان أكثر من المعتاد. أبعد بيورن يده وحدق بشكل محموم وهو يحك جلده.

- أ... آسف. لم أقصد أن... لقد كنت... أنا...

ازداد احمرار وجنتيه وتلعثمه حتى أنزل يده في النهاية ونظر إليها بتعابير يائسة ومستسلمة.

- تباً يا كاترين. هذا محزن.

نظرت إليه كاترين وبدأت تضحك، فقد بدا الأحمق وسيماً للغاية على هذا النحو.

- هل جئت إلى هنا بسيارتك؟

استيقظ ترولس بيرنتسين.

حدق حوله فوجد كل شيء أبيض ومضاءً، ولم يعد يشعر بأي ألم. وعلى العكس، كان يشعر بشعور رائع فقد كان على وشك الموت... بالطبع كان ميتاً... هذا غريب... والأغرب أنه تم إرساله إلى المكان الخطأ... إلى المكان الجيد.

أحس بجسده ينعطف. ربما لم يصل بعد إلى المكان الجيد وما زال على الطريق إلى هناك. ثم بدأ بسماع أصوات؛ كدوي بعيد لصفارة ترتفع وتنخفض... صفارة مركب.

ظهر شيء ما أمامه حجب عنه الضوء.

وجه.

ثم ظهر وجه آخر.

- يمكن أن نعطيه المزيد من المورفين في حال بدأ بالصراخ.

هنا، أحس ترولس بالألم يعود إلى أنحاء جسده كافة، بينما بدا رأسه وكأنه سينفجر.

انعطفوا مجدداً... سيارة إسعاف. كان في سيارة إسعاف تدوي صفارتها.

قال الوجه الذي فوقه:

- أنا أولسرود من كريبوس. تقول بطاقة التعريف الخاصة بك إنك الشرطي ترولس بيرنتسين.

همس ترولس:

- ماذا حصل؟

- لقد انفجرت قنبلة وحطمت زجاج النوافذ في الحي. لقد وجدناك في الثلاجة داخل الشقة. ماذا حصل؟

أغمض ترولس عينيه، وسمع السؤال يتكرر، ثم سمع الرجل الآخر الذي يبدو أنه طبيب وهو يطلب من الشرطي أن لا يضغط عليه لأنه كان تحت تأثير المورفين لذا فقد يختلق الأشياء كما يشاء.

همس ترولس:

- أين هول؟

لاحظ أن الضوء المشرق قد انحجب مجدداً.

- ماذا قلت يا بيرنتسين؟

حاول بيرنتسين ترطيب شفتيه فوجد أنه ليست لديه شفتان ليرطبهما.

- الرجل الآخر. هل كان في الثلاجة أيضاً؟

- لم يكن هناك سواك في الثلاجة يا بيرنتسين؟

- لكنه كان هناك. لقد... أنقذ حياتي.

- إن كان هناك أحد آخر في الشقة، فأنا أخشى أنه أصبح ورق جدران وطلاء، فكل شيء في الداخل تحول إلى فتات، وحتى الثلاجة التي كنت فيها تحطمت، لذا أنت محظوظ لأنك على قيد الحياة. إن كان بإمكانك إخباري من وراء يقف القنبلة فبإمكاننا البدء بالبحث عنه.

هز ترولس رأسه أو تخيل أنه يهز رأسه. لم يكن قد رآه، فقد كان خلفه حين قاده من سيارته إلى سيارة أخرى حيث جلس في الخلف موجهاً المسدس إلى رأسه، بينما قاد ترولس السيارة إلى بوابة هوسمنز 92 ، وهو عنوان مشهور بجرائم المخدرات لدرجة أنه نسي أنه كان مسرح جريمة...

غاستو... بالطبع. ولم يعلم أنه سيموت وأن من يقف وراءه هو قاتل رجال الشرطة إلا وهو يصعد على الدرج ويدخل. قام بتقييده بالكرسي بشريط اللاصق وهو يحدق به من وراء القناع الأخضر. شاهده ترولس وهو يمشي حول التلفاز المحمول، ويقحم مفكاً فيه، ثم لاحظ أن المؤقت الذي بدأ يعمل على الشاشة حين أغلق الباب وراءهما قد توقف وعاد إلى ست دقائق... قنبلة. أخرج الرجل الذي يرتدي اللون الأخضر هراوة مماثلة للهراوة التي استخدمها هو، وبدأ بضربه على وجهه بتركيز من دون أي استمتاع واضح أو تورط عاطفي. ضربه ضربات خفيفة غير كافية لكسر العظام، لكنها كافية لتحطم العروق والشرايين وتورم الوجه وتدفق الدم إلى الخارج وتحت البشرة، ثم بدأ بضربه ضربات أقوى. كان ترولس قد فقد الشعور ببشرته، ولم يعد يشعر سوى أنها تنفجر وأن الدم يسيل على رقبته وصدره، وبالألم الشديد في رأسه ودماغه... لا... أعمق من دماغه حتى... إلى حيث وصلت الهراوة. ورأى الرجل الذي يرتدي اللون الأخضر وقد تناثرت بقع صغيرة من الدم على ثوبه الأخضر، ثم سمع صوت تحطم غضروف وعظم الأنف، وأحس بأسنانه تتشقق وتملأ فمه، وشعر بفكه يرتخي، ثم في النهاية عم الظلام كل شيء.

حتى استيقظ مجدداً على آلام رهيبة، ورآه من دون ملابس الجراح... هاري هول يقف أمام ثلاجة.

في البداية، أحس بالارتباك.

ثم بدا الأمر منطقياً، فهاري يريد التخلص من شخص يعرف ذنوبه بالتفصيل وسيقوم بإخفاء الأمر كما لو أنها إحدى جرائم قتل رجال الشرطة.

لكن هول أطول من الرجل الآخر، وتعابير وجهه مختلفة، وكان يبدو كما لو أنه يحاول حشر نفسه في ثلاجة لعينة. لقد كانا في المركب نفسه... فهما شرطيان في مسرح الجريمة نفسه، وسيموتان معاً... كلاهما... يا لسخرية القدر! لو لم يكن يعاني من ألم مبرح لضحك.

ثم خرج هول من الثلاجة، وقص اللاصق وحمله إلى الثلاجة، وعندها فقد وعيه مجدداً.

- أيمكنني الحصول على المزيد من المورفين؟

كان ترولس يأمل أن يسمعاه رغم ارتفاع أصوات صفارات الإنذار اللعينة، وكان ينتظر بنفاد صبر موجة التحسن التي كان يعلم أنها ستجتاح جسده وتقضي على الألم المبرح الذي يشعر به. فكر أن المخدر هو ما

جعله يفكر بما كان يفكر به لأن ذلك يناسبه للغاية... إلا إنه فكر في الأمر بكل الأحوال.

كم من المزعج أن يموت هاري هول بهذا الشكل.

كبطل خارق.

حيث منحه مكانه، وضحى بنفسه لأجل عدوه.

وعلى العدو التعايش مع فكرة أنه على قيد الحياة لأن رجلاً أفضل منه اختار الموت بدلاً عنه.

أحس ترولس بالألم في ظهره. أن تموت لأجل شيء ما... أي شيء... مجرد شيء مختلف عن شقائك... ربما يكون هذا ما ينطوي عليه الأمر في النهاية. في هذه الحالة... تباً لك يا هول.

نظر إلى الطبيب، ورأى أن النافذة مبللة فعرف أن المطر بدأ يهطل.

- المزيد من المورفين... أرجوكم!

47

كان الشرطي ذو الاسم الموسيقي كارستين كاسبرسين جالساً في مكتب الحراسة في كلية الشرطة وهو يحدق بالمطر الذي كان ينهمر بغزارة في ظلمة الليل ويطرق على الأسفلت الأسود اللامع، ويقطر من البوابة.

كان قد أطفأ النور لئلا يرى أحد أن هناك أحداً ما في المكتب في هذا الوقت المتأخر. كان يعني بكلمة «أحد» الأشخاص الذين يسرقون الهراوات والمعدات الأخرى كشريط قديم كانوا يستخدمونه في التدريب. وبما أنه لم تكن هناك أي علامات على الاقتحام، فهذا يعني أن السارق شخص معه بطاقة مرور، وبما أنه يحمل بطاقة مرور فلم يعد الأمر متعلقاً ببعض الهراوات أو الأشرطة، وإنما بفكرة أن هناك لصوصاً بينهم... لصوصاً قد يصبحون رجال شرطة في المستقبل القريب. لن يسمح بهذا... ليس في قوة الشرطة التي ينتمي إليها.

يمكنه الآن رؤية أحد ما يقترب في المطر؛ حيث انبثق الشخص من الظلام في سليمدالسفين ومر تحت الأضواء عند شاتو نوف متوجهاً إلى البوابة. لم يستطع التعرف على هذه المشية التي كانت كترنح، كما لو أن الشخص يعرج، كما لو أن هناك عاصفة تهب على جانبه الأيسر.

لكنه أدخل بطاقة في الآلة، وفي الدقيقة التالية كان قد دخل الكلية. كان كاسبرسين يعرف مشية كل شخص في هذا القسم من المبنى، لذا قفز وخرج لأن مثل هذه الأمور لا يمكن التفاوض عليها... إما أن يكون مصرحاً لك بالدخول أو لا... ما من حل وسط.

صرخ كاسبرسين:

- هيه أنت! من أنت؟ ماذا تفعل هنا؟ ومن أين حصلت على هذه البطاقة؟

التفت الشخص المنحني والمبلل إليه. كان الوجه مخفياً في ظل القبعة، لكن العينين تلألأتا، وقد تفاجأ كاسبرسين لأنه تمكن من الشعور بالحرارة الشديدة للنظرة فشهق غريزياً، ثم تذكر ولأول مرة أنه ليس مسلحاً. كيف لم يفكر بالأمر؟ كان ينبغي له إحضار شيء معه لردع اللصوص.

خلع الشخص القبعة.

فكر كاسبرسين... لا أريد ردعه، لكنني أريد شيئاً لأدافع به عن نفسي.

لم يكن الشخص الواقف أمامه من هذا العالم، فقد كان معطفه ممزقاً ومليئاً بثقوب كبيرة وكذلك وجهه.

تراجع كاسبرسين إلى مكتبه وهو يتساءل إن كان المفتاح في قفل الباب من الداخل.

- كاسبرسين. هذا أنا يا كاسبرسين.

توقف كاسبرسين وأمال رأسه. أيمكن حقاً أن يكون...؟

- يا الله يا هاري. ماذا حصل لك؟
- مجرد انفجار. يبدو الأمر أسوأ مما هو عليه فعلاً.
- أسوأ؟! تبدو كبرتقالة مرصعة بالقرنفل.
- إنه مجرد...
- أعني برتقالة حمراء يا هاري. إنك تنزف. انتظر للحظة ريثما أحضر صندوق الإسعافات الأولية.
- أيمكنك الصعود إلى مكتب أرنولد فولكستاد؟ لدي شيء طارئ.
- أرنولد ليس هنا الآن.
- أعلم.

انطلق كارستين كاسبرسين نحو خزانة الأدوية في المكتب. وبينما كان يخرج الشريط اللاصق والشاش والمقص، كان ذهنه يعيد المحادثة، ثم توقف عند العبارة الأخيرة... والطريقة التي قالها فيها هاري... التأكيد... أعلم... كما لو أنه لم يكن يقول ذلك له كارستين كاسبرسين وإنما لنفسه هاري هول.

استيقظ مايكل بيلمان وفتح عينيه، ثم أغمضهما مجدداً حين اخترق النور عدستي عينيه، لكنه شعر كما لو أن الضوء يحرق عصباً عارياً.

لم يكن قادراً على الحركة، فحرك رأسه بصعوبة وحاول النظر حوله ليجد نفسه في الغرفة نفسها. نظر إلى الأسفل، ورأى الشريط الأبيض المستخدم في تقييده بالسرير... تقييد ذراعيه بجانبيه وساقيه ببعضهما... كان كالمومياء.

سمع طقطقة معدنية وراءه، فأمال رأسه إلى الطرف الآخر. كان الشخص الواقف بجانبه يعبث بالأدوات ويرتدي اللون الأخضر ويضع قناعاً على فمه.

قال الرجل في الثوب الأخضر:

- يا إلهي. هل انتهى مفعول المخدر؟! إنني لست خبير تخدير في الواقع، وبصراحة أكثر، أنا لست خبيراً بأي شيء في المشفى.

فكر مايكل وهو يحاول التخلص من الارتباك الذي يشعر به. ما الذي يحصل هنا؟

- بالمناسبة، وجدت النقود التي أحضرتها معك. شكراً لك، لكنني لست بحاجة لها، كما أنها من المستحيل أن تعوضني عما فعلته يا مايكل.

إن لم يكن ممرض التخدير فكيف علم بالعلاقة بين مايكل وأساييف؟

رفع الرجل الذي يرتدي الثوب الأخضر أداة إلى الضوء.

أحس مايكل بالخوف. حين يرتفع غشاء التخدير بالكامل فسيظهر ما وراءه: الألم والخوف والموت.

لأن مايكل قد فهم الآن. كان الأمر واضحاً لدرجة أنه كان ينبغي له أن يعلم قبل أن يغادر المنزل. كان المكان مسرح جريمة غير محلولة.

- أنت وترولس بيرنتسين.

ترولس؟! أيظن أن لترولس علاقة بجريمة قتل أساييف؟

- لكنه لقي عقابه. ماذا تظن أنه من الأفضل أن أستخدم حين أقطع وجهاً؟ المقبض رقم ثلاثة مع الشفرة رقم عشرة للبشرة والعضلات؟ أم هذه، المقبض رقم سبعة مع الشفرة رقم خمسة عشر؟ رفع الرجل مبضعين متطابقين بالشكل، فانعكس الضوء على إحدى الشفرتين ليلقي شريطاً من النور على وجه الرجل، حيث رأى في عينيه شيئاً تعرف عليه على نحو غامض.

- لم يكتب المزود أيهما أفضل لهذه العملية بالذات كما ترى.

كان هناك شيء مألوف في صوته أيضاً، أليس كذلك؟

- نعم. حسناً. علينا أن نعمل بما لدينا. علي تثبيت رأسك بشريط لاصق يا مايكل.

هنا، تلاشى التخدير بالكامل، وشعر مايكل بالخوف.

شهق مايكل وهو يحس بضغط على رأسه يثبته بالوسادة، ليمتد على جبهته شريط لاصق، ثم أصبح وجه الرجل مباشرة فوق وجهه، وانزلق طرف القناع فتعرف عليه مايكل وعرف السبب.

سأل:

- أتذكرني يا مايكل؟

كان هو... الرجل غير السوي... الذي أساء إليه حين كان يعمل في كريبوس. فحين دخل الحمام تبعه شخص ما، فضربه ترولس بوحشية في غرفة التدفئة ولم يعد للعمل منذ ذلك اليوم. كان يعلم ما ينتظره، كما كان مايكل يعلم.

أحس مايكل بعينيه تغرورقان بالدموع:

- الرحمة. لقد أوقفت ترولس. كان على وشك قتلك لو لم...

- ... لو لم توقفه لكي تنقذ عملك وتصبح رئيس الشرطة.
- اسمعني. أنا مستعد لدفع أي...
- حسناً، ستدفع جيداً يا مايكل. ستدفع بالكامل ثمن ما أخذتماه مني.
- أخذت... ماذا أخذنا منك؟
- أخذتما مني الانتقام يا مايكل... معاقبة الشخص الذي قتل رينيه كالسنس. لقد تركتم القاتل حراً طليقاً.
- لا يمكن حل جميع القضايا، وأنت نفسك تعلم أن...
ضحكة باردة مقتضبة.
- أعلم أنكم لم تحاولوا يا مايكل. لم تكترثوا لسببين: الأول أنكم وجدتم هراوة بالقرب من مسرح الجريمة، لذا خفتم إن بحثتم جيداً من أن تجدوا أن واحداً منكم قد قتل ذلك الرجل غريب الأطوار. وما السبب الثاني يا مايكل؟ لم يكن رينيه مثلكم كما يحب رجال الشرطة، لكنني أحببت رينيه كما هو؛ كان صديقي المفضل. أتسمعني يا مايكل؟ إنني أقول بصوت مرتفع إنني كنت أعتبره صديقي المفضل. أتظن ذلك مقززاً؟ لكنك تعرف في أعماقك، أليس كذلك؟ كان ينبغي لك إخبار نفسك بذلك من قبل يا مايكل، فقد فات الأوان بالنسبة لك الآن؛ إذ إنك لن تخوض أي تجربة جديدة... حين تقربت منك أثناء عملنا في كريبوس فقدت أعصابك وضربتني.
كان قد رفع صوته تدريجياً، لكنه عاد وخفضه ليصبح همساً.
- لكن ذلك كان تصرفاً غبياً يا مايكل، وما كنت لأعاقبك عليه وحده. إن سبب حصولك أنت وكل من عمل على قضية رينيه كالسنس على حكم الإعدام هو أنكم استخففتم بالشخص الوحيد الذي كان صديقاً لي، وتجاهلتم قيمته الإنسانية، وقلتم إن الضحية لا يستحق الجهد ولا يستحق القسم الذي أديتموه بأن تخدموا العامة وتنشروا العدل؛ مما يعني أنكم فشلتم جميعاً ودنستم عمل الشرطة المهمّ يا مايكل. لذلك ينبغي التخلص منكم لأنكم تجاهلتم ما حصل لصديقي المفضل. كفانا ثرثرة، إذ علي التركيز لأنهي عملي. لحسن حظك وحظي، هناك الكثير من الفيديوهات التعليمية على الإنترنت. ما رأيك بهذا؟
رفع صورة أمام مايكل.
- ينبغي أن تكون جراحة بسيطة ألا تظن ذلك؟ لكن، صه يا مايكل! لا يمكن لأحد سماعك. لكنك إن صرخت فسأضطر لتكميم فمك

أيضاً.

جلس هاري على مقعد أرنولد فولكستاد فأصدر أزيزاً مطولاً تحت ثقله، ثم أشعل جهاز الحاسب فأضاءت الشاشة في الظلام. وبينما بدأ الجهاز بإصدار أصوات طنين وأزيز وتفعيل البرامج والاستعداد للعمل، قرأ هاري رسالة كاترين النصية مجدداً.

لم يتم العثور على أي ملفات عن الإحصائيات.

لقد أخبره أرنولد أن لدى مكتب التحقيقات الفيدرالي إحصائيات مفادها أنه في أربعة وتسعين بالمائة من القضايا الهامة حين يموت شهود الادعاء يكون الموت مشبوهاً. كان ذلك ما جعل هاري يتحرى أكثر في ما يتعلق بموت أساييف، لكن الإحصائية لا وجود لها. لقد كانت كدعابة كاترين:

- حين يستخدم الناس الإحصائيات فإنهم في اثنين وسبعين بالمائة من القضايا يختلقون هذه النسب من نسج خيالهم.

لا بد أن هاري كان يفكر بالأمر منذ أمد. لا بد أنه كانت لديه شكوكه في أن أرنولد قد اختلق هذه الإحصائية من نسج خياله.

لماذا؟

كان الجواب بسيطاً: ليقنع هاري بالتدقيق في موت أساييف؛ لأنه كان يعرف شيئاً لم يكن بإمكانه قوله مباشرة، أو القول من أين حصل على المعلومات لأن ذلك سيفضحه. أما هو الشرطي المتحمس والحريص دائماً على حل القضايا فإنه لا يزال مستعداً للمخاطرة بالعمل على القضية.

لأن أرنولد فولكستاد كان يعلم أن الأمر لن يقود هاري إلى حقيقة أنه تم قتل أساييف وإلى القاتل فحسب، وإنما قد يقوده إليه هو نفسه... أرنولد فولكستاد... وقاتل آخر. لأن الشخص الوحيد الذي كان يعلم ولديه حاجة ملحة لذكر ما حصل هناك في المشفى هو أنطون ميتيت... الحارس المثقل بالندم. ولم يكن هناك سوى سبب واحد ليلتقي أرنولد فولكستاد وأنطون ميتيت الغريبان عن بعضهما كلياً.

ارتعش هاري.

جريمة قتل.

كان جهاز الحاسب مستعداً للبحث.

48

حدق هاري بشاشة الحاسب ثم اتصل برقم كاترين مجدداً، وكان على وشك إنهاء المكالمة حين سمع صوتها.

- نعم؟

كانت منقطعة الأنفاس كما لو أنها كانت تركض، لكن الأصوات في المحيط توحي بأنها في مكان مغلق. ما فاجأه هو أنه كان ينبغي له سماع هذه الأصوات حين اتصل بأرنولد فولكستاد في وقت متأخر من الليل... الأصوات في المحيط. لقد كان في الخارج وليس في الداخل.

- هل أنت في النادي الرياضي أم ماذا؟

- النادي الرياضي؟

- كنت أتساءل إن كان ذلك سبب عدم ردك على مكالماتي.

- لا، أنا في المنزل. ماذا هناك؟

- حسناً. إذاً، اهدئي. أنا في كلية الشرطة. لقد رأيت للتو تاريخ البحث على جهاز حاسب شخص ولم أتمكن من المضي قدماً.

- ماذا تقصد؟

- لقد قام أرنولد فولكستاد بزيارة موقع معدات طبية، وأريد أن أعرف السبب.

- أرنولد فولكستاد! وما علاقة قضيتنا به؟

- أظن أنه رجلنا.

- أرنولد فولكستاد قاتل رجال الشرطة؟!

حين تكلمت كاترين سمع هاري صوتاً تعرف عليه مباشرة على أنه صوت سعال بيورن هولم وصرير وسادة.

- هل أنت وبيورن هولم في غرفة التدفئة؟

- لا. لقد أخبرتك... نحن... نعم... نحن في غرفة التدفئة.

ابتسم هاري، فطوال سنوات عمله في الشرطة لم يسمع أحداً فاشلاً في الكذب أكثر منها.

- إن كنت قريبة من جهاز الحاسب فحاولي أن تعرفي إن كان أرنولد قد اشترى معدات طبية، وإن كان اسمه مرتبطاً بأي مسرح جريمة قديم أو تحقيق بجريمة ثم اتصلي بي. أعطيني بيورن.

سمعها تعطي الهاتف لبيورن وتقول شيئاً، ثم سمع صوت بيورن الأجش.

- نعم؟

- ارتدِ ملابسك وابحث عن محامي الشرطة لتحصل على مذكرة لتتبع هاتف أرنولد فولكستاد المحمول، ثم تحقق من لائحة الاتصالات التي تلقاها ترولس بيرنتسين هذا المساء. هل هذا مفهوم؟ في هذه الأثناء، سأطلب من بيلمان نشر قوات دلتا.

- نعم. أنا... نحن... حسناً. كما تعلم...

- هل هذا مهم يا بيورن؟

- لا.

- حسناً.

أنهى هاري المكالمة، وفي تلك اللحظة دخل كارستين كاسبرسين من الباب.

- لقد وجدت بعض القطن والمعقم، بالإضافة إلى ملقط لنتمكن من سحب الشظايا.

- شكراً يا كاسبرسين لكن الشظايا لا تضايقني، لذا دع الأدوات على الطاولة.

- لكنك...

أومأ هاري لكاسبرسين كي يخرج وهو يتصل ببيلمان، ولكن ردّ عليه المجيب الصوتي. شتم ثم بحث عن رقم هاتف أولا بيلمان، ووجد رقماً ثابتاً في هوينهول، ثم سمع صوتاً لطيفاً يلفظ الاسم.

- أنا هاري هول. هل زوجك هنا؟

- لا، لقد خرج للتو.

- الأمر في غاية الأهمية. أين هو؟

- لم يخبرني.

- متى...؟

- لم يقل.

- إذا...

- ... عاد فسأخبره أن يتصل بك يا هاري هول.

- شكراً.

أنهى الاتصال.

أجبر نفسه على الانتظار وهو يجلس واضعاً مرفقيه على الطاولة ورأسه بين يديه، منصتاً لقطرات الدم التي تقطر على أوراق الاختبار. عد القطرات كما لو كانت عقرب ثوانٍ.

الغابة. الغابة. ما من قطار أنفاق في الغابة. الأصوات في المحيط. لقد بدا الصوت كما لو أنه كان في الخارج وليس في الداخل.

حين اتصل هاري بأرنولد في تلك الليلة ادعى أرنولد أنه كان في البيت.

لكن هاري سمع صوت قطار الأنفاق.

قد تكون هناك بالطبع أسباب بريئة لكي يكذب أرنولد فولكستاد حول مكانه؛ كحبيبة يريد أن يبقي أمرها سراً على سبيل المثال، وقد يكون الأمر مصادفة أن هاري اتصل في وقت نبش قبر الفتاة في مقبرة فيستر بالقرب من محطة قطار الأنفاق... مصادفات.. لكنها كافية لتظهر أشياء أخرى كالإحصائيات.

نظر هاري إلى ساعة يده مجدداً.

فكر براكيل وأوليغ اللذين كانا في المنزل.

المنزل، حيث كان ينبغي أن يكون. حيث ما كان ليعود إليه مطلقاً... ليس بالكامل... ليس بالطريقة التي أرادها... لأن الأمر صحيح؛ فهو لم يكن يرغب بذلك لأن اهتمامه شديد بالآخرين، بل لأن الأمر كبكتيريا تلتهمه وتستنزف كل شيء في حياته، حتى إن الشراب لا يمكنه أن يوقفه. لكن ذلك مشابه بطريقة أو بأخرى لما فعله أرنولد فولكستاد... فهناك أمر قوي وشامل لدرجة أنه بإمكانه تبرير كل ما يدمره. وأخيراً اتصلت.

- لقد اشترى بعض الأدوات الجراحية والملابس قبل بضعة أسابيع. لست بحاجة لأي نوع من الترخيص الخاص للقيام بذلك.

- هل من شيء آخر؟

- لا. لا يبدو أنه يستخدم الإنترنت كثيراً، مما يعني أنه حذر في الواقع.

- هل من شيء آخر؟

- لقد تحققت إن كان يعاني من أي إصابات جسدية أو أي شيء مشابه فوجدت بعض السجلات الطبية التي ترجع إلى بضع سنوات مضت.

- نعم؟

- نعم. لقد تم إدخاله إلى مشفى لتعرضه للضرب، لكن المريض زعم أنه سقط عن الدرج، وقد نفى الطبيب إمكانية أن يكون ذلك سبب الإصابات الشديدة في أنحاء جسده. لقد كتب أن المريض كان رجل شرطة، وسيحكم بنفسه على ما ينبغي له الإبلاغ عنه، كما أشار إلى أن ركبته لن تتعافى على الإطلاق.

- إذاً، لقد تم ضربه. ماذا عن مسارح الجريمة وقاتل رجال الشرطة؟

- لم أجد أي صلة؛ على الرغم من أنه يبدو كما لو أنه عمل على بعض القضايا الأصلية حين كان في كريبوس. وقد وجدت صلة بينه وبين أحد الضحايا.

- حقاً؟!

- رينيه كالسنس. بدا الأمر في البداية محض مصادفة، لكنني تعمقت في البحث أكثر. لدى هذين الاثنين الكثير من الأمور المشتركة؛ كالرحلات الجوية إلى خارج البلاد التي يدفع فولكستاد ثمن تذاكرها لكليهما، والغرف المسجلة باسميهما في عدد من المدن الأوروبية... باختصار يبدو أنهما...

- ... كانا صديقين حميمين.

- حين كانا يسافران من النروج كانا يجلسان في صفوف مختلفة، وأحياناً يذهبان برحلات جوية مختلفة، وحين كانا ينزلان في فنادق في النروج كانا يحجزان غرفاً فردية لكل منهما.

- لقد كان أرنولد شرطياً. وربما ظن أن الأفضل إبقاء صداقته لرينيه سرية.

- لكنه لم يكن الشخص الوحيد الذي كان على علاقة صداقة برينيه.

- أنا واثق من ذلك. كما أنني واثق من أنه كان ينبغي لفرق التحقيق السابقة أن تتوصل إلى هذه النتيجة.

- إنك قاسٍ يا هاري. لم تكن لديهم محركات بحث.

مرر هاري يده على وجهه بحذر.

- ربما تكونين محقة. ربما أنا غير عادل حين أفكر في أن جريمة قتل رجل غير سويّ لم تثر اهتمام المحققين بالنتائج.

- نعم. أنت كذلك.

- حسناً. هل من شيء آخر؟

- حتى الآن لا.

- حسناً.

أعاد الهاتف إلى جيبه ونظر إلى ساعة يده.

ثم خطرت بباله جملة قالها أرنولد فولكستاد.

أي شخص لا يجرؤ على تحمل حكم العدالة ينبغي أن يعاني من الشعور بالذنب.

أهذا ما كان فولكستاد يفعله بجرائم الانتقام هذه؟ أيطبق حكم العدالة؟

وما الذي قاله حين تكلما عن حالة سيلج غرافسينغ العقلية؟ لدي بعض الخبرة في اضطراب الوسواس القهري. مما يعني أنه كان يعلم أنه لا يمكن لشيء أن يوقفه.

لقد كان الرجل جالساً قبالة هاري ويقول له ذلك.

اتصل بيورن بعد سبع دقائق.

- لقد تحققوا من خط ترولس بيرنتسين. لم يتصل به أحد الليلة.

- ممم. إذاً، لقد اتجه فولكستاد مباشرة إلى منزل بيرنتسين وأخذه من هناك. ماذا عن هاتف فولكستاد؟

- إنه يعمل، وتم تحديد موقعه في المنطقة بين سليمدالسفين وشاتو نوف و...

- تباً. اتصل به.

انتظر هاري بضع ثوانٍ، ثم سمع صوت اهتزاز في مكان ما. كان الصوت صادراً من أدراج المكتب فحاول هاري فتحها لكنها كانت مقفلة باستثناء الدرج السفلي حيث ظهرت له شاشة. أخرج هاري الهاتف ورد على المكالمة.

- لقد وجدته.

- ألو؟

- أنا هاري يا بيورن. فولكستاد ذكي، فقد ترك الهاتف المسجل باسمه هنا. أظن أنه كان هنا عند ارتكابه للجرائم السابقة.

- كيلا يتمكن أحد في شركة الهاتف من تتبع تحركاته.

- وكدليل على أنه كان يعمل هنا كالمعتاد في حال احتاج لحجة غياب. وبما أنه ليس مقفلاً، لا أظن أننا سنجد معلومات هامة عليه.

- أتعني أن لديه هاتفاً آخر؟

- لديه هاتف مسبق الدفع اشتراه نقداً باسم شخص آخر بالتأكيد. هكذا يتصل بضحاياه.

- وبما أن الهاتف هنا الليلة...

- فهذا يعني أنه قريب.

- لكنه إن كان بحاجة لاستخدام الهاتف كحجة غياب فمن الغريب أنه لم يأخذه معه إلى المنزل. إن أظهرت الإشارة أنه بقي في كلية الشرطة طوال الليل...

- فلن تكون حجة الغياب مقنعة، كما أن هناك احتمالاً آخر.

- ما هو؟

- أنه لم ينه عمل الليلة بعد.
- يا إلهي. أتظن...؟
- لا أظن شيئاً. لا يمكنني الوصول إلى بيلمان، لذا أيمكنك الاتصال بهاغن وشرح الوضع له، وسؤاله إن كان سيسمح بالاستعانة بدلتا لمهاجمة منزل فولكستاد؟
- أتظن أنه في المنزل؟
- لا، لكننا...
- ... نبدأ البحث في الضوء.

أنهى هاري المكالمة وأغمض عينيه. كان الصفير في أذنيه قد تلاشى ليظهر بدلاً عنه صوت آخر... طقطقة... عد الثواني... تباً! ضغط بيديه على عينيه.

أيمكن أن يكون أحد آخر قد تلقى مكالمة من مجهول اليوم؟ من؟ ومن أين؟ من هاتف مسبق الدفع؟ أو من مركز هاتف كبير حيث لا يظهر الرقم؟

جلس هاري بسكون لبضع ثوانٍ.

ثم أبعد يديه.

نظر إلى الهاتف الأسود الكبير على طاولة المكتب وتردد، ثم رفع السماعة وسمع رنين مركز الهاتف. ضغط على زر إعادة الاتصال بالرقم الأخير فبدأ الهاتف بالرنين لتتم الإجابة على مكالمته.

الصوت اللطيف نفسه.

- بيلمان.
- آسف. لقد أخطأت بالرقم.

وأعاد السماعة وأغمض عينيه. تباً تباً تباً!

ليس كيف أو لماذا.

حاول هاري أن يصفي ذهنه من كل المعلومات التي لا طائل منها ويركز على الأمر الوحيد المهم الآن: أين.

أين يمكن أن يكون أرنولد فولكستاد الآن؟

في مسرح جريمة سابقة.

مع معدات جراحية.

حين فهم هاري الأمر كان هناك أمر واحد فاجأه: أنه لم يخطر بباله من قبل. لقد كان الأمر واضحاً لدرجة أن أي طالب في السنة الأولى يتمتع بخيال متوسط سيجمع المعطيات ويتبع سلسلة أفكار الجاني... مسرح جريمة حيث لن يلفت رجلٌ يرتدي ملابس جراح الانتباه.

تبعد ريكشوبيتالت دقيقتين بالسيارة عن كلية الشرطة.

يمكنه الوصول إلى هناك، لكن لا تستطيع فرقة دلتا الوصول قريباً.

استغرق الأمر خمساً وعشرين ثانية ليخرج هاري من المبنى.

مرّت ثلاثون ثانية قبل أن يصل إلى سيارته ويشغل محركها ويتجه إلى سليمدالسفين حيث يمكنه الوصول مباشرة إلى وجهته.

بعد دقيقة وأربع وخمسين ثانية ركن سيارته أمام مدخل ريكشوبيتالت.

بعد عشر ثوانٍ اندفع عبر الباب المتأرجح وتخطى مكتب الاستقبال حيث سمع أحداً يناديه.

- هيه، أنت هناك!

لكنه أكمل طريقه بينما تردد صدى خطواته بين جدران الممر وسقفه. وبينما كان يركض، وضع يده على ظهره وأخرج مسدس الأوديسا الذي كان قد حشره تحت حزامه، وأحس بنبضه يتسارع أكثر وأكثر.

مر بآلة صنع القهوة فأبطأ لئلا يصدر الكثير من الضجة، ووقف إلى جانب الكرسي خارج الباب المؤدي إلى مسرح الجريمة. عرف الكثير من الناس أن أحد زعماء تجارة المخدرات قد مات هنا، لكن لم يعرف الكثيرون أنه تم قتله وأنه لم يتم حل الجريمة؛ إلا إن أرنولد فولكستاد كان يعرف ذلك.

توقف هاري عند الباب وأنصت.

تحقق من أن صمام الأمان مفتوح.

كان نبضه قد تباطأ وهدأ.

في الممر، سمع صوت خطوات راكضة. إنهم في طريقهم لإيقافه. وقبل أن يفتح هاري هول الباب بهدوء ويدخل خطرت بباله فكرة واحدة: هذا حلم سيّئ؛ حيث يتكرر كل شيء مرة تلو الأخرى، لكن ينبغي أن يتوقف هنا ويستيقظ ويرمش تحت الشمس في صباح ما، وهو مغطى بغطاء أبيض بارد بينما تلتف ذراعاها حوله لئلا تتركه يرحل، كي لا يكون في أي مكان إلا قربها.

أغلق هاري الباب وراءه بهدوء، وحدق برجل يرتدي اللون الأخضر منحنٍ على سرير عليه رجل يعرفه... مايكل بيلمان.

رفع هاري المسدس، وضغط على الزناد قليلاً وهو يتخيل الرصاصة وهي تمزق الثوب الأخضر وتخترق الأعصاب وتحطم العظم ليتقوس الظهر ويقع للأمام، لكن هاري لم يرد ذلك... لم يكن يريد إطلاق الرصاص على ظهر الرجل وقتله، وإنما أراد إطلاق الرصاص على وجهه وقتله.

قال هاري بصوت أجش:

- استدر يا أرنولد.

سمع صوت طقطقة على الطاولة المعدنية حيث ألقى الرجل شيئاً لامعاً... مبضع... واستدار ببطء وأنزل القناع الأخضر ونظر إلى هاري.

حدق به هاري بينما تشبثت أصابعه بزناد المسدس.

كانت الخطوات تقترب في الخارج، حيث يوجد الكثيرون منهم. عليه أن يسرع إن كان يريد أن يفعل ذلك من دون أي شهود. أحس بالمقاومة من الزناد تضعف: لقد وصل إلى النقطة الثابتة في الزناد... الصمت قبل الانفجار. الآن... ليس الآن. سحب إصبعه للوراء قليلاً. لم يكن هو... لم يكن أرنولد فولكستاد. أكان مخطئاً؟ أكان مخطئاً مجدداً؟ كان الوجه الذي أمامه ناعماً، والفم مفتوحاً، والعينان السوداوان غير مألوفتين. أكان هذا قاتل رجال الشرطة؟ لقد بدا الأمر... غير مفهوم. خطا الشخص بالملابس الخضراء خطوة جانباً، وهنا رأى هاري أن الشخص الذي يرتدي الثوب الأخضر كان امرأة.

في تلك اللحظة، فتح الباب وراءه، ودفعه شخصان يرتديان ثوبين أخضرين جانباً.

سأل أحد الواصلين بصوت حاد وحازم:

- ما الوضع؟

أجابت المرأة:

- إنه فاقد للوعي ونبضه منخفض.

- هل فقد دماً؟

- لا يوجد الكثير من الدم على الأرض، لكن قد يكون سال إلى المعدة.

- حددي زمرة الدم، واطلبي ثلاثة أكياس.

أخفض هاري مسدسه وقال:

- الشرطة. ماذا حصل هنا؟

رد الصوت الحازم:

- اخرج من هنا، فنحن نحاول أن ننقذ روحاً.

رد هاري وهو يرفع مسدسه مجدداً:

- وأنا أفعل الشيء نفسه؛ إذ إنني أحاول منع جريمة قتل أيها الجراح، كما أننا لا نعلم إن كان المجرم قد أنهى عمله لليوم. هل هذا مفهوم؟

- إن كان الأمر متعلقاً فقط بهذا الجرح من دون أي أضرار للأعضاء الداخلية فلن يكون هناك الكثير من الدم المفقود. هل هو في حالة صدمة؟ ردي على الشرطي يا كارين.

تكلمت المرأة عبر القناع من دون أن تبتعد عن السرير.

- لقد قال أحد موظفي الاستقبال إنه رأى رجلاً يرتدي ملابس وقناعاً ملطخة بالدماء يخرج من الجناح الفارغ ويغادر مباشرة. كان ذلك غير مألوف على الإطلاق، لذا أرسلت شخصاً ليتحقق. كان المريض على وشك مفارقة الحياة حين وجدناه.

- أيعلم أحد أين ذهب الرجل؟

- يقولون إنه اختفى فحسب.

- متى سيصحو المريض مجدداً؟

- لا ندري إن كان سينجو. بالمناسبة، تبدو وكأنك بحاجة لرعاية طبية أنت أيضاً.

قال الصوت الحازم:

- ليس الكثير، سوى تغطيته بالقماش.

لم يكن هناك أمل بالحصول على أي معلومات إضافية، لكن هاري بقي في مكانه، ثم خطا خطوتين للأمام وتوقف محدقاً بوجه مايكل بيلمان الأبيض. أكان واعياً؟ كان من الصعب تحديد ذلك.

حدقت به عين واحدة.

أما العين الأخرى فلم تكن هناك، بل مجرد تجويف أسود تسيل منه

الدماء وتتدلى الأعصاب.

استدار هاري وغادر، ثم أخرج هاتفه المحمول وهو يمشي عبر الممر بحثاً عن هواء منعش.

- نعم؟
- شتال؟
- تبدو محبطاً يا هاري.
- لقد حصل قاتل رجال الشرطة على بيلمان.
- حصل عليه؟!
- لقد أجرى له عملية جراحية.
- ماذا تقصد؟
- لقد استأصل إحدى عينيه وتركه ينزف حتى الموت، كما أن قاتل رجال الشرطة هو الذي كان وراء الانفجار هذا المساء الذي أظن أنك قد سمعت عنه في نشرة الأخبار، حيث حاول قتل شرطيين أحدهما أنا. أرغب بمعرفة ما يفكر به لأنه لم تعد لدي أدنى فكرة.

صمت. انتظر هاري وهو يسمع تنفس شتال أون الثقيل، ثم ظهر صوته أخيراً.

- لا أعرف...
- ليس هذا ما أريد سماعه يا شتال. تظاهر أنك تعرف.
- حسناً، حسناً. ما أظنه هو أنه خارج عن السيطرة يا هاري؛ فالضغط العاطفي تصاعد لديه وأصبح مهتاجاً، لذا توقف عن اتباع الأنماط. من الآن فصاعداً قد يقوم بفعل أي شيء.
- إذاً، أتقصد أنه ليست لديك أدنى فكرة عن حركته المقبلة؟

صمت آخر.

- شكراً.

أنهى هاري المكالمة، فرن الهاتف فوراً، وكان بيورن هو المتصل.

- نعم؟
- دلتا في طريقها إلى عنوان فولكستاد.
- جيد! أخبرهم أنه قد يكون متجهاً إلى هناك الآن، وأننا سنمنحهم ساعة قبل أن نطلق إنذاراً عاماً لئلا يحصل على أي معلومات من إذاعة الشرطة أو شيء آخر. اتصل بكاترين واطلب منها أن تأتي إلى غرفة التدفئة، وأنا قادم أيضاً.

وصل هاري إلى مكتب الاستقبال ورأى الناس يحدقون به وينفرون

منه، بينما صرخت امرأة وتراجع شخص ما إلى وراء المنضدة. اكتشف هاري السبب حين نظر إلى نفسه في المرآة وراء المنضدة.

رأى رجلاً ممزق الثياب ومتأذياً من جراء الانفجار يحمل أقبح مسدس في يده.

تمتم هاري وهو يغادر عبر الباب المتأرجح:

- آسف يا شباب.

سأل بيورن:

- ماذا يحصل؟

- ليس الكثير.

ورفع هاري وجهه إلى المطر ليبرد لثانية.

- إنني على بعد خمس دقائق من المنزل يا بيورن، لذا سأقود السيارة إلى هناك لأستحم وأضع بعض الضمادات وأرتدي بعض الملابس المناسبة أولاً.

أنهى المكالمة، ورأى موظف المرأب يقف بجانب سيارته ممسكاً بدفتر ملاحظاته.

سأله هاري:

- أتفكر بفرض غرامة علي؟

أجاب الموظف من دون أن ينظر إليه:

- أنت تسد مدخل مشفى، لذا يمكنك أن تكون متأكداً من أني سأفعل ذلك.

- أظن أنه من الأفضل أن تبتعد لأبعد لك السيارة عن الطريق.

- لا أظن أنه ينبغي لك الحديث معي بهذا الأسلوب...

حدق الموظف وتجمد في مكانه حين رأى هاري ومسدس أوديسا. كان لا يزال متجمداً في مكانه حين ركب هاري سيارته وأعاد المسدس إلى الحزام وأدار المفتاح وأفلت المقبض وانطلق في الطريق.

انعطف هاري إلى سليمدالسفين، وزاد من سرعته وهو يمر بقطار متجه نحوه، ثم دعا بصمت كي يكون أرنولد فولكستاد في طريقه إلى البيت مثله.

انعطف إلى هولمنكولفن وهو يأمل أن لا تصاب راكيل بالذعر حين تراه، وأن أوليغ...

يا الله، كم يتوق لرؤيتهما، حتى الآن في وضعه هذا... خاصة الآن.

أبطأ حين انعطف إلى الممر المؤدي إلى المنزل.

ثم ضغط على المكابح.
وضع السيارة بالمقلوب.
ونزل ببطء.
نظر إلى السيارات المركونة التي قد مر بها للتو في الممر، وتوقف وهو يتنفس من أنفه.
لقد كان أرنولد فولكستاد في طريقه إلى البيت مثله؛ بيته هو.
فقد كانت هناك سيارة فيات مركونة بين سيارتي أودي ومرسيدس.

50

وقف هاري تحت شجرات الحور بضع ثوانٍ وهو يتفحص المنزل.

من هناك، لم يكن بإمكانه رؤية أي علامات تدلّ على وجود اقتحام؛ لا من خلال الباب ذي الأقفال الثلاثة، ولا من خلال القضبان التي تغطي النوافذ.

بالطبع، لم يكن واثقاً من أن سيارة الفيات تعود لفولكستاد؛ فالكثير من الناس يملكون سيارات فيات. وضع هاري يده على صندوق السيارة الذي كان لا يزال دافئاً. كان قد ترك سيارته في وسط الطريق.

ركض هاري عبر الأشجار حتى وصل إلى الجهة الخلفية للمنزل.

انتظر... أنصت... لا شيء.

زحف نحو الجدار، وتمدد وهو يحدق عبر النوافذ، لكنه لم يرَ سوى الغرف المظلمة.

استمر بالدوران حول المنزل حتى وصل إلى نوافذ المطبخ وغرفة المعيشة المضاءة.

وقف على رؤوس أصابعه ونظر للداخل، ثم اختبأ مجدداً، ثم اتكأ على أشجار الصنوبر وهو يركز على تنفسه لأن عليه التنفس جيداً الآن ليضمن حصول جسمه على كفايته من الأوكسجين ليتمكن من التفكير بسرعة.

قلعة. وما الفائدة من ذلك؟

لقد حصل عليهما.

لقد كانوا هناك.

أرنولد فولكستاد وراكيل وأوليغ.

ركز هاري على حفظ ما كان قد رآه.

كانوا جالسين في الردهة إلى جانب الباب الأمامي.

أوليغ على كرسي خشبي في منتصف الغرفة، بينما تقف راكيل وراءه. كان فم أوليغ مكمماً، بينما كانت راكيل منهمكة بتقييده.

وعلى بعد بضعة أمتار وراءهما كان أرنولد فولكستاد جالساً على كرسي وقد أمسك بمسدس بيده، ومن الواضح أنه يلقي الأوامر لراكيل.

التفاصيل... كان مسدس فولكستاد من نوع هيكلر آند كوش، من النوع الذي يستخدمه رجال الشرطة... فهو موثوق... لا يعلق. كان هاتف راكيل المحمول على طاولة غرفة الجلوس، ولم يكن يبدو أن أحداً منهما قد

تأذى بعد... حتى اللحظة.

لماذا...؟

توقف هاري عن التفكير. لم يكن هناك أي مكان أو وقت لأي استفسارات عن السبب. كل ما يهم هو كيف يمكنه إيقاف فولكستاد.

كان هاري قد رأى أن الوضع مستحيل؛ إذ لن يتمكن من إطلاق النار على أرنولد فولكستاد من دون تعريض أوليغ وراكيل للخطر.

رفع هاري رأسه فوق إفريز النافذة ثم اختبأ مجدداً.

ستنهي راكيل عملها عما قريب.

وسيبدأ فولكستاد بعمله عما قريب.

كان قد رأى الهراوة المتكئة على المكتبة إلى جانب الكرسي، والتي سيستخدمها فولكستاد عما قريب لتهشيم وجه أوليغ كما فعل مع الآخرين... هذا الصبي الصغير الذي لم يكن حتى من الشرطة. لا بد أن فولكستاد يظن أن هاري ميت، لذا فالانتقام لا طائل منه. لماذا...؟ توقف.

كان عليه الاتصال ببيورن ليطلب منه إرسال فرقة دلتا؛ فهم في الغابة في الطرف الخطأ من البلدة. لكن ذلك سيستغرق منهم خمساً وأربعين دقيقة. تباً! عليه القيام بذلك بمفرده!

أقنع هاري نفسه أن أمامه وقتاً كافياً.

أمامه بضع ثوانٍ وربما دقيقة.

لكنه لم يكن يأمل باستخدام عامل المفاجأة في حال حاول الدخول؛ إذ إن أمامه ثلاثة أقفال عليه فتحها، وسيسمعه فولكستاد قبل أن يدخل بزمن. إنه يصوب مسدسه إلى رأسي راكيل وأوليغ.

بسرعة! بسرعة! أي شيء يا هاري.

أخرج هاتفه المحمول ليرسل رسالة نصية لبيورن، لكن أصابعه لم تطعه، فقد تجمدت وتخدرت وكأن الدم قد انقطع عنها.

ليس الآن يا هاري. لا تتجمد. هذا رقم معياري، وليسا حبيبتك وابنها. إنهما... ضحيتان... ضحيتان لا يعرفهما. تباً، إنهما... المرأة التي كنت ستتزوجها، والصبي الذي كان يناديك بابا حين كان صغيراً ومتعباً للغاية... الصبي الذي لم ترغب بتخييب أمله، لكنك لا تزال تنسى ذكرى ميلاده؛ مما يجعلك على وشك البكاء وأنت تحاول خداعه... كنت دائماً تحاول خداعه.

رمش هاري في الظلام.

أيها المخادع العجوز.

الهاتف المحمول على الطاولة. أيتصل بهاتف راكيل ويرى إن كان

بإمكانه جعل فولكستاد يقف ويتحرك بعيداً عنهما ثم يطلق عليه الرصاص؟

وماذا إن لم ينهض؟ ماذا سيفعل إن بقي في مكانه؟

اختلس هاري النظر مرة أخرى، ثم اختبأ وهو يأمل أن لا يكون فولكستاد قد رأى حركته. نهض فولكستاد وهو يحمل الهراوة بيده ودفع راكيل جانباً. حتى لو كان مجال إطلاق النار مفتوحاً أمامه ففرصته ضئيلة في أن يصيب فولكستاد من على بعد عشرة أمتار. إنه بحاجة لسلاح أكثر دقة من مسدس أوديسا الروسي. عليه الاقتراب أكثر لحدود مترين.

سمع صوت راكيل عبر النافذة.

- لا تؤذه من فضلك!

ضغط هاري رأسه على الجدار مغمضاً عينيه. تصرف... تصرف. لكن، كيف؟ أيها الرب الرحيم أخبرني كيف، امنح مذنباً إيحاء لينقذ حياة شخص بريء. تنشق هاري وهو يتضرّع بصمت.

حدقت راكيل بالرجل ذي اللحية الحمراء الذي كان يقف وراء كرسي أوليغ مباشرة وهو يضع طرف الهراوة على كتفه. وفي اليد الأخرى كان يمسك بمسدس يوجّهه إليها.

- آسف جداً يا راكيل، إذ لا يمكنني ترك الصبي فهو الهدف الحقيقي كما ترين.

- لكن، لماذا؟ لماذا تفعل هذا يا أرنولد؟ هذا... هذا...

لم تنتبه راكيل لبكائها، لكن الدموع الحارة سالت على وجنتيها كردة فعل تعبر عن مشاعرها.

ابتسم أرنولد فولكستاد وقال:

- قاسٍ؟ أهذا ما ترغبين بقوله... بإمكاننا جميعاً الاستمتاع بالانتقام المهيب، لكنْ لا أحد مستعد لذلك أو قادر على تنفيذه.

- لكن، لماذا؟

- لأن بإمكاني أن أحب وأكره. حسناً، لم يعد بإمكاني الآن أن أحب أكثر، لذا استبدلت ذلك بـ... بهذه.

ورفع الهراوة ثم أكمل.

- إنني أمجد ذكرى صديقي الحميم. فكما ترين، لم يكن رينيه مجرد صديق عاديّ، وإنما كان...

وضع الهراوة على الأرض وأسندها على ظهر الكرسي، وبحث في جيبه من دون أن يخفض المسدس...

- لقد كان قرة عيني، لكنهم أخذوه مني ولم يحرك أحد ساكناً حيال ذلك.

حدقت راكيل بما يمسكه. كان ينبغي لها أن تشعر بالصدمة وتخاف، لكنها لم تشعر بأي شيء فقد تحجر قلبها.

- كانت لديه أجمل عينين وكذلك مايكل بيلمان، لذا أخذت من هذا الأخير أفضل ما لديه.

- عينه. لكن، لماذا أوليغ؟

- ألا تفهمين يا راكيل؟ لقد أخبرني هاري أنه سيصبح شرطياً، في حين أنه فشل مسبقاً في الالتزام بواجباته؛ مما يجعله واحداً منهم.

- واجباته؟! أي نوع من الواجبات؟

- الواجب في القبض على المجرمين وتنفيذ الأحكام ضدهم. إنه يعرف من قتل غاستو هانسن. تبدين متفاجئة، لكنني ألقيت نظرة على القضية، ومن الواضح أنه إن لم يكن أوليغ هو القاتل فإنه يعرف المجرم، وأي شيء آخر مستحيل منطقياً. ألم يخبرك هاري؟! لقد كان أوليغ موجوداً هناك عند مقتل غاستو يا راكيل. وهل تعرفين ماذا خطر ببالي حين رأيت غاستو في صور مسرح الجريمة؟ لقد كان في ريعان الشباب؛ تماماً مثل رينيه. كانت لديهما الحياة بكاملها.

- وابني أمامه الحياة بكاملها أيضاً! أرجوك يا أرنولد، لست بحاجة لفعل هذا.

وحين خطت خطوة باتجاهه رفع المسدس وصوبه؛ ليس نحوها وإنما نحو أوليغ.

- لا تقلقي يا راكيل، ستموتين أيضاً. صحيح أنك لست هدفاً، لكنك شاهدة وعلي التخلص منك.

- سيجدك هاري وسيقتلك.

- آسف لأنني سأسبب لك مثل هذا الألم العظيم يا راكيل، فأنا أحبك حقاً، لكنني أظن أنه من حقك أن تعرفي، فهاري لن يجد شيئاً لأنه قد مات.

حدقت به راكيل غير مصدقة، فقد كان متأسفاً حقاً. فجأة، أضاء الهاتف على الطاولة وأصدر رنيناً بسيطاً. نظرت إليه وقالت:

- يبدو أنك مخطئ.

عبس أرنولد فولكستاد.

- أعطيني الهاتف.

تناولت راكيل الهاتف وأعطته إياه، فضغط بالمسدس على رقبة أوليغ وهو يمسك بالهاتف، وقرأ الرسالة بسرعة، ثم نظر نظرة حادة إلى راكيل.

- «لا تدعي أوليغ يرى الهدية»، ما الذي يعنيه هذا؟

هزت راكيل كتفيها وقالت:

- يعني أنه على قيد الحياة.

- هذا مستحيل. لقد قالوا عبر المذياع إن قنبلتي قد انفجرت.

- ألا يمكنك الذهاب الآن يا أرنولد قبل أن يفوت الأوان؟

رمش فولكستاد مفكراً وهو يحدق بها.

- فهمت. أحد ما سبق هاري وذهب إلى الشقة فانفجرت القنبلة. هاري في طريقه إلى هنا الآن أليس كذلك؟ إنه لا يشك بشيء. يمكنني إطلاق النار عليك، ثم أنتظره ليدخل عبر الباب.

بدا مستغرقاً في التفكير مرة أخرى، ثم أومأ كما لو أنه توصل إلى النتيجة نفسها، وصوب المسدس إلى راكيل.

بدأ أوليغ يتلوى على الكرسي وهو يحاول القفز ويئن بيأس عبر الكمامة، بينما حدقت راكيل بفوهة المسدس وهي تشعر أن قلبها قد توقف عن النبض؛ كما لو أن عقلها قد تقبل المحتوم. لم تعد خائفة، فقد كانت تريد الموت... الموت لأجل أوليغ؛ إذ يمكن أن يصل هاري قبل أن... ربما يتمكن من إنقاذ حياة أوليغ لأنها تعرف شيئاً الآن. أغمضت عينيها وانتظرت شيئاً لم تكن تعرفه... ضربة... طعنة... ألماً... ظلمة.

طقطق قفل الباب الأمامي.

فتحت عينيها.

أخفض أرنولد المسدس وحدق بالباب.

صمت بسيط ثم بدأ يطقطق مجدداً.

خطا أرنولد للخلف وتناول الغطاء من على كرسي ورماه على أوليغ بحيث غطاه وغطى الكرسي.

همس:

- تصرفي كما لو أن شيئاً لم يحدث. إن قلت كلمة واحدة فسأضع رصاصة في مؤخرة رأس ابنك.

صدرت طقطقة ثالثة ورأت راكيل أرنولد يقف وراء أوليغ والكرسي بحيث يكون المسدس مخفياً عن الباب الأمامي.

ثم فتح الباب.

كان هناك. شخص طويل بابتسامة مشرقة وسترة مفتوحة ووجه ممزق.

تساءل بابتهاج:

- أرنولد! أهلاً بك!

ضحك أرنولد:

- مظهرك مضحك يا هاري! ماذا حدث؟

- قاتل رجال الشرطة. قنبلة.

- حقاً؟

- لا شيء خطير. ما الذي جاء بك إلى هنا؟

- لقد مررت بطريقي من هنا فتذكرت أن علي مناقشة بضعة أمور حول جدول المحاضرات. أتمانع التقدم قليلاً إلى هنا للحظة؟

- ليس قبل أن أعانقها عناقاً حاراً.

وفتح ذراعيه لراكيل التي استسلمت له.

- كيف كانت الرحلة يا عزيزتي؟

سعل أرنولد:

- يمكنك تركه الآن يا راكيل، فلدي بضعة أشياء أريد أن أنجزها الليلة.

قال هاري ضاحكاً وهو يفلت راكيل ويدفعها جانباً ويخلع معطفه:

- إنك جدي للغاية يا أرنولد.

- إذاً، تعال إلى هنا.

- النور أفضل هنا يا أرنولد.

- ركبتاي تؤلمانني. تعال إلى هنا.

انحنى هاري وفك رباط حذائه وهو يقول:

- لقد تعرضت لانفجار ضخم اليوم، لذا اعذرني إن خلعت حذائي أولاً، كما أن عليك استخدام ركبتيك لتخرج من هنا بكل الأحوال، لذا أحضر جدول المحاضرات إلى هنا إن كنت مستعجلاً للغاية.

حدق هاري بحذائه. كانت المسافة بينه وبين الكرسي المغطى ستة أمتار أو سبعة، أي إنها بعيدة للغاية بالنسبة لشخص اعترف أن نظره وارتعاشه يمنعانه من إصابة هدف عن بعد يزيد عن نصف متر. والآن، جثم الهدف فجأة، وأصبح أصغر حجماً بخفض رأسه والانحناء للأمام لكي يحمي رأسه بكتفيه.

سحب رباط الحذاء متظاهراً أنه معقود.

كان يحاول إغراء أرنولد.

كانت هناك طريقة واحدة للقيام بذلك، وربما هذا ما جعله هادئاً

ومسترخياً... كل شيء أو لا شيء. لقد فعل ما يستطيع فعله، ولم يعد بوسعه القيام بأي شيء سوى التضرّع.

وربما أحس أرنولد بهذا الهدوء.

- كما ترغب يا هاري.

سمع هاري خطوات أرنولد وهو يمشي عبر الردهة، فيما كان لا يزال مركزاً على رباط حذائه. وقد عرف أن أرنولد قد تجاوز أوليغ على الكرسي... أوليغ الذي كان جالساً بسكون كما لو أنه يعلم بما سيحدث.

ثم مر أرنولد براكيل.

جاءت اللحظة الحاسمة.

رفع هاري نظره، وحدق بفوهة المسدس... العين السوداء التي تحدق به من على بعد عشرين أو ثلاثين سنتيمتراً.

كان يعلم منذ اللحظة التي دخل فيها المنزل أن أي حركة بسيطة ومفاجئة ستزعج أرنولد وتجعله يطلق النار على أقرب شخص إليه... أوليغ. أكان أرنولد يعلم أن هاري مسلح؟ أكان يعلم أنه سيأخذ معه مسدساً إلى اجتماعه بترولس بيرنتسين؟

ربما، وربما لا.

لم يكن هناك أي فرق. لم يكن لدى هاري أي وقت ليسحب مسدسه الآن مهما كان ذلك سهلاً.

- لماذا يا أرنولد...؟

- وداعاً يا صديقي.

شاهد هاري إصبع أرنولد فولكستاد وهي تشتد على الزناد.

وعلم أن التوضيح لن يأتي... الشيء الذي نظن أننا سنراه في نهاية رحلتنا. لا التوضيح، ولا السبب الذي يدفع شخصاً كفولكستاد للتضحية بحياته لتدمير حياة الآخرين. بدلاً من ذلك، سيكون هناك ذلك الغشيان... ذلك الانقطاع السريع للحياة... ذلك التوقف التافه لكن المنطقي في منتصف عبارة... إلى أين.

احترق المسحوق بسرعة انفجارية، فأدى الضغط إلى إطلاق الرصاصة بسرعة ثلاثمائة وستين متراً في الثانية. دارت الرصاصة عبر الهواء لتحافظ على ثباتها، لكن ذلك لم يكن ضرورياً الآن، لأنها بعد بضع ثوانٍ اخترقت البشرة، وأبطأت حين التقت بالجمجمة. وحين وصلت الرصاصة إلى الدماغ انخفضت سرعتها إلى ثلاثمائة كيلومتر في الساعة، لتمر وتدمر أولاً القشرة الخارجية وتشل حركته، ثم تخترق الفص الجداري وتوقف وظائف الفصين

الأيمن والأمامي، ثم تقطع الأعصاب البصرية وتضرب داخل القحف من على الجانب المقابل. كانت الزاوية والسرعة تعنيان أنه بدلاً من أن تكمل الرصاصة طريقها وتخرج فإنها سترتد وتضرب الأجزاء الأخرى من الجمجمة بسرعة أقل ثم تتوقف. كانت قد تسببت بالكثير من الأذى حيث توقف القلب عن النبض.

51

ارتعشت كاترين واستكانت بين ذراعي بيورن، فقد كان البرد قارساً في دار العبادة الكبيرة... برد في الداخل وبرد في الخارج. كان يجب عليها ارتداء المزيد من الملابس.

كانوا ينتظرون. كان الجميع في دار العبادة في أوبسال ينتظرون ويسعلون. لماذا يبدأ الناس بالسعال ما إن يدخلوا دار العبادة؟ هل الغرفة هي التي تثير الحنجرة والبلعوم؟ حتى في دور العبادة الحديثة المصنوعة من الزجاج كهذه تراهم يفعلون ذلك! أيعود ذلك لحرصهم على عدم إصدار أي صوت قد يتضخم ويتردد صداه؟ أو إنها طريقة بشرية لإطلاق المشاعر الكامنة والسعال بدلاً من الضحك أو البكاء؟

أمالت كاترين رأسها. كان هناك اجتماع بسيط للأشخاص الذين تظهر الأحرف الأولى من أسمائهم في قائمة جهات الاتصال في هاتف هاري المحمول. رأت شتال أون يضع ربطة عنق مع زوجته، وغونار هاغن مع زوجته أيضاً.

تنهدت. كان يجب عليها ارتداء المزيد من الملابس. حتى بيورن هولم لم يكن يبدو أنه يشعر بالبرد... بذلة داكنة اللون. لم تكن تعلم أنه سيبدو أنيقاً لهذه الدرجة في بذلة داكنة. ربتت على صدغه؛ ليس لأن عليه شيئاً ما، وإنما لأنها كانت ترغب بذلك كتعبير حميم عن الحب، حيث يلتقط القرد القمل من فرو قرد آخر.

تم حل القضية.

للحظة، كانوا خائفين من أنهم قد فقدوه، وأن أرنولد فولكستاد - المعروف الآن باسم قاتل رجال الشرطة - قد تمكن من الهرب إلى خارج البلاد أو العثور على مخبأ له في النروج... لا بد أنه مخبأ عميق ومظلم؛ إذ بعد مرور أربع وعشرين ساعة من الإنذار المبدئي، تم نشر أوصافه والمعلومات الشخصية عنه على جميع وسائل الإعلام، بتفاصيل تجعل كل شخص يتمتع بعقل سليم في البلاد يكوِّن فكرة عمن يكون أرنولد فولكستاد وكيف يبدو. وفي تلك الأثناء، توصلت كاترين إلى أنهم كانوا قريبين جداً من الحل منذ زمن؛ حين طلب منها هاري أن تتحقق من العلاقة بين رينيه كالسنس ورجال الشرطة الآخرين؛ فقط لو أنها وسعت بحثها ليشمل رجال الشرطة السابقين لاكتشفت مدى ارتباط أرنولد فولكستاد بذلك الشاب.

توقفت عن التربيت على صدغ بيورن فابتسم لها بامتنان. كانت

ابتسامة سريعة مع ارتعاش بسيط حول الذقن، وكأنه على وشك البكاء. لقد رأتها الآن... ولأول مرة سترى بيورن هولم يبكي اليوم. سعلت.

جلس مايكل بيلمان في الصف الأخير وهو يحدق بساعة يده.

كانت لديه مقابلة أخرى بعد ثلاثة أرباع الساعة مع صحيفة ستيرن التي يتابعها ملايين القراء. إذ إن هناك صحفياً أجنبياً آخر يرغب بسماع قصة عمل رئيس الشرطة بلا ملل أسبوعاً تلو الآخر وشهراً تلو الآخر للقبض على ذلك المجرم؛ حتى كاد في النهاية يصبح ضحية لقاتل رجال الشرطة. سيصمت مايكل مجدداً لفترة قصيرة قبل أن يقول إن العين التي ضحى بها كانت ثمناً بخساً لقاء ما قد حققوه: منع مجرم مجنون من القضاء على حياة المزيد من رجال الشرطة.

رفع مايكل بيلمان كمّيه نحو الأعلى، فظهرت ساعة يده. كان ينبغي لهم البدء الآن. ماذا ينتظرون؟ كان قد فكر باختياره للملابس اليوم... أيختار الأسود ليتناسب مع الملابس وعصبة العين؟ كانت العصبة رائعة، حيث روت قصته بطريقة فعالة ومثيرة، وحيث أصبح وفقاً لصحيفة أفتنبوستن أكثر شخصية نروجية تم نشر صورها في الصحافة العالمية هذا العام. أم يختار شيئاً داكناً يكون مقبولاً لكنه ليس لافتاً للنظر لأجل المقابلة في ما بعد؟ كان عليه التوجه مباشرة من المقابلة إلى اجتماع مع رئيس مجلس المدينة، لذا اختارت له أولا لوناً داكناً.

إن لم يبدأوا فوراً فسيتأخر.

فكر. هل يشعر بأي شيء؟ لا. بماذا ينبغي أن يشعر؟ في كل الأحوال، لم يكن هاري هول وهو صديقين مقربين، ولم يكن واحداً من رجاله في شرطة أوسلو، لكن هناك احتمالاً في أن تكون وسائل الإعلام منتظرة في الخارج، وبالطبع سيكون من الجيد أن يظهر وجهه في دار العبادة. كان من المستحيل تجاهل فكرة أن هاري هول هو أول من وجه أصابع الاتهام إلى أرنولد فولكستاد. ومع الأبعاد التي اتخذتها هذه القضية، تم ربط مايكل بهاري، وستصبح العلاقات العامة أكثر أهمية من ذي قبل. كان يعلم مسبقاً بسبب الاجتماع مع رئيس مجلس المدينة؛ إذ فقد الحزب شخصية قوية كإيزابيل سكوين، وأصبح من الضروري البحث عن بديل لها... شخص مشهور ومحترم سيرغب الجميع بوجوده في الفريق ليمضي بأوسلو قدماً. حينما اتصل به الرئيس بدأ المكالمة بمدح الانطباعات الحارة والتأملية التي أعطاها بيلمان في مقابلاته الصحفية، ثم تساءل إن كان البرنامج

السياسي للحزب ينسجم مع موقف مايكل بيلمان السياسي.

ينسجم... يمضي بأوسلو قدماً.

مدينة مايكل بيلمان.

إذاً، ليحاول استغلال هذه الفرصة.

أحس بيورن هولم بكاترين ترتجف تحت ذراعه، وأحس بالعرق البارد تحت سروال بذلته، وفكر أنه سيكون يوماً طويلاً... إنه يوم طويل قبل أن يتمكن هو وكاترين من خلع ملابسهما والتوجه إلى السرير معاً، وأن يدعا الحياة تكمل مجراها كما استمرت بالنسبة لأولئك الذين تم هجرهم سواء أرادوا ذلك أم لا. وبينما جال نظره على صفوف المقاعد الخشبية فكر بكل أولئك الغائبين... بتي لون... إيرلند فينيسلا... أنطون ميتيت... فيا ابنة رور ميدتستوين. كما فكر براكيل فوك وأوليغ فوك اللذين لم يكونا حاضرين هنا أيضاً... اللذين دفعا ثمن ارتباطهما بشخص يقف أمامهم إلى جانب المذبح... هاري هول.

وبطريقة غريبة، بدا وكأن الرجل في المقدمة سيستمر في ما هو عليه: ثقب أسود يسحب كل شيء جيد حوله، ويستهلك كل الحب الذي يتم تقديمه له والحب الذي لم يتم تقديمه له.

كانت كاترين قد قالت البارحة بعد أن أويا للفراش إنها أيضاً كانت واقعة في حب هاري هول؛ ليس لأنه يستحق هذا الحب، ولكن لأنه كان من المستحيل أن لا تحبه. بالطبع لقد أحبته، لكن ذلك قد مضى، ورغبتها قد زالت - أو إنها حاولت إزالتها - لكن الجرح الصغير الذي نتج عن كسر قلبها هي والعديد من النساء سيظل هناك. إلا أن الأمر انتهى الآن، حيث طلب منها بيورن أن تغير الموضوع.

بدأت الموسيقى تصدح من آلة الأرغن. لطالما كانت آلة الأرغن نقطة ضعف بيورن؛ فهي تذكره بأرغن أمه في غرفة الجلوس في سكريا الذي يعطي نغمات بالية كانت تبدو لبيورن كالجلوس في حوض استحمام من العلامات الموسيقية الدافئة وتمني أن لا تغلبك الدموع.

لم يقبضوا قط على أرنولد فولكستاد، فقد فر بجلده.

ربما توصل فولكستاد إلى أن مهمته قد انتهت وكذلك حياته، فقام بالشيء المنطقي الوحيد. لقد استغرق الأمر ثلاثة أيام حتى وجدوه... ثلاثة أيام من البحث اليائس. كان لدى بيورن شعور بأن البلاد بأكملها تبحث عنه، ولهذا شعر بنوع من الخاتمة غير المشرفة حين وردت الأنباء بأنه قد

تم العثور عليه في الغابة في ماريدال على بعد بضع مئات الأمتار من المكان الذي وجدوا فيه إيرلند فينيسلا حاملاً مسدساً بيده ويوجد ثقب صغير خفي في رأسه. كانوا قد وجدوه بفضل سيارته، حيث تمت رؤيتها في مرأب سيارات بالقرب من بداية طريق الغابة... سيارة فيات قديمة تم الإعلان عنها أيضاً في الإنذار الذي بثّ عبر البلاد.

قام بيورن بنفسه بقيادة الفريق الجنائي، حيث وجدوا أرنولد فولكستاد الذي يبدو بريئاً ومستلقياً على ظهره في المرج، وهو يبدو غريباً بلحيته الحمراء. كان مستلقياً تحت بقعة مكشوفة من السماء، لا تغطيها الأشجار الملتفة حوله، وفي جيبه وجدوا مفاتيح سيارته، وباب الشقة التي حصل فيها الانفجار في بوابة هوسمنز 92 ، ومسدس هيكلر آند كوش، بالإضافة إلى المسدس الذي كان يحمله بيده، ومحفظة تحوي صورة شاب تعرف عليه بيورن فوراً على أنه رينيه كالسنس.

وبما أن المطر لم يتوقف خلال الساعات الأربع والعشرين الماضية، والجثة بقيت في العراء لثلاثة أيام، لم يكن هناك الكثير من الأدلة ليتم فحصها، لكن الأمر لا يهم إذ حققوا ما يريدونه. وجدوا على الجلد حول جرح الدخول في صدغه الأيمن علامات احتراق نجمت عن اللهب الذي انبعث من المسدس وبقايا البارود المحترق. وقد أظهرت النتائج البالستية أن الرصاصة التي عُثِر عليها في رأسه قد جاءت من المسدس في يده.

لذلك لم يركزوا جهودهم حول وفاته، وبدأوا بالتحقيق حين اقتحموا منزله ووجدوا معظم ما يحتاجون إليه لإثبات ارتكابه جميع جرائم قتل رجال الشرطة... هراوات مغطاة بدم الضحايا وشعرهم، ومنشار عليه الحمض النووي لبتي لون، ومجرفة ملطخة بالتراب والوحل من مقبرة فيستر، ورباط بلاستيكي وأشرطة تستخدمها الشرطة من النوع نفسه الذي تم العثور عليه خارج درامن، وأحذية تتطابق مع علامات الأقدام في تريفان. كان لديهم كل شيء ليتبعه فراغ حسبما كان هاري يقول دائماً.

لأنه فجأة لم يعد لديهم أي شيء آخر.

لم يكن الأمر كمقاومة شريط أو التوجه إلى مرفأ أو النزول في محطة.

كان الأمر أشبه بالأسفلت... بجسر حيث تختفي الآثار. كان نهاية الطريق، حيث بدأ الغوص في العدم.

انتهى. كان يكره هذه الكلمة.

لذا، قام بدافع اليأس بالغوص في أعماق التحقيق في جرائم القتل

الأصلية حتى وجد ما كان يبحث عنه... صلة بين مقتل الفتاة في تريفان وجوداس جوهانسن وفالنتين غجيرتسين. لم تكن بصمات الأصابع تتطابق، لكن لم يتم الاهتمام باحتمال بنسبة ثلاثين بالمائة. لا، لم ينتهِ الأمر، فهو لا ينتهي على الإطلاق.

- سيبدأون الآن.

كادت شفتا كاترين تلمسان أذنه، بينما ارتفع عزف الموسيقى وتحول إلى موسيقى يعرفها. ابتلع بيورن ريقه بصعوبة.

أغمض غونار هاغن عينيه لثانية وأنصت للموسيقى وهو يفكر فتوالت الأفكار. لقد انتهت القضية وانتهى كل شيء ودفنوا ما عليهم دفنه، لكن لا يزال هناك ذلك الأمر البسيط الذي لم يتمكن من دفنه ولا التخلص منه، والذي لم يذكره لأحد حتى الآن. لم يكن قد ذكره لأنه قد لا يكون هناك أي طائل منه... الكلمات السويدية التي همس بها أساييف بصوته الأجش خلال الثواني التي أمضاها معه في ذلك اليوم في المشفى.

- ماذا يمكنك أن تقدم لي إن وافقت على الشهادة ضد إيزابيل سكوين؟ لا أعرف من هو، لكنني أعلم أنها تعمل مع شخص رفيع المستوى في الشرطة.

تردد صدى الكلمات كمزاعم غير مثبتة ستكون مؤذية بدلاً من كونها مفيدة بعد أن تم استبعاد سكوين.

لذا، أبقى الأمر سراً لنفسه.

كأنطون ميتيت مع الهراوة اللعينة.

لقد اتخذ القرار، لكن ذلك أبقاه مستيقظاً في الليل.

- أعلم أنها تعمل مع شخص رفيع المستوى في الشرطة.

فتح غونار هاغن عينيه مجدداً.

مرر عينيه ببطء على الناس المجتمعين.

جلس ترولس بيرنتسين فاتحاً نافذة سيارة السوزوكي فيتارا ليتمكن من سماع موسيقى الأرغن من دار العبادة الصغيرة. أشرقت الشمس في السماء الصافية لتنشر الدفء. لم يكن يحب أوبسال على الإطلاق، فقد قام كالسفاحين بضرب الكثيرين وتلقي الكثير من الضرب فيها... لكن بالطبع ليس بالسوء الذي حصل معه في بوابة هوسمنز. لحسن الحظ، بدا الأمر أسوأ مما هو عليه. وفي المشفى، قال مايكل إن الأمر لا يهم بالنسبة

للأشخاص القبيحين مثله، وما مدى خطورة الارتجاج بالنسبة لشخص ليس لديه عقل؟

كان يقصد بذلك مجرد دعابة، وقد حاول ترولس بضحكه أن يظهر أنه يقدر الأمر، لكن فكه المكسور وأنفه المحطم آلماه للغاية.

كان لا يزال يتناول مسكنات ألم قوية ويضع ضمادات كبيرة حول رأسه، وبالطبع لم يكن يسمح له بقيادة السيارة، لكن ماذا يمكنه أن يفعل؟ لم يكن بإمكانه الجلوس في المنزل منتظراً حتى يتلاشى الدوار وتتعافى الجروح. حتى إن ميغان فوكس بدأت تشعره بالملل، كما أن الطبيب لم يسمح له حتى بمشاهدة التلفاز. إذاً، يمكنه الجلوس هناك فحسب... في سيارة خارج دار العبادة لـ... ليفعل ماذا؟ ليظهر احترامه لشخص لم يكن من قبل يكن له أي احترام؟ كلفتة فارغة لمعتوه غبي لم يكن يعرف مصلحته، وقام بإنقاذ حياة الرجل الوحيد الذي كان سيستفيد من موته؟ لم يكن بإمكان ترولس بيرنتسين فهم الأمر، لكنه كان يعلم أنه يريد العودة للعمل حالما يتعافى وتصبح المدينة مدينته مجدداً.

تنفست راكيل بصعوبة بينما كانت أصابعها رطبة حول باقة الورد، وهي تحدق بالباب وتفكر بالناس الجالسين في الداخل... الأصدقاء والأقارب والمعارف ورجل الدين. لم يكن هناك الكثيرون، لكنهم كانوا ينتظرون ولا يمكنهم البدء من دونها.

قال أوليغ:

- أتعدينني أن لا تبكي؟
- حسناً.

وابتسمت باقتضاب وهي تربت على وجنته. لقد أصبح طويلاً للغاية ووسيماً، كما اضطرت لشراء بذلة داكنة له، ولم تلاحظ أن طول ابنها قريب من طول هاري البالغ متراً واثنين وتسعين سنتيمتراً إلا حين كانوا في المتجر يأخذون مقاساته. تنهدت.

قالت وهي تشبك ذراعها بذراعه:

- من الأفضل أن ندخل.

فتح أوليغ الباب فتلقى إيماءة من رجل الدين في الداخل، وبدأ بالمشي في الممر. وحين رأت راكيل جميع الوجوه تلتفت إليها أحست بتوترها يتلاشى. لم تكن هذه فكرتها بل كانت معارضة لها، لكن أوليغ تمكن من إقناعها في النهاية؛ إذ كان يظن أنه من الأفضل أن ينهوا الأمر هكذا... كانت تلك الكلمة التي استخدمها: ينهوا. لكن، ألم يكن الأمر مجرد

بداية؟ بداية فصل جديد من حياتهم؟ على الأقل هذا ما شعرت به، وفجأة بدا لها أن هذا هو الأمر الصواب... أن تكون هنا الآن.

ظهرت ابتسامة على وجهها وهي تنظر لجميع الوجوه الأخرى المبتسمة. للحظة ظنت أنه إن اتسعت ابتسامتها أو ابتساماتهم فسيقع حادث خطير، وهنا بدأ منظر الوجوه يثير ضحكها. قالت لنفسها لا تضحكي... ليس الآن. لاحظت أن أوليغ الذي كان يركز على المشي بالتزامن مع الموسيقى قد أحس بمزاجها، فنظرت إليه نظرة خاطفة، ورأت تعابير وجهه المتفاجئة والتحذيرية، ثم أشاح بنظره بعيداً؛ فقد رأى أن أمه تعاني من نوبة من الضحك الآن، ووجد أن الأمر غير لائق على الإطلاق، لذا بدأ بالضحك أيضاً.

ولتركز ذهنها على شيء آخر... على ما سيحصل... على الوقار... ثبتت نظرها على الرجل الذي كان ينتظر بجانب المذبح... هاري... الذي كان يرتدي بذلة سوداء اللون.

وقف قبالتهما بابتسامة غبية على وجهه الوسيم، وهو يبدو طويلاً ومغروراً كطاووس. حين وقف بجوار أوليغ في متجر غونار أوي للملابس أعلن الموظف المسؤول عن أخذ المقاسات أنه لا تفصل بينهما سوى ثلاثة سنتيمترات، فقام الصبيان الكبيران بضرب راحتي يديهما معاً كما لو أنهما كانا راضيين عن نتيجة مسابقة.

لكن، الآن في هذه اللحظة بالذات بدا هاري بالغاً، حيث أحاطت به أشعة الشمس المنحدرة عبر النوافذ ذات الزجاج الملون فبدا أطول من ذي قبل، وهادئاً كالمعتاد. في البداية، لم تستطع فهم كيفية تمكنه من الحفاظ على هدوئه بعد كل ما حصل، إذ إنها لم تتمكن من النوم لبضعة أسابيع بعد أن جاء أرنولد فولكستاد إلى منزلهم؛ على الرغم من أن هاري كان يعانقها ويهمس في أذنها قائلاً إن الأمر قد انتهى، وإنه قد رحل أيضاً وإنهم لم يعودوا بخطر. كان يكرر الكلمات نفسها ليلة تلو الأخرى كتهويدة منومة، لكنها لم تكن كافية، ثم بدأت تدريجياً تصدقه. وبعد بضعة أسابيع توضحت الأمور، وبدأت تنام مجدداً بعمق من دون أن ترى أي كوابيس يمكنها تذكرها عندما تستيقظ على صوته وهو يخرج من السرير في ضوء الصباح، ظانًّا كالعادة أنها لم تلاحظ، فتتظاهر كالعادة أيضاً أنها لم تلاحظ لأنها كانت تعلم كم سيكون سعيداً وفخوراً إن علم أنها استيقظت للتو حين وقف وسعل حاملاً الفطور بيديه.

توقف أوليغ عن محاولة التناغم مع عزف الأرغن الآن، لكن الأمر لم

يكن ليشكل أي فرق بالنسبة لراكيل؛ إذ كان عليها أن تخطو خطوتين مقابل كل خطوة من خطواته. كانوا قد اتفقوا على أن يقوم أوليغ بوظيفة مزدوجة، وقد بدا الأمر طبيعياً للغاية ما إن فكرت بذلك. سيرافقها أوليغ إلى المذبح ويقدمها لهاري ويكون أيضاً شاهد الزواج.

لم يكن لدى هاري أي شاهد الآن، لكن كان لديه الشاهد الذي اختاره في البداية. كان الكرسي بجانب المذبح فارغاً وعليه صورة بتي لون.

وصلا إلى هناك الآن، ولم يبعد هاري ناظريه عنها للحظة.

لم تفهم قط كيف يمكن لرجل هادئ الأعصاب للغاية، ويمكنه إمضاء أيام في عالمه الخاص من دون الكلام أو أي حاجة للتحفيز الخارجي أن يضغط على زر ويصبح فجأة مدركاً لكل شيء... لكل ثانية وكل جزء بسيط من الثانية. كيف يمكنه بصوته الهادئ والأجش أن يعبر ببضع كلمات عن العواطف والمعلومات والذهول والحماقة والغباء أكثر من الحمقى الذين كانت تلتقيهم في المطاعم الفخمة.

ثم هناك عيناه اللتان كانتا قادرتين بطريقتهما الخجولة والطيبة على لفت انتباهك وإرغامك على الاهتمام.

كانت راكيل فوك ستتزوج الرجل الذي أحبته.

نظر هاري إليها بينما وقفت هناك. كانت جميلة للغاية لدرجة أثارت الدموع في عينيه؛ إذ إنه ببساطة لم يتوقع ذلك... ليس لأنها لن تكون جميلة، فمن الواضح أن راكيل فوك ستبدو مذهلة بفستان زفاف أبيض، لكنه لم يكن قد توقع أن تكون ردة فعله هكذا. كان يأمل أن لا يستغرق الأمر وقتاً طويلاً، وألاّ يكون رجل الدين تقليدياً للغاية، وقد تخيل أنه عادة في المناسبات التي تثير العواطف الجياشة يصبح خدراً وبارداً ومحبطاً نوعاً ما وهو يراقب مشاعر الأشخاص الآخرين السخية مقابل تحجره، لكنه صمم على أداء دوره بأفضل ما يمكنه، فهو من أصر على إقامة حفل زفاف في دار العبادة، والآن ها هما عيناه تغرورقان بدموع صادقة. رمش هاري بينما شاهدته راكيل، التقت نظراتهما؛ ليس بشكل مصطنع وإنما نظرة زميلين.

نظرة شخصين يقولان إنه بإمكانهما القيام بذلك معاً.

ثم ابتسمت، فاكتشف هاري أنه كان يبتسم أيضاً من دون أن يعرف من منهما بدأ بالابتسام. بدأت ترتعش وهي تخفي ضحكها، حتى أصبح الأمر مجرد مسألة وقت قبل أن تنفجر بالضحك. كانت على العموم تتسم بالوقار وكذلك هو، لذا كي لا تضحك نظرت إلى أوليغ، لكنها لم تحصل

على أي مساعدة منه إذ بدا الصبي على وشك الانفجار بالضحك أيضاً؛ حيث كان يكبت نفسه بخفض رأسه وإغماض عينيه بقوة.

يا لهذا الفريق! فكر هاري وهو يركز على رجل الدين.

الفريق الذي قبض على قاتل رجال الشرطة.

كانت راكيل قد فهمت الرسالة النصية.

لا تدعي أوليغ يرى الهدية.

كانت منطقية بما يكفي لئلا تثير ريبة أرنولد فولكستاد، كما أنها واضحة بما يكفي لتفهم راكيل ما أراده... خدعة ذكرى الميلاد القديمة.

لذا، حين دخل المنزل عانقته وأمسكت بما كان محشوراً في حزامه عند الظهر، ثم تراجعت تاركة يديها أمامها لئلا يرى أرنولد أنها كانت تمسك بشيء... كانت تمسك بمسدس أوديسا محشو وصمام أمانه مفتوح.

ما فاجأه أكثر هو أن أوليغ فهم الأمر أيضاً، وجلس بهدوء وهو يعلم أنه لا ينبغي إفساد ما يحصل؛ مما يعني أنه لم تنطلِ عليه أبداً خدع ذكرى ميلاده لكنه لم يفصح عن ذلك... يا له من فريق!

يا له من فريق تملق لأرنولد فولكستاد ليتجه نحو هاري ويترك راكيل وراءه لكي تخطو للأمام وتطلق رصاصة عبر صدغ فولكستاد بينما كان على وشك إطلاق النار على هاري.

إنهم فريق من الأبطال الذين لا يمكن هزيمتهم.

تنشق هاري بسرعة وهو يتساءل إن كانت تلك الدموع اللعينة ستبقى في مكانها، أم إن عليه مسحها ببساطة قبل أن تنحدر على وجنتيه.

قام بالخيار الآخر.

كانت قد سألته عن سبب إصراره على الزواج في دار العبادة؛ إذ إنه لم يكن متديناً، مثلها تماماً على الرغم من تربيتها الكاثوليكية، لكن هاري أجاب أنه حين كان خارج منزلهما قطع وعداً على نفسه أنه في حال مضت الأمور على ما يرام فإنه سيستسلم لهذه الطقوس، وسيتزوج في دار العبادة. عندها انفجرت راكيل ضاحكة، وقالت إن ذلك نسخة متقدمة من التصرفات الصبيانية. لكن بما أنها تحبه فإنهما بالطبع سيتزوجان في دار العبادة.

بعد أن حررا أوليغ عانقوا بعضهم بعضاً بشكل جماعي، حيث بقوا لدقيقة طويلة واقفين هناك صامتين وهم يعانقون بعضهم ويربتون على بعضهم ليتأكدوا من أن أحداً منهم لم يتأذَّ، وكما لو أن صوت الرصاصة ورائحتها لا يزالان عالقين بين الجدران، وعليهم الانتظار حتى يتلاشيا قبل

أن يتمكنوا من فعل أي شيء. بعد ذلك، طلب منهما هاري أن يجلسوا جميعاً حول طاولة المطبخ، وصب القهوة في أكواب من الآلة التي كانت لا تزال تعمل، بينما فكر: لو أن أرنولد فولكستاد كان قد نجح في قتلهم جميعاً فهل كان سيطفئ الآلة قبل أن يغادر المنزل؟

جلس وأخذ رشفة من كوبه، وألقى نظرة على الجثة المستلقية على الأرض في الغرفة على بعد بضعة أمتار منهم، وحين التفت مجدداً، التقت عيناه عيني راكيل المتسائلتين: لماذا لم يتصل بالشرطة حتى الآن؟

أخذ هاري رشفة من كوبه، وأومأ إلى مسدس أوديسا الملقى على الطاولة ونظر إليها. كانت امرأة ذكية، لذا كان الأمر متعلقاً فقط بمنحها المزيد من الوقت لتفكر وتصل إلى النتيجة نفسها. إن رفع سماعة الهاتف فسيعيد أوليغ إلى السجن.

بعد ذلك، هزت راكيل رأسها ببطء فقد فهمت. حين سيفحص رجال الشرطة الجنائيون المسدس ليتحققوا إن كان يتطابق مع الرصاصة التي سيخرجها الطبيب الشرعي من رأس فولكستاد، سيربطون مباشرة بينه وبين جريمة قتل غاستو هانسن التي لم يتم فيها العثور على سلاح الجريمة قط. وفي حال اكتشفوا أنه يتطابق مع سلاح يمكنهم ربطه بأوليغ فستتم إعادة اعتقاله وإلصاق التهمة به والحكم عليه على أساس ما سيعتبره الجميع في المحكمة حجة دامغة.

قال أوليغ الذي كان قد أحس بخطورة الوضع منذ وقت طويل:

- عليكما فعل ما يتوجب عليكما فعله.

أومأ هاري، لكنه لم يبعد عينيه عن راكيل؛ إذ ينبغي أن يكون هناك إجماع تام، وأن يكون القرار مشتركاً بينهم كما هي الحال الآن.

كان هاري قد طلب من رجل الدين أن يبقي العظة قصيرة. رأى هاري شفتي رجل الدين تتحركان، ورأى الهدوء في وجهه، فتذكر الهدوء نفسه في وجه راكيل تلك الليلة... الهدوء بعد أن أغمضت عينيها بقوة ثم فتحتهما كما لو أنها تريد أن تتأكد من أن ذلك ليس كابوساً يمكنها الاستيقاظ منه ثم تنهدت.

سألت:

- ماذا يمكننا أن نفعل؟

أجاب هاري:

- نحرق.

- نحرق؟!

هز هاري رأسه... نحرق كما يفعل ترولس بيرنتسين. الفرق هو أن الحارق كبيرنتسين يقوم بذلك مقابل المال. كان هذا كل شيء.

وهكذا بدأوا بالعمل.

كان قد فعل ما ينبغي فعله. كانوا قد فعلوا ما ينبغي فعله. قاد أوليغ سيارة هاري من الطريق إلى المرأب، بينما قامت راكيل بلف الجثة بأكياس القمامة، في حين صنع هاري حمالة من قماش مشمع وحبل وأنبوبين من الألمنيوم. وبعد أن وضعوا الجثة في صندوق السيارة، توجه هاري إلى الطريق حاملاً مفاتيح سيارة أرنولد، حيث قام كل من أوليغ وهاري بقيادة إحدى السيارتين إلى ماريدال، بينما قامت راكيل بتنظيف وإزالة كل الآثار.

وكما توقعوا، لم يكن هناك أحد حول جبل غريفسينكولن في المطر والظلام، إلا أنهما سلكا أحد الطرق الضيقة ليضمنا ألاّ يلتقيا أحداً.

تسبب المطر بجعل حمل الجثة أمراً صعباً وشاقاً، إلا أن هاري كان يعلم أن المطر سيغسل آثارهما وأي دلائل قد تشي بهما؛ إذ ما كانا يريدان وجود أي شيء يشير إلى أنه تم نقل الجثة إلى هناك.

استغرق الأمر أكثر من ساعة حتى وجدا مكاناً مناسباً حيث لن يتعثر الناس بالجثة مباشرة، إلا أن الكلاب ستتبع الرائحة بعد مرور وقت طويل... طويل بما يكفي لتفسد الأدلة الجنائية أو يصعب تحديدها... لكنه قصير للغاية لئلا يهدر المجتمع الكثير من الموارد في ملاحقة المجرم. كان هاري يضحك على نفسه حين أدرك أن ذلك مهم؛ فهو ديمقراطي اجتماعي لعين مغسول الدماغ يتبع القطيع ويعاني من الألم الجسدي حين يفكر بترك النور مضاءً طوال الليل أو رمي البلاستيك في منطقة ريفية.

أنهى رجل الدين موعظته، ثم قامت فتاة من أصدقاء أوليغ بالغناء. كانت العظة عن أهمية التعاون في الزواج، وفكر هاري كيف أزالا أكياس القمامة عن أرنولد، ووضعاه بوضعية ستبدو منطقية لرجل اختار الغابة لإطلاق رصاصة في صدغه. كان هاري يعلم أنه لن يسأل راكيل قط عن الأمر... عن سبب تقريبها فوهة المسدس من صدغ أرنولد فولكستاد الأيمن قبل أن تطلق النار عليه، بدلاً من أن تفعل ما يقوم به تسعة من أصل عشرة أشخاص وتطلق الرصاص عليه بسرعة في مؤخر رأسه أو ظهره.

قد يكون سبب ذلك بالطبع أنها كانت خائفة من أن تخترق الرصاصة فولكستاد وتصيب هاري.

لكن ذلك قد يكون أيضاً لأن ذهنها العملي السريع قد تمكن من

التفكير خطوة للأمام حول ما سيحصل في ما بعد؛ إذ ينبغي أن يكون هناك بعض التمويه لحمايتهم جميعاً... مراوغة الحقيقة... انتحار. قد تكون المرأة الواقفة بجانب هاري قد خطر ببالها أن ضحايا الانتحار لا يطلقون النار على أنفسهم من مؤخر رأسهم وعن بعد نصف متر، وإنما من صدغهم الأيمن بما أن أرنولد فولكستاد يستخدم يده اليمنى.

يا لها من امرأة بكل شيء يعرفه عنها وكل شيء لم يعرفه عنها. لقد ظهر له هذا السؤال عندما رآها وهي تتصرف، وبعد أن أمضى أشهراً مع أرنولد فولكستاد وأكثر من أربعين سنة مع نفسه. لأي مدى يمكنك معرفة شخص ما؟

انتهى الغناء، وبدأ رجل الدين بذكر وعود الزواج. هل ستحبها وتحترمها...؟ لكنه وراكيل تجاهلا المراسم وبقيا ينظران إلى بعضهما، في حين كان هاري متأكداً من أنه لن يتركها تغيب عنه على الإطلاق مهما حاول أن يكذب، ومهما كان من المستحيل أن تعد أنك ستحب شخصاً ما حتى يوم مماته. كان يأمل أن يصمت رجل الدين بسرعة ليقول نعم بفرح.

أخرج شتال أون المنديل من جيب قميصه وناوله لزوجته.

كان هاري قد قال نعم للتو، ولا يزال صدى صوته يتردد تحت سقف دار العبادة المقبب.

همست إنغريد:

- ماذا؟

همس:

- أنت تبكين يا حبيبتي.
- لا. أنت الذي يبكي.
- حقاً؟

تحقق شتال أون فوجد نفسه يبكي بالتأكيد... ليس كثيراً، لكن بما يكفي بالنسبة له ليعثر على بقع مبللة على منديله، أي إنه لم يكن يبكي بدموع واضحة كما تقول أورورا، وإنما كانت دموعاً خفية ورقيقة من دون أي تحذير واضح تسيل على جانبي أنفه؛ على الرغم من أن أحداً من الذين حوله لم ينتبه. كان يرغب في قدوم أورورا معهما، لكنها كانت تشارك في بطولة لكرة اليد تستمر ليومين في صالة ناديرود الرياضية، وقد أرسلت له للتو رسالة نصية تخبره فيها أنهم ربحوا المباراة الأولى.

عدلت إنغريد من ربطة عنق شتال، ووضعت يداً على كتفه فوضع

يده على يدها، إذ كان يعلم أنها كانت تفكر بما يفكر به نفسه... حفل زفافهما.

لقد انتهت القضية، وقام بكتابة تقرير نفسي توقع فيه أن السلاح الذي استخدمه أرنولد فولكستاد لإطلاق النار على نفسه كان السلاح نفسه المستخدم لقتل غاستو هانسن، وأن هناك العديد من نقاط التشابه بين غاستو هانسن ورينيه كالسنس، فكلاهما كانا شابين جذابين ليست لديهما أي مشكلة في تقديم الخدمات للجميع مقابل المال، وأنه من المحتمل أن فولكستاد كان ميالاً للتصادق مع أمثالهما. كما أنه من غير المستبعد أن يقوم شخص يعاني من أعراض الفصام وجنون الارتياب بقتل غاستو بدافع الغيرة، أو لأسباب أخرى مبنية على أوهامه؛ كنتيجة لذهان شديد قد لا يكون واضحاً للعالم الخارجي. وهنا أرفق شتال ملاحظات تستند إلى الوقت الذي عمل فيه أرنولد فولكستاد في كريبوس وجاء إليه يشتكي من سماعه أصواتاً. فعلى الرغم من أن الأطباء النفسيين قد أجمعوا منذ زمن أن سماع الأصوات لا يعني بالضرورة الإصابة بالفصام، إلا أن أون أكد على أن الأمر كذلك في حالة فولكستاد، وقال إنه بدأ حينها بتحضير تشخيص كان سينهي عمل فولكستاد كمحقق، لكن الأمر لم يعد ضرورياً إذ قرر فولكستاد من تلقاء نفسه الاستقالة بعد أن أخبر أون عن تقربه من أحد زملائه، كما أنهى علاجه واختفى. وقد كان من الواضح أن هناك بعض الأحداث التي قد تتسبب بتدهور حالته، أحدها الإصابات في الرأس التي تلقاها والتي تطلبت إقامة مطولة في المشفى؛ إذ إن هناك بحثاً مطولاً يظهر أنه حتى الضربات الخفيفة على الرأس قد تسبب تغيرات سلوكية كازدياد العدوانية وتناقص السيطرة على الدوافع، وقد كانت الضربات مشابهة للضربات التي كان يوجهها لضحاياه. الحدث الثاني هو فقدانه لرينيه كالسنس الذي أشارت شهادات الشهود إلى أنه كان صديقه المفضل؛ لدرجة أنه لم يعد مفاجئاً أن فولكستاد قد توصل إلى أن مهمته هي القضاء على حياته. لكن النقص الوحيد هو أنه لم يترك أي شيء مكتوب أو محكي لتبرير ما كان قد فعله؛ إذ من الطبيعي أن يشعر المصابون بجنون العظمة بالحاجة لأن تبقى ذكراهم حية، وأن يتم اعتبارهم عباقرة ومحط إعجاب، وأن يحتلوا مركزاً مرموقاً في التاريخ.

وقد تم قبول التقرير النفسي قبولاً حسناً، إذ كان القطعة الأخيرة من الأحجية كما قال مايكل بيلمان.

لكن شتال أون كان يشك في أن هناك جانباً آخر يشكل أهمية

كبرى بالنسبة للشرطة. فمع التشخيص الذي حدده، وضع حداً لقضية مرة أثارت الكثير من المشاكل: كيف يمكن لأحد رجال الشرطة أن يقف وراء هذه المجازر؟ كان فولكستاد مجرد شرطي سابق، لكن ما الذي يخبرنا به ذلك عن المهنة وعن الثقافة داخل الشرطة؟

الآن أصبح بإمكانهم إنهاء الخلاف لأن طبيباً نفسياً توصل إلى أن أرنولد فولكستاد كان مجنوناً. ليست هناك أي أسباب للجنون، فهو مجرد نوع من الكوارث الطبيعية التي تأتي من لا شيء ثم عليك إكمال حياتك؛ لأنه ما من شيء يمكن فعله.

هذا ما رآه بيلمان والآخرون.

هذا ما رآه شتال أون.

لكن ينبغي ترك الموضوع الآن، إذ عاد شتال للعمل في عيادته الاستشارية. غير أن غونار هاغن قال إنه يرغب في أن تبقى عصابة غرفة التدفئة كوحدة جاهزة عند الحاجة كفرقة دلتا، وقد تم منح كاترين وظيفة كمحققة في فرقة مكافحة الجرائم وقبلتها، حيث قالت إن لديها العديد من الأسباب التي تدفعها للانتقال من بيرغن الجميلة الرائعة إلى العاصمة البائسة.

بدأ عزف الموسيقى، ومشى العريس والعروس اللذان لم يكونا بحاجة للالتفات يمنة ويسرى؛ إذ كان الحاضرون قليلين في دار العبادة، حيث كان بإمكانهم رؤيتهم كلهم بنظرة واحدة.

ثم توجه المحتفلون إلى شرودر على الرغم من أن مكان هاري المفضل لم يكن مناسباً لحفل زفاف، لكن القرار كان يعود لراكيل وليس لهاري.

استدار الضيوف وتبعوا راكيل وهاري اللذين مشيا بين صفوف المقاعد الفارغة في الخلف باتجاه الباب... باتجاه شمس حزيران حسبما فكر شتال... باتجاه بقية النهار... باتجاه المستقبل... ثلاثتهم... أوليغ وراكيل وهاري.

- كفى يا شتال.

وسحبت إنغريد المنديل من جيب قميصه وناولته إياه.

جلست أورورا على المقعد حيث كان بإمكانها أن تعرف من التشجيع أن زميلاتها في الفريق قد سجلن مرة أخرى.

كانت المباراة الثانية اليوم، وكانوا على وشك الفوز. هنا ذكرت نفسها أن عليها إرسال رسالة نصية لأبيها؛ إذ إنها لم تكن تكترث إن ربحوا أو

خسروا وكذلك أمها، لكن أباها يتصرف دائماً كما لو أنها بطلة العالم الجديدة كلما أخبرته بنصر آخر في بطولة الفتيات تحت عمر 13 عاماً.

وبما أن أورورا وإيميلي لعبتا في المباراة الأولى بكاملها تقريباً، جلستا على مقاعد الاحتياط معظم هذه المباراة. بدأت أورورا تعد المتفرجين في المدرجات على الجانب الآخر من الملعب حيث لم يكن هناك سوى صفين معظمهم من الآباء أو اللاعبين في الفرق الأخرى المشاركة في البطولة، لكنها ظنت أنها رأت وجهاً مألوفاً هناك.

نكزتها إيميلي:

- ألا تتابعين المباراة؟

- بلى، لكن... أيمكنك رؤية الرجل هناك في الصف الثالث؟ إنه يجلس بعيداً عن الآخرين. هل رأيته من قبل؟

- لا أعرف. إنه بعيد جداً. ألا تتمنين لو أنك ذهبت إلى حفل الزفاف؟

- لا. إنه حفل للكبار. أريد أن أتبول. هل تأتين معي؟

- في منتصف المباراة؟! ماذا لو احتاجوا لمشاركتنا؟

- إنه دور شارلوت أو كاترين. تعالي.

نظرت إليها إيميلي، وهنا عرفت أورورا ما تفكر فيه... أن أورورا لا تطلب من أحد في العادة أن يذهب معها إلى دورة المياه أو إلى أي مكان.

ترددت إيميلي، ثم التفتت إلى الملعب ونظرت إلى المدرب الواقف على الخط الجانبي وهزت رأسها بالرفض.

فكرت أورورا إن كان بإمكانها الانتظار حتى تنتهي اللعبة ويتجه الآخرون نحو غرف تبديل الملابس ودورات المياه، غير أنها همست:

- سأعود خلال لحظة.

ونهضت وركضت نحو الدرج، ثم استدارت عند الباب ونظرت إلى المدرجات وبحثت عن الوجه الذي ظنت أنها تعرفت عليه لكنها لم تستطع رؤيته، ثم ركضت وهي تنزل الدرج.

وقفت منى غاملم بمفردها في المقبرة بجوار دار العبادة براغرنيس. كانت قد قادت السيارة من أوسلو إلى درامن حيث استغرق الأمر بعض الوقت حتى وجدت المكان واضطرت للسؤال عن الطريق إلى القبر. كان ضوء الشمس يتلألأ على البلورات في الحجر حول اسمه... أنطون ميتيت.

لقد تلألأ الآن أكثر ممّا كان عليه أثناء حياته، لكنه كان يحبها، وكانت متأكدة من ذلك. وضعت قطعة علكة بنكهة النعناع في فمها، وفكرت في ما قاله لها حين أوصلها إلى بيتها بسيارته بعد المناوبة في ريكشوبيتالت وتبادلا القبلات: كان يحب نكهة النعناع. وفي المرة الثالثة حين كانا قد ركنا السيارة أمام منزلها وانحنت نحوه، وقامت بإزالة العلكة من فمها ولصقها تحت مقعده، ثم قامت بعد ذلك مباشرة بمضغ قطعة علكة جديدة قبل أن يتبادلا القبلات مجدداً؛ لأنها كانت تريد أن تفوح منها نكهة النعناع، فهي النكهة التي يحبها. كم تفتقده من دون أن يكون لها أي حق بافتقاده؛ مما يجعل الأمر أكثر سوءاً. سمعت منى غاملم صوت خطوات على الممر وراءها... ربما تكون هي... المرأة الأخرى... لورا. بدأت منى غاملم بالمشي إلى الأمام من دون أن تلتفت، وهي تحاول منع الدموع من التساقط من عينيها والبقاء على الطريق الحصوي.

فتح باب دار العبادة لكن ترولس لم ير أحداً يخرج.

حدق بالمجلة على المقعد المجاور له... مقابلة مع مايكل بيلمان رجل العائلة السعيدة مع زوجته وثلاثة أطفال... رئيس الشرطة المتواضع والماهر الذي قال إن قضية قاتل رجال الشرطة ما كانت لتُحلّ لولا دعم زوجته أولا في المنزل، ومن دون زملائه المتميزين في مركز الشرطة، وإن كشف اللثام عن فولكستاد يعني حل قضية ثانية، فقد أظهر التقرير البالستي أن مسدس الأوديسا الذي استخدمه أرنولد فولكستاد لإطلاق النار على نفسه هو المسدس نفسه المستخدم لقتل غاستو هانسن.

ضحك ترولس من الفكرة. هذا مستحيل. لا بد أن هاري هول وضع إصبعه في القضية وعاد لخدعه القديمة. لم تكن لدى ترولس أدنى فكرة عن السبب أو الكيفية، لكن ذلك يعني تبرئة أوليغ فوك بالكامل ليتمكن من دخول كلية الشرطة.

هذا من حقه، ولن يقف ترولس في طريقه فهو يستحق الاحترام. لكنه لم يحتفظ بالمجلة بسبب هاري أو أوليغ أو مايكل.

لقد احتفظ بها بسبب صورة أولا.

سيتخلص من المجلة في ما بعد... سيتخلص منها.

فكر بالمرأة التي التقاها في المقهى في اليوم السابق بناء على موعد عبر الإنترنت. بالطبع لا يمكن مقارنتها بأولا أو ميغان فوكس، فهي كبيرة قليلاً وردفاها كبيران وتتكلم كثيراً لكنه أحبها.

أو بدقة أكبر أحب حقيقة أنه من الواضح أنها أحبته.

ربما يكون ذلك بسبب وجهه المشوه؛ إذ شعرت بالأسف تجاهه، أو أن مايكل بيلمان كان محقاً: كان وجهه غير جذاب، حيث لن يصنع هذا التشوّه أي فرق.

أو إنه تغير من داخله بطريقة أو بأخرى... ماذا أو كيف؟ لم يكن يعلم بالضبط، لكنه كان يستيقظ أحياناً ويشعر أنه شخص جديد، ويفكر بطريقة مختلفة، ويتكلم حتى مع الناس من حوله بأسلوب جديد. وكما لو أنهم لاحظوا ذلك فبدأوا يعاملونه بأسلوب جديد أيضاً... أسلوب أفضل... مما منحه الشجاعة ليخطو خطوة بسيطة أخرى في هذا الاتجاه الجديد على الرغم من أنه لم تكن لديه أدنى فكرة إلى أين سيوصله... ولا يعني ذلك أنه وجد الخلاص أو أي شيء؛ فقد كان التغيير بسيطاً، وأحياناً لم يكن يشعر بأي شيء جديد.

بكل الأحول، فكر بالاتصال بها مجدداً.

طقطق مذياع الشرطة، واستطاع أن يدرك من الصوت وليس من الكلمات أن الأمر مهم ومختلف عن ازدحام مروري ممل أو سرقة قبو منزل أو مدمن ثمل... جثة.

سأل رئيس الوحدة:

- أيبدو الأمر جريمة قتل؟

- أتخيل أنه كذلك.

كانت الإجابة محاولة لجعل النبرة هادئة ومقتضبة كما يطمح الحراس الشباب على نحو خاص؛ ليس السبب أنه ليست لديهم قدوة حسنة بين الحراس الأكبر سناً، لكن على الرغم من أن هول لم يعد بينهم إلا أن مقولاته لا تزال باقية.

- لسانها... أظن أنه لسانها. لقد تم قطعه وحشره في...

لم يتمكن الشرطي الشاب من الإكمال.

أحس ترولس بالإثارة، بينما تسارعت ضربات قلبه.

يبدو الأمر مقززاً... يونيو... كانت عيناها جميلتين، كما أن صدرها كبير. نعم، سيكون صيفاً رائعاً.

- ما العنوان؟

- ساحة ألكسندر كييلاند، المنزل رقم 22 . تباً! هناك الكثير من أسماك القرش.

- أسماك القرش؟

- نعم، على ألواح التزلج الصغيرة. المكان ممتلئ بها.

شغل ترولس سيارة السوزوكي وعدل نظارته الشمسية وأفلت المكابح. هناك بعض الأيام الجديدة.

كانت دورة مياه الفتيات في نهاية الممر. حين أغلق الباب وراء أورورا تفاجأت من الهدوء المخيم، حيث اختفت أصوات جميع الناس في الأعلى، ولم يعد هناك سواها.

قامت بسرعة بإقفال الباب على نفسها في إحدى الحجرات، وأنزلت سروالها وسروالها الداخلي وجلست على المقعد البلاستيكي البارد.

فكرت في حفل الزفاف. كانت تفضل لو كانت هناك؛ إذ لم تر أحداً يتزوج من قبل، وتساءلت إن كانت ستتزوج يوماً ما، وحاولت تخيل الأمر وهي تقف خارج دار العبادة وتضحك تحت قصاصات الورق الملونة المتساقطة وهي ترتدي فستاناً أبيض، ولديها منزل وعمل تحبه وشاب ستنجب منه الأطفال. حاولت تخيل الشاب.

فتح الباب ودخل أحد ما.

كانت أورورا تجلس على الأرجوحة في الحديقة بينما انعكست أشعة الشمس مباشرة في عينيها، ولم تعد ترى الشاب. كانت تأمل أن يكون رائعاً ويفكر مثلها ومثل بابا لكنه ليس طائشاً.

كانت أصوات الخطوات ثقيلة للغاية لتكون خطوات امرأة.

مدت أورورا يدها لتتناول بعض المناديل، لكنها عادت وحاولت التنفس، لكن لم يكن هناك هواء. أحست بحنجرتها تضيق.

إنها ثقيلة جداً لتكون خطوات امرأة.

توقفت الآن.

نظرت إلى الأسفل، نحو الفجوة الكبيرة بين الباب والأرض، ورأت ظلاً وطرفي حذاء مدبب طويل كحذاء رعاة البقر.

لم تكن أورورا تعرف إن كان الطنين في رأسها منبعثاً من أجراس حفل الزفاف أم من نبضات قلبها.

خرج هاري إلى الدرج، ورمش في شمس يونيو المشرقة ثم أغمض عينيه للحظة منصتاً لأجراس دار العبادة التي تصدح. أحس أن كل شيء على ما يرام في هذا العالم... وعلم أن هذا ما كان ينبغي أن تؤول إليه الأمور.

انتهى

ketab4pdf.blogspot.com